

مواقف عربية

إعداد

دكتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت



بطاقة فهرسة

حقوق الطبع
محفوظة

مكتبة كنوز المعرفة

اسم الكتاب: مواقف عربية
إعداد: د. رجب محمود بخيت
رقم الإيداع:

الطبعة الاولى
2012



شارع جيهان - أمام بوابة الجامعة ت: ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

Tokoboko_5@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه ودنا في علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سبق بل أنشأه ابتداءً وعدله اصطناعاً فأحسن كل شيء خلقه وتمم مشيئته وأوضح حكمته فدل على ألوهيته فسبحانه لا معقب لحكمه ولا دافع لقضائه تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لسلطانه ووسع كل شيء فضله لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده إلهها تقدست أسماؤه وعظمت آلاؤه وعلا عن صفات كل مخلوق وتنزه عن شبيهه كل مصنوع فلا تبلغه الأوهام ولا تحيط به العقول ولا الأفهام يعصى فيحلم ويدعى فيسمع ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون.

وأشهد شهادة حق وقول صدق بإخلاص نية وصحة طوية أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه وخالسته وصفيه ابتعثه إلى خلقه بالبينّة والهدى ودين الحق فبلغ مآلكنه ونصح لأمته وجاهد في سبيل الله لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا يصدّه عنه زعم زاعم ماضياً على سنته موفياً على قصده حتى أتاه اليقين فصلّى الله على محمد وعلى آل محمد.

أما بعد..

فللخير في الأمة الإسلامية باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمهما ضعفت الأمة، ومهما تأخرت عن مكانها اللائق بها باعتبارها خير أمة أخرجت للناس، ومهما عظمت المؤامرة عليها وتنوعت أدواتها، إلا أنها تبقى أمة خصبة، تنبت الأعلام العظماء، يكونون فيها كالمصابيح في الدجى، وتظل مواقفهم مواقف عزة وفخر لهم وللأمة الإسلامية كلها.

ونحن المسلمون إذا تصفحنا مواقف تاريخنا المديد نجد أعلاماً للأمة في كل العلوم والآداب في الذود عن الحق والوقوف في وجه الباطل وفي اللغة والفقه والحديث... وكلها آيات رائعة يفوح منها الشذى العاطر، وتؤكد بقاء هؤلاء الأعلام بيننا بعلمهم وعملهم وذكرهم العطرة، فقد عت ذاكرة التاريخ أمثلة رائعة من مواقف مشوقة لأعلام الأمة.

إن هذه الأمة أمة عظيمة، أمة كريمة مجيدة، ما شهد التاريخ مثلها، وما عرف المخاض مولودا أكرم على الله منها، أمة تغفو ولكنها لا تنام، قد تمرض ولكنها لا تموت، أمة أنجبت للدنيا أعلامًا في كل فن من الفنون وكل نوع من أنواع المعارف الإنسانية، وأخرجت للكون أبطالًا شرفاء، ولنا اليوم وقفة مع أشهر المواقف في حياة الأمة لنقلب الصفحات ونلتمس العبر والعظات.

اقرأوا التاريخ إذ فيه العبر :: ضل قوم ليس يدرون الخبر

و هؤلاء الأعلام بعلمهم وعملهم أحياء وإن وسدوا في قبورهم، وإن وارا هم التراب، وإن فقدت شخوصهم، إلا أنهم أحياء بعلمهم وبتراثهم، ومواقفهم، بجهودهم، وبآرائهم، وباجتهاداتهم، وبأعمالهم التي كلما ذكرت ذكروا، فأثنى الناس عليهم خيرًا، وترحموا عليهم، بل وكرهوا البقاء بعدهم.

عفاءً على أرض تقيم بغيرها	::	فليس بها للصالحين معرج
لمن تستجد الأرض بعدك زينة	::	فتصبح في أثوابها تتبهرج
وليس البكا أن تسفح العين إنما	::	أحر البكائين البكاء المولج
	::	
	:	

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: القلوب أوعية فخيرها أوعاها للعلم، احفظ ما أقول لك: الناس ثلاثة: عالم ربّاني، ومتعلّم على سبيل نجاة، وهمج رعاع، أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال.... مات خُزّان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة... أولئك هم الأقلون عدداً، الأعظمون عند الله قدراً، بهم يحفظ الله الحجة حتى يؤدونها إلى نظرائهم، ويزرعونها في قلوب أشباههم، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر، فاستلنوا ما استوعر المترفون، وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة في المحل الأعلى، آه.. آه.. شوقاً إلى رؤيتهم، وأستغفر الله لي ولك).

وهذه صفحات من حياة الأمة أودعتها موافقاً من حياة الأعلام في مختلف المجالات، ومنتقياً من مواقف أعلام الفقه والحديث والقضاء والأدب واللغة، ونادراً من ثبات أكثر أهل الملة، ونبدأ من نصح الأمة لدينها، وشذراً من زهد العلية الأجلّة، وطيفاً من قوة البرهان والحجة مع السير على المحجة.

وهي باقية من مكارم الآباء تهدي إلى الأبناء، وطاقات علمية نادرة، وعقريات فذة مدهشة، هي لأهل العلم تذكرة، وللعامّة والخاصة تبصرة، نرجو أن ينعش بها العليل، ويشحذ بها الكلّيل، ويُبعث الوسنان، ويوقظ الهاجع، ويُنشر المطوي، ويُفتح المغلق، وينهض المقعد، ويمشي الكسّيح. أضعها بين أيديكم كالمائدة تختلف عليها أصناف الأطعمة لاختلاف شهوات الأكلين، وأنا لا أدعي - معاذ الله - أني أتيت فيها بجديد، ولكني - بفضل الله وحده - جمعتها من بطون الكتب لتكون بين أيديكم لعل الله عز وجل أن ينفع بها.

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل وأن يتقبله مني ويثيبني عليه.

رب تقبل عملي ولا تخيب أُملي

أصلح أموري كلها قبل حلول الأجل

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلّى الله وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

مواقف الصابرين

مواقف عربية

مواقف الصابرين

إذا استحكمت الأزمات وتعقدت حبالها، وترادفت الضوائق وطال ليلاها، فالصبر وحده هو الذي يشع للمسلم النور العاصم من التخبط، والهداية الواقية من القنوط. والصبر فضيلة يحتاج إليها المسلم في دينه ودنياه، ولا بد أن يبني عليها أعماله وآماله وإلا كان هازلاً.. يجب أن يوطن نفسه على احتمال المكارِه دون ضجر؟ وانتظار النتائج مهما بعدت، ومواجهة الأعباء مهما ثقلت، بقلب لم تعلق به ريبة، وعقل لا تطيش به كربة، يجب أن يظل موفور الثقة بآدى الثبات، لا يرتاع لغيمة تظهر في الأفق ولو تبعثها أخرى وأخرى، بل يبقى موقناً بأن بواذر الصفو لا بد آتية، وأن من الحكمة ارتقابها في سكون ويقين.

وقد وصف الله - تعالى - الصابرين بأوصاف، وذكر الصبر في القرآن في نيف وسبعين موضعاً، وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آيَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا} [السجدة: ٢٤]. وقال تعالى: {وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النحل: ٩٦]. وقال تعالى: {أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} [القصص: ٥٤]، وقال تعالى: {إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠]. فما من قرينة إلا وأجرها بتقدير وحساب، إلا الصبر، ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٣]، والأنفال تَكُونُ. وجمع لهم بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى: {أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} [البقرة: ١٥٧]. وقد قال الحبيب محمد ﷺ: "مَا رُزِقَ عَبْدٌ خَيْرًا لَهُ وَلَا أَوْسَعَ مِنْ الصَّبْرِ" (١).

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "النَّصْرُ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْفَرَجُ مَعَ الْكُرْبِ، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا، إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا" (٢).

(١) متفق عليه، البخاري (١٤٠٠) باب الاستغفار عن المسألة، مسلم (١٠٥٣) باب فضل التعفف والصبر، مستدرک الحاكم (٣٥٥٢) تفسير سورة السجدة، واللفظ له، تعليق الذهبي في التلخيص "على شرط البخاري ومسلم".
(٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (٥٤١١)، تعليق الألباني "صحيح"، صحيح الجامع (٦٨٦).

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ وَأَبِي صَالِحٍ: عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ".⁽¹⁾

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ رَجُلًا كَانَ يَسُبُّ أَبَا بَكْرٍ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ أَذَاهُ الثَّانِيَةَ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ أَذَاهُ الثَّالِثَةَ، فَانْتَصَرَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوْجَدْتَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ فَكَذَّبَهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لِأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ".⁽²⁾

عَنْ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللَّهُ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ".⁽³⁾

وقال الجنيد: المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن، وهجران الخلق في جنب الله تعالى شديد، والمسير من النفس إلى الله تعالى صعب شديد، والصبر مع الله أشد.

وسئل الجنيد عن الصبر، فقال: هو تجرع المرارة من غير تعبيس.

وقال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس في الجسد.

وقال أبو القاسم الحكيم: قوله تعالى: {وَأَصْبِرْ} أمر بالعبادة، وقوله: {وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ} [النحل: ١٢٧]، عبودية، فمن ترقى من درجة

(1) أحمد (5022)، تعليق شعيب الأرناؤوط "إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الشيخين"،

سنن البيهقي الكبرى (19962) باب فضل المؤمن القوي الذي يقوم بأمر الناس ويصبر على أذاهم، تعليق الألباني "صحيح"، صحيح الجامع (6651)، الصحيحة 939.

(2) أبو داود (4897) باب في الانتصار، واللفظ له، تعليق الألباني "حسن بما بعده"، أحمد (9622)، تعليق شعيب الأرناؤوط "حسن لغيره".

(3) متفق عليه، البخاري (6943) باب قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٨]، واللفظ له، مسلم (2804) باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل.

لك إلى درجة بك؛ فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية.
وقال ابن عطاء: الصبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.
وقيل: هو الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى.
وقال أبو عثمان: الصبار: الذي عوّد نفسه الهجوم على المكاره.
وقيل: الصبر: المقام مع البلاء بحسن الصحبة، كالمقام مع العافية.
قال عمرو بن عثمان: الصبر. هو الثبات مع الله سبحانه وتعالى،
وتلقي بلائه بالرحب والدعة.

وقال رويم: الصبر: ترك الشكوى.
وقال ذون النون: الصبر: هو الاستعانة بالله تعالى.
وقال عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو.

وأنشد بعضهم:

صبرت ولم أطلع هواك على :: وأخفيت ما بي منك عن موضع
صبري ::
مخافة أن يشكو ضميري :: إلى دمعتي سرّاً فتجري ولا
صبابتي :: أدري

وقيل: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: تخلق بأخلاقى، وإنّ من
أخلاقى أنّي أنا الصبور.

وقيل: الصبر لله: عناء، والصبر بالله: بقاء، والصبر في الله: بلاء.
والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله: جفاء.

وأنشدوا:

والصبر عنك فمذموم عواقبه :: والصبر في سائر الأشياء
محمود ::

وأنشدوا:

وكيف الصبر عمن حل منى ::
بمن زلة اليمين من الشمال ::
إذا لعب الرجال بكلّ شيء ::
رأيت الحب يلعب بالرجال ::

وقيل: الصبر على الطلب عنوان الظفر، والصبر في المحن علامة الفرج.

وقيل: حالك التي أنت فيها رباطك، وما دون الله تعالى أعداؤك، فأحسن المrapطة في رباط حالك.

- وقيل في الصبر على النوائب

أتصبر في البلوى عزاءً وحسبةً :: فتوَجَّر أم تسلو سلو البهائم⁽¹⁾
وقيل:

عَوَّل على الصبر واتخذ سبباً :: إلى الليالي فإنها دُولُ
وقيل:

- تنقل الدهر للفتى سبباً :: والمرءُ والدهرُ حيثُ ينتقلُ
فدمٌ على صبرك الجميل له :: واعملْ فإن الملوك قد عملوا
:

ومن المواقف:

فاحتسب ابنك:

عن ثابت عن أنس قال: مات ولد لأبي طلحة من أم سليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة بآبائه حتى أكون أنا أحدثه. قال: فجاء فقربت إليه عشاء فأكل وشرب، ثم تصنعت له أحسن ما كانت تصنع قبل ذلك، فوقع بها فلما رأت أنه قد شبع، وأصاب منها قالت: يا أبا طلحة، أرايت لو أن قوما أعاروا عاريتهم أهل بيت وطلبوا عاريتهم ألهم أن يمنعوهم؟ قال: لا فقالت: فاحتسب ابنك.

قبلت رأس عالج:

عن عكرمة عن ابن عباس قال: أسرت الروم عبد الله بن حذافة السهمي صاحب رسول الله ﷺ فقال له الطاغية: تنصر وإلا ألقيتك في النقرة النحاس. فقال: ما أفعل، فدعا بنقرة من نحاس فملئت زيتاً وأغليت، ودعا رجلاً من المسلمين فعرض عليه النصرانية فأبى فألقاه في النقرة، فإذا عظامه تلوح، فقال لعبد الله بن حذافة: تنصر، وإلا ألقيتك. قال: ما

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1/251.

أفعل، فأمر أن يلقي في النقرة فكتفوه فبكى فقالوا: قد جزع قد بكى قال ردوه فقال لا تظنن أني بكيت جزعا ولكن بكيت إذ ليس لي إلا نفس واحدة يفعل بها هذا في الله عز وجل ، كنت أحب أن يكون لي أنفـس عدد كل شعرة في ، ثم تسلط علي فتفعل بي هذا قال : فأعجبه وأحب أن يطلقه ، فقال : قبل رأسي وأطلقك . قال : ما أفعل ، قال : تنصر وأزوجك ابنتي وأقاسمك ملكي . قال : ما أفعل . قال : قبل رأسي وأطلق معك ثمانين من المسلمين . قال : أما هذا فنعم ، فقبل رأسه ، فأطلقه وثمانين معه ، فلما قدموا على عمر قام إليه عمر فقبل رأسه ، وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازحون عبد الله ، ويقولون: قبلت رأس عـلج⁽¹⁾.

عروة بن الزبير: اللهم إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت:

ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شلت رجله فقيل له إقطعها . قال: إني لأكره أن أقطع مني طابقا، فارتفعت إلى الركبة، فقيل له: إنها إن وقعت في الركبة قتلتك، فقطعت ولم يقبض وجهه، وقيل له قبل أن يقطعها: نسفيك دواء لا تجد معه ألما؟ فقال: ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها.

وسقط محمد بن عروة بن الزبير وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية من سطح في اصطبل دواب الوليد بن عبد الملك فضربته بقوائمها حتى قتلتها، فأتى عروة رجل يعزيه فقال عروة: إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتها، فقال: بل أعزيك بمحمد قال وماله فخبـره بشأنه فقال:

(وكنْتُ إذا الأيَّامُ أحدثنَّ نكبةً :: أقولُ شَوَى ما لم يُصِبْنِ صميمي)

اللهم أخذت عضوا وتركت أعضاء، وأخذت ابنا وتركت أبناء، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت.

فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق فأثاه ابن المنكر، وقال: كيف كنت فقال: {لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} [الكهف: ٦٢].

(1) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، الثبات عند الممات، تحقيق عبد الله الليثي الأنصاري، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت الطبعة الأولى، 1406 هـ، ص54.

كأنك لم تدع إلى ضر مسك:

عن سفيان بن عيينة عن محمد بن سوقة قال: مررت مع عون بن عبد الله بالكوفة على قصر الحجاج فقلت: لو رأيت ما نزل بنا ههنا زمن الحجاج! فقال: مررت كأنك لم تدع إلى ضر مسك؛ ارجع فاحمد الله واشكره؛ ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: {مَرَّكَانَ لَمَّا يَدْعُنَا إِلَى ضَرٍّ مَسْنَهُ} [يونس: ١٢].

أكثرُوا سؤال العافية:

عن سفيان بن عيينة عن مسعر قال: كان عبد الأعلى التيمي يقول: أكثرُوا سؤال العافية فإن المبتلي وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء؛ وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم؛ ولو كان بلاء يجره خير ما كنا من رجال البلاء؛ ولو كان بلاء قد أجهد في الدنيا وأجزي في الآخرة فما يؤمن من بلاء قد أجهد في الدنيا وأجزي في الآخرة؟! فما يؤمن من أطال المقام على معصية الله أن يكون قد بقي له في بقية عمره من البلاء ما يجهد في الدنيا ويفضحه في الآخرة؛ ثم يقول عند ذلك: الحمد لله الذي إن نعد نعمه لا نحصيها، وإن ندأب له عملاً لا نجزيها، وإن نعوذ فيها لا نبليها⁽¹⁾.

فأنت الراكب وأنا الماشي:

وخرج يوماً إلى الحج ماشياً فراه رجل على ناقته، فقال له: إلى أين يا إبراهيم؟ قال: أريد الحج. قال: أين الراحلة فإن الطريق بعيد؟ قال لي: مراكب كثيرة ولكن لا تراها. قال: ما هي؟ قال: إذا نزلت مصيبة ركبت مركب الصبر، وإذا نزلت نعمة ركبت مركب الشكر، وإذا نزل القضاء ركبت مركب الرضاء، وإذا دعيت نفسي إلى شيء علمت أن ما في من الأجل أقل مما مضى. فقال سر بإذن الله فأنت الراكب وأنا الماشي⁽²⁾.

(1) عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، فقه الأدعية والأذكار، ط الكويت، الطبعة: الثانية، 423هـ/2003م، 277/1.

(2) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، 1 / 87.

المال مال الله:

عن ابراهيم بن بشار خادم ابراهيم بن أدهم قال: نظر ابراهيم بن أدهم إلى رجل قد أصيب بـمال ومتاع كثير وقع الحريق في دكانه فاشتد جزعه حتى خولط في عقله فقال له: يا عبد الله إن المال مال الله متعك به إن شاء وأخذ منك إن شاء فاصبر لأمره ولا تجزع فإن من تمام شكر الله على العافية الصبر له على المصيبة، ومن قدم وجد، ومن آخر فقد وندم⁽¹⁾.

فانظر ماذا يفعل بالمرضى عنهم!:

وقال، قال لي أبو سليمان: ” يا أحمد!، أياك شيء أعظم ثواباً من الصبر؟ ” قلت: ” نعم!، الرضا عن الله! ”، قال: ” ويحك!، إذا كان الله يوفي الصابرين أجرهم بغير حساب، فانظر ماذا يفعل بالمرضى عنهم! ”. وقال، قال لي يوماً: ” إذا أردت أبداً حاجة من حاجات الدنيا فلا تأكل شيئاً حتى تقضيها، فإن الأكل يغير العقل ”.

فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟!:

حدث الأوزاعي عن عبد الله بن محمد قال: خرجت إلى ساحل البحر مرابطاً وكان رباطنا يومئذ عريش مصر، قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه وثقل سمعه وبصره وما له من جراحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول: اللهم أوزعني أن أحمداً حمداً أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً؛ قال الأوزاعي: قال عبد الله: قلت: والله لآتين هذا الرجل ولأسأله أني له هذا الكلام؟! فهمم أم علم أم إلهام ألهم، فأتيت الرجل فسلمت عليه فقلت: سمعتك وأنت تقول: اللهم أوزعني أن أحمداً حمداً أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير من خلقت تفضيلاً فأني نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟! وأي فضيلة تفضل بها عليك تشكره عليها؟! قال: وما ترى ما صنع ربي؟! والله لو أرسل السماء علي ناراً فأحرقتنني، وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فغرقتنني، وأمر

(1) أبو نعيم، حلية الأولياء، 33/8.

الأرض فبلعتني، ما ازددت لربي إلا شكراً لما أنعم علي من لساني هذا؛ ولكن يا عبد الله إذ أتيتني لي إليك حاجة قد تراني على أي حالة أنا أنا لست أقدر لنفسي على ضر ولا نفع، ولقد كان معي بني لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضيني، وإذا جعت أطعمني، وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام فتحسسه لي رحمك الله، فقلت: والله ما مشي خلق، في حاجة خلق كان أعظم عند الله أجراً ممن يمشي في حاجة مثلك، فمضيت في طلب الغلام فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كئبان من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه فاسترجعت وقلت: أنى لي وجه رقيق آتي به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي ﷺ فلما أتيته سلمت عليه فرد علي السلام، فقال: ألسنت بصاحبي؟ قلت: بلى؛ قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي؛ قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى، قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده صابراً شاكراً حامداً؛ قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه؟ قال: نعم؛ قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابراً شاكراً حامداً؛ قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيره غرضاً لمار الطريق هل علمت؟ قال: نعم؛ قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: صابراً شاكراً حامداً، أوجز رحمك الله؛ قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كئبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقاً يعصيه فيعذبه بالنار ثم استرجع وشهق شهقة، فمات؛ فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون؛ عظمت مصيبتني؛ رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع وإن قعدت لم أقدر على ضر ولا نفع؛ فسجيت به بشمة كانت عليه وقعدت عند رأسه باكياً فبينما أنا قاعد إذ تهجم علي أربعة رجال فقالوا: يا عبد الله ما حالك وما قصتك؟ فقصص عليهم قصتي وقصته، فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه فكشفت عن وجهه فانكب القوم عليه يقبلون عينيه مره ويديه أخرى ويقولون: بأبي عين طالما غضت عن محارم الله وبأبي جسم طالما كان ساجداً والناس نيام؛ فقلت: من هذا يرحمكم الله؟! فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي صاحب

ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبي ﷺ ؛ فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا وصلينا عليه ودفناه فانصرف القوم وانصرفت إلى رباطي، فلما أن جن على الليل وضعت رأسي فرأيتُه فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة وعليه حلّتان من حلل الجنة وهو يتلو الوحي: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ} [الرعد: ٢٤]، فقلت: ألسنت بصاحبي؟ قال: بلى، قلت: أنى لك هذا؟ قال: إن لله درجات لا تتال إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء مع خشية الله عز وجل في السر والعلانية⁽¹⁾.

* * *

(1) محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الثقات، تحقيق السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1395 - 1975م، 4/5.

مواقف المتواضعين

مواقف عربية

مواقف المتواضعين

التواضع لغة: مصدر تواضع أي أظهر الضَّعة، وهو مأخوذ من مادّة (و ض ع) الّتي تدلّ على الخفض للشيء وحطّه، يقال: وضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها.

والمواضع قوم ينقلون من أرض إلى أرض يسكنون بها، والوضيع الرّجل الدّنيّ، والدّابة تضع في سيرها وضعا وهو سير سهل يخالف المرفوع.

واصطلاحا: إظهار التّنزّل عن المرتبة لمن يراد تعظيمه، وقيل: هو تعظيم من فوّقه لفضله، وفي الرّسالة القشيريّة: التّواضع هو الاستسلام للحقّ وترك الاعتراض في الحكم⁽¹⁾.

وهناك فرق بين التّواضع والمهانة (أو الدّلّ) أنّ التّواضع يتولّد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبّته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفصيلها وعيوب عملها وآفاتِها، فيتولّد من ذلك كلّ خلق هو التّواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الدّلّ والرّحمة لعباده فلا يرى له على أحد فضلا ولا يرى له عند أحد حقّا، بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنّما يعطيه الله عز وجل من يحبّه ويكرّمه ويقرّبه.

وأما المهانة (الدّلّ) فهي الدّناءة والخسّة وبذل النّفس أو ابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السّفّل في نيل شهواتهم وتواضع طالب كلّ حظّ لمن يرجو نيل حظّه منه فهذا كلّ ضعة لا تواضع والله سبحانه يحبّ التّواضع ويبغض الضّعة والمهانة.

وقد قال الله عز وجل: { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا } [الفرقان: ٦٣].

وقد قال الحبيب محمد ﷺ قال: "ما من آدمي إلا في رأسه حكمه بيد ملك فإذا تواضع قيل للملك: ارفع حكمته وإذا تكبر قيل للملك: ضع

(1) مدارج السالكين (6 / 134). وفتح الباري (11 / 341)، دليل الفالحين لابن علان (3 / 50).

حكمته⁽¹⁾.

و عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أحبوا المساكين فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول في دعائه: "اللهم! أحييني مسكينا وأمتني مسكينا" ⁽²⁾ واحشرنني في زمرة المساكين- ⁽³⁾.

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله" ⁽⁴⁾.

وقال المسيح عليه السلام: طوبى للمتواضعين في الدنيا، هم أصحاب المنابر يوم القيامة، طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا، هم الذين يرثون الفردوس يوم القيامة.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع.

عن عائشة رضي الله عنه قالت: تغفلون أفضل العبادة: التواضع.

و عن جرير بن عبد الله - رضي الله عنه أنه قال له سلمان رضي الله عنه : يا جرير

تواضع لله. فإن من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة.

و عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من تواضع لله تخشعاً رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول تعظماً وضعه الله يوم القيامة.

وسئل الحسن البصري عن التواضع ؟ فقال: التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً.

(1) المعجم الكبير (12939)، تعليق الألباني "حسن"، صحيح الجامع (5675)، الصحيحة (538).

(2) مسكينا: هذه المسكنة ليست التي يرجع معناها إلى القلة، وإنما سأل المسكنة التي يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع.

(3) الترمذي (2352) باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، ابن ماجه (4126) باب مجالسة الفقراء، واللفظ له، تعليق الألباني "صحيح".

(4) رواه مسلم والترمذي وقال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: 5809 في صحيح الجامع.

و سئل الفضيل بن عياض - رحمه الله عن التواضع؟ فقال: يخضع للحق، وينقاد له ويقبله ممن قاله، ولو سمعه من صبي قبله، ولو سمعه من أجهل الناس قبله.

وقال عروة بن الورد: التواضع أحد مصايد الشرف، وكلّ نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع.

ومن فوائد التواضع جملة:

- التواضع خلق كريم من أخلاق المؤمنين ودليل محبة رب العالمين.
- وهو طريق موصل إلى مرضاة الله وإلى جنّته.
- وهو السبيل إلى القرب من الله ومن ثمّ القرب من الناس.
- التواضع عنوان سعادة العبد في الدارين.
- يحبّ الله المتواضعين ويكلّوهم برعايته ويحيطهم بعنايته.
- المتواضعون آمنون من عذاب الله يوم الفزع الأكبر.
- وهو دليل على حسن الخاتمة وعلى حسن الخلق.
- التواضع يؤدّي إلى حصول النّصر والبركة في المال والعمر.

ومن المواقف:

كنّا أدلّ قوم فأعرّنا الله بالإسلام:

وخرج عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إلى الشام ومعه أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له فنزل عنها وخلع خفيّه فوضعهما على عاتقه وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا؟ تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرّني أن أهل البلد استشفروك. فقال عمر: أوّه⁽¹⁾، لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالا لأمة محمّد ﷺ. إنّنا كنّا أدلّ قوم فأعرّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزّ بغير ما أعرّنا الله به أدلّنا الله⁽²⁾.

(1) أوّه: كلمة توجع وتضجر.

(2) الحاكم في المستدرک (1/ 62) وصححه ووافقه الذهبي.

فوضعني الله حيث يترفع الناس:

وعن عمرو بن شيبه؛ قال: كنت بمكة بين الصفا والمروة فرأيت رجلاً راكباً بغلة وبين يديه غلمان يعتفون الناس. قال: ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنيت على الجسر فإذا أنا برجل جاف حاسر طويل الشعر. قال: فجعلت أنظر إليه وأتأمله، فقال لي: مالك تنظر إليّ؟. فقلت له: شبّهتك برجل رأيته بمكة ووصفت له الصفة، فقال له: أنا ذلك الرجل. فقلت ما فعل الله بك؟ فقال: إنّي ترفّعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس.

هذا والله الملك الهنيء:

ولما ورد المرزبان على عمر رضي الله عنه فأورد باب دار وقرع بابه فقيل: إنه قد خرج أنفاً فكانوا يسألون عنه فيقولون مر من ههنا أنفاً، فاستحقر المرزبان أمره إلى أن انتهى إليه وهو نائم في ناحية المسجد، فلما رفع رأسه امتلأت نفس المرزبان منه رعباً فقال: هذا والله الملك الهنيء، لا يحتاج إلى حراس ولا إلى عدد!

أتدري من هذه ويحك؟:

ومن التواضع المأثور ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خرج ويده على المعلى، فلقيته امرأة من قریش فقال له: يا عمر، فوقف لها فقالت: كنا نعرفك مرة عميراً ثم صرت من بعد عمير عمر، ثم صرت من بعد عمر أمير المؤمنين، فاتق الله يا بن الخطاب، وانظر في أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشي الفوت. فقال لها المعلى: إيها إليك يا أمة الله فقد أبكيت أمير المؤمنين، فقال له عمر: أتدري من هذه ويحك؟ هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من سمائه، فعمر أخرى بأن يسمع قولها ويقتدي به.

إن كان إلا شيطاناً أذهب الله بك:

وأقبل رجل يمشي مرخياً يديه، طارحاً رجليه يتبختر، فقال له عمر رضي الله عنه: دع هذه المشية فقال: ما أطيق، فجلده فترك التبختر؛ فقال عمر: إذا لم أجلد في مثل هذا ففيم أجلد؟ فجاءه الرجل بعد ذلك فقال: جزاك الله خيراً إن كان إلا شيطاناً أذهب الله بك.

ميل المأمون إلى التواضع:

قال: ونظر يوماً إلى رؤوس أنيته محشوةً بقطنٍ وكانت قبل ذلك بأطباق فضةٍ، فقال لصاحب الشراب: أحسنت يا بني إنما يباهي بالذهب والفضة من قلا عنده، وأما نحن فينبغي أن نباهي بالأفعال الجميلة والأخلاق الكريمة، فإياك أن تحشو رؤوس أوانيك إلا بالقطن فذاك بالملوك أهياً وأبهى.

أما تعرفني؟:

عن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشي الخلاء فقال: يا أبا عبد الله، ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله؟ فقال المهلب: أما تعرفني؟ فقال: بل أعرفك، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة⁽¹⁾.

ولما شبت صرت مرثياً:

ودخل عليه رجل، فقال له: ”ما حاجتك؟“، قال: ”زيارتك“ فقال: ”أما أنت فقد فعلت خيراً حين زرت، ولكن انظر ما ينزل بي أنا، إذا قال لي: من أنت لتزار؟ من الزهاد؟ والله. أنت من العباد؟ لا والله. أنت من الصالحين؟ لا والله.“ ثم أقبل يوبخ نفسه ”كنت في الشبيبة فاسقاً، ولما شبت صرت مرثياً“.

ثم صاروا يراؤون بما لا يقولون ولا يفعلون:

قال ثابت البناني: دخلت على داود الطائي، فقال لي: ما حاجتك؟ قلت: زيارتك. قال: ومن أنا حتى أزار ليس من العباد أنا لا والله ولا من الزهاد أنا لا والله ثم ضرب بيده على لحيته وأقبل على نفسه يوبخها. وقال: كنت في زمن الشباب فاسقاً، ثم تبت فصرت مرثياً والله إن المرثي لشر من الفاسق ويقال: كان الناس يراؤون بما يفعلون لا بما يقولون، فصاروا يراؤون بما يقولون ولا يفعلون ثم صاروا يراؤون بما لا يقولون ولا يفعلون⁽²⁾.

(1) أدب الدنيا والدين، 291/1.

(2) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 1 / 23.

احتيج إلي؟!:

وعن سفيان عن أبيه عن إبراهيم النخعي قال: سألته عن شيء فجعل يتعجب يقول: احتيج إلي؟! احتيج إلي؟!

ما وجدت أحداً فيما بيني وبينك تسأله غيري؟! (1):

وقال أبو حصين: أتيت إبراهيم النخعي أسأله عن شيء فقال: ما وجدت أحداً فيما بيني وبينك تسأله غيري (2).

وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء:

وعن ميمون بن أبي حمزة قال: قال لي إبراهيم النخعي: لقد تكلمت ولو وجدت بداً ما تكلمت، وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء (3).

لخشيت المقت من الله:

خرج أيوب السختياني في سفر فشيعه الناس، فقال: لولا أنني أعلم أن الله يعلم من قلبي لهذا كاره لخشيت المقت من الله (4).

عطاء بن رباح: قد خبت زمان يزار فيه مثلي:

كان رضي الله عنه إذا حدثه أحد بحديث وهو يعلمه يصغي إليه كأنه ما سمعه قط لنلا يخجل الرجل.

وكان يقرأ في قيامه في صلاة الليل المائتي آية أو أكثر وكان إذا استأذن عليه أحد لا يفتح له، حتى يقول له: بأي نية جئت إلي؟ فإذا قال: لزيارتك يقول ما مثلي من يزار ثم يقول: قد خبت زمان يزار فيه مثلي. وكان يقول: من جلس مجلس ذكر كفر الله تعالى عنه بذلك المجلس عشرة مجالس من مجالس الباطل، وكان رضي الله عنه مولى لأبي ميسرة الفهري، نشأ بمكة (5).

(1) أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 64/4.

(2) المصدر السابق، 226/4.

(3) المصدر السابق، 223/4.

(4) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 207.

(5) الشعراني، الطبقات الكبرى، 36/1.

ثيابي تضعني عندك أو ترفعني؟:

دخل سيار أبو الحكم على مالك بن دينار في ثياب جباد، فقال له مالك: مثلك يلبس هذا اللباس؟! فقال: ثيابي تضعني عندك أو ترفعني؟ قال: بل تضعك. فقال: هذا التواضع.

ثم قال: يا مالك، إني أخاف أن يكون ثوباك قد أنزلا بك من الناس ما لم ينزلا بك من الله.

إنما مالك حمار!:

قال ابن شوذب: قسم أمير البصرة على قرائها، فبعث إلى مالك بن دينار، فأخذ، فقال له ابن واسع: قبلت جوائزهم؟ قال: سل جلسائي. قالوا: يا أبا بكر! اشتر بها رقيقا، فأعتقهم.

قال: أنشدك الله، أقلبك الساعة على ما كان عليه؟

قال: اللهم لا، إنما مالك حمار، إنما يعبد الله مثل محمد بن واسع.

يقولون: مالك زاهد! أي زهد عند مالك وله جبة وكساء؟:

كان مالك بن دينار يقول: يقولون: مالك زاهد! أي زهد عند مالك وله جبة وكساء؟ إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، أنته الدنيا فاغرة فاهها، فأعرض عنها (1).

أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة:

ولما نظر مالك بن دينار إلى المهلب بن أبي صفرة يجر أذنيه ويتبختر في أثواب خيلائه، ناداه أن ارفع من ثيابك. فقال له المهلب: أو ما تعرفني؟ قال له مالك: بلى إني أعرفك، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة

هَكَذَا تَجْلِسُ الْعَبِيدُ بَيْنَ يَدَيِ أَرْبَابِهَا:

قَالَ السَّرِيُّ بْنُ مُغَلِّسٍ، ”عَزَوْتُ رَاجِلًا فَتَزَلُّنَا خِرْبَةً لِلرُّومِ، فَأَلْقَيْتُ
نَفْسِي عَلَى ظَهْرِي، وَرَفَعْتُ رِجْلِي عَلَى جِدَارٍ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتَفُ بِي: ” يَا
سَرِيُّ بْنُ مُغَلِّسٍ، هَكَذَا تَجْلِسُ الْعَبِيدُ بَيْنَ يَدَيِ أَرْبَابِهَا ” (1).

كَذَا تَجَالِسُ الْمُلُوكُ؟:

قَالَ سَرِيُّ السَّقَطِيُّ: صَلَّيْتُ وَرَدِي لَيْلَةً وَمَدَدْتُ رِجْلِي فِي الْمَحْرَابِ،
فَنُودِيَتْ: يَا سَرِيُّ كَذَا تَجَالِسُ الْمُلُوكُ؟ قَالَ: فَضَمَمْتُ إِلَيَّ رِجْلِي ثُمَّ قُلْتُ:
وَعِزَّتْكَ لَا مَدَدْتُ رِجْلِي أَبَدًا (2).

(1) الخطيب البغدادي، المنتخب من كتاب الزهد والرفائق، تحقيق د. عامر حسن صبري،
نشر دار البشائر الإسلامية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م،
ص 111.

(2) بغية الطلب في تاريخ حلب، 4 / 241.

مواقف الزاهدين

مواقف عربية

مواقف الزاهدين

قيل الزهد هو بغض الدنيا والإعراض عنها، وقيل: هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة، وقيل: هو أن يخلو قلبك ممّا خلت منه يدك.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الزّهد المشروع: هو ترك الرّغبة فيما لا ينفع في الدّار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله، كما أنّ الورع المشروع: هو ترك ما قد يضرّ في الدّار الآخرة.

وهو ترك المحرّمات والشّبهات التي لا يستلزم تركها ترك ما فعله أرحج منها، كالواجبات، فأما ما ينفع في الدّار الآخرة، فالزّهد فيه ليس من الدين بل صاحبه داخل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [المائدة: ٨٧]. كما أنّ الاشتغال بفضول المباحات، هو ضدّ الزّهد المشروع، فإن اشتغل بها عن فعل واجب أو فعل محرّم كان عاصياً، وإلّا كان منقوصاً عن درجة المقرّبين إلى درجة المقتصدّين.

وقال ابن الجوزي: الزّهد: عبارة عن انصراف الرّغبة عن الشّيء إلى ما هو خير منه، وشرط المرغوب عنه أن يكون مرغوباً بوجه من الوجوه، فمن رغب عن شيء ليس مرغوباً فيه، ولا مطلوباً في نفسه لم يسمّ زاهداً. كمن ترك الثّراب لا يسمّى زاهداً وإنّه ليس الزّهد ترك المال وبذله على سبيل السّخاء والقوّة واستمالة القلوب فحسب، بل الزّهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنّسبة إلى نفاسة الآخرة.

وقال ابن القيم: إنّ الزّهد سفر القلب من وطن الدّنيا، وأخذة في منازل الآخرة. وعلى هذا صنّف المتقدّمون كتب الزّهد، كالزّهد لعبد الله بن المبارك، وللإمام أحمد، ولوكيع، ولهنّاد بن السّري، ولغيرهم. ومتعلّقه سنّة أشياء لا يستحقّ العبد اسم الزّهد حتّى يزهد فيها: وهي المال، والصّور، والرّياسة، والنّاس، والنّفس، وكلّ ما دون الله.

وليس المراد رفضها من الملك، فقد كان سليمان وداود - عليهما السّلام - من أزهد أهل زمانهما. ولهما من المال والملك والنّساء مالهما. وكان نبينا ﷺ من أزهد البشر على الإطلاق. وله تسع نسوة، وكان عليّ

بن أبي طالب، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير وعثمان رضي الله عنه من الزهاد مع ما كان لهم من الأموال، وغيرهم كثير.

وقد قال المولي عز وجل: {وَجَاءَ وَآبَاهُمُ عِشَاءً يَبْكُونَ} (١٦) قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتْعِنَا فَاكْلَهُ الذِّبُّ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ} (١٧) وَجَاءَ وَعَلَى قَمِيصِهِ يَدَمٌ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} (١٨) وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرى هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةٌ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ} (١٩) وَشَرُّهُ بِشْمٌ يُخَسِّ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ} (٢٠) [يوسف: ١٦ - ٢٠].

وقال تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى} (١٣٠) وَلَا تَمُدَّنْ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (١٣١) [طه: ١٣٠ - ١٣١].

وقال تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (٥١) الَّذِينَ ءَانَيْنَهُمْ اَلْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} (٥٢) وَإِذَا بَيْنُلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ؕ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ} (٥٣) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} (٥٤) وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَهْلِيلِينَ} (٥٥) [القصص: ٥١ - ٥٥].

وقال تعالى: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} (٨٣) [القصص: ٨٣].

وقال تعالى: {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} (٢٠) [الشورى: ٢٠].

وقد قال الحبيب محمد ﷺ: "كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تزهد في الدنيا وتذكر الآخرة".^(١)

(١) ابن ماجه (١٥٧١) واللفظ له وفي الزوائد: إسناده حسن، وأصله عند مسلم (٩٧٦، ٩٧٧)، وذكره الحاكم في المستدرک (١/ ٣٧٥)، ونحوه قبله عن أبي سعيد الخدري وصححه ووافقه الذهبي على رواية أبي سعيد.

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال: يا رسول الله، دلني على عمل، إذا أنا عملته، أحبني الله، وأحبني الناس فقال رسول الله ﷺ: "أزهد في الدنيا، يحبك الله، وأزهد فيما في أيدي الناس، يحبك" — (1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول: الله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع. وإن كنت لأشدّ الحجر على بطني من الجوع. ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه، فمرّ أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرّ ولم يفعل، ثم مرّ بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمرّ فلم يفعل، ثم مرّ بي أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رأيته، وعرف ما في نفسي وما في وجهي. ثم قال: يا أبا هرّ! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق، ومضى. فتبعته فدخل فاستأذن، فأذن لي، فدخل فوجد لبنا في قدح، فقال: من أين هذا اللبن؟ قالوا: أهده لك فلان - أو فلانة - قال: أبا هرّ! قلت: لبيك يا رسول الله، قال: الحق إلى أهل الصفة (2) فادعهم لي.

قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها شيئا، وإذا أتته هدية أرسل إليهم، وأصاب منها، وأشركهم فيها، فسألتني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة؟ كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاؤوا أمرني فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ بدّ، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا فاستأذنوا، فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت. قال: "يا أبا هرّ —، قلت: لبيك يا رسول الله، قال: "خذ فأعطهم —، فأخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يردّ عليّ القدح فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يردّ عليّ القدح حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روي القوم كلّهم. فأخذ القدح فوضعه على يده، فنظر إليّ فتبسّم فقال: "أبا هرّ —، قلت: لبيك

(1) ابن ماجه (4102) وصححه الألباني، صحيح ابن ماجه برقم (3310).

(2) أهل الصفة: هي سقيفة مظلة كانت تأوي إليها المساكين في المسجد النبوي.

يا رسول الله، قال: **“بقيت أنا وأنت —، قلت: صدقت يا رسول الله، قال: “اقعد فاشرب -فقعدت فشربت. فقال: “اشرب -فشربت، فما زال يقول: “اشرب —، حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلكا، قال: “فأرني—، فأعطيته القدح، فحمد الله، وسمى وشرب الفضلة) (1).**

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: **“كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل—.** وكان ابن عمر رضي الله عنه يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك (2).

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإن اليوم عمل ولا حساب، وغدا حساب ولا عمل. وعنه رضي الله عنه أنه قال: طوبى للزاهدين في الدنيا، والزاهدين في الآخرة، أولئك قوم اتخذوا أرض الله بساطا، وترابها فراشا، وماءها طيبا، والكتاب شعارا، والدعاء دثارا، ورفضوا الدنيا رفضا.

عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قال: ما كانت عائشة أم المؤمنين تستجد ثوبا حتى ترقع ثوبها وتنكسه (3). قال: ولقد جاءها يوما من عند معاوية ثمانون ألفا، فما أمسى عندها درهم، قالت لها جاريتها: فهلا اشتريت لنا منه لحما بدرهم؟ قالت: لو ذكرتني لفعلت (4).

قال ابن مسعود رضي الله عنه الدنيا دار من لا دار له، ومال من لا مال له، ولها يجمع من لا علم له.

(1) البخاري - الفتح 11 (6452).

(2) البخاري - الفتح 11 (6416). قالوا في شرح هذا الحديث: معناه لا تركز إلى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب في غير وطنه، ولا تشتغل فيها بما لا يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله وبالله التوفيق.

(3) تنكسه: تلبسه منكسا أي ما كان داخلا مستترا منه يصبح من الظاهر، وما كان ظاهرا يصبح باطنا.

(4) الترمذي (1781) وهذه زيادة من كتاب رزين، وله شواهد في الصحيحين، وانظر: الزهد لوكيع (1/ 337).

وعن الحسن رضي الله عنه : ليس الزَّهْدُ في الدُّنْيَا بتحريم الحلال وإضاعة المال، ولكن أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها، أرغب منك فيها لو لم تصبك.
وقال سفيان الثَّوري - رحمه الله - : الزَّهْدُ في الدُّنْيَا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباءة.

ومن فوائد الزهد جملة:

- فيه تمام التَّوَكُّلِ على الله.
- يغرس في القلب القناعة.
- صرف المسلم عن التَّعَلُّقِ بالملذَّاتِ الفانية إلى العمل من أجل النِّعَمِ المقيم.
- فيه كبح جماح النَّفْسِ إلى الشَّهَوَاتِ.
- يوصِّلُ العَقَّةَ والنِّزَاهَةَ في نفوس المؤمنين.
- يعلم المسلم كيف يسدِّد هدفه إلى الدَّارِ الآخرة.
- الزَّاهِدُ يحبُّه الله ويقرِّبه إليه.
- راحة في الدُّنْيَا وسعادة في الآخرة.
- حبُّ النَّاسِ له حيث أنَّه لا يزاحمهم على دنياهم.
- فيه التَّأْسِّيُ برسول الله ﷺ وصحابته الكرام.
- الاطمئنان إلى جناب الله والرِّضَا بما قسم.
- يوصِّلُ في النَّفْسِ حبَّ الإنفاق في سبيل الله وعدم التَّعَلُّقِ بالدُّنْيَا.
- يخرج نفسه من عبوديَّة الشَّيْطَانِ والدُّنْيَا والنَّفْسِ.

ومن المواقف:

خذها، وأطعم الحلواء صبيانك:

يروى: أنه كان لرجل على آخر دين مائة دينار، فطلب الرجل الوثيقة، فلم يجدها، فجاء إلى بنان ليدعو له، فقال: أنا رجل قد كبرت، وأحب الحلواء، اذهب اشتري لي من عند دار فرج رطل حلواء حتى أدعو لك، ففعل الرجل، وجاء، فقال بنان: افتح ورقة الحلواء، افتح، فإذا هي

الوثيقة، فقال: هي وثيقتي، قال: خذها، وأطعم الحلواء صبيانك⁽¹⁾.

أوصني!:

قال: ” بينا أنا أسير بين مكة والمدينة، وإذا شخص قد تراءا لي، فأمرت نحوه، فلما قربت منه سلمت عليه، وقلت له: ” أوصني! ” فقال: ” يا بنان! إن كان الله قد أعطاك من سر سره سرّاً، فكن مع ما أعطاك؛ وإن كان الله لم يعطك من سر سره سرّاً فكن مع الناس على ما هم عليه من الظاهر ”.

أليس حبيبك معك؟!:

وقال: ” دخلت البرية - على طريق تبوك - وحدي، فاستوحشت، فإذا هاتف يهتف: يا بنان! نقضت العهد! لم تستوحش؟! أليس حبيبك معك؟! ”⁽²⁾.

لا ذاق داود تمرا ما دام في الدنيا:

قال الوليد بن عقبة: كان يخبز لداود الطائي ستون رغيفا فيعلقها بشريط ويفطر كل ليلة على رغيفين وملح وماء فأتي ليلة بفطره فجعل ينظر إليه ومولاة له تنظر إليه فقامت فجاءته بشيء من تمر؟ فأفطر ثم قام فصلى حتى أصبح ثم أصبح صائماً فلما جاء وقت الإفطار أخذ الرغيفين وجعل ينظر إليهما قال الوليد بن عقبة: فحدثني جار له قال: سمعته يعاتب نفسه ويقول: اشتهيت البارحة تمرا قد أطعمتك ، واشتهيت الليلة تمراً لا ذاق داود تمرا ما دام في الدنيا فما ذاقه حتى مات.

فكان في اعتزالي أكثر العافية:

قال القاسم بن معن: لما اعتزل داود الطائي أتيتته فقلت يا أبا سليمان تركت إخوانك ومجالسة من يذكرك العلم فسكت طويلاً ثم قال: رحمك الله اني رأيت قلوباً لاهية وألسنة مؤتلفة وهمما مختلفة وأهواء متبعة ودنيا مؤثرة فكان في اعتزالي أكثر العافية.

(1) سير أعلام النبلاء، 14/ 489.

(2) تاريخ بغداد، 7/ 101.

لقد هان الخلق على داود:

عن حبان بن علي قال: احتاج الحسن بن قحطبة أن يسأل داود الطائي عن مسألة فهابه أن يأتيه وحده فقال لرجل من وجوه طيء وشيوخها إني احتجت إلى لقاء داود فكن معي فأتياه فدخلا وسلمما عليه ورد السلام عليهما فلما عرف ابن قحطبة تقبض وجعل لا ينظر اليهما فابتدأ الحسن فسأله عن المسألة فلم يجبه ولم يكلمه ، فأعاد عليه فأعرض بوجهه عنه فلما رأى ذلك ابن قحطبة خرج وتوقف الشيخ عنده، فقال له: يا أبا سليمان يجيبك ابن عم لك يسألك من مسألة من أمر دينه فلا تجيبه فنظر إليه نظرة منكرة ثم قال { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ } [المؤمنون: ١٠١]. فقام الشيخ مبادرا فأصاب ابن قحطبة: ينتظره فأخبره فقال ابن قحطبة لقد هان الخلق على داود طوبى له ثم ذهب.

وهي تريد الجنة غداً:

ويروى أنه خرج يوماً إلى السوق، فرأى الرطب، فاشتتهه نفسه، فجاء إلى البائع فقال: ” أعطني بدرهم إلى الغد ”. فقال له: ” اذهب إلى عمك ” فرآه بعض من يعرفه، فأخرج له صرة فيها مائة درهم، وقال له: ” اذهب فان أخذ منك بدرهم رطباً فالمائة لك ”. فلحقه البائع، وقال له: ” ارجع خذ حاجتك ” فقال: لا حاجة لي فيه. أنا جربت هذه النفس، فلم أرها تسوى في هذه الدنيا درهماً، وهي تريد الجنة غداً ”.

كان لنا عند الله مذخورا:

عن حماد بن أبي حنيفة أن مولاة لداود الطائي كانت تخدمه فقالت له: لو صنعت لك دسماً؟ قال: وددت فطبخت له شحماً وجاءت به فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان قالت على حالهم قال: اذهبي به إليهم. قالت: فديتك إنك لم تأكل أدماً منذ كذا وكذا. قال: إن هذا إذا أكلوه كان لنا عند الله مذخورا ، وإذا أكلته كان في الحش (1).

أقل من إتياني:

قال نعيم بن يعقوب: سمعت سفيان بن عيينة يقول: كنت ربما أتيت داود الطائي فإذا أتيته تبينت ثقل موضعي عليه ، وأراه يتململ ، فقال لي يوماً: يا سفيان أما لك شغل يا سفيان أقل من إتياني (1).

وأنا أستحي من الله:

ودخل عليه بعض أصحابه، فرأى جرة ماء، قد انبسطت عليها الشمس، فقال له: ” ألا تحملها إلى الظل؟ ” فقال: ” حين وضعتها لم يكن شمس، وأنا أستحي من الله أن يراني أمشي لما فيه حظ نفسي ”.

ادعه حتى أشتهيه:

ودخل عليه رجل، فوجده يأكل ملحاً جريشاً بخبز يابس، فقال له: ” كيف يشتهي هذا؟ ” قال: ” ادعه حتى أشتهيه ” (2).

تلك ضالة لا توجد:

وأتاه الفضيل بن عياض يعوده فقال له أقلل من زيارتنا فإني خليت الناس فجاءه يوماً ولم يفتح له الباب، فقع فضيل يبكي في الخارج وداود في الداخل فقال له: دلني على رجل أجلس إليه؟ قال: تلك ضالة لا توجد (3).

كنت أخاصم نفسي:

وقال إسماعيل بن حسان: جئت إلى باب داود الطائي فسمعتة يخاطب نفسه فظننت أن عنده أحداً، فأطلت القيام على الباب ثم استأذنت فدخلت، فقال: ما بدا لك في الاستئذان قلت: سمعتك تتكلم فظننت أن عندك أحداً، قال: لا ولكن كنت أخاصم نفسي؛ اشتهدت البارحة تمرّاً فخرجت فاشتريت لها، فلما جئت اشتهدت جزراً، فأعطيت الله عهداً أن لا أكل تمرّاً ولا جزراً حتى ألقاه.

(1) أخبار أبي حنيفة، 123.

(2) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 34.

(3) عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن أبي الوفاء القرشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، 1 / 540.

إن في قبلوهما عتق رقبانا من الرق:

وقدم محمد بن قحطبة الكوفة فقال: أحتاج إلى مؤدب يؤدب أولادي حافظ لكتاب الله تعالى عالم بسنة رسول الله ﷺ وبالأثار والفقه والنحو والشعر وأيام الناس؛ ف قيل له: ما يجمع هذه إلا داود الطائي، فسير إليه بدرة عشرة آلاف درهم، وقال: استعن بها على دهرك، فردها فوجه إليه بدرتين مع غلامين مملوكين وقال لهما: إن قبل البدرتين فأنتما حران، فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما، فقال: إن في قبلوهما عتق رقبانا من الرق، فقال لهما: إني أخاف أن يكون في قبولهما وهق رقبتني في النار، رداهما إليه وقولا له: إن ردهما على أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا.

فما أبقيت لأخرتي:

قال أبو الربيع الأعرج: دخلت على داود الطائي بيته بعد المغرب فقرب لي كسيرات يابسة، فعطشت فقممت إلى دن فيه ماء حار، فقلت: رحمك الله! لو اتخذت دفاً غير هذا يكون فيه الماء بارداً، فقال لي: إذا كنت لا أشرب إلا بارداً ولا أكل إلا طيباً ولا ألبس إلا ليناً، فما أبقيت لأخرتي قال: قلت له: أوصني، قال: صم عن الدنيا، واجعل إفطارك فيها الموت، وفر من الناس فرارك من السبع، وصاحب أهل التقوى إن صحبت فإنهم أخف مؤونة وأحسن معونة، ولا تدع الجماعة، حسبك هذا إن عملت به.

إنما يفعل هذا بالصبيان:

وقدم هارون الرشيد الكوفة فكتب قوماً من القراء فأمر لكل واحد منهم بألفي درهم فكان داود الطائي ممن كتب فيهم ودعي باسمه أين داود الطائي فقالوا: داود يجيبكم أرسلوا إليه، قال ابن السماك وحماد بن أبي حنيفة: نحن نذهب إليه، قال ابن السماك لحماد في الطريق: إذا نحن دخلنا عليه فأنثرها بين يديه فإن للعين حظها، فقال حماد: رجل ليس عنده شيء يؤمر له بألفي درهم يردّها!! فلما دخلوا عليه فنثروها بين يديه قال: سوءة، إنما يفعل هذا بالصبيان، وأبى أن يقبلها⁽¹⁾.

رأيت خيراً كثيراً:

قال جعفر بن نفيل الرهبي: رأيت داود الطائي بعد موته فقلت له: كيف رأيت خير الآخرة قال: رأيت خيراً كثيراً، قلت: فماذا صرت إليه قال: صرت إلى خير الحمد لله، قال فقلت له: هل لك من علم بسفيان بن سعيد فقال: كان يحب الخير وأهله فرقاه الخير إلى درجة أهل الخير. هذا إن قبلك:

لقي رجلاً داود الطائي فقال: من أين يا داود وإلى أين؟ قال داود: استوحشت من الناس وأنست بالله تعالى، فقال: يا داود، هذا إن قبلك، فصاح صيحةً وخرّ مغشياً عليه ثم أفاق فقال: نبّهك الله إذ نبّهتني⁽¹⁾. ولكن أحب أن أعيش في عز القناعة:

أصاب داود الطائي ضيقة شديدة، فجاءه حماد بن أبي حنيفة بأربعمائة درهم من تركه أبيه، فقال داود: هي من مال رجل ما أقدم عليه أحداً في زهده وورعه وطيب كسبه، ولو كنت قابلاً من أحد شيئاً لقبّلتها إعظاماً للميت وإيجاباً للحَي، ولكن أحب أن أعيش في عز القناعة⁽²⁾. أردت أن تخذعني؟

وقال عطاء بن مسلم الحلبي: عاش داود عشرين سنة بثلاث مئة درهم ينفقها على نفسه، فأتاه ابن أخيه فقال: عم تكره التجارة؟ قال: لا، قال: فأعطني شيئاً أتجر به، قال: فأعطاه ستين درهماً وقال: فمكث شهراً ثم جاءه بعشرين ومائة درهم فقال: هذه ربحها، فقال: أنت كل شهر تربح للدرهم درهماً؟ ينبغي أن يكون عندك بيت مال، أردت أن تخذعني؟ قال: فرمى بها عليه وقال: رد علي رأس مالي.

إنما طلقت نفسي من هذه الشهوات:

ودخل رجل على داود الطائي فقال: يا أبا سليمان بعت كل شيء حتى التراب، وبقيت تحت نصف سقف، فلو سويت هذا السقف فكان يكنك من الحر والبرد والمطر، فقال داود: اللهم غفرأ، كانوا يكرهون فضول النظر

(1) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، 30/3، 46/8.

(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 3، 124، 132، 185، 305، 487، 489.

كما يكرهون فضول الكلام، يا عبد الله، اخرج عني، فقد شغلت قلبي، إني أبادر جفوف القلم وطي الصحيفة. قال: يا أبا سليمان، أنا عطشان، قال: اخرج واشرب، فجعل يدور في الدار لا يجد ماء، فرجع إليه فقال: يا أبا سليمان ليس في الدار حب ولا جرة، فقال: اللهم غفرأ، بل هناك ماء، فخرج يلتمس فإذا دن من هذه الأصص الذي ينقل فيه الطين وخزفة أسفل كوز فأخذ تلك الخزفة فغرف بها فإذا ماء حار كأنه قد غلي لم يقدر أن يسيغه، فرجع إليه وقال: يا أبا سليمان: مثل هذا الحر؟ الناس يكادون ينسلخون من شدة الحر، وذن مدفون في الأرض وكوز مكسور فلو كانت جريرة وقلّة؟ فقال داود: حب حيري وجرة مذارية وقلال منقشة، وجارية حسناء وأثاث وناض - يعني بالناض الدنانير والدراهم وفضول، لو أردت هذا الذي يشغل القلب لم أسجن نفسي ها هنا، إنما طلقت نفسي من هذه الشهوات، وسجنت نفسي حتى يخرجني مولاي من سجن الدنيا إلى روح الآخرة. فقال: يا أبا سليمان ففي هذا الحر أين تنام وليس لك سطح؟ قال إني أستحي من مولاي أن يراني أخطو خطوة ألتمس راحة نفسي في الدنيا حتى يكون مولاي هو الذي يخرجني من الدنيا⁽¹⁾.

ما شعرت بذلك!!:

وقال إسحاق بن خلف: كان داود الطائي - رحمه الله تعالى - على سطح في ليلة قمراء فتفكر في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويبيكي حتى وقع في دار جار له، قال: فوثب صاحب الدار من فراشه عرياناً وبيده سيف وظن أنه لص، فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف، وقال: من ذا الذي طرحك من السطح، قال: ما شعرت بذلك!!.

لعل تركه أن يكون أنجى:

وجاء داود الطائي أحد أصحابه بألفي درهم وقال: هذا شيء جاء الله به لم تطلبه ولم تشره له نفسك. قال داود: إنه لمن أمثل ما يأخذون قال فما يمنعك منه قال: لعل تركه أن يكون أنجى⁽²⁾.

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 43.

(2) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، 1 / 367، 388، 2 / 175.

ما يوقفك هنا؟:

وعن عبد الأعلى بن زياد الأسلمي قال: “رأيت داود الطائي يوماً قائماً على شاطئ الفرات مبهوئاً؛ فقلت: يا أبا سليمان، ما يوقفك هنا؟ قال: انظر إلى الفلك، كيف تجري في البحر مسخرات بأمر الله تعالى؟—⁽¹⁾.

ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف:

قال ابن خزيمة: كان محمد بن عبد الله بن عبد الحكم أعلم من رأيت بمذهب مالك، فوقع بينه وبين البويطي خلاف عند موت الشافعي، فتنازع ابن عبد الحكم والبويطي مجلس الشافعي، فقال البويطي: أنا أحق به منك، وقال الآخر كذلك.

فجاء الحميدي، وكان بمصر، فقال: قال الشافعي: ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف، ليس أحد من أصحابي أعلم منه.

فقال ابن عبد الحكم:

كذبت.

قال: بل كذبت أنت وأبوك وأمك.

وغضب ابن عبد الحكم.

فجلس البويطي في مكان الشافعي، وجلس ابن عبد الحكم في الطاق الثالث. وترك طاقاً بين مجلس الشافعي ومجلسه، وجلس البويطي في مجلس الشافعي في الطاق الذي كان يجلس فيه⁽²⁾.

وقد كان الشافعي عليه السلام أخى محمد بن عبد الحكم المصري وكان يحبه ويقربه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، واعتل محمد فعاده الشافعي، فحدثني القرشي عن الربيع قال: سمعت الشافعي ينشد وقد عاد محمداً:

مرض الحبيب فعدته	:	فمرضت من حذري عليه
وأتى الحبيب يعودني	:	فبرأت من نظري إليه
	:	

(1) عبد الله بن محمد أبو بكر القرشي، الهم والحزن، تحقيق: مجدي فتحي السيد، الناشر: دار السلام - القاهرة، الطبعة الأولى، 1412 - 1991، ص 91.

(2) سير أعلام النبلاء، 12 / 60.

وما شك أهل مصر أن الشافعي يفوض أمر حلقاته إليه، وأنه يستخلفه بعد موته ويأمر الناس بالحضور عنده، حتى سئل عن ذلك في علقته فقيل له: يا أبا عبد الله إلى من نجلس بعدك، ومن يكون صاحب الحلقة، وهم يظنون أنه يشير إلى محمد فاستشرف لذلك محمد وتطاول لها، وكان جالسا عند رأسه فقال: سبحان الله أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي، فانكسر لها محمد ووجد في نفسه ومال أصحابه إلى أبي يعقوب البويطي، وقد كان محمد حمل علم الشافعي ومذهبه وفارق مذهب مالك، إلا أن البويطي كان أزهدي وأورع، فحمل الشافعي نصحه للدين والنصيحة للمسلمين، ولم يداهن في ذلك بأن وجه الأمر إلى أبي يعقوب، وآثره لأنه كان أولى، فلما قبض الشافعي رضي الله عنه إنتقل محمد ابن عبد الحكم مذهبه، وفارق أصحابه ورجع إلى مالك، وروى كتب أبيه عن مالك، وتفقه فيها، فهو اليوم من كبار أصحاب مالك رضي الله عنه.

أنت تموت في الحديد:

وما كان أبو يعقوب ليموت إلا في الحديد كيف وقد قال الربيع: كنت عند الشافعي أنا والمزني وأبو يعقوب ، فقال لي أنت تموت في الحديث ، وقال لأبي يعقوب: أنت تموت في الحديد ، وقال للمزني: هذا لو ناظره الشيطان لقطعه.

قال الربيع: فدخلت على البويطي أيام المحنة فرأيتة مقيدا إلى أنصاف ساقيه مغولة يداه إلى عنقه.

هذا لساني:

وقال الربيع: كان أبو يعقوب أبداً يحرك شفتيه بذكر الله تعالى، وما رأيت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله تعالى من أبي يعقوب البويطي. وقال الربيع أيضاً: كان لأبي يعقوب منزلة من الشافعي، وكان الرجل ربما يسأله عن المسألة فيقول له: سل أبا يعقوب، فإذا أجابه أخبره فيقول: هو كما قال. وقال أيضاً: ربما جاء رسول صاحب الشرطة إلى الشافعي فيوجه أبا يعقوب البويطي ويقول: هذا لساني.

لعل الله يخلصني بدعائهم:

وقال أبو عمرو المستملي: حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي فقراً علينا كتاب البويطي إليه وإذا فيه والذي أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث لعل الله يخلصني بدعائهم فإني في الحديد وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة فضج الناس بالبكاء والدعاء له. انظر إلى هذا الحبر رحمه الله لم يكن أسفه إلا على أداء الفرائض ، ولم يتأثر بالقيود ولا بالسجن فبضي الله عنه وجزاه عن صبره خيراً.

اللهم إنك تعلم أنني قد أحببت داعيك فمنعوني:

كان أبو يعقوب البويطي، إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: أين تريد فيقول: أجيب داعي الله، فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أنني قد أحببت داعيك فمنعوني⁽¹⁾.

من رأى ذاك ورأى هذا لا يغتر بالدنيا:

قال أبو الحسين بن سمعون: قال لي الشبلي: كنت باليمن وكان باب دار الإمارة رحبة عظيمة وفيها خلق كثير قيام ينظرون إلى منظره ، فإذا قد ظهر من المنظره شخص أخرج يده كالمسلم عليهم فسجدوا كلهم ، فلما كان بعد سنين كنت بالشام وإذا تلك اليد قد اشترت لحماً بدرهم وحملته فقلت له: أنت ذلك الرجل؟ قال: نعم من رأى ذاك ورأى هذا لا يغتر بالدنيا.

أجعل للصلح موضعاً:

وقال الشبلي: كنت في قافلة بالشام فخرج الأعراب فأخذوها وأميرهم جالس يعرضون عليه فأخرج جراباً فيه لوز وسكر فأكلوا منه إلا الأمير فما كان يأكل، فقلت له: لم لا تأكل؟ قال: أنا صائم. قلت: تقطع الطريق ، وتأخذ الأموال ، وتقتل النفس وأنت صائم قال: يا شيخ ، اجعل للصلح موضعاً، فلما كان بعد حين رأيته يطوف حول البيت وهو محرم كالشن⁽²⁾

(1) وفيات الأعيان، 7 / 63.

(2) الشن: الخلق من كل أنية صنعت من جلد.

البالي فقلت أنت ذاك الرجل، فقال: ذاك الصوم بلغ بي إلى هذا (1).

فأجاب بثمانية عشر جواباً:

وقال الشبلي كتبت الحديث عشرين سنة وجالست الفقراء عشرين سنة وكان يتفقه لمالك وكان له يوم الجمعة نظرة ومن بعدها صيحة فصاح يوماً صيحة تشوش ما حوله من الخلق وكان يجنب حلقتة حلقة أبي عمران الأشيب فقال الأبى الفرج العكبري ما للناس قال حردوا من صيحتك وحرد أبو عمران وأهل حلقتة فقام الشبلي وجاء إلى أبي عمران فلما رآه أبو عمران قام إليه وأجلسه إلى جنبه فأراد بعض أصحاب أبي عمران أن يرى الناس أن الشبلي جاهل فقال له يا أبا بكر إذا اشتبه على المرأة دم الحيض بدم الإستحاضة كيف تصنع فأجاب بثمانية عشر جواباً فقام أبو عمران وقبل رأسه وقال يا أبا بكر أعرف منها اثني عشر وستة ما سمعت بها قط (2).

سألتك عن الرب الذي تعبد:

- أدخل الشبلي دار المرضى ليعالج فدخل عليه علي بن عيسى الوزير عائداً فأقبل على الوزير فقال ما فعل ربك فقال الوزير: في السماء يقضي ويمضي فقال سألتك عن الرب الذي تعبد لا عن الرب الذي لا تعبد يريد الخليفة المقتدر (3).

هو ذاك:

- عن خير النساج قال كنا في المسجد فجاءنا الشبلي وهو سكران فنظرنا ولم يكلمنا فانهجم على الجنيد في بيته وهو جالس مع امرأته مكشوفة الرأس فهمت أن تغطي رأسها فقال لها الجنيد لا عليك ليس هو هناك قال فصفق على رأس الجنيد وأنشأ يقول:

عودوني الوصال والوصل عذب	::	ورموني بالصد والصد صعب
زعموا حين عاتبوا أن جرمي	:	فرط حبي لهم وما ذاك ذنب
لا وحسن الخضوع عند التلاقي	::	ما جزى من يحب إلا يحب

(1) تاريخ دمشق، 66 / 52.

(2) تاريخ دمشق، 66 / 54.

(3) حلية الأولياء، 10 / 367.

ثم ولى الشبلي فضرب الجنيد رجله وقال هو ذاك وخر مغشيا عليه⁽¹⁾.

أموات جاؤوا إلى جنازة حي:

قال أبو الحسن المالكي بطرسوس اعتل الشبلي علة شديدة فأرجفوا بموته فبادرنا إلى داره فاتفق عنده ابن عطاء وجعفر الخلدي وجماعة من كبار أصحاب الجنيد قال: فرفع رأسه فقال لهم: مالكم إيش القصة؟ قال: فقلت وكنت أجزأهم عليه: مالنا جننا إلى جنازتك فاستوى جالسا فقال: الجوار الجوار أموات جاؤوا إلى جنازة حي ، ثم قال لهم: ويحكم أحسب أنني قد مت فيكم من يقدر أن يحمل هيكلي⁽²⁾.

فكيف لا أخلق لحيتي أنا على موجود:

قال أحمد بن محمد النهاوندي مات للشبلي ابن كان اسمه غالبا فجزت أمه شعرها عليه، وكان للشبلي لحية كبيرة فأمر بخلق الجميع ، فقليل له: يا أستاذ ما حملك على هذا؟ فقال جزت هذه شعرها على مفقود فكيف لا أخلق لحيتي أنا على موجود⁽³⁾.

لهم تحت الثياب قبور:

قال أبو نصر: سمعت أحمد يقول حضرت الشبلي وسئل عن قول بعضهم لا تغرنكم هذه القبور وهدوها فكم من فرح مسرور وداع بالويل والثبور، فقال: أيما هي القبور عندك؟ قال: قبور الأموات. فقال: لا بل أنتم القبور ، كل واحد منكم مدفون ، فالمعرض عن الله داع بالويل والثبور ، والمقبل على الله الفرح المسرور ثم أنشأ يقول:

قبور الورى تحت التراب
وللهوى
:: رجال لهم تحت الثياب قبور

(1) حلية الأولياء، 10 / 367.

(2) حلية الأولياء، 10 / 368.

(3) حلية الأولياء، 10 / 370.

فقلت له يا سيدي ونعد في الموتى فقال:

يحبك قلبي ما حييت فإن أمت :: يحبك عظم في التراب رميم (1)

إنني بريء مما تعبدون هذه الأطعمة:

- جاء ذات يوم الشبلي إلى أبي بكر بن مجاهد وكان في مسجده غائبا فسأل عنه ف قيل له هو عند علي بن عيسى فقصد دار علي فاستأذن ف قيل أبو بكر الشبلي يستأذك فقال أبو بكر بن مجاهد لعلي بن عيسى اليوم أريك من الشبلي عجباً فلما دخل وقعد قال له أبو بكر بن مجاهد يا أبا بكر أخبرت أنك تحرق الثياب والخبز والأطعمة وما ينتفع به الناس من منافعهم ومصالحهم أين هذا من العلم والشرع فقال له قول الله: ” فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ” أين هذا من العلم فسكت أبو بكر بن مجاهد وقال لعلي كأنني لم أقرأها قط وبلغني عن غيره أنهم عاتبوه في مثله فتلا هذه الآية: ” إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ” وتلا إنني بريء مما تعبدون هذه الأطعمة وهذه الشهوات حقيقة الخلق ومعبودهم أبرأ منهم وأحرقه (2).

من أسعد أصحابك بصحبتك؟:

قال أبو العباس محمد بن الحسن الخشاب: سمعت بعض أصحاب الشبلي يقول رأيت الشبلي في المنام فقلت له يا أبا بكر من أسعد أصحابك بصحبتك فقال أعظمهم لحرمان الله وألجههم بذكر الله وأقومهم بحق الله وأسرعهم مبادرة في مرضات الله وأعرفهم بنقصانه وأكثرهم تعظيماً لما عظم الله من حرمة عبادته قال الشيخ ذكر جماعة من أعلام العارفين أدر كنا أيامهم انتشرت في العالم أحوالهم لا اعتصامهم بالشرع المتين فكانوا به عالمين وعاملين وبمعالي الأحوال عارفين قائمين وبمكارم الأخلاق متمسكين آخذين ذكرت عن كل واحد منهم نبذاً مما نقل إلينا من أقوالهم الحميدة وأحوالهم الشديدة (3).

(1) حلية الأولياء، 10/ 370.

(2) حلية الأولياء، 10/ 374.

(3) حلية الأولياء، 10/ 375.

ما أعزك أحد إلا أذله الله!:

ويروي انه قال: ” كنت يوماً جالساً، فجرى بخاطري أني بخيل، فقلت: أنا بخيل؟! فقاومني خاطري، وقال: بلا، انك بخيل!. فقلت: مهما فتح على اليوم، لأدفعنه إلى أول فقير يلقاني!. قال: بينا أنا أتفكر، إذ دخل على صاحب لمؤنس الخادم، ومعه خمسون ديناراً، فقال: اجعل هذه في مصالحك ”، فأخذتها وخرجت. وإذا بفقير مكفوف، بين يدي مزين، يخلق رأسه، فتقدمت إليه، وناولته الصرة، فقال لي: أعطها للمزين ”. فقلت: ” أنها دنانير! ”، فقال: ” أو ليس قد قلنا انك بخيل؟! ”، فناولتها للمزين: ” من عادتنا أن الفقير إذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجراً ”. قال: فرميتها في دجلة فقلت: ” ما أعزك أحد إلا أذله الله! ”.

فأيش كانت بضاعتك؟:

وروى الشبلي في جامع المدينة قد كثر الناس عليه في الرواق الوسطاني، وهو يقول: ” رحم الله عبداً، ورحم والديه دعا لرجل كانت له بضاعة، وقد فقدها؛ وهو يسأل الله ردها! ” والناس صموت. فخرق الحلقة غلام حدث، وقال: ” من هو صاحب البضاعة؟ ”، الشبلي: ” أنا! ” قال: ” فأيش كانت بضاعتك؟ ”، قال: ” الصبر، وقد فقدته! ” فبكى الناس بكاءً عظيماً ”.

أمجنون أنت؟!:

وقيل ضاق صدره يوماً ببغداد، فأنحدر إلى البصرة، فلما ضاق صدره خرج لوقته، فلما قرب من دار الخليفة، إذا جار تغني بين يدي الخليفة:

أيا قادماً من سفرة الهجر،	::	أنا ذاك، لا أنساك، ما هب الصبا
مرحباً	:	كئيباً حزيناً بالصباية متعباً
قدمت على قلبي، كما قد تركته	::	
	:	

فصاح صيحة، ووقعت مغشياً عليه، فقال الخليفة: ” ألحقوه واحملوه! ” فحمل إليه، فقال له: ” أمجنون أنت؟! ”. قال: ” يا أمير المؤمنين! كان من أمري كيت وكيت، فتحيرت في أمري ” فبكى الخليفة لما رأى من حرقة.

ووجهك أن رأيتُ شفاء دائي:

” وآخر يوماً العصر، ونظر الشمس وقد نزلت للغروب، فقال: ” الصلاة ياسادتي! ” وقام فصلى، وانشأ يقول مداعباً وهو يضحك: ” ما احسن من قال:

نسيت اليوم من عشقي صلاتي فلا ادري عشائي من غدائي
فذكرك سيدي أكلي وشربي ووجهك أن رأيتُ شفاء دائي (1)

سيكون لي غداً مع هذا الشيخ شأن!:

قال بكير الدينوري ” وجد الشبلى خفة - في يوم جمعة - من وجع كان به، فأمر بمضيه إلى الجامع، فراح إليه متكئاً، فتلقاه رجل مقبل من الرصيفة، فقال: ” سيكون لي غداً مع هذا الشيخ شأن! ”. فصلينا ثم غدونا، فتناول شيئاً من الغداء، فلما كان الليل مات. فقيل لي: ” في درب السقاين رجل يغسل الموتى ” فدلوني عليه في السحر، فأتيته فدققت الباب خفيفاً فقلت: ” سلام عليك ”، فقال: مات الشبلى؟ ”، قلت: ” نعم! ” فخرج إلى، فإذا به الشيخ، فقلت: ” لا إله إلا الله! ” فقال: ” لا إله إلا الله، تعجبا مم؟ ” قال:

” قال لي الشبلى أمس - لما وجدناك -: ” غداً يكون لي مع هذا شأن. بحق معبودك!، من أين لك أن الشبلى قد مات؟. قال: ” يا ابله! فمن أين للشبلى أن يكون له معي اليوم شأن؟ ” (2).

فأخرجه من البيت:

- جاء رجل الى الشبلى يشكو إليه كثرة العيال، فقال: ارجع إلى بيتك فمن وجدت منهم ليس رزقه على الله، فأخرجه من البيت.

(1) طبقات الأولياء، ص 35.

(2) طبقات الأولياء، ص 36.

أي صبر أشد على الصابرين:

- وقف رجل على الشبلي فقال: أي صبر أشد على الصابرين؟ قال

الشبلي: الصبر في الله تعالى. فقال: لا. قال: فالصبر لله. فقال: لا. قال:

فالصبر مع الله تعالى. فقال: لا قال فأى شيء؟ قال: الصبر عن الله ،
فصرخ الشبلي صرخة عظيمة ووقع.

بم يبعد المرء من ربه ويخذل أمره؟:

- وقام إلى الشبلي رجل فقال: بم يبعد المرء من ربه ويخذل عن

أمره؟ فزعم زعقة ثم أنشد:

من لم يكن للوصال أهلاً :: فكل إحسانه ذنوب

- سنة التوفيق أجدى من يقظة الرؤية، وقليل النجح خير من كثير من

الجهد.

فلاناً يعيب الباذنجان:

وحكي أن الشبلي رئي يوماً على الجسر، وكان يوماً مطيراً، فقيل له:

إلى أين؟ فقال: بلغني أن فلاناً يعيب الباذنجان فأريد أن أمر عليه
فأخاصمه.

وضيعة العمر وليس له بدل:

وأوصى الشبلي رحمه الله أن يكتب على قبره: تركت الجنة وليس لي

قيمة وتعلقت بالدنيا وليس لها بقاء، وضيعت العمر وليس له بدل واتبعت

النساء وليس لهن وفاء، وجفوت الرب وليس منه عوض.

وإنما أرسلت المريض إلى الطبيب:

مرض الشبلي فأرسل الخليفة إليه طبيباً فعالجه فازداد مرضه فقال يا

شيخ المسلمين لو علمت أن شفائك في قطع عضو من أعضائي لفعلت فقال

شفائي في قطع زنارك فقطعه وأسلم فوثب الشبلي كأن لم يكن به مرض

فقال الخليفة ظننت أني أرسلت الطبيب إلى المريض وإنما أرسلت

المريض إلى الطبيب..

إنك لتحب الدنيا:

- وقال له رجل: "إنك لتحب الدنيا"، فقال: "أين السائل عن الآخرة؟"

"قال" ها أنا! "، قال: أخبرني أيها السائل عنها، أبالطاعة تنال أم بالمعصية؟ "قال: لا، بل بالطاعة "قال: "فأخبرني عن الطاعة، أبالحياة تنال، أم بالممات؟ "قال: "لا، بل بالحياة "قال: "فأخبرني عن الحياة، أبالقوت تنال، أم بغيره؟ "قال: "لا، بل بالقوت "قال: "فأخبرني عن القوت، أمن الدنيا هو، أم من الآخرة؟ "قال: "لا، بل من الدنيا "، قال: "فكيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت، اكتسب به حياة، أدرك بها طاعة، أنال بها الآخرة؟! "فقال الرجل: "أشهد أن ذلك معنى قول النبي ﷺ: "إن من البيان لسحرا"-(1).

ما تقول فينا أهل البيت:

ودخل على علوي ببلخ زائراً له ومسلماً عليه فقال له العلوي: أيد الله الأستاذ، ما تقول فينا أهل البيت قال: ما أقول في طين عجن بماء الوحي، وغرس بماء الرسالة، فهل يفوح منهما إلا مسك الهدى وعنبر التقى فحشى العلوي فاه بالدر، ثم زاره من الغد، فقال يحيى بن معاذ: إن زرتنا فبفضلك وإن زرنك فلفضلك، فلك الفضل زائراً ومزوراً (2).

أخرج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب:

قال أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي: "بدء أمري في سياحتي حيث خرجت من الري، فوقع في قلبي شأن المؤنة، والنفقة، فتفكرت في نفسي، فإذا بهاتف يهتف في قلبي: أخرج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب "

ألا قلت له مع من هجرهم فيه:

قال أبو بكر بن طاهر: كان ليحيى بن معاذ أخ يقال له إسماعيل وكان أكبر منه قال رجل مع من يريد أن يعيش أخوك يحيى وقد هجر الخلق قال فذكر ذلك ليحيى فقال له يحيى ألا قلت له مع من هجرهم فيه.

(1) طبقات الأولياء، ص 55.

(2) وفيات الأعيان، 6/ 167.

فانظر ما همومك يا هشام:

قال جعفر وكنت عند مالك بن دينار فجاء هشام بن حسان وكان يأتيه هشام بن حسان وسعيد بن أبي عروبه وحوشب يطلبون قلوبهم فجاء هشام فقال أين أبو يحيى قلنا عند البقال قال قوموا بنا إليه قال فحانت منه نظرة إلى هشام فقال يا هشام إنى أعطى هذا البقال كل شهر درهما ودانقين فأخذ منه كل شهر ستين رغيفا كل ليلة رغيفين فإذا أصبتهما سخنا فهو ادمهما يا هشام إنى قرأت في زبور داود إلهى رأيت همومى وأنت من فوق العلى فانظر ما همومك يا هشام⁽¹⁾.

وأخرجوا الدنيا من قلوبكم:

عن مالك بن دينار قال إن الله جعل الدنيا دار مفر والآخرة دار مقر فخذوا لمقركم من مفركم وأخرجوا الدنيا من قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم فى الدنيا حبيتم ولغيرها خلقتم إنما مثل الدنيا كالسم أكله من لا يعرفه واجتنبه من عرفه ومثل الحية مسها لين وفي جوفها السم القاتل يحذرها ذوو العقول ويهوى إليها الصبيان بأيديهم⁽²⁾.

إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة:

قال جعفر قلنا لمالك بن دينار ألا تدعو قارئاً قال إن الثكلى لا تحتاج إلى نائحة قلنا له ألا تستسقى فقال أنتم تستبطئون المطر لكنى أستبطئ الحجارة⁽³⁾.

لولا البول ماخرجت من المسجد:

وسمعه يقول: يا أخوتاه، بحق أقول لكم لولا البول ماخرجت من المسجد⁽⁴⁾.

(1) صفح الصفوة، 284/3.

(2) صفح الصفوة، 285/3.

(3) صفح الصفوة، 285/3.

(4) صفح الصفوة، 286/3.

أفر ببيني من شاهق إلى شاهق:

قال سفيان بن عيينة: رأيت إبراهيم بن أدهم في جبال الشام، فقلت: يا إبراهيم تركت خراسان؟ فقال: ما تهنأت بعيشي إلا هنا، أفر يديني من شاهق إلى شاهق⁽¹⁾.

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف:

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن، فقمعنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى، فقامت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته، فقال بكفيه في الماء فملاًها، ثم قال: (بسم الله) وشرب الماء، ثم قال: (الحمد لله)، ثم ملاً كفيه من الماء وقال: (بسم الله) وشرب، ثم قال: (الحمد لله)، ثم إنه خرج من النهر فمد رجله، ثم قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب، فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطأوا الطريق المستقيم. فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟!⁽²⁾.

أما نحن فقد استوفينا أجورنا:

فلما أكلنا قلت لرفيقه: أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبتته. قال: نعم، كنّا يوماً صياماً، فلما كان الليل لم يكن لنا ما نفطر عليه، فلما أصبحنا قلت، يا أبا إسحاق، هل لك في أن نأتي الرّستن فنكري أنفسنا مع الحصادين قال: نعم، فأتينا باب الرّستن، فجاء رجل فاكثراني بدرهم فقلت: وصاحبي، قال: لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفاً، فما زلت به حتى اكتراه بثلاثين، فحصدنا يومنا، وأخذت كرائي، فأتيت به، فاشتريت

(1) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، 164/2.

(2) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق،

حاجتي،) وتصدّقت بالباقي، فيهيأته، وقدمته إليه، فلمّا نظر إليه بكى، قلت، ما يبكيك قال: أمّا نحن فقد استوفينا أجورنا، فليت شعري أوفينا صاحبنا أم لا قال: فغضبت، قال: ما يغضبك أتضمن لي أنا وفيناه فأخذت الطعام فتصدّقت به⁽¹⁾.

لو أمكنني أن أطلق نفسي لفعلت:

قال ضمرة: سمعت إبراهيم بن ادهم قال: أخاف أن لا يكون لي أجر في تركي أطايب الطعام، لأنّي لا أشتهيه، وكان إذا جلس على طعام طيّب رمى إلى أصحابه، وقنع بالخبز والزيتون.

قال رجل لإبراهيم بن ادهم: لو تزوّجت، فقال: لو أمكنني أن أطلق نفسي لفعلت⁽²⁾.

صيّر مالي وماله واحداً:

دخل إبراهيم بن ادهم الجبل بفأس، فاحتطب ثم باعه، واشترى به ناطفاً، وقدمه إلى أصحابه فقال: كلوا كأنتكم تأكلون في رهن.

قال عصام بن داود بن الجراح: كنت ليلة مع إبراهيم بن ادهم بالثغر، فأتاه رجل بباكورة، فنظر حوله هل يرى ما يكافيه، فنظر إلى سرجي فقال، خذ ذاك السّرج، فأخذه، فما داخلني سرور قطّ مثله حين علمت أنّه صيّر مالي وماله واحداً.

ما إياك عنيت:

قيل لإبراهيم بن ادهم: ما يبلغ من كرامة المؤمن على الله قال: أن تقول للجبل تحرّك فيتحرّك، قال: فتحرّك الجبل، فقال: ما إياك عنيت⁽³⁾.

ليس إياك أردت:

قال عيسى بن حازم النّيسابوري: كنّا مع إبراهيم بن ادهم بمكة، فنظر إلى أبي قبيس فقال: لو أنّ مؤمناً مستكمل الإيمان هزّ الجبل لزال، فتحرّك

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 48/10.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 48/10.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 50/10.

أبو قبيس، فقال: إبراهيم: اسكن، ليس إياك أردت⁽¹⁾.

وقال هلك أصحاب الأثقال:

قال عبد الملك بن قريش حدثني رجل صالح من أهل البصرة قال وقع حريق في بيت مالك بن دينار فأخذ المصحف وأخذ القطيفة فأخرجهما فقيل له يا أبا يحيى البيت فقال ما فيه إلا السندانة ما أبالي أن يحترق قال الدورقي وذكر عبد الله بن المبارك قال وقع حريق بالبصرة فأخذ مالك بن دينار بطرف كسائة وقال هلك أصحاب الأثقال⁽²⁾.

فإنّا مملوكان لأبيك:

بينما إبراهيم بن أدهم يحصد وقف عليه رجلان معهما ثقل، فسلمّا عليه وقالوا: أنت إبراهيم بن أدهم قال: نعم، قالوا: فإنّا مملوكان لأبيك ومعنا مال ووطاء، فقال: ما أدري ما تقولان، فإن كنتما صادقين فأنتما حرّان والمال لكم، لا تشغلاني عن عملي⁽³⁾.

مالي فيها حاجة:

قال خلف بن تميم، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: يجيئني الرجل بالدنانير فأقول: مالي فيها حاجة، ويجيئني بالفرس فأقول: مالي فيه حاجة، ويجيئني ذاء، فلما رأى القوم أنّي لا أنافسهم في دنياهم أقبلوا ينظرون إليّ كأني دابة من الأرض، أو كأني آية، ولو قبلت منهم لأبغضوني، ولقد أدركت أقواماً ما كانوا يحمدون على ترك هذه الفضول⁽⁴⁾.

من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره:

قال خلف بن تميم: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: من تعود أخذ النساء لم يفلح. يحيى بن آدم: سمعت شريكاً يقول: سألت إبراهيم بن أدهم عما كان بين عليّ ومعاوية رضي الله عنه، فبكى، فندمت على سؤالي إيّاه، فرفع رأسه فقال، من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره، ومن عرف ربّه اشتغل بربه عن غيره.

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 50/10.

(2) صفق الصفوة، 281/3.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 55/10.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 56/10.

وعن إبراهيم قال: حبُّ لقاء الناس من حبِّ الدنيا، وتركهم ترك الدنيا⁽¹⁾.

أهربوا من الناس كهربكم من السبع الضاري:

قال إبراهيم بن بشَّار: أوصانا إبراهيم بن أدهم: أهربوا من الناس كهربكم من السبع الضاري، ولا تخلَّفوا عن الجمعة والجماعة⁽²⁾.

هكذا كلاب بلخ!:

وقال إبراهيم لشقيق: "علام أصلتم أصولكم؟" فقال: "إذا رزقنا أكلنا، وإذا منعنا صبرنا". فقال إبراهيم: "هكذا كلاب بلخ! إذا رزقت أكلت، وإذا منعت صبرت. أنا أصلنا أصولنا على إنا إذا رزقنا آثرنا، وإذا منعنا حمدنا وشكرنا". فقام شقيق، وقعد بين يديه وقال: "أنت أستاذنا!"⁽³⁾

مات وكفن في الملاءتين:

عن إبراهيم بن أدهم قال: حدثني رفيقة قال: خرجت مع إبراهيم بن أدهم من بيت المقدس، فنفذ زادنا في الطريق، فجعلنا نأكل الخرنوب وعروق الشجر حتى خشنت حلوقنا، وبلغ منا الجهد، فقلت: ندخل القرية عسى نطلب عملاً فلذا في القرية نهر فتوضاً وصف قدميه فدخلت ألتمس فتقبلت من قوم حائطا قد سقط أجره بأربعة دراهم فقلت: قد تقبلت عملاً فجعل يعمل عمل الرجال، وأعمل عملاً ضعيفاً فجاؤونا بغداء فغسلت يدي أبادر الطعام، فقال: لي هذا في شرطك بعد ما تعالى النهار، فقلت: لا. قال: فاصبر حتى تأخذ كراك وتشترى، قال: فلما فرغنا أخذنا الدراهم واشترينا وأكلنا وطعمنا ثم خرجنا فأصابنا في الطريق الجوع، فأتينا قرية من قرى حمص، فلذا ساقية ماء فتوضاً للصلاة وصف قدميه وإذا إلى جانبنا دار فيها غرفة فبصر بنا صاحب الغرفة حين نزلنا ولم نطعم فبعث إلينا بجفنة فيها ثريد وخبز عراق فوضعت بين أيدينا فانفتل من الصلاة فقال: من بعث؟ فقلت: صاحب المنزل. قال: ما اسمه؟ قلت: فلان ابن فلان فأكل وأكلت، ثم أتينا عمق إنطاكية، وقد حضر الحصاد فحصدنا بنحو ثمانين

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 57/10.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 58/10.

(3) ابن الملقن، طبقات الأولياء، 1 / 1.

درهما، فقلت: آخذ نصف هذه، وأرجع ما بي قوة على صحبتته، فقلت: إني أريد الرجوع إلى بيت المقدس. قال: ما أنت لي مصاحبا فدخل إنطاكية، واشترى ملاءتين من تلك الدراهم، فقال: إذا أتيت قرية كذا وكذا التي أطعمنا فيها فسل عن فلان ابن فلان وادفع اليه الملاءتين ودفع إلى بقية الدراهم وبقي ليس معه شيء فدفعت الملاءتين إلى الرجل، فقال: من بعث بها قلت إبراهيم بن أدهم، فقال: ومن إبراهيم بن الأدهم، فأخبرته أنه كان أحد الرجلين اللذين بعث إليهما بالطعام فأخذهما ومضيت إلى بيت المقدس فأقمت حيناً فرجعت وسألت عن الرجل فقيل لي مات وكفن في الملاءتين⁽¹⁾.

قال أحمد بن فضيل العكي رأيت إبراهيم بن أدهم إذا حصد يحصد ويستعين معه الضعفاء فيسبقهم في أمانه يعني الموضع فيحصده ثم يشير إلى أصحابه أن اجلسوا ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم يرجع إلى ما في أيديهم فيحصده دونهم وهم جلوس ثم يصلي ركعتين ثم يرجع إلى أمانه فيحصده⁽²⁾.

مخافة أن أكون كأجير السوء:

قال محمد بن إسحاق الشمشاطي سمعت ذا النون يقول بينما أنا أسير في جبال أنطاكية وإذا أنا بجارية كأنها مجنونة وعليها جبة من صوف فسلمت عليها فردت السلام ثم قالت أسألك مسألة قلت سليني قالت أي شيء السخاء قلت البذل والعطاء قالت هذا السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قلت المسارعة إلى طاعة المولى قالت فإذا سارعت إلى طاعة المولى تحب منه خيرا قلت نعم للواحد عشرة قالت مر بإبطال هذا هذا في الدين قبيح ولكن المسارعة إلى طاعة المولى أن يطع إلى قلبك وأنت لا تريد منه شيئا بشيء ويحك يا ذا النون إني أريد أن أقسم عليه في طلب شهوة منذ عشرين سنة فاستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجر ولكن أعمل تعطيما لهيبته وعز جلاله قال ثم مرت وتركتني⁽³⁾.

(1) أبو نعيم، حلية الأولياء، 374/7.

(2) أبو نعيم، حلية الأولياء، 374 / 7.

(3) حلية الأولياء، 340/ 9.

حب ربك سبحانه واشتق إليه:

قال ذو النون بينما أنا في بعض مسيري إذ لقيتني امرأة فقالت لي من أين أنت قلت رجل غريب فقالت لي ويحك وهل يوجد مع الله أحزان الغربة وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء قال فبكيت فقالت لي ما يبكيك قلت وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع لي نجاحه قالت فإن كنت صادقاً فلم بكيت قلت والصادق لا يبكي قالت لا قلت ولم قالت لأن البكاء راحة للقلب وملجأ يلجأ إليه وما كتم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب وهذا ضعف الأطباء بإبطال الداء قال فبكيت متعجباً من كلامها فقالت لي مالك قلت تعجبت من هذا الكلام قالت وقد نسيت القرحة التي سألت عنها قلت لا ما أنا بالمستغني عن طلب الزوائد قالت صدقت حب ربك سبحانه واشتق إليه فإن له يوماً يتجلى فيه على كرسي كرامته لأوليائه وأحبابه فيذيبهم من محبته كأساً لا يظمأون بعده أبداً قال ثم أخذت في البكاء والزفير والشهيق وهي تقول سيدي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها أحداً يسعفني على البكاء أيام حياتي ثم تركتني ومضت⁽¹⁾.

ألا إن الله عز وجل شفّعهم في كل من حج:

قال شقيق بن إبراهيم: بينما أنا ذات ليلة نائم حيال الكعبة في المسجد الحرام إذ رأيت في منامي ملكين أتيا نبي فوقفا علي، فقال أحدهما لصاحبه: كم حج العام؟ قال له صاحبه: حج ثلاثة: فلان وفلان، وفلان يقال له شقيق. قال: لا، شقيق عليه فضل ثوب. قال: فلما كان قابل حججت في عباء، فبينما أنا راقد في المسجد الحرام رأيتهما في منامي، فقال أحدهما لصاحبه: كم حج العام فقال: ثلاثة فلان وفلان وشقيق، ألا إن الله عز وجل شفّعهم في كل من حج.

قد علمت ما كان مني يا أمل المؤمنين:

قال محمد بن أحمد الشمشاطي سمعت ذا النون المصري يقول بينا أنا سائر على شاطئ نيل مصر إذا أنا بجارية تدعو وهي تقول في دعائها: يا من هو عند ألسن الناطقين، يا من هو عند قلوب الذاكرين، يا من هو عند فكرة الحامدين، يا من هو على نفوس الجبارين والمتكبرين قد علمت ما كان مني يا أمل المؤمنين، قال: ثم صرخت صرخة خرت مغشيا عليها.

واطلب دواءك ممن ابتلاك:

وقال ذو النون دخلت إلى سواد نيل مصر فجاءني الليل فقمت بين زروعها فإذا أنا بامرأة سوداء قد أقبلت إلى سنبلة ففركتها ثم امتنعت عليها ففركتها وبكت وهي تقول يا من بذره حبا يابسا في أرضه ولم يك شيئا أنت الذي صيرته حشيشا ثم أنبته عودا قائما بتكوينك وجعلت فيه حبا متراكبا ودورته فكونته وأنت على كل شيء قدير وقالت عجبت لمن هذه مشيئته كيف لا يطاع وعجبت لمن هذا صنعه كيف يشتكي فدنوت منها فقلت من يشكو أمل المؤمنين فقالت لي أنت يا ذا النون إذا اعتللت فلا تجعل علتك إلى مخلوق مثلك واطلب دواءك ممن ابتلاك وعليك السلام لا حاجة لي في مناظرة الباطلين ثم أنشأت تقول:

وكيف تنام العين وهي قريرة :: ولم تدرك في أي المحليين تنزل

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا:

قال أبو بكر محمد بن خلف المؤدب وكان من خيار عباد الله رأيت ذا النون المصري على ساحل البحر عند صخرة موسى فلما جن الليل خرج فنظر إلى السماء والماء فقال: سبحان الله ما أعظم شأنكما بل شأن خالقكما أعظم منكما ومن شأنكما فلما تهور الليل لم يزل ينشد هذين البيتين إلى أن طلع عمود الصبح:

اطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا :: قد وجدت لي سكنا ليس هو
في هواه عنا إن بعدت قربني :: أو قربت منه دنا ::

أنشد العباس بن أحمد لذي النون المصري:

(1)	ليلتمسوك حالا بعد حال بحلمك عن حلول وارتحال إليك معرضين بلا اعتلال إلى تدبيرنا يا ذا المعالي	إذا ارتحل الكرام إليك يوما فإن رحالنا حطت لترضي أنحنا في فناءك يا إلهي فسسنا كيف شئت ولا تكلنا

قد كان لي قلب فقدته:

قال أحمد بن عيسى الوشاء سمعت أبا عثمان سعيد بن الحكم يقول
سمعت أبا الفيض ذا النون بن إبراهيم يقول بينما أنا أسير ذات ليلة ظلماء
في جبال بيت المقدس إذ سمعت صوتا حزينا وبكاء جهيرا وهو يقول يا
وحشتاه بعد أنسنا يا غربتاه عن وطننا وافقراه بعد غنانا واذلاه بعد عزنا
فتبعت الصوت حتى قربت منه فلم أزل أبكي لبكائه حتى إذا أصبحنا
نظرت إليه فإذا رجل نازل كالشن المحترق فقلت يرحمك الله تقول مثل
هذا الكلام فقال دعني فقد كان لي قلب فقدته ثم أنشأ يقول:

بين الهوى فرماه الحب فاحترقا	قد كان لي قلب أعيش به

فقلت له:

(2)	وأنت تنتحل المحبة ر على البلاء لمن أحبه ر مع الشفاء لكل كربه	لم تستكي ألم البلاء إن المحب هو الصبو حب الإله هو السرو

(1) حلية الأولياء، 9/ 344.

(2) حلية الأولياء، 9/ 345.

كم تقول: عزلتي أنسي:

قال الجنيد: قال لي الحارث: كم تقول: عزلتي أنسي، لو أن نصف الخلق تقربوا مني، ما وجدت لهم أنسا، ولو أن النصف الآخر نأوا عني، ما استوحشت.

ورؤية الشهوات:

قال سمعت الجنيد بن محمد يقول كان الحارث المحاسبي يجيء إلى منزلنا ويقول أخرج معنا نصحر فأقول له تخرجني من عزلتي وأمني على نفسي إلى الطرقات والآفات ورؤية الشهوات فيقول أخرج معي ولا خوف عليك فأخرج معه فكان الطريق فارغ من كل شيء لا نرى شيئا نكرهه فإذا حصلت في المكان الذي يجلس فيه قال لي سلني فأقول له ما عندي سؤال أسألك فيقول لي سلني عما يقع في نفسك فتنتال على السؤالات فأسأله عنه فيجيبني عنها للوقت ثم يمضي إلى منزله فيعملها كتباً.

ما استوحشت لبعدهم:

قال وسمعت الجنيد يقول كنت كثيراً أقول للحارث عزلتي أنسي تخرجني إلى وحشة رؤية الناس والطرقات فيقول لي كم أنسي وعزلتي لو أن نصف الخلق تقربوا مني ما وجدت بهم أنسا ولو أن النصف الآخر ناء عني ما استوحشت لبعدهم⁽¹⁾.

كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله؟:

قال إسماعيل بن إسحاق السراج: قال لي أحمد بن حنبل يوماً يبلغني أن الحارث هذا يعني المحاسبي يكثر الكون عندك فلو أحضرته منزلك وأجلستني من حيث لا يراني فأسمع كلامه فقلت السمع والطاعة لك يا أبا عبد الله وسرني هذا الابتداء من أبي عبد الله فقصدت الحارث وسألته أن يحضرنا تلك الليلة فقلت وتسل أصحابك أن يحضروا معك فقال يا إسماعيل فيهم كثرة فلا تزدهم على الكسب والتمر وأكثر منهما ما استطعت ففعلت ما أمرني به وانصرفت إلى أبي عبد الله فأخبرته فحضر بعد المغرب وصعد غرفة في الدار فاجتهد في ورده إلى أن فرغ وحضر

الحارث وأصحابه فأكلوا ثم قاموا لصلاة العتمة ولم يصلوا بعدها وقعدوا بين يدي الحارث وهو سكوت لا ينطق واحد منهم إلى قريب من نصف الليل فابتدأ واحد منهم وسأل الحارث عن مسألة فأخذ في الكلام وأصحابه يستمعون وكان على رؤوسهم الطير فمنهم من يبكي ومنهم من يزعم وهو في كلامه فصعدت الغرفة لأتعرف حال أبي عبد الله فوجدته قد بكى حتى غشي عليه فانصرفت إليهم ولم تزل تلك حالهم حتى أصبحوا فقاموا وتفرقوا فصعدت إلى أبي عبد الله وهو متغير الحال فقلت كيف رأيت هؤلاء يا أبا عبد الله فقال ما أعلم أنني رأيت مثل هؤلاء القوم ولا سمعت في علم الحقائق مثل كلام هذا الرجل وعلى ما وصفت من أحوالهم فاني لا أرى لك صحبتهم ثم قام وخرج (1).

ما أسرع الناس إلى البدع:

قال سعيد بن عمرو البرذعي: شهدت أبا زرعة وسئل عن الحارث المحاسبي وكتبه فقال للسائل إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب قيل له في هذه الكتب عبرة قال من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صنفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم يأتونا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديلمي ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق ثم قال ما أسرع الناس إلى البدع (2).

فتبسم ثم مات:

قال جعفر بن أخي أبي ثور حضرت وفاة الحارث يعني المحاسبي فقال إن رأيت ما أحب تبسمت اليكم وإن رأيت غير ذلك تبينتم في وجهي قال فتبسم ثم مات (3).

(1) تاريخ بغداد، 8 / 214.

(2) تاريخ بغداد، 8 / 214.

(3) تاريخ بغداد، 8 / 215.

اغرب من بين يدي فلا أراك:

عن مالك بن دينار أنه كان يقول إن الله عز وجل إذا أحب عبدا انتقصه دنياه وكف عنه ضيعته ويقول لا تبرح من بين يدي قال فهو متفرغ لخدمة ربه عز وجل وإذا أبغض عبدا دفع في نحره شيئا من الدنيا ويقول اغرب من بين يدي فلا أراك بين يدي فتراه معلق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا⁽¹⁾.

لبادرتكم إليه:

عن مالك بن دينار قال والله لو وقف ملك بباب المسجد وقال يخرج شر من في المسجد لبادرتكم إليه⁽²⁾.

هذا والله الكسب الحلال:

قال رياح بن عمرو القيسي سمعت مالك بن دينار يقول دخل على جابر بن زيد وأنا أكتب فقال يا مالك مالك عمل إلا هذا تنقل كتاب الله عز وجل من ورقة إلى ورقة هذا والله الكسب الحلال.

جعفر بن سليمان قال سمعت مالك بن دينار يقول كفى بالمرء خيانة أن يكون أمينا للخونة وكفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين⁽³⁾.

سواء علي أكلت من رطبكم أو لم أكل:

ويقال: إن مالك بن دينار مكث بالبصرة أربعين سنة ما صح له أن يأكل من تمر البصرة ولا من رطبها حتى مات ولم يذقه وكان إذا انقضى أوان الرطب يقول يا أهل البصرة هذا بطني ما نقص منه شيء سواء علي أكلت من رطبكم أو لم أكل⁽⁴⁾.

(1) صفق الصفوة، 281/3.

(2) صفق الصفوة، 282/3.

(3) صفق الصفوة، 282/3.

(4) أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1418هـ - 1998م، 3201/1.

هذا كان جليساك، أفلا نصحته؟:

كان يجلس مع سفيان الثوري رجل ضرير، فإذا كان شهر رمضان يخرج إلى السواد فيصلي بالناس، فيكسى ويعطى، فقال سفيان : إذا كان يوم القيامة أتيب أهل القرآن من قراءتهم، ويقال لمثل هذا : قد تعجلت ثوابك في الدنيا فقال: يا أبا عبد الله تقول لي هذا وأنا جليس لك؟ قال: إني أخاف أن يقال لي يوم القيامة: هذا كان جليساك، أفلا نصحته؟⁽¹⁾.

كيف طرحت الدرهم في الطين؟:

عن مالك بن دينار أنه حضر رجلاً يبني داراً، وهو يعطي الأجراء الدراهم، فمد يده فأعطاه درهماً، فطرحة في الطين، فتعجب الرجل وقال: كيف طرحت الدرهم في الطين؟ فقال مالك: أعجب منه أنك طرحت كل دراهمك في الطين، يعني ضيعتها في البراءة⁽²⁾.

ما أحرمك ما تريدني إلا لكرامتك علي:

كان مالك بن دينار يمر بالسوق فيرى ما يشتهي فيقول: يا نفس اصبري، ما أحرمك ما تريدني إلا لكرامتك علي.

إن نفسي لتنازعني إلى شيء منذ أربعين سنة:

وقال له جار له في مرضه: ما تشتهي؟ قال: إن نفسي لتنازعني إلى شيء منذ أربعين سنة، رغيف أبيض ولبن في زجاج، فأتاه به فجعل ينظر إليه ثم يقول: دافعت شهوتي عمري كله، حتى إذا لم يبق من عمري إلا مثل ظمء الحمار أخذها؟ انظروا يتيم آل فلان فادفعوه إليه، ومات بشهوته⁽³⁾.

ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟:

سأل رجل ذا النون فقال رحمك الله ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟ فقال ذكر المقام وقلة الزاد وخوف الحساب ثم سمعته يقول بعد فراغه من كلامه ولم لا تذوب أبدان العمال وتذهل عقولهم والعرض على الله أمامهم

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 42/1.

(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 51/ 1.

(3) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 156 / 1.

وقراءة كتبهم بين أيديهم والملائكة وقوف بين يدي الجبار ينتظرون أمره في الأخيار والأشرار ثم قال مثلوا هذا في نفوسهم وجعلوه نصب أعينهم قال وسمعت ذا النون يقول قال الحسن ما أخاف عليكم منع الإجابة إنما أخاف عليكم منع الدعاء⁽¹⁾.

العلم نور لصاحبه:

قال إسماعيل سمعت ذا النون يقول كتب رجل إلى عالم ما الذي أكسبك علمك من ربك وما أفادك في نفسك فكتب إليه العالم أثبت العلم الحجة وقطع عمود الشك والشبهة وشغلت أيام عمري بطلبه ولم أدرك منه ما فاتني فكتب إليه الرجل العلم نور لصاحبه ودليل على حظه ووسيلة إلى درجات السعداء فكتب إليه العالم أبليت إليه في طلبه جدة الشباب وأدركني حين علمت الضعف عن العمل به ولو اقتصررت منه على القليل كان لي فيه مرشد إلى السبيل.

فاعذرنى واتهم نفسك:

سأل رجل ذا النون المصري عن سؤال فقال له ذو النون قلبي لك مقفل فإن فتح لك أجبتك وإن لم يفتح لك فاعذرنى واتهم نفسك⁽²⁾.

أعقل فإن هذا من صفوة التوحيد:

قال محمد بن أحمد بن سلمة النيسابوري سمعت ذا النون يقول يا خراساني إحذر أن تنقطع عنه فتكون مخدوعا قلت وكيف ذلك قال لأن المخدوع من ينظر إلى عطايه فينقطع عن النظر إليه بالنظر إلى عطايه ثم قال تعلق الناس بالأسباب وتعلق الصديقون بولي الأسباب ثم قال علامة تعلق قلوبهم بالعطايا طلبهم منه العطايا ومن علامة تعلق قلب الصديق بولي العطايا انصباب العطايا عليه وشغله عنها به ثم قال ليكن اعتمادك على الله في الحال لا على الحال مع الله ثم قال أعقل فإن هذا من صفوة التوحيد⁽³⁾.

(1) حلية الأولياء، 9 / 346.

(2) حلية الأولياء، 9 / 347.

(3) حلية الأولياء، 9 / 351.

وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء:

قال محمد أبو الحسن الأنصاري سمعت يوسف بن الحسن يقول قال ذو النون المصري يوما وأتاه رجل فقال له أوصني فقال بم أوصيك إن كنت ممن قد أيد منه في علم الغيب بصدق التوحيد فقد سبق لك قبل أن تخلق إلى يومنا هذا دعاء النبيين والمرسلين والصديقين وذلك خير من وصيتي لك وإن يكن غير ذلك فن ينفعك النداء (1).

يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريباً:

قال محمد بن أحمد سمعت ذا النون يقول بينما أنا سائر بين جبال الشام إذا أنا بشيخ على تلعة من الأرض قد تساقطت حاجباه على عينيه كبرا فتقدمت إليه فسلمت عليه فرد علي السلام ثم أنشأ وهو يقول بصوت عليل يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريباً ويا من قصد إليه الزاهدون فوجدوه حبيباً ويا من استأنس به المجتهدون فوجدوه سريعاً مجيباً ثم أنشأ يقول:

اختارهم في سالف الأزمان	:	وله خصائص مصطفىين لحبه
فهم ودائع حكمة وبيان	:	اختارهم من قبل فطرة خلقه
	:	

ثم صرخ صرخة فإذا هو ميت (2).

أصبحت من الدنيا على فناء:

قال سعيد بن الحكم سمعت ذا النون يقول دخلت على متعبدة فقلت لها كيف أصبحت قالت أصبحت من الدنيا على فناء مبادرة للجهاز متأهبة لهول يوم الجواز أعترف لله على ما أنعم بتقصيري عن شكرها أقر بضعفي عن إحصائها وشكرها قد غفلت القلوب عنه وهو منشئها وأدبرت عنه النفوس وهو يناديها فسبحانه ما أمهله للأنام مع تواتر الأيادي والأنعام.

(1) حلية الأولياء، 9/ 354.

(2) حلية الأولياء، 9/ 354.

كالهارب من السبع:

قال وسمعت ذا النون يقول بينا أنا أسير في بلاد الشام إذا أنا بعباد خرج من بعض الكهوف فلما نظر إلي استتر بين تلك الأشجار ثم قال أعوذ بك سيدي ممن يشغلني عنك يا مأوى العارفين وحبیب التوابين ومعين الصادقين وغاية أمل المحبين ثم صاح واغماه من طول البكاء واكرباه من طول المكث في الدنيا ثم قال سبحان من أذاق قلوب العارفين به حلاوة الانقطاع إليه فلا شيء ألد عندهم من ذكره والخلوة بمناجاته ثم مضى وهو يقول قدوس قدوس قدوس فنأدبته أيها العابد قف لي فوقف لي وهو يقول اقطع عن قلبي كل علاقة واجعل شغله بك دون خلقك فسلمت عليه ثم سألته أن يدعو الله لي فقال خفف الله عنك مؤن نصب السير إليه وذلك على رضاه حتى لا يكون بينك وبينه علاقة ثم سعى من بين يدي كالهارب من السبع⁽¹⁾.

صوت حزين كئيب موجه القلب:

قال سعيد بن الحكم سمعت ذا النون يقول بينا أنا أسير في بعض سياحتي فاذا أنا بصوت حزين كئيب موجه القلب أسمع الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول سبحان مفني الدهور سبحان مخرب الدنيا سبحان مميت القلوب سبحان باعث من في القبور فاتبعت الصوت فاذا أنا بنقب وإذا الصوت خارج من النقب وهو يقول سبحان من لا يسع الخلق إلا سره سبحانك ما أطفك بمن خالفك وأوفاك بعهدك سبحانك ما أحلمك عمن عصاك وخالف أمرك ثم قال سيدي بحلمك نطقك وبفضلك تكلمت وما أنا والكلام بين يديه بما لا يستأهله قدري فيا إله من مضى قبلي ويا إله من يكون بعدي بالصالحين فألحقني ولأعمالهم فوفقني ثم قال أين الزهاد والعباد أين الذين شدوا مطاياهم إلى منازل معروفة وأعمال موصوفة نزل بهم الزمان فأبلاهم وحل بهم البلاء فأفناهم فهل أنتظر إلا مثل الذي حل بهم ثم أقبل على ما كان فيه فقلت رجل غرقت نفسه عن كلام الناس فانصرفت وتركته باكيا⁽²⁾.

يا ذا النون غض بصرك من مواقع النظر:

(1) حلية الأولياء، 9/ 355.

(2) حلية الأولياء، 9/ 359.

قال محمد بن يزيد سمعت ذا النون يقول خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فبينما أنا بالطواف إذا بشخص متعلق بأستار الكعبة وإذا هو يبكي وهو يقول في بكائه كتمت بلائي من غيرك وبحت بسري إليك واشتغلت بك عن سواك عجبت لمن عرفك كيف يسلو عنك ولمن ذاق حبك كيف يصبر عنك ثم أنشأ يقول:

ذوقتني طيب الوصال فزدتني شوقا إليك مخامر الحسرات

ثم أقبل على نفسه فقال أمهلك فما ارعويت وستر عليك فما استحييت وسلبك حلاوة المناجاة فما باليت ثم قال عزيزي مالي إذا قمت بين يديك ألقيت علي النعاس ومنعتني حلاوة قرّة عيني له ثم أنشأ يقول:

**روعت قلبي بالفراق فلم أجد شينا أمر من الفراق وأوجعا
حسب الفراق بأن يفرق بيننا وأطال ما قد كنت منه مودعا**

قال فلم أتمالك أن أتيت الكعبة مستخفيا فلما أحس تحلل بخمار كان عليه ثم قال يا ذا النون غض بصرك من مواقع النظر فإني حرام فعلمت أنها امرأة فقلت يا أمة الله مم يحوى الهموم قلب المحب فقالت إذا كانت للتذكار محاورة وللشوق محاضرة يا ذا النون أما علمت أن الشوق يوري السقام وتجديد التذكار يورث الأحزان ثم أنشأت تقول:

لم أذق طعم وصلك حتى زال عني محبتي للأنام

ثم أنشأت تقول:

نعم المحب إذا تزايد مصله وعلت محبته بعقب وصال

فقالت أوجعني أما علمت أنه لا يبلغ إليه إلا بترك من دونه (1).

واشغل هواك بحور عين:

حدثنا أحمد بن إسحاق ثنا أحمد بن الحسين الأنصاري ثنا أبو عصمة قال كنت عند ذي النون وبين يديه فتى حسن يملي عليه شيئا قال فمرت

امرأة ذات جمال وخلق قال فجعل الفتى يسارق النظر إليها قال ففطن ذو النون فلوى عنق الفتى وأنشأ يقول:

دع المصوغات من ماء وطنين :: واشغل هواك بحور عين (1)
وتضييعي قلبا لا أقتني مثله أبدا:

- كتب الوليد بن عتبة الدمشقي الى ذي النون بكتاب يسأله فيه عن حاله فكتب إليه كتبت إلي تسألني عن حالي فما عسيت أن أخبرك به من حالي وأنا بي خلال موجعات أبكاني منهن أربع حب عيني للنظر ولساني للفضول وقلبي للرياسة وإجابتي إبليس لعنه الله فيما يكرهه الله وأقلقني منها عين لا تبكي من الذنوب المنتنة وقلب لا يخشع عند نزول العظة وعقل وهن فهمه في محبة الدنيا ومعرفة كلما قلبتها وجدنتي بالله أجهل وأضناني منها أنني عدمت خير خصال الايمان الحياء وعدمت خير زاد الآخرة التقوى وفنيت أيامي بمحبتني للدنيا وتضييعي قلبا لا أقتني مثله أبدا (2)

ذو النون والمريض:

دخل ذو النون على مريض يعودده فراى المريض يئن، فقال ذو النون: ليس بصادق في حبه من لم يصبر على ضربه، فقال المريض: لا ولا صدق في حبه من لم يتلذذ بضربه، فقال ذو النون: لا ولا صدق من رأى حبه لربه، عز وجل (3).

لأن البكاء راحة للقلب:

قال: ذو النون المصري: خرجت يوماً من وادي كنعان، فلما علوت الوادي إذا بسواد مقبل علي وهو يقول: وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ويبيكي. فلما قرب مني السواد إذا بامرأة عليها جبة وببدها ركوة، فقالت لي: من أنت؟ غير فزعة مني، فقلت رجل غريب، فقالت: يا هذا وهل توجد مع الله غربة؟ قال: فبكيت من قولها، فقالت: ما الذي أبكاك؟ قلت: وقع

(1) حلية الأولياء، 9 / 375.

(2) حلية الأولياء، 9 / 376.

(3) السراج القارئ، مصارع العشاق، 1 / 90.

الدواء على داء قد قرح، فأسرع في نجاحه قالت: فإن كنت صادقاً فلم
بكيك؟ قلت: يرحمك الله الصادق لا يبكي، قالت: لا، قلت: ولم ذاك؟ قالت:
لأن البكاء راحة للقلب، قال ذو النون: فبقيت والله متعجباً من قولها انتهى
(1).

يا راقدا والجليل يحفظه:

قال ذو النون المصري بينما أنا في بعض سياحتي إذ مررت بشاطئ
البحر فرأيت عقرباً أسود قد أقبل إلى أن جاء إلى شاطئ البحر فظننت أنه
يشرب فقامت لأنظر فإذا بضفدع قد خرج من الماء وأتاه فحمله على ظهره
وذهب به إلى ذلك الجانب قال ذو النون فاتزرت بمئزري وعمت خلفه
حتى إذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراءه فما زال حتى جاء
إلى شجرة فوجدت تحتها غلاماً نائماً من شدة السكر قد أقبل عليه تنين
عظيم قال فلصقت العقرب برأس التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت إلى ظهر
الضفدع فعبر بها إلى الماء وسار بها إلى المكان الذي جاءت منه قال ذو
النون فتعجبت من ذلك وأنشدت:

يا راقدا والجليل يحفظه	::	من كل سوء يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك	::	يأتيك منه فوائد النعم
	:	

ثم أيقظت الغلام وأخبرته بذلك قال فلما سمع ذلك قال أشهدك على أنني
قد تبنت عن هذه الخصلة ثم جرينا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك
الغلام مسحاً وساح إلى أن مات رحمه الله تعالى عليه وما أحسن ما قال
بعضهم:

إذا لم يسالمك الزمان فحارب	::	وباعد إذا لم تنتفع بالأقارب
ولا تحتقر كيد الضعيف فربما	:	تموت الأفاعي من سموم
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد	::	العقارب
إذا كان رأس المال عمرك	:	وخرب فأر قبل ذا سد مأرب
فاحترز	::	عليه من التضييع في غير
فبين اختلاف الليل والصبح	:	واجب

(1) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار
الكتب العلمية - الطبعة: الأولى، بيروت / لبنان - 1418 هـ - 1998 م، 2 / 64.

معرك :: يكر علينا جيشه بالعجائب (1)
::

والمحبيب لا يدري ما حاله!:

ولقيه سكران، فجعل يقبله ويقول: "يا سيدي!" "ولا يدفعه بشر عن نفسه، فلما ولي تغرغرت عينا بشر، وجعل يقول: "رجل أحب رجلا على خير توهمه! لعل المحب قد نجا، والمحبيب لا يدري ما حاله!" (2).

أليس كنت تبغضهم؟!:

قال أبو عبد الله المحاملي، حدثني أبي قال: كان عندنا رجل من التجار صديقاً لي، وكان يقع في الصوفية كثيراً، ثم رأيته بعد ذلك يصحبهم، وينفق عليهم ماله. فقلت له: "أليس كنت تبغضهم؟!" فقال: "ليس الأمر على ما كنت أتوهم". فقلت له: "كيف؟". قال: "صليت يوماً الجمعة، فرأيت بشراً مسرعاً خارجاً من المسجد، فقلت في نفسي: لأنظرن إلى هذا الزاهد! فاشتري خبز الماء بدرهم، ثم شواء بمثله؛ فزادني غيظاً. ثم ثم قالوا ذجاً بدرهم؛ فتبعته فخرج إلى الصحراء، وأنا أقول: "يريد الخضرة والماء!". فما زال يمشى إلى العصر وأنا خافه، فدخل مسجداً في قرية، فيه مريض، فجعل يلقمه. فقامت أنظر إلى القرية وعدت، فقلت للمريض: "أين بشر؟". قال: "ذهب إلى بغداد". قلت: "كم بيني وبينها؟". قال: "أربعون فرسخاً". فقلت: "أنا لله!" فقال: "اجلس حتى يرجع". فجاء الجمعة القابلة، ومعه شيء يطعمه للمريض، فلما فرغ قال له: "يا أبا نصر! هذا الرجل صحكك من بغداد، وهو عندي منذ جمعة". قال فنظر إلى كالمغضب، وقال: "لم صحبتني؟!" قلت: "أخطأت!" قال: "قم فامش!" "فمشيت إلى المغرب، فلما قربنا من بغداد قال: "اذهب إلى محلّتك ولا تعد!" فتبت إلى الله مما كنت أعتقده فيهم، ثم أثرت صحبتهم، وأنا على ذلك" (3).

(1) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيشي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1986، 1 / 308، 2 / 255.

(2) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 17.

(3) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 17.

أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد:

وقال بعضهم: "دخلت على بشر في يوم شديد البرد، وقد تعرى من ثيابه وهو ينتفض، فقلت له: "الناس يزدون من الثياب في مثل هذا اليوم، وأنت قد نقصت؟! " فقال: "ذكرت الفقراء، وما هم فيه، ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أن أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد" (1).

لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة!:

وقال منصور الصياد: "مر بي بشر - وهو منصرف من صلاة العيد - فقال لي: "في هذا الوقت؟! " فقلت: "ليس في البيت دقيق ولا خبز! " فقال:

"الله المستعان! احمل شبكتك وتعال إلى الخندق". وأمرني بالوضوء وصلاة ركعتين، ثم قال لي: "ألقها، وقل: بسم الله! " فألقيتها، ف وقعت فيها سمكة كبيرة، فقال: "بعها! " فبعتها بعشرة دراهم، واشتريت منها جميع ما يحتاجونه إليه. ثم أخذت رقاقتين وعليهما حلوى، وجئت بهما إلى بشر، فدققت الباب، فقال: "من؟ " قلت: "منصور الصياد! " فقال: "ادفع الباب، وضع ما معك في الدهليز، وادخل أنت " فدخلت، فقال "لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة! " (2).

ذهب عنك اسم الحافى:

وروى أنه أتى باب المعافى بن عمران فدقه، فقيل: "من؟ " قال: "بشر الحافى " فقال: بنية من داخل الدار: "لو اشتريت نعلا بدانقين ذهب عنك اسم الحافى " (3).

دخلت دار بشر:

وروى أن امرأة جاءت إلى أحمد بن حنبل، فقالت: "إني امرأة أغزل بالليل والنهار، وأبيع الغزل، ولا أبين غزل النهار من الليل، فهل على في ذلك شيء؟. فقال: "يجب أن تبيني! " ثم انصرفت، فقال أحمد لأبنه: "

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 17.

(2) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 17.

(3) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 18.

اذهب فانظر أين تدخل! ” فرجع فقال: ” دخلت دار بشر ” (1).

فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت:

وقال محمد بن نعيم: ” دخلت علي بشر في علته، فقلت: ” عطني! ” فقال: ” إن في هذه الدار نملة، تجمع الحب في الصيف لتأكله في الشتاء؛ فلما كان يوماً أخذت حبة في فمها، فجاء عصفور فأخذها، فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت ” (2).

الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور:

قال أبو بكر الباقلاني: سمعت بشر بن الحارق ونحن معه بباب حرب، وأراد الدخول إلى المقبرة فقال: الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور (3).

أنت تعلم أنني لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم:

قال عباس بن دهقان قلت لبشر بن الحارث أحب أن أخلو معك قال: إذا شئت فبكرت يوماً فرأيت أنه قد دخل قبة فصلى أربع ركعات فسمعتة يقول في سجوده، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الذل أحب إلي من الشرف، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أن الفقر أحب إلي من الغنى، اللهم إنك تعلم فوق عرشك أنني لا أؤثر على حبك شيئاً فلما سمعته أخذني الشهيق والبكاء فلما سمعني قال: أنت تعلم أنني لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم (4).

الحمد لله الذي أرضى بشراً بما صنعنا:

أدخل أحمد بن حنبل الكبير فخرج ذهباً أحمر وآل علي فبلغ ذلك أحمد فقال الحمد لله الذي أرضى بشراً بما صنعنا (5).

(1) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 18.

(2) ابن الملقن، طبقات الأولياء، ص 19.

(3) وفيات الأعيان، 1/ 468.

(4) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، العلو للعلي الغفار، تحقيق: أبي محمد أشرف بن عبدالمقصود، مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، 1995، ص

172.

(5) حلية الأولياء، 8/ 336.

المحدثون كثير:

قال الحسن بن سعيد كنا يوما عند بشر بن الحارث فجاء رجل من خراسان فبرك قدامه فقال له يا أبا نصر أنا وفد خراسان حدثني بخمسة أحاديث أذكرك بها بخراسان فلم يزل يتذلل له وبشر يقول له المحدثون كثير فلم يزل يداريه ويجتهد به فلما رأى أنه لا ينفعه شيء قال له يا أبا نصر أليس تروي عن عيسى عليه السلام أنه قال من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعي عظيما في ملكوت السماء قال له كيف قلت أعد علي فأعاد عليه القول من علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعي عظيما في ملكوت السماء قال له صدقت قد علمنا حتى نعمل ثم نعلم⁽¹⁾.

فابشر يا أبا نصر:

قال أحمد بن محمد بن غزوان بكرت أنا وأخي في غداة باردة جدا إلى بشر فألفيناه على بابيه معه خليل الخياط ثم قام يمشي أمامنا وعليه فرو خلق وخف قصير فوق عقبيه فقام ليخرج إلى السوق وعليه إزار لطيف جدا فما مر بواحد أو أكثر إلا رفع صوته وقال: السلام عليكم فلما خرج إلى السوق وقف على رجل دقاق فسأله عن سعر الدقيق بالأمس فقال: ناقص فابشر
يا أبا نصر فحمد الله وأخذ.

أشتهي أن أمرض بلا عواد:

ومما سمعت من كلامه أن بشرا أرجف الناس بموته بباب الطاق في يوم مطير فجئت في المطر والطين حتى بلغت بابيه فإذا على بابيه ثلاثة نفر شيخ منهم يقول: إنما جئنا نعودك يا أبا نصر فقال لهم: وهو يبكي لا حاجة لي في عيادتكم اذهبوا عني فقد آذيتموني وهو يبكي وقال: قال فضيل أشتهي أن أمرض بلا عواد⁽²⁾.

(1) حلية الأولياء، 8/ 337.

(2) حلية الأولياء، 8/ 338.

ضاق على الماء فكيف أتكلم في النبيذ:

قال محمد بن يوسف الجوهري سألت بشر بن الحارث عن النبيذ فقال:
قد ضاق على الماء فكيف أتكلم في النبيذ⁽¹⁾.

وأنت قلت ولم تعمل:

قال محمد بن اسحاق أمام سلامة قلت لبشر بن الحارث إني أحب أن
أسلك طريق إبراهيم بن ادهم قال لا تقوى قلت ولم ذاك قال لأن إبراهيم
عمل ولم يقل وأنت قلت ولم تعمل⁽²⁾.

تغتم لي حية وميتة:

- قال محمد بن الهيثم كنت أدخل على أخت بشر في صغري فأعطتني
يوما كبة من غزل فقالت: بع هذه الكبة واشتر خبزا وسمكا ففعلت فدخل بشر
والخبز والسمك موضوع فقال بشر ما هذا الطعام قالت رأيت أُمِّي وأُمِّكَ في
المنام فقالت: إن أردت فرحي وإدخالك السرور علي فبيعي من غزلك
واشتري خبزا وسمكا فإن أخاك بشرا يشتريها قالت فلما ذكرت أُمِّي وأُمِّه
بكى وقال رحمها الله تغتم لي حية وميتة فقال بشر إني لأشتيه منذ خمس
وعشرين سنة ما كان الله عز وجل يراني أن أرجع في شيء تركته لله. وكان
غزل أخته فيما ذكر أنها قصدت أحمد بن حنبل فقالت إنا قوم نغزل بالليل
ومعاشنا منه وربما يمر بنا مشاعل بني طاهر ولالة بغداد ونحن على السطح
فنغزل في ضوءها الطاقة والطاقتين أفتحله لنا أم تحرمة؟ فقال لها: من أنت؟
قالت: أخت بشر. فقال: آه يا آل بشر لا عدمتكم لا أزال أسمع الورع الصافي
من قبلكم⁽³⁾.

(1) حلية الأولياء، 8 / 340.

(2) حلية الأولياء، 8 / 348.

(3) حلية الأولياء، 8 / 353.

ما أقبح بمثلي:

قال عمر بن موسى سمعت بشر بن الحارث يقول لقد شهرني ربي في الدنيا فليته لايفضحني في القيامة ما أقبح بمثلي يظن في ظن وأنا على خلافه إنما ينبغي لي أن أكون أكثر ما يظن بي أنني أكره الموت وما يكره الموت إلا مريب ولولا أنني مريب لأي شيء أكره الموت (1).

إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه:

وقال رجل رأيت بشر بن الحارث وقف على أصحاب الفاكهة فجعل ينظر فقلت يا أبا نصر لعلك تشتهي من هذا شيئاً قال لا ولكن نظرت في هذا إذا كان يطعم هذا من يعصيه فكيف من يطيعه (2).

ينبغي أن أستحيي من الله:

وعن أبي بكر المروزي قال سمعت بعض القطانين يقول أهدى إلي أستاذي رطباً وكان بشر يقيّل في دكاننا في الصيف فقال له أستاذي يا أبا نصر هذا من وجه طيب فإن رأيت أن تأكل قال فجعل يمسه بيده ثم ضرب بيده إلى لحيته وقال ينبغي أن أستحيي من الله إني عند الناس تارك لهذا وأكله في السر (3).

- حكي عن بشر أنه قال ربما رفعت يدي في الدعاء فأردها أو قال فأسألها أقول إنما يفعل هذا من له عنده وجه

اللهم إنك تعلم أنني أخاف أن أسكت:

وعن الفتح بن شحرف قال كنت جالسا عند بشر إذ جاءه رجل فسأله عن مسألة فأطرق ملياً ثم رفع رأسه ثم أطرق ثم رفع رأسه فقال اللهم إنك تعلم أنني أخاف أن أتكلم اللهم إنك تعلم أنني أخاف أن أسكت اللهم إنك تعلم أنني أخاف أن تأخذني فيما بين السكوت والكلام.

(1) صفة الصفوة، 2 / 326.

(2) صفة الصفوة، 2 / 326.

(3) صفة الصفوة، 2 / 327.

تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي:

وعن زبدة أخت بشر بن الحارث قالت دخل بشر علي ليلة من الليالي فوضع إحدى رجليه داخل الدار والأخرى خارج الدار وبقي كذلك يتفكر حتى أصبح فلما أصبح قلت له في ماذا تفكرت طول الليلة قال تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي وبشر المجوسي ونفسي واسمي بشر فقلت مالذي سبق منك حتى خصك فتفكرت في تفضله علي وحمدته علي أن جعلني من خاصته وألبسني لباس أحبائه.

إليك عني تأكلين قوتي:

وقال بشر كان لي سنور فكنت إذا وضعت طعامي بين يدي جاءت فعيناها في عيني فأكل وأرمي لها قال فقلت إليك عني تأكلين قوتي (1).

هكذا ندفع الدنيا:

وعن عمرو بن موسى بن فيروز قال رأيت بشرا ومعه رجل فتقدم إلى بئر ليشرب منها فجذبه بشر وقال تشرب من البئر الأخرى حتى جاوز ثلاثة أبار فقال له الرجل أبا نصر أنا عطشان فقال له بشر أسكت فهكذا ندفع الدنيا (2).

أنين المريض هل هو شكوى:

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: دخلت امرأة على أبي فقالت له: يا أبا عبد الله، إني امرأة أغزل في الليل على ضوء السراج، وربما طفيء السراج فأغزل على ضوء القمر، فهل علي أن أبين غزل السراج من غزل القمر فقال لها أبي: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك، فقالت له: يا أبا عبد الله أنين المريض هل هو شكوى فقال لها: إني أرجو أن لا يكون شكوى، ولكن هو اشتكاء إلى الله تعالى، ثم انصرفت؛ قال عبد الله: فقال لي أبي: يا بني ما سمعت إنساناً قط يسأل عن مثل ما سألت هذه المرأة، اتبعها؛ قال عبد الله: فتبعتها إلى أن دخلت دار بشر الحافي، فعرفت أنها أخت بشر، فأتيت أبي فقلت له: إن المرأة أخت بشر الحافي، فقال أبي:

(1) صفة الصفوة، 2 / 328.

(2) صفة الصفوة، 2 / 333.

هذا والله هو الصحيح، محال أن تكون هذه المرأة إلا أخت بشر الحافي.

من ههنا أتيت:

وقال عبد الله أيضاً: جاءت مخة أخت بشر الحافي إلى أبي فقالت: يا أبا عبد الله، رأس مالي دانقان أشترى بهما قطنا فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأنفق دانقاً من الجمعة إلى الجمعة، وقد مر الطائف ليلة ومعه مشعل فاغتنمت ضوء المشعل وغزلت طاقين في ضوءه، فعلمت أن الله سبحانه وتعالى في مطالبة، فخلصني من هذا خلصك الله تعالى، فقال أبي: تخرجين الدانقين ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيراً منه؛ قال عبد الله: فقلت لأبي: لو قلت لها حتى تخرج رأس مالها، فقال: يا بني سؤالها لا يتحمل التأويل، فمن هذه المرأة فقلت هي مخة أخت بشر الحافي، فقال أبي: من ههنا أتيت.

وقال بشر الحافي: تعلمت الزهد من اختي فإنها كانت تجتهد أن لا تأكل ما لمخلوق فيه صنع⁽¹⁾.

فخشيت على نفسي شيطانيه:

وقفت جارية لم ير أحسن وجهاً منها على بشر الحافي فسألته عن باب حرب، فدلها، ثم وقف عليه غلام حسن الوجه فسأله عن باب حرب، فأطرق رأسه، فرد عليه الغلام السؤال فغمض عينيه، فقيل له: يا أبا نصر جاءتك جارية فسألتك فأجبته، وجاءك هذا الغلام فسألك فلم تكلمه؟ فقال: نعم يروى عن سفيان الثوري أنه قال: مع الجارية شيطان، ومع الغلام شيطانان، فخشيت على نفسي شيطانية.

إن كنت حراً فاصنع ما شئت:

يروى أن بشراً الحافي مر على بيت فسمع فيه صوت الدفوف، والمزامير، والغناء! ففرع الباب، فخرجت إليه امرأة، قال لها: من صاحب هذا البيت؟ قالت: ماذا تريد منه؟ قال: أريد أن أعلم أعبد هو أم حر؟ قالت: لا بل هو حر، قال لها: أخبريه بأن بشراً الحافي يقول لك: إن كنت حراً فاصنع ما شئت، وإن كنت عبداً فلا تتصرف إلا بإذن سيدك.

(1) وفيات الأعيان، 1/ 276.

فضحكت المرأة وذهبت للرجل، وقالت: في الباب رجل مخبول!
يقول: كذا وكذا، قال: كلا والله! هذا هو عين العقل، صدق، أنا عبد ولست
حرأً، أنا عبد لله عز وجل، وما عندي من مال ومتاع، لا يجوز لي أن
أتصرف فيه إلا بإذن سيدي وهو الله تعالى، فتأب إلى الله تعالى، وكسر
مزاميره، وطنابيره، وأقلع عما كان يفعله.

بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان!:

- ولما سُئل بشر الحافي رحمه الله عن أناس يتعبدون في رمضان
ويجتهدون، فإذا انسلخ رمضان تركوا، قال: بئس القوم لا يعرفون الله إلا
في رمضان!

لا يؤاخذك الله على هذا:

- عن محمد بن نصر الخزاعي الصائغ قال: سمعت بشر بن الحارث
الحافي وقد ضحك عنده رجل فقال: احذر يا بن الأخ لا يؤاخذك الله على هذا.
من أين تأكل؟:

وقيل لبشر الحافي: من أين تأكل؟ قال من حيث تأكلون، ولكن ليس
من يأكل وهو يبكي كمن يأكل وهو يضحك.

فهو ماء بشر الحافي:

ولما مرض بشر الحافي رحمه الله تعالى قالوا أندعوا لك طبيباً فقال
إني بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فألح عليه أهله وقالوا لا بد أن ندفع
ماءك إلى الطبيب فقال لأخته ادفعي إليهم الماء في قارورة وكان بالقرب
منهم رجل ذمي وكان حاذقاً في الطب فأتوه بمائه في القارورة فلما رآه
قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا له ما بهذا وصفت
لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحرق والمعرفة قال هو كما تقولون غير أن
هذا الماء إن كان ماء نصراني فهو راهب قد فتننت كبده العبادة وإن كان
مسلماً فهو ماء بشر الحافي فإنه أوحده أهل زمانه في السلوك مع الله تعالى
قالوا هو ماء بشر الحافي فأسلم النصراني وقطع زناره فلما رجعوا إلى
بشر قال لهم أسلم الطبيب فقالوا ومن أعلمك قال لما خرجتم من عندي
هتف لي هاتف وقال يا بشر ببركة مائك أسلم الطبيب وصار من أهل

الجنة (1).

فَالنَّفَقَةُ الَّتِي بَلَغَتْ بِهَا إِلَى هَذَا مِنْ أَيْنَ؟:

قَالَ سَرِيٌّ بْنُ مُعَلِّسٍ: ” غَزَوْنَا أَرْضَ الرُّومِ فَمَرَرْتُ بِرَوْضَةٍ خَضِرَةٍ فِيهَا الْخُبَّازُ، وَحَجَرٌ مَنُفُورٌ فِيهِ مَاءُ الْمَطَرِ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَئِنْ كُنْتُ أَكُلُ يَوْمًا حَلَالًا فَالْيَوْمَ فَنَزَلْتُ عَنْ دَابَّتِي، وَجَعَلْتُ أَكُلُ مِنْ ذَلِكَ الْخُبَّازِ، وَأَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، فَإِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ بِي: ” يَا سَرِيٌّ بْنُ مُعَلِّسٍ، فَالنَّفَقَةُ الَّتِي بَلَغَتْ بِهَا إِلَى هَذَا مِنْ أَيْنَ؟“

منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار:

قال السري: منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار من قلبي: الحمد لله مرة. قيل: وكيف ذلك؟ فقال: وقع ببغداد حريق، فاستقبلني رجل، فقال لي: نجا حانوتك. فقلت: الحمد لله. فمضت ثلاثين سنة أنا نادم على ما قلت، حيث أردت لنفسي خيراً مما حصل للمسلمين!!.

أعرف طريقاً مختصراً إلى الجنة:

قال الجنيد: سمعت السري يقول: أرف طريقاً مختصراً قصداً إلى الجنة: فقلت له: ما هو؟ فقال: لا تسأل من أحد شيئاً، ولا تأخذ من أحد شيئاً، ولا يكن معك شيء تعطى منه أحداً.

أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد:

قال الجنيد بن محمد: سمعت السري يقول: أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد، فقيل له: ولم ذلك؟ فقال: أخاف ألا يقبلني قبري فأفتضح.

حتى عفا عليه التراب:

قال الجنيد: دخلت يوماً على السري السقطي وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ فقال: جائتني البارحة الصبيّة، فقالت: يا أبتى، هذه ليلة حارّة، وهذا الكوز أعلّقه ها هنا حتى يبرد الماء.

ثم إنني حملتني عيناى فنمت، فرأيت جارية من أحسن الخلق قد نزلت من السماء، فقلت: لمن أنت؟ فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرّج في الكيزان. فتناولت الكوز فضربت به الأرض فكسرتة.

قال الجنيد: فرأيت الخزف لم يرفعه ولم يمسه، حتى عفا عليه التراب (1).

قد خلوا ابنك:

قال مظفر بن سهل المقرئ: كنت جالساً مع سري يوماً، فوافته امرأة فقالت: يا أبا الحسن أنا من جيرانك، أخذ ابني الطائف البارحة، وكلم ابني الطائف، وأنا أخشى أن يؤذيه، فإن رأيت أن تجيء معي، أو تبعث إليه، قال: علان: فتوقعت أن يبعث إليه، فقام فكبر وطول في صلاته، فقالت المرأة: يا أبا الحسن الله الله فيّ، هو ذا أخشى أن يؤذيه السلطان، فسلم وقال لها: أنا في حاجتك، قال مظفر: فما برحت حتى جاءت امرأة إلى المرأة فقالت: الحقي قد خلوا ابنك (2).

أنا تائب من الملح:

قال أحمد بن خلف دخلت يوماً على السري فقال لي ألا أعجبك من عصفور يجيء فيسقط على هذا الرواق فأكون قد أعددت له لقيمة فأفتها في كفي فيسقط على أطراف أناملي فيأكل فلما كان في وقت من الأوقات سقط على الرواق ففتت الخبز في يدي فلم يسقط على يدي كما كان ففكرت في سر العلة في وحشته مني فوجدتني قد أكلت ملحاً طيباً فقلت في سري أنا تائب من الملح فسقط على يدي فأكل وانصرف (3).

يا معشر الشباب جدّوا:

قال الجنيد: سمعت السري يقول: يا معشر الشباب جدّوا قبل أن تبلغوا مبلغاً فتضعفوا وتقصروا كما قصرت، وكان في ذلك الوقت، لا يلحقه الشباب في العبادة (4).

هذه أغلال:

قال علي بن عبد الحميد الغضائري: جئت إلى سري بن المغلس السقطي لأقرأ عليه شيئاً، فدققت عليه الباب، فسمعت من داخل وهو يقول:

(1) القشيري، الرسالة القشيرية، ص 9.

(2) بغية الطلب في تاريخ حلب، 4/ 239.

(3) بغية الطلب في تاريخ حلب، 4/ 240.

(4) بغية الطلب في تاريخ حلب، 4/ 240.

اللهم من شغلني عنك فاشغله بك، ثم فتح الباب وقعد، فأخذت أقرأ عليه، فقال: إن هذه أغلال، إن هذه أغلال (1).

لو سمعت منك هذه الكلمة من قبل لما صحبتك:

قال الجنيد: دخلت على السري في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف تجدك يا شيخ؟ قال: عبد مملوك لا يقدر لنفسه شيئاً، فأخذت المروحة لأروحه فقال: دعني كيف أتروح بريح المروحة، فأحشائي تحترق، فقلت له، أوصني أيها الشيخ قال إياك وصحبة العوام فقلت له: زدني، قال: فرفع رأسه إليّ بعدما طأطأه وقال: لا تشتغل عن صحبة الله بصحبة الأخيار فقلت له: لو سمعت منك هذه الكلمة من قبل لما صحبتك.

فإذا اسمي في الحاشية:

قال أبا عبيد بن حريويه: حضرت جنازة سري السقطي، فسررت فحدثنا رجل عن آخر أنه حضر جنازة سري فلما كان في بعض الليالي رآه في النوم فقال: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ولمن حضر جنازتي وصلي عليّ. قلت فإني ممن حضر جنازتك وصلى عليك، قال: فأخرج درجاً فنظر فيه، فلم ير لي فيه اسماً، فقال: فقلت: بلى قد حضرت، قال: فنظر فإذا اسمي في الحاشية (2).

ترانا اليوم نأكل بأدياننا:

قال علي بن الحسين بن حرب بعث بي أبي إلى السري بشيء من حب السعال لسعال كان به فقال لي: كم؟ ثمّنه قلت له: لم يخبرني بشيء. فقال: اقرأ عليه السلام، وقل له نحن نعلم الناس منذ خمسين سنة ألا يأكلوا بأديانهم ترانا اليوم نأكل بأدياننا.

اللهم اشغل من شغلني عنك بك:

قال علي بن عبد الحميد الغضائري الحلبي سمعت سري السقطي ودققت عليه الباب فقام إلى عضادتي الباب فسمعته يقول اللهم اشغل من شغلني عنك بك فكان من بركة دعائه أني حججت أربعين حجة من حلب

(1) بغية الطلب في تاريخ حلب، 4/ 241.

(2) بغية الطلب في تاريخ حلب، 4/ 244.

على رجلي ماشيا ذاهبا وجائيا⁽¹⁾.

رجل يتكلم في موارد القلوب:

قال الجنيد بن محمد بعثني السري يوما في حاجة فأبطأت عليه فلما جئت قال لي إذا بعث بك رجل يتكلم في موارد القلوب في حاجة فلا تبطئ عليه فإنك تشغل قلبه⁽²⁾.

فأردت أن يكون معه الأكثر:

قال أحمد بن عمر الخلقاني خرج معي سرى السقطي يوم العيد من المسجد فلقي رجلا جليلا فسلم عليه سلاما ناقصا فقلت له إن هذا فلان قال قد عرفته قلت فلم نقصته في السلام قال لأنه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشهما-فأردت أن يكون معه الأكثر.

اللهم علما أدب العيادة:

قال الجنيد بن محمد سمعت السري يقول اعتلت بطرسوس علة فدخل علي ثقلاء القراء يعودونني فجلسوا فأطالوا جلوسهم فأذاني ثم قالوا إن رأيت أن تدعو الله فمددت يدي وقلت اللهم علما أدب العيادة.

إن الجوع أورثهم الحكم وإن الشبع أورثهم التخم:

قال أبو بكر العطشى قلت لسري السقطي ماذا أراد أهل الجوع بالجوع فقال ماذا أراد أهل الشبع بالشبع إن الجوع أورثهم الحكم وإن الشبع أورثهم التخم⁽³⁾.

ملحك مدقوق:

قال الجنيد: وسمعتة يقول: أريد أن أكل أكلة ليس لله علي فيها تبعة ولا لمخلوق فيها منة فلم أجد، فأتاني حي الجرجاني فدق علي باب الغرفة فخرجت إليه فقال لي: يا سري، ملحك مدقوق فقلت: نعم، قال: لا تفلح، ثم قال: لولا أن الله عز وجل عقم الآذان عن فهم القرآن ما زرع الزارع، ولا

(1) حلية الأولياء، 10/ 118.

(2) حلية الأولياء، 10/ 118.

(3) حلية الأولياء، 10/ 122.

تجر التاجر، ولا تلاه الناس في الطرقات، ثم مضى فأتعبنى وأبكاني (1).

عند ذلك تصل إلى محبة المحبوب:

وقال: ” بينما أنا مار في طريق بيت المقدس، إذ رأيت امرأة عليها جبة مسح، وعلى رأسها خمار صوف، وهي جالسة، ورأسها بين ركبتيها، وهي تكي؛ فقلت لها: ما أبكاك، يا جارية؟. فقالت: يا أبا سليمان؛ وكيف لا أبكي وأنا احب لقائه؟! فقلت لها ما تحبين؟، فقالت: وهل يحب المحب غير لقاء المحبوب؟! فقلت لها: ومن محبوبك؟ فقالت: علام الغيوب!، قلت: كيف تحبينه؟، فقالت: إذا صفيت نفسك من العيوب، وجالت روحك في الملكوت، عند ذلك تصل إلى محبة المحبوب ”. فقالت: ” فكيف يكونون في محبتهم له؟ ”، فقالت: ” أبدانهم نحيلة، وألوانهم متغيرة، وعيونهم هاطلة، وقلوبهم واجفة، وأرواحهم ذائبة، وألسنتهم بذكر محبوبهم لهجة ”، قلت: ” من أين لك هذه الحكمة، التي تنطقين بها؟! ”، فقالت: ” يا أبا سليمان!، لا تجيئ بطول العمر! ”. فقالت: ” بماذا تجيئ؟ ”، قالت: ” بصفاء الود، وحسن المعاملة؟ ”، ثم أنشأت تقول:

قد كتمت الهوى فباح بسره عبرات من الجفون تسيل

ثم قالت: أواه! أواه! وأنشأت تقول:

كتب الدمع، فوق خدي، سطورا كل وجد بمن هويت قليل
اعذروني، إذا بليت من الوجد، فمالي إلى العزاء سبيل
ان دمعي لشاهد على الحب، دليل بأن حزني طويل

ثم قامت ودخلت في واد بين الجبال، وأنا انظر أليها ”.

وإذا أردتم انكشفت:

وحكى بعض أصحابه، قال: ” كنا ببيت المقدس، ولا نتكلم إلا في أوقات، وكان له عمود في المسجد يجلس إليه؛ فجئت يوماً إلى العمود فما رأيته، كذا ثانية. فلما كان يوماً ثالث كنت بجانب العمود وما رأيته، فحدثني وقال: ” اجلس! ” فنظرت فإذا هو قائم في العمود، فجلست وأنا مرعوب، وجاء آخر فقعده، وجاء آخر، فقال أبو سليمان: ” من الناس من يطلبني اليوم واليومين والثلاثة، فإذا اردت استترت، وإذا اردتم انكشفت، وحدثته فقعده ”⁽¹⁾

يا معلم! ما فعل الله بك؟:

قال أحمد بن أبي الحواري: تمنيت أن أرى أبا سليمان الداراني في المنام، فرأيته بعد سنة، فقلت له: يا معلم! ما فعل الله بك؟ قال: يا أحمد! دخلت من باب الصغير، فلقيت وسق شيخ، فأخذت منه عوداً، فلا أدري تخللت به أم رميت به، فأنا في حسابه من سنة⁽²⁾.

هو الذي يلقي ربه وليس فيه إله غيره:

قال أحمد بن أبي الحواري: قلت لأبي سليمان: ” إلا من أتى الله بقلب سليم ” قلت له: ” القلب السليم الذي يلقي الله به وليس فيه أحد غيره؟ فبكي ثم قال: ما سمعت منذ دخلت الشام حديثاً مثله، هذا هو الذي يلقي ربه وليس فيه إله غيره⁽³⁾.

فارتحلت وما صحبني حديث غير هذا:

حدث أبو سليمان الداراني، قال: شهدت مع أبي الأشهب جنازة بعبادان، فسمعته يقول: ” أوحى الله سبحانه إلى داود: حذر وأنذر أصحابك أكل الشهوات، فإن القلوب المعلقة بحب الشهوات في الدنيا عقولها محجوبة عني-قال: فارتحلت وما صحبني حديث غير هذا⁽⁴⁾.

(1) طبقات الأولياء، ص 65.

(2) سير أعلام النبلاء، 10/ 185.

(3) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص 174.

(4) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص 179.

يا أبا سليمان قم إلى الحائط:

قال أبو سليمان الداراني: وقعت أُمي من فوق وتكسرت فأهمني أمرها فقلت يا رب من يخدمها فجعلت أبكي في سجودي فإذا هاتف يهتف يا أبا سليمان قم إلى الحائط فخذ ما فيه وادع به فقامت فإذا بقرطاس ما رأيت على نقائه وبياضه بخما رأيت مثله حسنا تفوح منه رائحة المسك وإذا فيه مكتوب يا مدرك الفوت بعد الفوت ويا من يسمع في ظلم الليل الصوت ويا من يحيي العظام وهي رميم بعد الموت فدعوت بها وأنا ساجد فإذا أُمي تقول يا أبا سليمان ما فعلت الليلة قال قلت لها قد قمت قالت نعم (1).

فبماذا تغسل قلبك:

قال أحمد بن أبي الحواري: ثار أبو سليمان ذات ليلة فلما انتصف الليل قام ليتيمأ فلما أدخل يده في الإناء بقي على حالته حتى انفجر الصبح وجاء وقت الإمامة فخشيت أن تفوت صلاته فقلت الصلاة يرحمك الله فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ثم قال يا أحمد أدخلت يدي في الإناء فعارضني عارض من سري هب أنك غسلت بالماء ما ظهر منك فبماذا تغسل قلبك فبقيت متفكرا فألهمت حتى قلت بالغموم والأحزان فيما يقربني من الأنس بالله (2).

يا بني، اتق الله وخفه وارجه:

قال حميد بن هشام أبو هشام: قلت لأبي سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية: يا عم، لم تشدد علينا وقد قال الله عز وجل في كتابه: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم؟ قال: "اقرأ—، فقرأت: { وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ } [الزمر: ٥٤]، ثم قال: "اقرأ—، فقرأت: { وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ } [٥٥] أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ } [٥٦] أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ

(1) تاريخ دمشق، 34 / 134.

(2) تاريخ دمشق، 34 / 135.

مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنِّي لِي كَرَّةٌ فَأَكُونُ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ { [الزمر: ٥٥ - ٥٨]، فأقمت أياماً ثم قرأت ما يتلو هذا: { بَلَى
قَدْ جَاءَ تَاكِ ءَايَتِي فَكَذَّبَتْ بِهَا وَأَسْتَكْبَرَتْ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ } [الزمر:
٥٩].

فقلت له: يا عم، قال الله: بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت
وكنت من الكافرين، فأنا بحمد الله ونعمته لم أكذب بآيات ربي ولا
استكبرت عن عبادته، وما أنا من الكافرين، فمسح - يعني رأسه -
وقال: "يا بني، اتق الله وخفه وارجه" (1).

لو عادت آدميا لكرهت لقاءه:

قال عبد الرحيم بن صالح: سمعت أبا سليمان الداراني، يقول لأُم
هارون: أتحيين الموت؟ قالت: "لا-قال: ولم تكرهين لقاء الله عز وجل؟
ففاضت دموعها بالانتحاب، فقالت: "يا أبا سليمان، لو عادت آدميا لكرهت
لقاءه-فصرخ أبو سليمان ووقع مغشياً عليه (2).

بما كسبت يداك:

قال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سليمان لم أوتر البارحة ولم
أصل ركعتي الفجر ولم أصل الصبح في جماعة قال بما كسبت يداك والله
ليس بظلام للعبيد شهوة أصبتها (3).

فإن لم تكن قمرا فكن شمساً:

قال أحمد بن أبي الحواري لي أبو سليمان يا أحمد كن كوكبا فإن لم
تكن كوكبا فكن قمرا فإن لم تكن قمرا فكن شمساً فقلت يا أبا سليمان القمر
أضوأمن الكوكب والشمس أضوأمن القمر قال يا أحمد كن مثل الكوكب
طلع أول الليل إلى الفجر فقم أول الليل إلى آخره فإن لم تقو على قيام الليل
فكن مثل الشمس تطلع أول النهار إلى آخره فإن لم تقدر على قيام الليل فلا

(1) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص 192.

(2) تاريخ داريا لعبد الجبار الخولاني، ص 197.

(3) حلية الأولياء، 9/ 258.

تعص الله بالنهار (1).

معروف في أهل الأرض معروف في أهل السماء:

قال عبيد جاء رجل من الشام إلى معروف يسلم عليه فقالوا له فقال
إني رأيت في المنام يقال لي اذهب إلى معروف فسلم عليه فانه معروف
في أهل الأرض معروف في أهل السماء.

ولكني رجوت دعاءه:

قال عبيد بن محمد الوراق مر معروف بسقاء يقول رحم الله من شرب
فتقدم فشرب فقليل له أما كنت صائماً قال بلى ولكني رجوت دعاءه.

إن حفظهم رجعوا ولم يذهبوا:

- مر معروف على قوم من أصحاب زهير يخرجون الى القتال
ومعهم فتى فقال اللهم احفظهم فقليل له تدعو لهؤلاء فقال ويحك إن حفظهم
رجعوا ولم يذهبوا (2).

إن الملك دائم لا يفتر:

قال محمد بن عبد الرحمن دوست قدم قوم الى معروف فأطالوا الجلوس
فقال يا قوم إن الملك دائم لا يفتر عن سوقها.

ما أحصينا مذ قتلها عام أول:

قال معروف الكرخي يقول ودع رجل البيت فقال اللهم لك الحمد عدد
عفوك عن خلقك ثم رجع من قابل فقالها فسمع صوتاً ما أحصينا مذ قتلها
عام أول (3).

فهات المصحف، وخذي الملحفة!:

ونزل يوماً إلى دجلة يتوضأ ووضع مصحفه وملحفة فجاءت امرأة
فأخذتهما، فتبعها، وقال: "أنا معروف!، لا بأس عليك!، ألك ولد يقرأ
القرآن؟"، قالت: "لا!، قال: "فزوج؟"، قالت: "لا!، قال: "فهات
المصحف، وخذي الملحفة!."

(1) حلية الأولياء، 9 / 260.

(2) حلية الأولياء، 8 / 365.

(3) حلية الأولياء، 8 / 366.

ولم يضركم شيء:

وكان قاعداً على دجلة ببغداد إذ مر به أحداث في زورق، يضربون الملاهي ويشربون؛ فقال له أصحابه: ما ترى هؤلاء - في هذا الماء - يعصون! ادع الله عليهم! ”، فرفع يديه إلى السماء وقال: ” إلهي وسيدي!، كما فرحتهم في الدنيا أسألك أن تفرحهم في الآخرة! ” فقال له أصحابه: ” إنما قلنا لك: ادع عليهم! ”، فقال: ” إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا، ولم يضركم شيء ”.

يا هذا! لو زدتنا لزدناك!:

وجاء رجل إليه، فقال: ” جاءني البارحة مولود، وجئت لأتبرك بالنظر إليك ”. فقال: ” أقعدت!، عافاك الله!، وقل مائة مرة: ” ما شاء الله كان ”، فقالها؛ قال: ” قل مثلها ”، فقالها، حتى قال ذلك خمس مرات، فكان ذلك خمس مئة مرة؛ فلما استوفاهما دخل عليه خادم جعفر وبه رقة وصرة، فقال: ” ستتنا قرأ عليك السلام، وتقول لك: خذ هذه، وادفعها إلى قوم مساكين ”، فقال: ” ادفعها إلى ذلك الرجل ”، فقال: ” فيها خمسمئة درهم! ”، فقال: ” قد قال خمسمئة مرة: ما شاء الله كان ”؛ ثم أقبل على الرجل، وقال: ” يا هذا! لو زدتنا لزدناك! ”.

وددت لو أنني تزوجت!:

وروى في النوم، فقيل له: ” ما فعل بك ربك؟، قال: ” أباحني الجنة، غير أن في نفسي حسرة، أنني خرجت من الدنيا ولم أتزوج ”، أو قال: ” وددت لو أنني تزوجت! ”.

أو ليس قد مت؟!:

وقال أبو بكر الخياط: ” رأيت - في المنام - كأنني دخلت المقابر، فإذا أهل القبور جلوس على قبورهم، وبين أيديهم الريحان؛ وإذا بمعروف بينهم، يذهب ويجيء، فقلت: ” أبا محفوظ!، ما صنع الله بك؟، أو ليس قد مت؟! ”، قال: ” بلى! ”. ثم أنشد:

موت التقى حياة لا نفاذ لها :: قد مات قوم، وهم في الناس

(1)

: أحياء
* * *

مواقف العافين عن الناس

مواقف عربية

مواقف العافين عن الناس

العفو لغة: مصدر قولهم عفا يعفو عفوا وهو مأخوذ من مادة (ع ف و) التي تدلّ على معنيين أصليّين الأوّل:

ترك الشيء، وا لآخر طلبه، ومن المعنى الأوّل عفو الله تعالى عن خلقه، وذلك تركه إيّاهم فلا يعاقبهم، فضلا منه تعالى، قال الخليل: العفو تركك إنسانا استوجب عقوبة فعفوت عنه، والله سبحانه هو العفو الغفور. وقال الجوهري: يقال: عفوت عن ذنبه إذا تركته ولم تعاقبه، والعفو على فعول: الكثير العفو.

والعفو من أسماء الله تعالى:

قال ابن الأثير: من أسماء الله تعالى "العفو" هو فعول من العفو وهو التّجاوز عن الذّنب وترك العقاب عليه، وأصله المحو والطّمس، وهو من أبنية المبالغة.

وقال الغزالي: والعفو صفة من صفات الله تعالى، وهو الذي يمحو السيّئات ويتجاوز عن المعاصي، وهو قريب من الغفور، ولكنّه أبلغ منه فإنّ الغفران ينبأ عن السّتر، والعفو ينبأ عن المحو، والمحو أبلغ من السّتر. وحظّ العبد من ذلك لا يخفى وهو أن يعفو عن كلّ من ظلمه بل يحسن إليه كما يرى الله تعالى محسنا في الدّنيا إلى العصاة والكفرة غير معاجل لهم بالعقوبة. بل ربّما يعفو عنهم بأن يتوب عليهم، وإذا تاب عليهم محا سيّئاتهم، إذ التائب من الذّنب كمن لا ذنب له. وهذا غاية المحو للجناية.

وقال ابن القيم - رحمه الله - تعالى: ومن حكمة الله عز وجل تعريفه عبده أنّه لا سبيل له إلى التّجاة إلّا بعفوه ومغفرته - جلّ وعلا - وأنّه رهين بحقّه، فإن لم يتغمّده بعفوه ومغفرته، وإلّا فهو من الهالكين لا محالة فليس أحد من خلقه إلّا وهو محتاج إلى عفوه ومغفرته كما هو محتاج إلى فضله ورحمته.

وقال الله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمْ أَمْلَكْتُمْ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١٧ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝١٨ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ۝١٩ } [النساء: ٩٧ - ٩٩].

وقال تعالى: { إِنْ بُدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تُعَفُّوهُ عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ۝١٤٩ } [النساء: ١٤٩].

وقال تعالى: { الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نَسَاءِهِمْ مَا هُمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ۝٢ } [المجادلة: ٢].

وقال تعالى: { وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ۝٥١ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ } [البقرة: ٥١ - ٥٢].

وقال تعالى: { وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٠٩ } [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى: { وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥ أُولَئِكَ جَزَاءُهم مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِعَمَلِهِمْ فِيهَا } [آل عمران: ١٣٣ - ١٣٦].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن الربيع - وهي ابنة النضر - كسرت ثنية جارية فطلبوا الأرش^(١)، وطلبوا العفو فأبوا، فأتوا النبي ﷺ فأمرهم بالقصاص. فقال أنس بن النضر: أتكسر ثنية الربيع يا رسول

(١) الأرش: في الحكومات، وهو الذي يأخذه المشتري من البائع إذا اطلع على عيب في المبيع، وأروش الجنايات والجراحات من ذلك.

الله؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ⁽¹⁾ ثنيتها. فقال: “يا أنس، كتاب الله القصاص-فرضي القوم وعفوا، فقال النبي ﷺ: “إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره-⁽²⁾ .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: “إن الأنصار كرشي وعيبي ⁽³⁾ وإن الناس سيكثرُونَ ويقتلون ⁽⁴⁾، فاقبلوا من محسنهم، واعفوا عن مسيئهم-⁽⁵⁾ .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: “تعافوا⁽⁶⁾ فيما بينكم، فما بلغني من حدٍّ فقد وجب -⁽⁷⁾ .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! كم نغفو عن الخادم؟. فصمت!، ثم أعاد عليه الكلام، فصمت!، فلمّا كان في الثالثة، قال: “اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرّة-⁽⁸⁾ .

وعن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: بلغنا أن الله تعالى يأمر منادياً يوم القيامة فينادي: من كان له عند الله شيء فليقم، فيقوم أهل العفو،

(1) قوله (لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها): ليس من باب العصيان لأمر رسول الله ﷺ، وإنما من باب الرجاء والدعاء أن يلهمهم الله العفو ويعفو. وهذه من كرامة المسلم عند الله إذا دعا استجاب له.

(2) البخاري - الفتح 5 (2703) واللفظ له، ومسلم (1675).

(3) كرشي وعيبي: معناه جماعتي وخاصتي الذين أثق بهم.

(4) ويقتلون: أي يقل الأنصار.

(5) مسلم (2510).

(6) تعافوا: أمر بالعفو وهو التجاوز عن الذنب.

(7) أبو داود (4376) واللفظ له، وقال الألباني (3/ 828): صحيح، وهو عنده في النسائي (4538، 4539)، النسائي (8/ 70). الحاكم (4/ 383) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(8) أبو داود (5164) واللفظ له، ونظرت جميع رجاله ثقات ما عدا الخولاني قال عنه في

التقريب: لا بأس به. وأخرجه الترمذي وقال: حسن غريب، فالحديث حسن الإسناد،

وقال الألباني (3/ 970): صحيح وعنده في الترمذي (2031). وقال محقق جامع

الأصول ” (8/ 48): إسناده حسن.

فيكافئهم الله بما كان من عفوهم عن الناس.

وخطب أبو بكر رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ مقامي هذا عام الأول، وبكى أبو بكر، فقال أبو بكر: "سلوا الله المعافاة - أو قال: العافية. فلم يوت أحد قط بعد اليقين أفضل من العافية أو المعافاة - عليكم بالصدق فإنه مع البرّ وهما في الجنة، وإياكم والكذب فإنه مع الفجور وهما في النار، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا كما أمركم الله تعالى (1).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كلّ الناس منّي في حلّ. وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سبق النّبّي ﷺ، وصلى أبو بكر وثلاث عمر، ثمّ خطبتنا أو أصابتنا فتنة، يعفو الله عنّ يشاء. وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحرّ بن قيس، وكان من الثّفر الذين يدينهم عمر، وكان القرّاء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولا كانوا أو شبّانا. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس: فاستأذن الحرّ لعيينة فأذن له عمر، فلمّا دخل عليه قال: هي يا بن الخطاب، فو الله ما تعطينا الجزل (2) ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتّى همّ به، فقال له الحرّ: يا أمير المؤمنين! إنّ الله تعالى قال لنبيّه { خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ } [الأعراف: ١٩٩] وإنّ هذا من الجاهلين. والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقّافا عند كتاب الله (3).

وعن الحسن، قال: أفضل أخلاق المؤمن العفو.

وروي أنّ راهبا دخل على هشام بن عبد الملك، فقال للرّاهب: أرايت ذا القرنين أكان نبيا؟ فقال: لا، ولكنّه إنّما أعطي ما أعطي بأربع خصال

(1) أحمد في المسند (3/1) وقال محققه الشيخ أحمد شاکر (1/156): إسناده صحيح ورواه الترمذي (3558) وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه عن أبي بكر - رضي الله عنه -.

(2) الجزل: الكريم المعطاء، والعاقل الأصيل الرأي.

(3) البخاري - الفتح 8 (4642).

كُنَّ فِيهِ: كَانَ إِذَا قَدَّرَ عَفَا، وَإِذَا وَعَدَ وَفَى، وَإِذَا حَدَّثَ صَدَقَ، وَلَا يَجْمَعُ شُغْلَ الْيَوْمِ لَغَدٍ.

ومن فوائد العفو عن الناس:

- العفو والغفران من مظاهر حسن الخلق.
- كلاهما دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- كلاهما دليل على سعة الصدر وحسن الظنّ.
- كلاهما يثمر محبة الله عز وجل ثمّ محبة الناس.
- العفو أمان من الفتن وعاصم من الزلّل.
- الغفران دليل على كمال النفس وشرفها.
- كلّ من العفو والغفران يهيئ المجتمع والنّشء الصّالح لحياة أفضل.
- كلاهما طريق نور وهداية لغير المسلمين.

ومن المواقف:

فاجعله آخر ذنوبه:

وجلس ابن مسعود في السّوق يبتاع طعاما فابتاع، ثمّ طلب الدّراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلّت، فقال: لقد جلست وإنّها لمعي، فجعلوا يدعون على من أخذها ويقولون: اللّهمّ اقطع يد السّارق الّذي أخذها، اللّهمّ افعل به كذا، فقال عبد الله: “اللّهمّ إن كان حمله على أخذها حاجة فبارك له فيها، وإن كان حملته جراءة على الذّنْب فاجعله آخر ذنوبه.

وقال معاوية رضي الله عنه: “عليكم بالحلم والاحتمال حتّى تتمكنم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصّفح والإفضال.

أقول لا تثريب عليكم اليوم:

وقال مالك بن دينار: “أتينا منزل الحكم بن أيّوب ليلا وهو على البصرة أمير، وجاء الحسن، وهو خائف فدخلنا معه عليه، فما كنّا مع الحسن إلّا بمنزلة الفراريج، فذكر الحسن قصّة يوسف عليه السلام وما صنع به إخوته، فقال: باعوا أخاهم وأحزنوا أباهم، وذكر ما لقي من كيد النّساء

ومن الحبس، ثم قال: أيها الأمير، ماذا صنع الله به؟

أداله منهم، ورفع ذكره، وأعلى كلمته، وجعله على خزائن الأرض، فماذا صنع يوسف حين أكمل الله له أمره وجمع له أهله؟ قال: {لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف: ٩٢]، يعرض للحكم بالعفو عن أصحابه، قال الحكم: فأنا أقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم أجد إلا ثوبي هذا لواريتم تحته.

خلوا سبيله:

وروي أن زيادا أخذ رجلا من الخوارج فأفلت منه، فأخذ أخا له فقال له: إن جئت بأخيك وإلا ضربت عنقك، فقال: رأيت إن جئت بك بكتاب من أمير المؤمنين تخلي سبيلي؟ قال: نعم. قال: فأنا آتيك بكتاب من العزيز الحكيم وأقيم عليه شاهدين إبراهيم وموسى، ثم تلا: أَمْ لَمْ يَبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴿٣٧﴾ أَلَا نَزَرُ وَأَنْزَرُ وَزُرْ أُخْرَى { [النجم: ٣٦ - ٣٨]، فقال زياد: خلوا سبيله، هذا رجل قد لقن حجتَه.

سياسة المنصور في العفو عن المسيء:

ولما احتال أبو الأزهر بالمهلب بن عبيثر المهري لعبد الحميد بن رباعي بن خالد بن مغداق وأسلمه إلى حميد بن قحطبة وأسلمه حميد إلى المنصور قال لا عذر فأعذر وقد احاط بي الذنب وأنت أولى بما ترى قال لست أقتل أحدا من آل قحطبة بل أهب مسيئهم إلى محسنهم وغادرهم لوفيههم قال: إن لم يكن في مصطنع فلا حاجة لي في الحياة ولست أرضى أن أكون طليق شفيع وعتيق ابن عم قال اسكت مقبوحا مشقوحا اخرج فلنك أنوك جاهل أنت عتيقهم وطليقهم ما حييت.

وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم:

ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله وصار إلى المنصور أمر الربيع بخلع سواده والوقوف به على رؤوس اليمانية في المقصورة يوم الجمعة ثم قال قل لهم يقول لكم أمير المؤمنين قد عرفتم ما كان من إحساني إليه وحسن بلائي عنده وقديم نعمتي عليه والذي حاول من الفتنة ورام من البغي وأراد من شق العصا ومعاوثة الأعداء وإراقة الدماء وأنه قد استحق بهذا من فعله أليم العقاب

وعظيم العذاب وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه ورب نعمائه السابقة عنده لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه وما يؤمله من الخير العاجل والآجل عند العفو عن ظلم والصفح عن أساء وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم وغادرهم لو فيهم.

تأني علي فإن التآني نصف العفو!

أتى بعض الملوك برجل قد أجرم فأمر بضرب عنقه فقال له الرجل: يا مولاي! تأني علي فإن التآني نصف العفو! فعفا عنه.

فيك موضع للصنيعة:

أخذ مصعب بن الزبير رجلاً من أصحاب المختار بن أبي عبيد فأمراً بضرب عنقه فقال: أيها الأمير ما أقبح أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك هذا الذي يستضاء به فأتعلق بأطرافك وأقول: يا رب! سل مصعباً فيم قتلني؟ فقال مصعب: أطلقوه! قال: اجعل ما وهبت في حياتي من خفض! قال: أعطوه عشرة آلاف درهم! قال: بأبي أنت وأمي أشهد الله أن لابن قيس الرقيات خمسة آلاف! قال: ولم؟ قال: لقوله:

إنما مصعب شهاب من الله : تجلت عن وجهه الظلماء
يتقي الله في الأمور وقد : أفلح من كان همه الاتقاء
:

فضحك مصعب؛ وقال: فيك موضع للصنيعة. وأمره بملازمته وأحسن إليه معه حتى قتل مصعب.

إن عفوك لا يكون غدرًا!

قال بعض المشايخ؛ جرى بين شهرام المروزي وبين أبي مسلم الخراساني كلام شديد فما زال أبو مسلم يقول له إلى أن قال له شهرام بالغضب: كذبت! فلما قال له ذلك صمت أبو مسلم وندم شهرام وأقبل عليه معتذراً وخاضعاً متذلاً؛ فلما رأى ذلك أبو مسلم قال: لسان سبق ووهم أخطأ، وإنما الغضب شيطان وأنا جرأتك بطول احتمالي إياك؛ فإن كنت متعمداً فقد شاركك فيه، وإن كنت مغلوباً فالعذر يسعك؛ وقد عفونا عنك على كل حال. فقال شهرام: أيها الأمير! إن عفوك لا يكون غدرًا! قال:

أجل! قال: فإن عظم ذنبي لا يدع قلبي يسكن! ولج في الاعتذار فقال أبو مسلم: يا عجبي! كنت تسيء وأنا أحسن فإذا أحسنت أسيء؟!.

أذهب فأنت حر:

كان للمأمون خادم، وهو صاحب وضوئه، فبينما هو يصب الماء على يديه، إذ سقط الإناء من يده، فاغتاظ المأمون عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن الله يقول: "والكاظمين الغيظ". قال: قد كظمت غيظي عنك. قال: "والعافين عن الناس". قال: قد عفوت عنك. قال: "والله يحب المحسنين". قال: اذهب فأنت حر.

فكان عذره له أحسن من إحيائه إياه:

ومدح شاعر أبا حاتم كاتب الديوان فلم يصله بشيء فأنشأ يقول:

أول ما أتلفت من ماله	:	أو لأصيرنّ إلى حاكم
خمسین ألفاً وضحاً كلها	:	خمسین ألفاً في شري هاشم
	:	من مال هذا الملك النائم
	:	
	:	

فاحتفظها صاحب الخبر ورفعها إلى الرشيد فقال: صدق، لولا أنني نائم ما كانت أموري تجري على هذا السبيل: وأمر بإخراج الجرائد من الدار إليه. فأول ما وجد على منصور بن زياد عشرة آلاف ألف درهم. فحدث صالح صاحب المصلّى قال: دعاني الرشيد وهو على كرسي فقال: اذهب الساعة فخذ منصور بن زياد بالخروج من عشرة آلاف ألف درهم فإن لم يوردها بينك وبين المغرب فاضرب عنقه وجنني برأسه وأنا نفي من المهدي لأن أنت دافعت عنه لأضربنّ عنقك. قلت: يا سيدي فإن أعطاني بعضها ووَقَّت لي في بعضها وقتاً؟ قال: لا. فخرجت فأعلمته الخبر فأسقط في يده وقال: ما أراد إلا قتلي لأنه يعلم أن مقدار مالي لا يبلغ ما به طالبني، ولكن تأذن لي أن أدخل بيتي فأودع أهلي؟ فأذنت له فدخل ودخلت معه وبقيت واقفاً فبعثت إلى أمهات أولاده وبناته ونسائه أن اخرجن إلي كما كنتن تخرجن عند موتي فإن هذا آخر أيامي ولا ستر لكن بعدي. فخرجن إليه مشققات الجيوب مخمّشات الوجوه بصراخ شديد. فبكى إليهن

وبكين إليه وبكيت معهن ثم ودعهن وخرج وهن في أثره واضعات التراب على رؤوسهن، ثم قال: يا أبا مقاتل لو أذنت لي في المصير إلى أبي عليّ يحيى بن خالد البرمكي فكنت أوصيه بولدي وأهلي؟ فقلت: امض.

وصرنا إليه وقد نزل في ساعته وهو على كرسي يغسل يده، فلما توسطنا الدار جعل منصور يبكي ويمشي إليه حتى دنا منه وهو يسأله عن الحال فيمنعه البكاء من إخباره، فأقصصت عليه قصته فقال: ارجع إلى أمير المؤمنين وسله أن يهبه لي. قلت: ما لي إلى ذلك سبيل ولا يراني إلا والمال معي أو رأس منصور كما أمرني. فقال لخدام له: انت فلانة فسلها كم لنا عندها من المال. فانصرف وذكر أن عندها خمسة آلاف ألف درهم. فقال لي: احملها وابلغ أمير المؤمنين رسالتي في باقيها. فأعلمته أن لا سبيل إلى حمل بعضها دون بعض. فأطرق ثم رفع رأسه ثم قال: يا غلام انت دنائير فقل لها تبعث إلي بالجواهر الذي وهبه لها أمير المؤمنين. فبعثت إليه بحق فقال: هذا جوهر ابتعناه لأمر المؤمنين بمائتي ألف دينار وهو عارف به وقد جعلته له بمائة ألف دينار وهو ألفا ألف درهم، واحمل إليه هذه السبعة الآلاف والألف والرسالة. فأبيت.

فوجه إلى الفضل ابنه: إنك كنت أعلمتني أنك على ابتياع ضيعة نفيسة وقد أصبتها ولا يوجد مثلها في كل وقت وابتياعها فرصة فاحمل إلي مالها. فعاد الرسول ومعه ألفا ألف درهم. ووجه إلى جعفر ابنه أن يوجه إليه بألف ألف درهم. فأنفذ إليه صكاً أو صكاً إلى الجهذ بها. فقبضت المال ووافيت الرشيد قبل المغرب وهو منتصب على حالته ينتظر رجوعي إليه. فأخبرته الخبر فلما انتهيت إلى خبر الحقّة قال: صدق وقد ظننت أنه لا ينجي غيرهم، احمل هذا المال أجمع إلى أبي عليّ وارده عليه وأعلمه أنني قد قبلت ذلك عن منصور وردته عليه. ففعلت ذلك.

ولقيني بعد ذلك يحيى منصرفاً من الدار ومنصور معه يسايره ويضحكه والناس خلفه فقلت: والله لأنصح هذا الشيخ الكريم. فدخلت معه ودخل منصور ودعا بغدائه، فلما نهض منصور قلت: يا أبا عليّ إني والله ما رجعت معك إلا لنصحك وقد رأيت مكان هذا الرجل منك وكنا حين حملت المال أنهضته معي فوالله ما قطع نصف الصحن من الدار

حتى تمثل بهذا البيت:

فما بُقيا علي تركتmani :: ولكن خفتما صرد النبال

فعارض أكرم فعلك بالأُم خصلة فيه فدعاني الامتعاض من ذلك إلى إخبارك، فإني من تعلم في مودتك وطاعتك. فأكب على الأرض ساعة ثم رفع رأسه فقال: اعذره فقد كان عقله عزب عنه في ذلك الوقت. قال: فكان عذره له أحسن من إحيائه إياه⁽¹⁾.

والأمر قريب والموعد الصراط والحكم الله:

قيل: وأمر الرشيد يحيى بن خالد بحبس رجل جنى جنايةً. فحبسه يحيى وسأله عنه الرشيد فقيل: هو كثير الصلاة والدعاء. فقال للموكل به: اعرض عليه أن يكلمني ويسألني إطلاقه. فقال له ذلك الموكل به فقال: قل لأُمير المؤمنين إن كل يوم يمضي من نعمتك ينقص من محنتي والأمر قريب والموعد الصراط والحكم الله. فخرّ الرشيد ساجداً مغشياً عليه وأمر بإطلاقه⁽²⁾.

لست بأرحم لك ممن أوجب عليك الحد:

قيل: وأُتي الرشيد برجل قد وجب عليه الحد فأمر أن يضرب فضرب. فقال: يا أُمير المؤمنين قتلنتني! قال: الحق قتلك. قال: ارحمني! قال: لست بأرحم لك ممن أوجب عليك الحد. ثم أمر بإطلاقه.

ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة:

قال الشعبي: دخلت يوماً على ابن هبيرة وبين يديه رجل يريد قتله، فقلت: أصلح الله الأمير، أنت على فعل مالم تفعل أقدر منك على ما فعلت، ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة. قال: صدقت يا شعبي. وأمر بالرجل إلى السجن⁽³⁾.

(1) البيهقي، المحاسن والمساوي، ص 217.

(2) البيهقي، المحاسن والمساوي، ص 217.

(3) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 75/1.

إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك!

وسمع الشعبي رجلاً يشتبه فقال: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك! ثم تمثّل:

**ليست الأحلام في حال الرضى :: إنما الأحلام في حال الغضب
فأعطه ما يحب من العفو:**

قال المدائني: أراد الحجاج قتل من بقي في ديوان بن الأشعث من أصحابه حين ظفر بهم، فقال له قتيبة بن مسلم: أصلح الله الأمير إن الله قد أعطاك ما تحب من الظفر، فأعطه ما يحب من العفو، فبلغ ذلك عبد الملك، فقال: لله در قتيبة لقد أبلغ في الموعظة، ولقد أحسن الحجاج في القبول⁽¹⁾.

ويحك! بأي وجه تلقاني؟

هجا نهار بن توسعة قتيبة بن مسلم، وكان ولي خراسان بعد يزيد بن المهلب، فقال:

**كانت خراسان أرضاً إذ يزيد بها :: وكل باب من الخيرات مفتوح
فبدلت بعده قرداً نطوف به :: كأنما وجهه بالخل منضوح**

فطلبه فهرب منه، ثم دخل عليه بكتاب أمه، فقال له: ويحك! بأي وجه تلقاني؟ قال: بالوجه الذي ألقى به ربي وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك. فقر به ووصله وأحسن إليه⁽²⁾.

لم حُلمت عنه؟

وقال المدائني: شتم رجل المهلب بن أبي صفرة فلم يردد عليه، فقليل له: لم حُلمت عنه؟ قال: لم أعرف مساويه، وكرهت أن أبهتّه بما ليس فيه. وشتم رجل فقال الرجل لشاطمه: يا هذا، ما ستر الله عليك من عورتي أكثر، وأنشد:

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 447/2.

(2) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 136/1.

لن يدرك المجد أقوامٌ وإن كرموا
أو يُشتموا فترى الألوان مشرقة
حتى يُذلوا وإن عزوا لأقوام
لا صفح ذل ولكن صفح أحلام⁽¹⁾

والله ماكان شيء من هذا:
وهجاه رجلٌ قضى عليه لزوجته فقال:

فُتِنَ الشعبي لما
فتنته حين ولت
فتنته بقوام
وبنان كالمداري
من فتاة حين قامت
كيف لو أبصر منها
لصبا حتى تراه
رفع الطرف إليها
ثم هزت منكبيها
وبخطي حاجبيها
وبحسن معصمها
رفعت مأمتيها
نحرها أو ساعديها
ساجداً بين يديها

قال للجلواز: قدمها وأحضر شاهديها
فقضى جوراً على الخصم ولم يقض عليها

بنت عيسى بن جراد
ما على الشعبي لم يؤ
ظلم الخصم لديها
ف الذي كان عليها

فلما سمع الشعبي الأبيات ضحك وقال: لا والله ماكان شيء من
هذا⁽²⁾.

(1) المبرد، الفاضل، 27.

(2) المرزباني، نور القبس، 88/1.

وما ينفك أن يعذب أخوك المسلم بسببك:

ذكر عبد الغني المقدسي في كتابه محنة الإمام أحمد بسنده إلى أبي علي حنبل قال: حضرت أبا عبد الله - أي أحمد بن حنبل -، وأتاه رجل في مسجدنا، وكان الرجل حسن الهيئة كأنه كان مع السلطان، فجلس حتى انصرف من كان عند أبي عبد الله، ثم دنا منه فرفعه أبو عبد الله لما رأى من هيئته، فقال الرجل: يا أبا عبد الله! اجعلني في حل، قال أحمد: من ماذا؟! قال: كنت حاضراً يوم ضربت، وما أعنت ولا تكلمت، إلا أني حضرت ذلك.

فأطرق أبو عبد الله ثم رفع رأسه إليه فقال: أحدث لله توبةً ولا تعد إلى مثل ذلك الموقف، فقال له: يا أبا عبد الله! أنا تائب إلى الله تعالى من السلطان، قال له أبو عبد الله: فأنت في حل وكل من ذكرني إلا مبتدع، قال أبو عبد الله: وقد جعلت أبا إسحاق - المعتصم - في حل، ورأيت الله عز وجل يقول: {وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} [النور: ٢٢]، وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قضية مسطح.

ثم قال أبو عبد الله: العفو أفضل، وما ينفك أن يعذب أخوك المسلم بسببك، لكن لتعف وتصفح عنه فيغفر الله لك كما وعدك.

فالحق يسعهم ويخرجهم:

قال المدائني أتى الأحنف بن قيس مصعب بن الزبير فكلمه في قوم حبسهم فقال أصلح الله الأمير إن كان حبسوا في باطل فالحق يسعهم ويخرجهم وإن كانوا حبسوا بحق فالحق يسعهم⁽¹⁾.

كثر بكاؤك الليلة فما السبب؟:

ساق المقدسي رحمه الله بسنده إلى أبي علي الحسن بن عبد الله الخرقى قال: بت مع أحمد بن حنبل ليلة، فلم أره ينام إلا يبكي إلى أن أصبح، فقلت: يا أبا عبد الله كثر بكاؤك الليلة فما السبب؟ قال أحمد: ذكرت ضرب المعتصم إياي ومر بي في الدرس قوله تعالى: {وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً}

(1) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، 178/1.

مَثَلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى: ٤٠]، فسجدت وأحلتته من ضربي في السجود.

رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل؟!:

ذكر ابن رجب في طبقات الحنابلة عن أبي محمد فوزان قال: جاء رجل إلى الإمام أحمد فقال له: نكتب عن محمد بن منصور الطوسي؟! فقال: إذا لم تكتب عن محمد بن منصور فعمن يكون ذلك؟! قالها مراراً، فقال الرجل: إنه يتكلم فيك، فقال أحمد رحمه الله تعالى: رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل؟!.

لا يزيد على قوله اللهم أغفر للمعتصم:

وما أعجب! مواقف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى، اقرؤوا هذا الكتاب محنة الإمام أحمد بن حنبل، انظروا مواقفه مع من عاداه ومع من ضربه ومع من سبه وشتمه، فرحم الله الإمام أحمد.

سمعت إسحاق بن أحمد القطان البغدادي بتستر يقول كان لنا جار ببغداد كنا نسقيه طبيب القراء وكان يتفقد الصالحين ويتعاهدهم فقال لي دخلت يوماً على أحمد بن حنبل فإذا هو مغموم مكروب فقلت ما لك يا أبا عبد الله قال خير قلت وما الخير قال امتحنت بتلك المحنة حتى ضربت ثم عالجوني وبرأت إلا أنه بقى في صلبى موضع يوجعني هو أشد علي من ذلك الضرب قال قلت اكشف لي عن صلبك قال فكشف لي فلم أر فيه إلا أثر الضرب فقط فقلت ليس لي بذي معرفة ولكن سأستخبر عن هذا قال فخرجت من عنده حتى أتيت صاحب الحبس وكان بيني وبينه فضل معرفة فقلت له أدخل الحبس في حاجة قال أدخل فدخلت وجمعت فتيانهم وكان معي دريهمات فرققتها عليهم وجعلت أحدثهم حتى أنسوا بي ثم قلت من منكم ضرب أكثر قال فأخذوا يتفاخرون حتى اتفقوا على واحد منهم أنه أكثرهم ضرباً وأشدهم صبراً قال فقلت له أسألك عن شيء فقال هات فقلت شيخ ضعيف ليس صناعته كصناعتكم ضرب على الجوع للقتل سيأطأ يسيرة إلا أنه لم يمت وعالجوه وبرأ إلا أن موضعاً في صلبه يوجعه وجعا ليس له عليه صبر قال فضحك فقلت مالك قال الذي عالجه كان حائكاً قلت إيش الخبر قال ترك في صلبه قطعة لحم مبيقة لم يقلعها قلت فما الحيلة قال يبط صلبه وتؤخذ تلك القطعة ويرمى بها وإن تركت بلغت إلى فؤاده فقتلته

قال فخرجت من الحبس فدخلت على أحمد بن حنبل فوجدته على حالته فقصصت عليه القصة قال ومن يبطه قلت أنا قال: أو تفعل قلت: نعم قال: فقام فدخل البيت ثم خرج وبیده مكدتان وعلى كتفه فوطه فوضع إحدهما لي والأخرى له ثم قعد عليها وقال: استخر الله فكشفت الفوطه عن صلبه وقلت: أرني موضع الوجع فقال ضع إصبعك عليه فإني أخبرك به فوضعت إصبعي وقلت ها هنا موضع الوجع قال ههنا أحمد الله على العافق فقلت ها هنا قال هاهنا أحمد الله على العافق فقلت: هاهنا قال: هاهنا أسأل الله العافيه قال: فعلمت أنه موضع الوجع قال: فوضعت الموضع عليه فلما أحس بحرارة الموضع وضع يده على رأسه وجعل يقول اللهم اغفر للمعتصم حتى بططته فأخذت القطعه الميتة ورميت بها وشددت العصابة عليه وهو لا يزيد على قوله اللهم اغفر للمعتصم قال ثم هدأ وسكن ثم قال كأني كنت معلقاً فأصدرت قلت يا أبا عبد الله إن الناس إذا امتحنوا محنة دعوا على من ظلمهم ورأيتك تدعو للمعتصم قال إني أفكرت فيما تقول وهو ابن عم رسول الله ﷺ فكرهت أن آتي يوم القيامة وبينى وبين أحد من قرابته خصومة هو مني في حل⁽¹⁾.

كيف تمشين؟:

ويقول عبد الله بن محمد الصارفي: كنت عند أبي عبد الله البخاري في منزله فجاءته جارية وأرادت دخول المنزل فعثرت على محبرة بين يديه فقال لها: كيف تمشين؟ قالت إذا لم يكن طريق كيف أمشي فبسط يديه وقال لها اذهبي فقد أعتقتك. قال فقبل له فيما بعد يا أبا عبد الله أغضبتك الجارية قال إن كانت أغضبتني فإني أرضيت نفسي بما فعلت.

فما كنا عند الحسن إلا مثل الفراريج:

عن سعيد بن عبد الرحمن عن مالك بن دينار قال: حبس الحكم بن أيوب الثقفي علي بن زيد بن جدعان، والحسن يومئذ مستخف، ونحن معه مستخفون، فأتاه الحسن ليلاً وأتيناها فأذن له وأجلسه معه على السرير فما كنا عند الحسن إلا مثل الفراريج، فذكر يوسف النبي عليه الصلاة والسلام

(1) محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، 1397 - 1977، ص 166.

وإخوته فقال: باعوا أخاهم وحزنوا أباهم ومكانه من الله مكانه، ثم لقي يوسف ما لقي من الحبس وكيد النساء، ثم أداله منهم ورفع ذكره وأعلى كعبه، وجعله أميناً على خزائن الأرض فلما أكمل له أمره، وجمع أهله، وأتاه بأبويه، وأقر عينه قالوا: ” تالله لقد آثرك علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ”. قال الحكم: وأنا أقول لا تثريب عليكم، لو لم أجد إلا ثوبي هذا لوأريتكم به، وأطلق علياً⁽¹⁾.

جاء ليسرقنا فسرقتناه:

وتأمل في قصه مالك بن دينار والتي ذكرها ابن الجوزي، وهو يبين لنا عظيم الفطنة والحركة، في مسألة اصطياده الناس، يذكر أنه جاءه رجل لص إلى بيته ليسرق، فإذا بالبيت ليس فيه ما يستدعي السرقة وبصر به مالك فقال: يا هذا فاتك حظك من الدنيا؟ قال: نعم قال: فهل لك في شيء من الآخرة، قال فماذا قال: توضأ فصل ركعتين، ثم ما لبث أن أخذه صلاة الفجر، فقال له بعض الناس من هذا؟ قال: جاء ليسرقنا فسرقتناه.

إن مع خطئك صواباً كثيراً:

قال الأصمعي: استأذن الشعبي على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل فأذن له، فلما مثل بين يديه قال: أنا الشعبي يا أمير المؤمنين، قال عن علم بك أذن لك، قال الشعبي: فعقدت أولة إلى أن قال: من أشعر الناس؟ فقال الأخطل: أنا ولم أعرفه فقلت: كذبت يا شيخ، امرؤ القيس أشعر منك، قال: صدقت، ولكن أمير المؤمنين سألني عن أهل زمانه فخبرتة، فإذا كذبت امرءاً فاعرف ما خطب قولك، فعقدت في يدي ثانية أخطأت فيها، فنهض الشيخ فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين، فوجم، وعلمت أنني قد أخطأت الثالثة، إذ صيرت أمير المؤمنين ولي مسألتني، فالتفت إلي عبد الملك فقال لي: هذا الأخطل؛ يا شعبي، لا يهولنك ما كان منك، فإن مع خطئك صواباً كثيراً⁽²⁾.

إن مثلك إذا عفا لم يعدد وإذا صفح لم يثرب:

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، 4 / 318.

(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 3 / 184.

قال ابن شهاب الزهري: دخلت على عبد الملك بن مروان في رجال من أهل المدينة فرآني أحدثهم سنا فقال لي: من أنت فانتسبت له فقال: لقد كان أبوك وعمك نعاقيين في فتنة ابن الأشعث فقلت: يا أمير المؤمنين إن مثلك إذا عفا لم يعدد وإذا صفح لم يثرب.

فأعجبه ذلك وقال: أين نشأت قلت: بالمدينة قال: عند من طلبت قلت: سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وقبيصة بن ذؤيب قال: فأين أنت من عروة بن الزبير فإنه بحر لا تكدره الدلاء.

فلما انصرفت من عنده لم أبارح عروة بن الزبير حتى مات (1).

ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام:

كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري: عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك أصبحت شيخاً كبيراً وقد أثقلتك نعم الله عليك فيما أصح من بدنك وأطال من عمرك وعلمت حجج الله تعالى مما علمك من كتابه وفقهك فيه من دينه وفهمك من سنة نبيه فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك وكل حجة يحتج بها عليك الغرض الأقصى ابتلى في ذلك شكرك وأبدى فيه فضله عليك وقد قال عز وجل: {لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَيْنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٢٧]؛ فانظر أي رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عز وجل فسألك عن نعمه عليك كيف رعيته وعن حججه عليك كيف قضيتها فلا تحسبن الله عز وجل راضياً منك بالتعذير ولا قابلاً منك التقصير، هيهات ليس ذاك أخذ على العلماء في كتابه إذ قال: {لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ} [آل عمران: ١٨٧]؛ إنك تقول إنك جدل ماهر عالم قد جادلت الناس فجدلتهم وخاصمتهم فخصمتهم إدلالاً منك بفهمك واقتداراً منك برأيك فأين تذهب عن قول الله عز وجل: {هَاتِئْتُمُوهَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّدُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ} [النساء: ١٠٩]؛ اعلم أن أدنى ما ارتكبت وأعظم ما احتقبت أن أنست الظالم وسهلت له طريق الغي بدنوك حين أدنيت وإجابتك حين دعيت، فما أخلفك أن ينوه غداً باسمك مع الجريمة وأن

تسأل عما أردت باغضائك عن ظلم الظلمة، إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، جعلوك قطباً تدور عليه رحي باطلهم وجسراً يعبرون بك إلى بلاتهم وسلماً إلى ضلاتهم، يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجاهل إليهم، فلم يبلغ أخص وزرائهم ولا أقوى أعوانهم لهم إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أقل ما أعطوك في قدر ما أخذوا منك! فانظر لنفسك فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول، وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً، وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس مبعلاً وكيف صيانتك لكسوة من جعلك بكسوته مستتراً، وكيف قربك وبعذك ممن أمرك أن تكون منه قريباً، ما لك لا تتنبه من نعستك وتستقيل من عثرتك؟! فتقول: والله ما قمت لله عز وجل مقاماً واحداً أحبي له فيه ديناً ولا أميت له فيه باطلاً، أين شكرك لمن استحملك كتابه واستودعك علمه؟! ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله عز وجل فيهم: { فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَصَ هَذَا الْأَدْنَى } [الأعراف: ١٦٩] الآية؛ إنك لست في دار مقام، قد أودنت بالرحيل، فما بقاء المرء بعد أقرانه؟! طوبى لمن كان في الدنيا على وجل، ما يؤمن من أن يموت وتبقى ذنوبه من بعده؟ إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك، ليس أحد أهلاً أن ترد له على ظهرك، ذهبت اللذة وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيره! احذر فقد أنيت، وتخلص فقد وهلت، إنك تعامل من لا يجهل، والذي يحفظ عليك لا يغفل، تجهز فقد دنا منك سفر بعيد، وداو دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أنني أردت توبيخك وتعيبك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك وترد عليك ما عذب عنك من حلمك وذكرت قوله تعالى: { وَذَكَرْ فَإِنَّ الدَّكْرَى نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ } [الذاريات: ٥٥]، أغفلت ذكر من مضى من أسنانك وأقرانك وبقيت بعدهم كقرن أعصب فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه دخر لك خيراً ممنعه أو علمك شيئاً جهلوه؛ فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ورسوخ علمك وحضور أجلك فمن يلوم الحدث في سنه الجاهل في علمه المأفون في رأيه

المدخول في عقله؟!!

ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
(1)

ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب:

وقال مالك بن دينار ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من قسوة القلب ولا غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أشجع الناس إذا لقي الناس وأرحم الناس إذا استحكم البأس ويقال أرق الناس قلباً أقلهم ذنباً وقال عمر بن العزيز استدعوا العفو عن الناس والرحمة من الله بالرحمة لهم وفي بعض الكتب المنزلة يقول الله تعالى: إن كنتم تريدون رحمتي فارحموا عبادي:

ابغ للناس من الخي :: ركما تبغي لنفسك (2)

* * *

(1) صفقاالصفوة، 160/2 - 164.

(2) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 1 / 155.

مواقف الخائفين
من الله

مواقف عربية

مواقف الخائفين من الله

الخوف من الله تعالى:

الخوف يعني: اضطراب القلب وحركته من تذكر المخوف.

يقول ابن رجب: القدر الواجب من الخوف ما حمل على أداء الفرائض واجتناب المحارم، فإن زاد على ذلك بحيث صار باعثاً للنفوس على التشمير في نوافل الطاعات، والانكفاف عن دقائق المكروهات كان ذلك فضلاً محموداً.

ويقول الحافظ ابن حجر: الخوف من المقامات العلية، هو من لوازم الإيمان، قال تعالى: {وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧٥].

وقد قال المولي عز وجل: {وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسٍ بِإِيدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾} [المائدة: ٢٧ - ٢٨].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لَعَلَّ اللَّهَ مِنْ خِيفَتِهِ بِالْغَيْبِ فَمَنْ أَعْتَدَى بِعَذَابِكُمْ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾} [المائدة: ٩٤].

{وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾} وقال الله لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٥١﴾} [النحل: ٤٩ - ٥١].

{قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾} [الزمر: ١٣].

{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِشْرًا أَوْ غَيْرَ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِلَهُ مِنْ تَلْقَائِي أَنفُسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} [يونس: ١٥].

{الرَّكَنُ أَحْكَمُ آيَتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٌ ﴿١﴾ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾} [هود: ١ - ٣].

{أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ

رَحْمَتُهُ، وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ أَلْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ { [الإسراء: ٥٧ - ٥٨].

{ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿٤٦﴾ فِيْئَاتٍ إِلَى رَبِّكَ يُدْخِلُكَ فِيْهَا مِنْ رَّحْمَتِهِ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ } { [الإنسان: ٥ - ٨].

{ إِنَّمَا نَطْعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿١﴾ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَتَطِيرًا ﴿١٠﴾ } { [الإنسان: ٩ - ١٠].

{ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ } { [النازعات: ٤٠ - ٤١].

وعن عائشة رضي الله عنه زوج النبي ﷺ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ} [المؤمنون: ٦٠]. قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: "لا يا بنت الصديق. ولكنهم الذين يصومون، ويصلون، ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات- (1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عدل. وشاب نشأ في عبادة الله. ورجل قلبه معلق في المساجد. ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه. ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال. فقال: إني أخاف الله. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. ورجل ذكر الله خاليا، ففاضت عيناه- (2).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا

(1) الترمذي (3175) واللفظ له، وصححه الألباني، صحيح سنن الترمذي (2537). وابن ماجه (4198).

(2) البخاري - الفتح 3 (1423) واللفظ له. ومسلم (1031).

إنَّ سلعة الله الجنة⁽¹⁾.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]. قال رسول الله ﷺ: "لو أنَّ قطرة من الزَّقوم قطرت في دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم، فكيف بمن يكون طعامه⁽²⁾."

وقال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه لما طعن: "لو أنَّ لي طلاع الأرض ذهباً لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه."

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة: رأيت عمر بن الخطَّاب أخذ تبنة من الأرض، فقال: يا ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكن شيئاً ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسياً منسياً.

وقال ابن عمر رضي الله عنه كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه فقال لي: ضع رأسي. قال: فوضعتُه على الأرض. فقال: ويلى وويل أمي إن لم يرحمني ربِّي.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: وعد الله المؤمنين الذين خافوا مقامه وأدوا فرائضه الجنة.

وبكى أبو هريرة رضي الله عنه في مرضه فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أما إنِّي لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بعد سفري وقلة زادي، وإنِّي أمسيت في صعود على جنة أو نار، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي. وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه جالس في أصل جبل يخشى أن ينقلب عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرَّ على أنفه، فقال به هكذا."

وعن عائشة رضي الله عنه أنَّها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال. قالت: فدخلت عليهما، فقلت: يا

(1) الترمذي (2450) وقال: هذا حديث حسن غريب. وصححه الحاكم 4 (307، 308) ووافقه الذهبي.

(2) سنن الترمذي (2585) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (4325)، وأحمد (300/1).

أبت، كيف تجدك؟، ويا بلال كيف تجدك؟. قالت: فكان أبوبكر إذا أخذته الحمى يقول:

كَلَّ امرئ مصبِّح في أهله :: والموت أدنى من شرك نعله

وكان عليّ بن الحسين إذا توضأً اصفرّ وتغيّر، فيقال: مالك؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟.

وقال ذو النّون: "النّاس على الطّريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلّوا عن الطّريق—.

وقال الحسن البصريّ - رحمه الله -: إنّ المؤمنين قوم ذلّت والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان حتّى حسبهم الجاهل مرضى، وهم والله أصحاب القلوب، ألا تراه يقول: { وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ } [فاطر: ٣٤]، والله لقد كابدوا في الدّنيا حزنا شديدا وجرى عليهم ما جرى على من كان قبلهم—.

وعن الحسن - رحمه الله - قال: لقد مضى بين يديكم أقوام لو أنّ أحدهم أنفق عدد هذا الحصى لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم—.

وعن الحسن - رحمه الله - في قوله تعالى: { وَيَدْعُوكَ رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ } [الأنبياء: ٩٠]، قال: الخوف الدائم في القلب—.

وعن الحسن - رحمه الله - قال: أبصر أبو بكر طائرا على شجرة. فقال: طوبى لك يا طائر تأكل الثّمرة، وتقع على الشّجر، لوددت أنّي ثمرة ينقرها الطّير—.

وقال الحسن البصريّ - رحمه الله -: إنّ الرّجل يذنب الذّنْب فما ينسأه، وما يزال متخوّفا منه حتّى يدخل الجنّة—.

وقال الحسن البصريّ - رحمه الله -: "والله ما مضى مؤمن ولا بقي إلّا وهو يخاف النّفاق، وما أمنه إلّا منافق.

وقال الحسن البصريّ - رحمه الله -: الرّجاء والخوف مطيّتا المؤمن—.

وقال الحسن البصريّ - رحمه الله - في قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَوْأَمًا

وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠]. قال: كانوا يعملون ما عملوا من أعمال البرّ وهم يخافون ألاّ ينجيهم ذلك من عذاب الله.

وقال عمر بن عبد العزيز - رحمه الله -: من خاف الله أخاف الله منه كلّ شيء، ومن لم يخف الله خاف من كلّ شيء.

وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز للمغيرة بن حكيم: "يا مغيرة، إنّه قد يكون في الناس من هو أكثر صلاة وصياما من عمر، وما رأيت أحدا قطّ كان أشدّ خوفا من ربّه من عمر. كان إذا صلّى العشاء قعد في مسجده ثمّ رفع يديه، فلم يزل يبكي حتّى تغلبه عيناه. ثمّ ينتبه فلا يزال يبكي حتّى تغلبه عيناه.

وقال إبراهيم التيمي: ينبغي لمن لم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النار؛ لأنّ أهل الجنة قالوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ} [فاطر: ٣٤]، وينبغي لمن لم يشفق أن يخاف ألاّ يكون من أهل الجنة؛ لأنهم قالوا: {إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ} [الطور: ٢٦].

وعن حفص بن عمر قال: بكى الحسن، فقيل: ما يبكيك؟ قال: "أخاف أن يطرحني غدا في النار ولا يبالي.

وقال هرم بن حيّان: وددت والله أنّي شجرة أكلتني ناقة، ثمّ قذفتني بعرا، ولم أكابد الحساب يوم القيامة. إنّني أخاف الداهية الكبرى.

وقال أبو سليمان الداراني: أصل كلّ خير في الدّنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل وكلّ قلب ليس فيه خوف فهو قلب خرب.

وعنه قال: من حسن ظنّه بالله عز وجل ثمّ لا يخاف الله فهو مخدوع.

وقال الغزالي - رحمه الله -: إنّ الرّجاء والخوف جناحان بهما يطير المقرّبون إلى كلّ مقام محمود. ومطيّتان بهما يقطع من طرق الآخرة كلّ عقبة لئود.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: الخوف المحمود: ما حجزك عن محارم الله.

و الخوف المحمود يقترن بالرجاء كما في قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ

عَذَابُهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ { [الإسراء: ٥٧]، وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت، فقال: "كيف تجدك؟" — قال والله يا رسول الله إني أرجو الله وإني أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: "لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وأمنه مما يخاف" — (1). وقد وعد الله الخائفين بالجنة فقال: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ } [النازعات: ٤٠ - ٤١].

من فوائد الخوف:

- الفوز بالجنة والنجاة من النار.
- الأمن من الفرع الأكبر يوم القيامة.
- دليل كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- ينثمر محبة الله وطاعته.
- سبب لسعادة العبد في الدارين.
- دليل على صفاء القلب وطهارة النفس.
- سبب لهداية القلب.
- يبعد الإنسان عن الوقوع في المعاصي والسيئات.
- يجعل الإنسان يخلص عمله لله تعالى. وألا يضيعه بالتترك أو المعصية.
- يورث المسلم الشفقة على الخلق.
- يحمل الإنسان المسلم على التخلق بالأخلاق الحسنة وتجنب الكبر والعجب.

(1) الترمذي (983) واللفظ له، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (4261) وقال النووي: إسناده حسن. وحسنه الألباني، صحيح ابن ماجه (3436) وهو في الصحيحة (1051).

ومن المواقف:

أجر النعمان عبدك من النار:

كان أبو حنيفة شديد الخوف من الله تعالى، فقرأ بنا علي بن الحسين المؤذن ليلة في العشاء الآخرة سورة {إِذَا زُلْزِلَتْ} [الزلزلة: ١]، وأبو حنيفة خلفه، فلما قضى الصلاة، وخرج الناس، نظرت إلى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس فقلت: أقوم لا يشتغل قلبه بي، فلما خرجت تركت القنديل، ولم يكن فيه إلا زيت قليل، فجئت وقد طلع الفجر، وهو قائم، وقد أخذ بلحية نفسه، وهو يقول: يا من يجزي بمثقال ذرة خير خيراً، ويا من يجزي بمثقال ذرة شر شراً، أجر النعمان عبدك من النار، ومما يقرب منها من السوء وأدخله في سعة رحمتك، قال: فأذنت، وإذا بالقنديل يزهر، وهو قائم فلما دخلت قال لي: تريد أن تأخذ القنديل؟ قلت: قد أذنت لصلاة الغداة ” - فقال: اكتم ما رأيته، وركع ركعتين، وجلس حتى أقمت الصلاة، وصلى معنا.

فأنت في الأمنية فاعملي:

وفي هذا يروي ابن أبي الدنيا أن إبراهيم التيمي قال: مثلت نفسي في الجنة أكل من ثمارها، وأشرب من أنهارها، وأعانق أبكارها، ثم مثلت نفسي في النار أكل من زقومها، وأشرب من صديدها، وأعالج سلاسلها وأغللها، فقلت لنفسي: أي نفس، أي شيء تريدين؟ قالت: أريد أن أردد إلى الدنيا فأعمل صالحاً، قال: قلت: فأنت في الأمنية فاعملي.

إن لي ربا كثير المعروف:

وقال ثابت البناني: كان شاب به رهق فلما نزل به الموت انكبت عليه أمه وهي تقول: يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا قال: يا أماه إن لي ربا كثير المعروف وإنني لأرجو اليوم ألا يعدمني بعض معروفه فقال ثابت: فهذا يحسن ظنه بالله في حاله تلك.

القصص بعدك حرام:

وقال عمر بن ذر يوماً في كلامه - وعنده ابن أبي داود وأبو حنيفة - أتعذبنا وفي أجوافنا التوحيد؟ لا أراك تفعل اللهم اغفر لمن لم يزل على مثل حال السحرة في الساعات التي غفرت لهم فإنهم قالوا: {ءَامَنَّا بِرَبِّ

الْعَالَمِينَ } [الأعراف: ١٢١]، فقال أبو حنيفة: رحمك الله القصص بعدك حرام.
إن أحبكما إلي أحسنكما ظنا بي:

و كان يحيى بن زكريا إذا لقي عيسى ابن مريم عليهما السلام: عبس
وإذا لقيه عيسى تبسم فقال له عيسى: تلقاني عابسا كأنك آيس؟ فقال له
يحيى: تلقائي ضاحكا كأنك آمن؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهما: إن
أحبكما إلي أحسنكما ظنا بي.

الباب الذي بينك وبين الله تعالى:

حدث إبراهيم بن الجنيد، حدثنا شيخ من عبد القيس، قال: سمعتهم
يقولون: أن رجلا أراد امرأة عن نفسها، فقالت له: أنت قد سمعت الحديث
وقرأت القرآن فأنت أعلم. فقال لها: فأغلقي أبواب القصر، فأغلقتها. فدنا
منها، فقالت: هنا باب لم أغلقه. قال: أي باب؟ قالت: الباب الذي بينك وبين
الله تعالى. قال: فلم يعرض لها:.

لخفت أن أكون أنا هو:

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "لو نادى مناد من السماء: أيها
الناس إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلا واحدا لخفت أن أكون أنا هو.

من خاف الموت خشي الفوت:

(خرج عمر رضي الله عنه يوما إلى السوق ومعه الجارود، فإذا امرأة
عجوز فسلم عليها عمر، فردّت عليه، وقالت هيه يا عمير: عهدتك وأنت
تسمّى عميرا في سوق عكاظ، تصارع الصبيان فلم تذهب الأيام حتّى
سمعت عمر، ثمّ قليل سمعت أمير المؤمنين: فاتّق الله في الرّعيّة. واعلم أنّه
من خاف الموت خشي الفوت. فبكى عمر. فقال الجارود: لقد اجترأت على
أمير المؤمنين وأبكيته. فأشار إليه عمر: أن دعها.

فلما فرغ قال: أما تعرف هذه؟ قال: لا. قال: "هذه خولة ابنة حكيم التي
سمع الله قولها، فعمر أخرى أن يسمع كلامها. أشار إلى قوله تعالى : {قَدْ
سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَدِّلُكَ فِي زَوْجِهَا} [المجادلة: ١]. وهي خولة هذه.

يا كعب، خوّفنا:

وعن كعب قال: قال لي عمر بن الخطّاب رضي الله عنه يوماً وأنا عنده: “يا كعب، خوّفنا— قال فقلت: يا أمير المؤمنين أو ليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله ﷺ قال: “بلى. ولكن يا كعب، خوّفنا— قال قلت: يا أمير المؤمنين، اعمل عمل رجل لو وافيت القيامة بعمل سبعين نبياً لأزدرأت عملك ممّا ترى.

كلّما اشتهيت اشتريت:

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: “رأى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه في يدي لحماً معلّقا، قال: “ما هذا يا جابر؟— قلت : اشتهيت لحماً، فاشتريته. فقال عمر: “كلّما اشتهيت اشتريت، أما تخاف هذه الآية: { أَذْهَبَتْكُمْ طَبِئَتُكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا } [الأحقاف: ٢٠].

أدفن كما يصنع بالعبد الأبق:

قال عمار بن زاذان أن مالك بن دينار لما حضره الموت قال لولا أني أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد كان قبلي لأوصيت أهلي إذا أنا مت أن يقيّدوني وأن يجمعوا يدي إلى عنقي فينطلقوا بي على تلك الحال حتى أدفن كما يصنع بالعبد الأبق. وقال غير أحمد بن محمد فإذا سألتني ربي تعالى أي رب لم أرض لك نفسى طرفة عين قط⁽¹⁾.

ولم لا أبكي؟:

قال قيس بن الربيع: بلغني أن إبراهيم النخعي بكى عند الموت فقل له: ما يبكيك؟ فقال: ولم لا أبكي؟ وإنما أنتظر مبشراً يبشّرني بالجنة أو بالنار. والله لو ددت أنها تجلجل في صدري إلى يوم البعث⁽²⁾.

لكني سمعت قوله: {يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسْمِهِمْ}:

كان الفضيل يعظ ابنه كثيراً على الزّهد ويقول: يا بني، ارفق بنفسك؛ وكان يوماً خلف الإمام يصلي فسمع سورة الرحمن، فظلاً يتلو وأبوه ينادي: أما سمعت قوله: { حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ } [الرحمن: ٧٢]، فقال:

(1) صفقا الصفوة، 288/3.

(2) المبرد، التعازي والمراثي، 58/1.

يا أبت، لكنني سمعت قوله **لِيُعَرَّفَ الْمَجْرُمُونَ بِسِمَتِهِمْ** { [الرحمن: ٤١] ⁽¹⁾ .

فتفكر في تطاير الصحف إلى طلوع الفجر ونسي حاجته:

خرج مالك بن دينار بعد صلاة العشاء لحاجة فرأى الثلج نازلاً من السماء يمينا وشمالا فتفكر في تطاير الصحف إلى طلوع الفجر ونسي حاجته ⁽²⁾ .

يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شبيهة مالك على النار:

قال المغيرة بن حبيب أبو صالح ختن مالك بن دينار: قلت لنفسى: يموت مالك وأنا معه في الدار ولا أعلم ما عمله! قال: فصليت معه عشاء الآخرة ثم جئت فلبست قطيفة في أطول ما يكون من الليل؛ وجاء مالك فدخل فقرب رغيته فأكل ثم قام إلى الصلاة فاستفتح ثم أخذ بلحيته فجعل يقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شبيهة مالك على النار؛ قال: فوالله ما زال كذلك حتى غلبتني عيني؛ قال: ثم انتبهت فإذا هو على تلك الحال يقدم رجلاً ويؤخر رجلاً ويقول: يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شبيهة مالك على النار؛ قال: فما زال كذلك حتى طلع الفجر! قال: فقلت لنفسى: والله لئن خرج مالك فرأني لا تبلى عنده بالة أبداً؛ قال: فجئت إلى المنزل وتركته.

مالك غداً هكذا يصير:

قال عبد الله بن مرزوق: بلغني أن مالك بن دينار دخل المقابر ذات يوم فإذا رجل يدفن فجاء حتى وقف على القبر فجعل ينظر إلى الرجل وهو يدفن فجعل يقول: مالك غداً هكذا يصير، وليس له شيء يتوسده في قبره، فلم يزل يقول: غداً مالك هكذا يصير، حتى خر مغشياً عليه في جوف القبر، فحملوه فانطلقوا به إلى منزله مغشياً عليه ⁽³⁾ .

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 30/8.

(2) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، 280/2.

(3) صفقة الصفوة 279/3.

سبب موت مالك بن دينار:

حصين بن القاسم قال قلت لعبد الواحد بن زيد ما كان سبب موت مالك بن دينار قال أنا كنت سببه سألته عن رؤيا رأى فيها مسلم بن يسار فقصها على فانتفضت فجعل يشهق ويضطرب حتى ظننت أن كبده قد تقطعت في جوفه ثم هدأ فحملناه إلى بيته فلم يزل مريضاً يعودده إخوانه حتى مات منها فهذا كان سبب موته، وتوفي قبل الطاعون ببسير وكان الطاعون سنة إحدى وثلاثون ومائه (1).

فإني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته:

كتب إبراهيم بن أدهم إلى أخ له: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد: فإني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته، ولا يرجى غيره، ولا يدرك الغنى إلا به، فإنه من استغنى عز وشبع وروى، وانتقل - عندما أبصر قلبه عما أبصرت عينيه - من زهرة الدنيا فتركها وجانب شبهها، فأضر بالحلل الصافي فيها، إلا ما لا بد له منه، من كسرة شربها صلبه، وثوب يوارى به عورته، أغلظ ما يجد وأخشنه (2).

الزم التقوى قلبك:

حدث علي بن المديني قال: قال لي أحمد بن حنبل:

- إني لأحب أن أصحبك إلى مكة، وما يمنعني من ذاك إلى أني أخاف أن أملك أو تملني. قال: فلما ودعته قلت له: - يا أبا عبد الله توصيني بشيء؟ قال: ألزم التقوى قلبك وانصب الآخرة أمامك (3).

فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى:

وحكى عمي البسطامي عن أبيه أنه قال: ذهب أبو يزيد ليلة إلى الرباط، ليذكر الله، سبحانه، على سور الرباط، فبقي إلى الصباح لم يذكر، فقلت له في ذلك، فقال: تذكّرت كلمة جرت على لساني في حال صباي،

(1) ابن الجوزي، صفة الصفوة، 3 / 288.

(2) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، 1 / 98.

(3) أبو الحسين ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، المحقق محمد حامد الفقي، دار المعرفة - بيروت، 1/225.

فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى⁽¹⁾.

ليس هناك منزل ثالث:

قال مالك بن دينار: دخلت مع الحسن السوق فمر بالعطارين فوجد تلك الرائحة، فبكى ثم بكى حتى خفت أن يغشى عليه، ثم قال: يا مالك والله ما هو إلا حلول القرار من الدارين جميعاً: الجنة أو النار؛ ليس هناك منزل ثالث؛ من أخطأته والله الرحمة صار إلى عذاب الله⁽²⁾.

ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نخزي:

عن جعفر بن سليمان قال جاء محمد بن واسع إلى مالك بن دينار فقال يا أبا يحيى إن كنت من أهل الجنة فطوبى لك فقال ينبغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نخزي⁽³⁾.

إذا زلزلت الأرض زلزالها:

قال الحارث بن سعيد كنا عند مالك بن دينار وعندنا قارئ يقرأ إذا زلزلت الأرض زلزالها فجعل مالك ينتفض وأهل المجلس يبكون ويصرخون حتى انتهى إلى هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره قال فجعل مالك والله يبكي ويشهق حتى غشى عليه فحمل بين القوم صريعاً⁽⁴⁾.

أخرج حلاوة ذكرى من قلبه:

قال مسمع بن عاصم قال مالك بن دينار ورأى إنساناً يضحك فقال ما أحب أن قلبي فرغ لمثل هذا وأن لي ما حوت البصرة من الأموال والعقد عبد الله العبدى قال حدثنا جعفر عن مالك قال إن في بعض الكتب أن الله عز وجل يقول إن أهون ما أنا صانع بالعالم إذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة ذكرى من قلبه⁽⁵⁾.

(1) الرسالة القشيرية، ص 13.

(2) تهذيب الكمال، 125/6.

(3) صفق الصفوة، 279/3.

(4) صفق الصفوة، 280/3.

(5) صفق الصفوة، 280/3.

فأي الدارين دار مالك؟:

قال جعفر: رأيت مالك بن دينار يتقنع بعباء، أو قال: بكساء، ثم يقول: إله مالك قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار، فأَي الدارين دار مالك؟ وأَي الرجلين مالك؟ ثم يبكي⁽¹⁾.

هذا رجل مشغول بنفسه:

قال عبد العزيز بن سلمان العابد: انطلقت أنا وعبد الواحد بن زيد إلى مالك بن دينار فوجدناه قد قام من مجلسه فدخل منزله وأغلق عليه باب الحجرة فجلسنا ننتظره ليخرج أو لنسمع له حركة فنستأذن عليه فجعل يترنم بشيء لم نفهمه ثم بكى حتى جعلنا نأوى له من شدة بكائه ثم جعل يشهق ويتنفس حتى غشى عليه؛ قال: فقال لي عبد الواحد: انطلق ليس لنا مع هذا اليوم عمل، هذا رجل مشغول بنفسه⁽²⁾.

هذا والله الكرم هذا والله الكرم:

قال محمد بن عبد العزيز: قال أبي: قال مالك بن دينار: المؤمن كريم في كل حالة لا يحب أن يؤذي جاره ولا يحتقر أحداً من أقربائه، قال: ثم يبكي مالك ويقول: وهو والله مع ذلك غني القلب لا يملك من الدنيا شيئاً إن أزلته عن دينه لم يزل وإن خدعته عن ماله انخدع لا يرى الدنيا من الآخرة عوضاً، ولا يرى البخل من الجود حظاً منكسر القلب ذو هموم قد تفرد بها مكتئب محزون ليس له في فرح الدنيا نصيب، إن أتاه منها شيء فرقه وإن زوي عنه كل شيء فيها لم يطلبه، قال: ثم يبكي ويقول: هذا والله الكرم هذا والله الكرم.

كم تحدث الناس بالرخص؟!:

لقي مالك بن دينار أبان بن أبي عياش فقال مالك: إلى كم تحدث الناس بالرخص؟! فقال: يا أبا يحيى، إنني أرجو أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تخرق له كساءك هذا من الفرخ⁽³⁾.

(1) صفقا الصفوة 286/3.

(2) صفقا الصفوة، 279/3.

(3) محمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار

هذا عذر الخطائين الأشرار:

قال جعفر بن سليمان: لقي مالك بن دينار ثابت البناني فقال له ثابت: يا أبا يحيى كيف بك؟ قال: كيف بمن هو ظاهر العيوب كثير الذنوب مستور على غير استحقاق؟! فكيف بك يا أبا محمد؟ قال: فكتف ثابت يده ومد عنقه وخفض رأسه وقال: هذا عذر الخطائين الأشرار، قال: وأقبلأ يبيكيان حتى سقطا.

أتدري ما مثل ابن عمك؟!:

دخل مالك بن دينار دار الخراج يوماً ينظر فإذا هو برجل من هؤلاء الكبار قد وضع الكبل في رجليه فبينما هو ينظر إذ أتى بطعامه فوضع بين يديه فجعل مالك ينظره ويتعجب من أكله ومما هو فيه، فقال له الرجل: تعال كل يا أبا يحيى، قال: أخاف إن أكلت مثل هذا أن يوضع في رجلي مثل هذا، فتقدم إليه ابن عم الرجل فقال: يا أبا يحيى إن هذا ابن عم لي وهو ينفق علي وعلى عيالي فادع الله أن ينجيه، فقال مالك: أتدري ما مثل ابن عمك؟! مثل شاة أكلت عجينة قوم فانتفخ بطنها فماتت وصاحب العجين يدعو الله على من أكل عجينة وصاحب الشاة يدعو الله على من قتل شاته، فلأيهم ترى الله أسرع إجابة؟! (1).

يا مالك إن الركوة قد سُرقت!:

قال الحارث بن نبهان: قدمت من مكة فأهديت إلى مالك بن دينار ركوة، قال: فكانت عنده فجئت يوماً فجلست في مجلسه فلما قضاها قال لي: يا حارث تعال خذ تلك الركوة فقد شغلت علي قلبي! فقلت: يا أبا يحيى إنما اشتريتها لك تتوضأ فيها وتشرب، فقال: يا حارث إنني إذا دخلت المسجد جاءني الشيطان فقال لي: يا مالك إن الركوة قد سُرقت! فقد شغلت علي قلبي (2).

الكتب العلمية - بيروت / لبنان - 1426 هـ - 2005 م، 371/1.

(1) أبو نعيم، حلية الأولياء، 374/2.

(2) أبو نعيم، حلية الأولياء، 364/2.

هكذا أمر الآخرة:

قال مالك بن دينار: قدمت من سفر لي فلما صرت بالجسر قام العشار (الذي يحصل الضرائب) قال: لا يخرجن من السفينة ولا يقوم أحد من مكانه فأخذت ثوبي فوضعتة على عنقي ثم وثبت فإذا أنا على الأرض فقال لي: ما أخرجك؟ قلت: ليس معي شيء، قال: اذهب، فقلت في نفسي: هكذا أمر الآخرة⁽¹⁾.

إني كنت في وسط الدار:

خرج مالك بن دينار رحمه الله بالليل إلى قاعة الدار وترك أصحابه في البيت وأقام إلى الفجر قائماً في وسط الدار فقال لهم: إني كنت في وسط الدار خطر ببالي أهل النار فلم يزالوا يعرضون علي بسلاسلهم وأغلالهم حتى الصباح.

لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن:

قال سعد بن زنبور: كنا على باب الفضيل ابن عياض، فاستأذنا عليه، فلم يؤذن لنا، قال: فقليل لنا: إنه لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن، قال: وكان معنا رجل مؤذن، وكان صيئاً فقلنا له: اقرأ فقرأ: ”أهاكم التكاثر“، ورفع بها صوته، قال: فأشرف علينا الفضيل، وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع، ومعه خرقة ينشف بها الدمع من عينيه، وأنشأ يقول:

بلغت الثمانين أو جزتها	فماذا أو مل أو أنتظر؟
أتاني ثمانون من مولدي	وبعد الثمانين ما ينتظر؟
:	:

علتني السنون فأبليتني.

قال: ثم خنفته العبرة، قال: وكان معنا علي بن خشرم فأتمه له، فقال: فدقت عظامي وكل البصر⁽²⁾.

(1) صفقا الصفوة، 277/3.

(2) ياقوت الحموي، معجم الأدباء، 161/1.

لو كانت الدنيا ذهب يفنى:

وقال الفضيل رحمه الله تعالى: لو كانت الدنيا ذهب يفنى، وكانت الآخرة خزفاً يبقى، لوجب أن نختار خزفاً يبقى على ذهب يفنى، فكيف وقد اخترنا خزفاً يفنى على ذهب يبقى؟ تأمل بعقلك هل آتاك الله تعالى من الدنيا ما أتى سليمان بن داود عليهما السلام، حيث آتاه ملك جميع الدنيا والإنس والجن والطير والوحش والريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، ثم زاده الله تعالى ما هو خير منها فقال له تعالى: { هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ } [ص: ٣٩]. فوالله ما عدها نعمة كما عدتموها، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل قال عند ذلك: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر. وهذا فصل الخطاب لمن تدبره أن يقول له ربه في معرض المنة: ” هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب ”. ثم خاف سليمان عليه السلام أن يكون استدراجاً من حيث لا يعلم. هذا وقد قال لك ولسائر أهل الدنيا: { فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ } [٩٢] عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ { [الحجر: ٩٢ - ٩٣]، وقال: { وَإِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ } [الأنبياء: ٤٧] ^(١).

لقد حالت النار بيننا وبينك:

عن مالك بن دينار قال: استعمل هرم بن حيان، قال: فظن أن قومه سيأتونه فأمر بنار فأوقدت بينه وبين من يأتيه من القوم، فجاء قومه فسلموا عليه من بعيد فقال: مرحبا بقومي، ادنوا، فقالوا: والله ما نستطيع أن ندنو منك، لقد حالت النار بيننا وبينك، قال: فأنتم تريدون أن تلقوني في نار أعظم منها في جهنم، قال: فرجعوا ^(٢).

(١) الطرطوشي، سراج الملوك، 3/1.

(٢) محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، المحقق إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: 1 - 1968 م، 7 / 133.

فما زال يقول ذلك حتى أبكاني:

قال مالك بن دينار: سمعت الحجاج يخطب فيقول: امرؤ زود نفسه قبل أن يكون الحساب إلى غيره، امرؤ نظر إلى ميزانه، امرؤ عقل عن الله أمره، امرؤ أفاق واستفاق، وأبغض المعاصي والنفاق، وكان إلى ما عند الله بالأشواق. فما زال يقول ذلك حتى أبكاني (1).

أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعرفك فأتلني معروفا من معروفك:

قال مالك بن دينار بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بامرأة جهيرة في الحجر وهي تقول أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعرفك، فأتلني معروفا من معروفك تغنيني به عن معروف من سواك يامعروفا بالمعروف، فعرفت أيوب السختياني فسألنا عن منزلها وقصدناها وسلمنا عليها فقال لها أيوب: قللي خيرا يرحمك الله: قالت وما أقول أشكو إلى الله قلبي وهواي فقد أضرا بي وشغلاني عن عبادة ربي قوما فإني أبادر طي صحيفتي.

قال أيوب فما حدثت نفسي بامرأة قبلها فقلت لها لو تزوجت رجلا كان يعينك على ما أنت عليه قالت لو كان مالك بن دينار أو أيوب السختياني ما أردته فقلت أنا مالك بن دينار وهذا أيوب السختياني فقالت: أف لقد ظننت أنه يشغلكما ذكر الله عن محادثة النساء وأقبلت على صلاتها فسألنا عنها فقالوا هذه مليكة بنت المنكدر (2).

تذهب عيناك:

عن مالك بن دينار: قال رأيت امرأة بمكة من أحسن الناس عينين قال: فكان النساء يجئن فينظرن إليها فأخذت في البكاء فقيل لها: تذهب عيناك فقالت إن كنت من أهل الجنة فيبدلني الله عينين أحسن من هاتين، وإن كنت من أهل النار فسيصيبهما أشد من هذا، فبكت حتى ذهب إحدى عينيها رحمها الله (3).

إن ذكر جهنم لا يدعني أن أنام:

(1) العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، 2 / 140.

(2) ابن الجوزي، صفة الصفوة، 2 / 201.

(3) ابن الجوزي، صفة الصفوة، 2 / 278.

عن مالك بن دينار قال قالت: المرأة التي نزل عليها عامر بن عبد الله مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال : إن ذكر جهنم لا يدعى أن أنام⁽¹⁾.

لقيت والله أهوالاً وزلازل عظاماً شداداً:

مالك بن دينار، قال: رأيت أبا عبد الله مسلم بن يسار في منامي بعد موته بسنة، فسلمت عليه فلم يرد السلام، فقلت: ما يمنعك أن ترد على السلام، فقال: أنا ميت، فكيف أرد عليك السلام قال: قلت له: فماذا لقيت بعد الموت؟ قال: فدمعت عينا مالك عند ذلك وقال: لقيت والله أهوالاً وزلازل عظاماً شداداً قال: فقلت: فما كان بعد ذلك قال وما تراه يكون من الكريم قبل منا الحسنات وعفا لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات.

قال ثم شهق مالك شهقة خر مغشياً عليه قال: فلبث بعد ذلك أياماً مريضاً من غشيته ثم مات فيرون أنه انصدع قلبه فمات رحمه الله⁽²⁾.

يا أيها الناس الرحيل الرحيل:

عن عبدالواحد بن زيد قال شهدت حوشبا جاء إلى مالك بن دينار، فقال: يا أبا يحيى رأيت البارحة كأن منادياً يقول يا أيها الناس الرحيل الرحيل فما رايت أحدا يرتحل إلا محمد بن واسع، قال: فصاح مالك صيحة وخر مغشياً عليه. قال مضر كان الحسن يسمى محمد بن واسع زين القرآن⁽³⁾.

اليوم أنتقم لها منك!:

وقال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب القديمة يقول الله تعالى: من أحق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن أغر ممن اغتر بي؟ يا راعي السوء دفعت لك غنماً سماناً صحاحاً، فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتمدت بالسمن ولبست الصوف، وتركته عظاماً تقعقع ولم تأو الضالة

(1) ابن الجوزي، صفة الصفوة، 3 / 207.

(2) ابن الجوزي، صفة الصفوة، 3 / 241.

(3) ابن الجوزي، صفة الصفوة، 3 / 267.

ولم تجبر الكسير، اليوم أنتقم لها منك! (1).

وليس لي شيء أن أتقرب به سوى نفسي فتقبلها مني:

وحكى عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت إلى مكة حاجا فبينما أنا سائر إذ رأيت شابا ساكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السماء، وقال: يا من لا تسره الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما لا يسرك واغفر لي ما لا يضرك، ثم رأيت به ذي الحليفة وقد لبس إحرامه والناس يلبنون وهو لا يلبي، فقلت هذا جاهل فدنوت منه فقلت له يا فتى قال لبيك قلت له لم لا تلبي، فقال: يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرائم مكتوبات، والله أني لأخشي أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك، ولا أنظر إليك، فقلت له: لا تقول ذلك فإنه حلیم، إذا غضب رضي، وإذا رضي لم يغضب، وإذا وعد وفي ومتى توعده عفا فقال يا شيخ أتشير علي بالتلبية قلت نعم فبادر إلى الأرض واضطجع ووضع خده على التراب وأخذ حجرا فوضعه على خده الآخر وأسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعي بين يديك فأقام كذلك ساعة ثم مضى فما رأيت إلا بمني وهو يقول اللهم إن الناس ذبحوا ونحروا وتقربوا إليك وليس لي شيء أن أتقرب به سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة وخر ميتا رحمة الله تعالى عليه (2).

ولكن قل علي رقيب:

قال أحمد بن يحيى ثعلب: دخلت على أحمد بن حنبل فرأيت رجلاً تهمة نفسه لا يحب أن يكثر عليه كأن النيران قد سعرت بين يديه، فما زلت أرفق به، وتوسلت بالشييانية إليه فقلت: أنا من مواليك يا أبا عبد الله، وذكرت له عبد الله بن الفرّج، قال أبو العباس: وعبد الله بن الفرّج هذا من صالح أهل البلد فقرم إلى حديثي وانبسط إلي وقال: في أي شيء نظرت؟ فقلت: في علم اللغة والشعر، فقال: مررت بالبصرة وجماعة يكتبون الشعر عن رجل، فقيل لي هذا أبو نواس، فتخللت الناس ورآني، فلما جلست أمل علينا:

(1) الطرطوشي، سراج الملوك، 1 / 37.

(2) الإشبهي، المستطرف، 1 / 334.

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل :: خلوت ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة : ولا أن ما يخفي عليه يغيب
لهونا لعمر الله حتى تتابعن :: ذنوب علي آثارهن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى : ويأذن في توبتنا فنتوب
::
:

ثم أطرق، فعلمت أنه قد مل، فسلمت وانصرفت.

قال محمد بن العباس: فحدث أبي بهذا عبد الله بن المعتز وأنا حاضر أسمع
فأنشده الأبيات، فقال لنا عبد الله: هذه الأبيات لأبي نواس من زهدياته⁽¹⁾.

* * *

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 359/1.

مواقف المتأخرين
في الله

مواقف عربية

مواقف المتأخين في الله

قال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } [الحجرات: ١٠].

والصِّنْوُ أشبه بالصنو منه بالشجرة التي يخرجان من أصلها، أو الثمرة التي تخرج منهما، والأخوان صِنْوَانٌ متساويان في الأصل والمنشأ، وفي النبات والنمو، ويتعاهدان بتربية واحدة في الغالب، فأجدر بالأخ أن يأنس بأخيه، ما لا يأنس بأمه وأبيه وصاحبه وبنيه، لما ذكرنا من كمال المناسبة والمشكلة التي هي علة الأُنس والحب، ولأن للوالدين من الرفعة وحقوق الاحترام والاحتشام ما يقف بالأُنس بهما دون كماله، كما أن القيام على البنين بالتأديب والسيطرة منافٍ للاسترسال في الأُنس بهم والانبساط إليهم في جميع الشؤون والأطوار، فكم من كلام وعمل مما يرتاح إليه

يعرض عنهما الإنسان إذا كان على مرأى ومسمع من أصوله

وفروعه، ويقبل إليه مع إخوانه وصنوانه، أما الصاحبة (الزوجة) فلا يظهر هذا الوجه بالإضافة إليها؛ لأن الأُنس بها لا يكاد يساويه أنس، ولكن الأخ يفوقها في مناسبة الاتفاق في المنبت والتربية، فإن لاختلاف التربية أقوى تأثير في الألفة والمحبة والنفور والوحشة، وهو العلة في التنازع بين الأزواج، واختلال نظام العائلات المؤدي إلى سقوط الأمة في عواثر الشقاء ومهاوي الهلكات. ومزية أخرى يفضل بها الأخ الزوج، وهي:

أن الاستعاضة عنه إذا فقد ليست مما يناله الكسب، ويتوصل إليه بسعي أخيه الذي فقده.

يحكى أن امرأة كان لها ابن وأخ وزوج وقعوا في غضب الحجاج، فأراد الإيقاع بهم، وعهد إلى المرأة أن تختار أحدهم كفيلاً لها ليقتل من عاده، فاختارت الأخ قائلة: إن الابن والزوج يمكن الاعتياض عنهما، وأما الأخ فلا عوض عنه، فأعجب الحجاج بقولها؛ لأنها غلبت العقل والحكمة على الحنان والشهوة، وعفا عن الجميع وقال: لو اختارت غير الأخ لقتلت الكل ولم أدع لها أحداً.

وبالجملة إن لكل قريب ونسيب مكانة تفضله من وجه على الآخر، فلو الدين : التعظيم والاحترام، وللولد: الرأفة والحنان وللأخ والزوج (يطلق على الذكر والأنثى كما لا يخفى) ارتياح المساواة، وأنس الكفو والنديد، ولذلك يسمى الأخ شقيقًا، كأن الأخوين شيء واحد شق نصفين، ويسمى صنوًا، والصنوان هما فسيلتا النخل تخرجان من أصل واحد، ويسمى كل من الرجل والمرأة المقترنين زوجًا للآخر بملاحظة أنهما شيء واحد في المعنى، ظهر بصورتين ثنّت إحداها الأخرى، وقد علمت أن مكانة الأخ لا يحلها سواه، وأن الميل إليه ميل إلى كفيح ونديد، ترى له عليك مثل ما لك عليه، بخلاف سائر الأقربين، ولهذا سمي الصديق أخًا، وجاء القرآن يعلم الناس ويرشدهم لأن يكونوا كلهم أصدقاء وإخوة،

ويجعلوا أباهم في هذه الأخوة الإيمان بالله تعالى بما نزل من الحق

فقال: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ } [الحجرات: ١٠]، ورتب على ذلك

قوله: { فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ } [الحجرات: ١٠]، وفي الحصر بـ (إنما) والعطف بالفاء ووضع الظاهر في (أخويكم) موضع الضمير - ما لا يخفى من تأكيد هذه الأخوة وتقريرها، ثم قال: { وَاتَّقُوا اللَّهَ } [الحجرات: ١٠]، بأن تقوموا بحقوق هذه الأخوة، وما ترتب عليها من الإصلاح بالمساواة إذ لا وجه لمحابة أحد والكل إخوة: { لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ } [الحجرات: ١٠]، في الدنيا والآخرة، وما أجدر من يقوم على هذا الصراط السوي بأن يرحم.

وقال الإمام الغزالي: اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين كعقد النكاح بين الزوجين، وكما يقتضي النكاح حقوقًا يجب الوفاء بها قيامًا بحق النكاح، فهكذا عقد الأخوة؛ فلاخيك عليك حق في المال والنفس وفي اللسان والقلب بالعفو والدعاء والإخلاص والوفاء وبالتخفيف وترك التكلف والتكليف، وذلك يجمعه ثمانية حقوق.

(الحق الأول): قال رسول الله ﷺ: "مثل الأخوين مثل اليدين تغسل

إحدهما الأخرى - (1) وإنما شبههما باليدين لا باليد والرجل؛ لأنهما

(1) رواه السلمي في آداب الصحبة، وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس، وفيه أحمد بن محمد بن غالب الباهلي كذاب، وهو من قول سلمان الفارسي في الأول من الحزبيات.

يتعاونان على غرض واحد، فهكذا الأخوان إنما تتم أخوتهما إذا توافقا في مقصد واحد، فهما من وجه كالشخص الواحد، وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء، والمشاركة في المال والحال وارتفاع الاختصاص والاستئثار.

والمواساة بالمال مع الإخوة على ثلاث مراتب: (أدناها) أن تُنزله منزلة

عبدك أو خادمك، فتقوم بحاجته من فضل مالك، فإذا سنحت له حاجة وكانت عندك فضلة عن حاجتك أعطيته ابتداء، ولم تُحوجه إلى السؤال، فهو غاية التقصير في حق الأخوة.

(الثانية): أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك، ونزوله منزلتك حتى تسمح بمشاطرته في المال، قال الحسن: (كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه).

(الثالثة) وهي العليا: أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك، وهذه رتبة الصديقين ومنتهى درجات المتحابين.

ومن تمام هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضاً، كما روي أنه سعي بجماعة من الصوفية إلى بعض الخلفاء، فأمر بضرب رقابهم وفيهم أبو الحسين النوري. فبادر إلى السيف ليكون هو أول مقتول، فقيل له في ذلك فقال: أحببت أن أؤثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة، فكان ذلك سبب نجا جميعهم - من حكاية طويلة - فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب مع أخيك، فاعلم أن عقد الأخوة لم ينعقد في الباطن، وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية، لا وقع لها في العقل والدين، فقد قال ميمون بن مهران: (مَن رضي من الإخوان بترك الأفضال فليؤاخ أهل القبور).

وأما الدرجة الدنيا فليست مرضية عند ذوي الدين؛ روي أن عتبة الغلام جاء إلى منزل رجل كان قد آخاه، فقال: أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف، فقال: خذ ألفين، فأعرض عنه، وقال: أثرت الدنيا على الله، أما استحيت أن تدعي الأخوة في الله وتقول هذا.

ومَن كان في هذه الدرجة من الأخوة فينبغي ألاّ تعامله في الدنيا، قال

أبو حازم: إذا كان لك أخ في الله فلا تعامله في أمور دنيالك. وإنما أراد به من كان في هذه الرتبة.

وأما الرتبة العليا: فهي التي وصف الله تعالى المؤمنين بها في قوله: {وَأَمْوَالُهُمْ شُرَئِيَّيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ} [الشورى: ٣٨]، أي كانوا خلطاء في الأموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض، وكان منهم من لا يصحب من قال: مالي أو نعلي؛ لأنه أضافه إلى نفسه. وجاء فتح الموصلي إلى منزل أخ له وكان غائبًا، فأمر أهله فأخرجت صندوقه ففتحه وأخذ حاجته، وأخبرت الجارية مولاهما فقال: (إن صدقتِ فأنت حرة لوجه الله) سرورًا بما فعل. وجاء رجل إلى أبي هريرة رضي الله عنه وقال: إني أريد أن أواخيك في الله، فقال: أتدري ما حق الإخاء؟ قال:

عرفني، قال: ألا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني. قال: لم أبلغ هذه المنزلة بعد، قال: فاذهب عني. وقال علي بن الحسين رضي الله عنه لرجل: (هل يدخل أحدكم يده في كُم أخيه أو كيسه فيأخذ منه ما يريد بغير إذنه؟ قال: لا، قال: فلستم بإخوان.

ودخل قوم على الحسن رضي الله عنه فقالوا: يا أبا سعيد، أصليت؟ قال: نعم، قالوا: فإن أهل السوق لم يصلوا بعد، قال: ومن يأخذ دينه من أهل السوق، بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم. قاله كالمتعجب منه، وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم رحمه الله وهو يريد بيت المقدس فقال: إني أريد أن أرافقك، فقال له إبراهيم: على شرط أن كون أملكك لشينك منك، قال: لا، قال: أعجبني صدقك.

قال: فكان إبراهيم رحمه الله إذا رافقه رجل لم يخالفه، وكان لا يصحب إلا من يوافقه، وصحبه رجل شُرَّك (هو الذي يعمل الشُرَّك للنعال) فأهدى رجل إلى إبراهيم في بعض المنازل قصعة من ثريد ففتح جراب رفيقه وأخذ حزمة من شُرَّك وجعلها في القصعة وردها إلى صاحب الهدية، فلما جاء رفيقه قال: أين الشُرَّك؟ قال: ذلك الثريد الذي أكلته إيش كان؟ قال: كنت تعطيهِ شراكين أو ثلاثة، قال: اسمح يُسمح لك. وأعطى مرة حمارًا كان لرفيقه بغير إذنه رجلاً رآه راجلاً، فلما جاء رفيقه سكت ولم يكره ذلك. قال ابن عمر رضي الله عنه: أهدى لرجل من

أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة فقال: أخي فلان أحوج مني إليه، فبعث به إليه، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر، حتى رجع إلى الأول بعد أن تداوله سبعة. وروي أن مسروقاً أدان ديناً ثقيلاً وكان على أخيه خيثة دين، قال: فذهب مسروق فقضى دين خيثة وهو لا يعلم، وذهب خيثة فقضى دين مسروق وهو لا يعلم، ولما أخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن ابن عوف وسعد بن الربيع أثره بالمال والأهل، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك فيهما، فأثره بما أثره به، وكأنه قبله، ثم أثره به وذلك مساواة والبداية إيثار والإيثار أفضل من المساواة. وقال أبو سليمان الداراني: (لو أن الدنيا كُلُّها لي فجعلتها في فم أخ من إخواني لاستقلتها له). وقال أيضاً: (إني لألقم اللقمة أخواً من إخواني فأجد طعمها في حلقي). ولما كان الإنفاق على الإخوان أفضل من الصدقات على الفقراء قال علي رضي الله عنه: لعشرون درهماً أعطيتها أخي في الله أحب إليّ من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين. وقال أيضاً: (لأن أضع صاعاً من طعام وأجمع إخواني في الله أحبُّ إليّ من إعتاق رقبة). واقتداء الكل في الإيثار برسول الله ﷺ؛ فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه فاجتني منها سواكين: أحدهما معوج، والآخر مستقيم، فدفع المستقيم إلى صاحبه فقال: يا رسول الله، كنت والله أحق بالمستقيم مني، فقال: (ما من صاحب يصحب صاحباً ولو ساعة من النهار إلا سئل عن صحبته، هل أقام فيها حق الله أم أضاعه). فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة.

وخرج رسول الله ﷺ إلى بئر يغتسل عندها، فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب وقام يستتر رسول الله ﷺ حتى اغتسل، ثم جلس حذيفة ليغتسل، فتناول رسول الله ﷺ الثوب وقام يستتر حذيفة عن الناس، فأبى وقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا تفعل، وأبى عليه السلام إلا أن يستتره بالثوب حتى اغتسل، وقال ﷺ: "ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه". وروي أن مالك بن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن وكان غائباً، فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام من تحت سرير الحسن، فجعل يأكل، فقال له مالك: كُفَّ يدك، حتى يجيء صاحب البيت،

فلم يلتفت محمد إلى قوله وأقبل على الأكل، وكان محمد أبسط منه وأحسن خلفاً، فدخل الحسن وقال: يا مُؤَيَّلُك، هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض، حتى ظهرت أنت وأصحابك، وأشار بهذا إلى أن الانبساط في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة، كيف وقد قال الله تعالى: {أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاحِيَهُ أَوْ صَدِيقَكُمْ} [النور: ٦١]، كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه ويفوض إليه التصرف كما يريد، وكان أخوه يتخرج من الأكل بحكم التقوى، حتى أنزل الله تعالى هذه الآية، وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء.

ومن حقوق الأخوة الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال، وتقديمها على الحاجات الخاصة. وهذه أيضاً لها درجات كما للمواساة بالمال، فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة ولكن مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح وقبول المنة. وقال بعضهم: إذا استقضيت أخاك حاجة فلم يقضها فكبر عليه وقرأ هذه الآية: {وَالْمَوْتُ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} [الأنعام: ٣٦]، وقضى ابن شبرمة حاجة لبعض إخوانه كبيرة فجاءه بهدية فقال: ما هذا؟! قال: لما أسديتني إلي. قال: خذ مالك - عافاك الله - إذا سألت أخاك حاجة فلم يُجهد نفسه في قضائها فتوضاً للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعُدّه في الموتى! قال جعفر بن محمد: إنى لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي مخافة أن أردهم فيستغنوا عني. هذا في الأعداء، فكيف في الأصدقاء؟!!

وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده بعد موته أربعين سنة يقوم بحاجتهم، ويتردد كل يوم إليهم ويمونهم من ماله، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه، بل كانوا يرون منه ما لم يروا من أبيهم في حياته. وكان الواحد منهم يتردد إلى باب دار أخيه ويسأل ويقول: هل لكم زيت، هل لكم ملح، هل لكم حاجة؟ وكان يقوم بها من حيث لا يعرفه أخوه، وبهذا تظهر الشفقة والأخوة، فإذا لم تثمر الشفقة حتى يشفق على أخيه كما يشفق على نفسه فلا خير فيها. قال ميمون بن مهران: (من لم تنتفع بصداقته لم

تضرك عداوته) وقال ﷺ: "ألا وإن لله أواني في أرضه وهي القلوب، فأحب الأواني إلى الله تعالى أصفاه وأصلبها وأرقها-أصفاه من الذنوب، وأصلبها في الدين، وأرقها على الإخوان.

وبالجملة فينبغي أن تكون حاجة أخيك مثل حاجتك وأهم من حاجتك، وأن تكون متفقداً لأوقات الحاجة، غير غافل عن أحواله كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة، بل تقوم بحاجته كأنك لا تدري أنك قمت بها ولا ترى لنفسك حقاً بسبب قيامك بها، تتقصد منه بقبول سعيك في حقه وقيامك بأمره، ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة، بل تجتهد في البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار والتقديم على الأقارب والولد.

كان الحسن يقول: إخواننا أحب إلينا من أهلنا وأولادنا.

وقال عطاء: تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث؛ فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو كانوا نسوا فذكروهم. روي أن ابن عمر كان يلتفت يميناً وشمالاً بين يدي رسول الله ﷺ؛ فسأله عن ذلك فقال: أحببت رجلاً فأنا أطلبه ولا أراه. فقال: (إذا أحببت أحداً فسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله؛ فإن كان مريضاً عدته وإن كان مشغولاً أعنته) وفي رواية: (وعن اسم جده وعشيرته).

وقيل لابن عباس: من أحب الناس إليك؟ قال: جليسي. وقال: ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثاً من غير حاجة له إليّ فعلمت ما مكافأته من الدنيا.

وقال سعيد بن العاص: لجليسي عليّ ثلاث: إذا دنا رحبت به، وإذا حدث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له. وقد قال تعالى {رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ} [الفتح: ٢٩]، إشارة إلى تمام الشفقة والإكرام. ومن تمام الشفقة ألا ينفرد بطعام لذيذ أو بحضور في مسرة دونه، بل يتنصص لفراقه ويستوحش بانفراده عن أخيه. اهـ. من (الإحياء).

فهكذا تكون الأخوة، وهكذا تكون آداب الأمم في طور الحياة، وكأني بالذين في قلوبهم مرض تنفر نفوسهم من هذه الآثار، ولو نقل مثلها عن الإفرنج لأعجبوا بها وتنافسوا فيها.

ومن حقوق الأخوة حفظ اللسان بالسكوت مرة، وبالنطق أخرى، أما السكوت فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في غيبته وحضرته، بل يتجاهل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به، وأن لا يماريه ولا يناقشه، وأن يسكت عن التجسس والسؤال عن أحواله، وإذا رآه في طريق أو حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه من مصدره ومورده لا يسأله عنه، فربما يثقل عليه ذكره، أو يحتاج إلى أن يكذب فيه وليسكت عن أسرارهِ التي بثها إليه، ولا يبثها إلى غيره ألبتة، ولا إلى أخص أصدقائه، ولا يكشف شيئاً منها، ولو بعد القطيعة والوحشة؛ فإن ذلك من لؤم الطبع وخبث الباطن، وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده، وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه، فإن الذي سَبَّكَ مَنْ بَلَّغَكَ، وقال أنس: كان ﷺ لا يواجه أحداً بما يكرهه، والتأذي يحصل أولاً من المُبَلِّغ ثم من القائل، نعم لا ينبغي أن يخفي ما يسمع من الثناء عليه، فإن السرور يحصل من المُبَلِّغ ثم من القائل، وإخفاء ذلك من الحسد.

وبالجملة: فليسكت عن كل كلام يكرهه - جملة وتفصيلاً - إلا إذا وجب عليه النطق بأمر بمعروف أو نهي عن منكر، ولم يجد رخصة في السكوت، فإذا ذاك لا يبالي بكراهته، فإن ذلك إحسان إليه في التحقيق، وإن كان يظن أنه إساءة في الظاهر، وأما ذكر مساويه وعيوبه ومساوي أهله فهو من الغيبة المحرمة، ويزجرك عنه أمران (أحدهما) أن تطالع أحوال نفسك، فإن وجدت فيها شيئاً مذموماً فهوّن على نفسك ما تراه من أخيك، وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه في تلك الخصلة، كما أنك عاجز عما أنت مُبتلى به، ولا تستثقله بخصلة واحدة مذمومة، فأَيُّ الرجال المهذب، وكل ما لا تصادفه من نفسك في حق الله، فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك، فليس حَقُّك عليه بأكثر من حق الله عليك، و(الأمر الثاني) إنك تعلم أنك لو طلبت مُنْزَهاً عن كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة، ولن تجد من تصاحبه أصلاً، فما من أحد من الناس إلا وله محاسن ومساوٍ، فإذا غلبت المحاسن على المساوي فهو الغاية والمنتهى، فالمؤمن الكريم أبداً يحضر في نفسه محاسن أخيه لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام، وأما المنافق اللئيم،

فإنه أبداً يلاحظ المساوي والعيوب، قال ابن المبارك: المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العثرات، وقال الفضيل: الفتوة العفو عن زلات الإخوان، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: استعيزوا بالله من جار سوء الذي إن رأى خيراً ستره، وإن رأى شراً أظهره، وما من شخص إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه، ويمكن تقبيحه أيضاً، روي أن رجلاً أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ، فلما كان من الغد دمه، فقال عليه السلام: أنت بالأمس تثنى عليه واليوم تذمه؟ فقال: والله لقد صدقت عليه بالأمس وما كذبت عليه اليوم، أرضاني بالأمس فقلت أحسن ما علمت فيه، وأغضبني اليوم فقلت أقبح ما علمت فيه، فقال عليه السلام: إن من البيان لسحراً⁽¹⁾.

وكأنه كره ذلك، فشبهه بالسحر، ولذلك قال في خبر آخر: البذاء والبيان شعبتان من النفاق، وفي حيث آخر: (إن الله يكره لكم البيان كل البيان)⁽²⁾، ولذلك قال الشافعي - رحمه الله -: ما أجد من المسلمين من يطيع الله عز وجل فلا يعصيه، ولا أحد يعصي الله عز وجل فلا يطيعه، فمن كان طاعاته أغلب من معاصيه فهو عدل، وإذا جعل مثل هذا عدلاً في حق الله، فلئن تراه عدلاً في حق نفسك، ومقتضى أخوتك أولى، وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساويه يجب عليك السكوت بقلبك، وذلك بترك إساءة الظن، فسوء الظن غيبة بالقلب، وهو منهي عنه أيضاً، وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد ما أمكن أن تحمله على وجه حسن، فأما ما انكشف بيقين ومشاهدة، فلا يمكنك أن لا تعلمه، وعليك أن تحمل ما تشاهد

(1) الحديث عند أحمد والبخاري وأبي داود والترمذي، وسببه أنه لما جاء وفد تميم كان فيهم الزبرقان وعمر بن الأهتم، فخطبا ببلاغة وفصاحة، ثم قال الزبرقان: يا رسول الله، أنا سيد بني تميم، والمطاع فيهم، والمجيب لديهم، أمنعهم من الظلم، وأخذ بحقوقهم، وهذا يعلم ذاك، فقال عمرو: إنه شديد المعارضة، مانع لجانبه، مطاع في أذنيه، فقال الزبرقان: والله لقد علم مني أكثر مما قال، وما منعه أن يتكلم إلا الحسد، فقال عمرو: أنا أحسدك؟ فوالله إنه للنيم الحال، حديث المال، ضعيف الطعن، أحق الولد، والله يا رسول الله لقد صدقت فيما قلت أولاً، وما كذبت فيما قلت أخراً، ولكني رجل إن أرضيت قلت أحسن ما علمت، وإن أغضبت قلت أقبح ما وجدت، ولقد صدقت في الأولى والأخرى، فقال ﷺ: **إن من البيان لسحراً**—.

(2) هذا الحديث رواه ابن السني وهو ضعيف، والذي قبله رواه الترمذي وحسنه، والمراد بالبيان المذموم: بيان الخلافة الذي يُري الحق باطلاً والباطل حقاً، فيندفع به الناس.

على سهو ونسيان إن أمكن وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى تفرُّساً، وهو الذي يستند إلى علامة، فإن ذلك يحرك الظن تحريكاً ضرورياً لا يقدر على دفعه، وإلى ما منشؤه سوء اعتقادك فيه، حتى إذا صدر منه فعل له وجهان فيحملك سوء الاعتقاد فيه أن تنزله على الوجه الأردأ من غير علامة تخصه بها، وذلك جناية عليه بالباطن، وذلك حرام في حق كل مؤمن، إذ قال ﷺ: "إن الله حرم على المؤمن من المؤمن دمه وماله وعرضه، وأن يظن به ظن السوء" (هو في مسلم بلفظ آخر) وقال صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث —، أي حديث النفس. وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس، وقال ﷺ في تنمة الحديث الذي ذكر أنفاً: ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك. رواه مالك وأحمد والشيخان والترمذي، والتجسس يكون في تطلع الأخبار، وتعرف الأسرار بالواسطة، والتجسس يكون بالمراقبة بالعين، واستراق السمع بالنفس لا بالواسطة، والتناجش هو أن تستام السلعة بأكثر من ثمنها ليراك الآخر فيقع فيها، فستر العيوب والتجاهل والتغافل عنها شيمة أهل الدين، وقد وصف الله تعالى بالستر والتجاوز والمرضيّ عنده التخلق بأخلاقه، فإذا كنت تحب أن يرضى فيتجاوز عنك فتجاوز أنت عن هو مثلك أو فوقك، وما هو بكل حال عبدك ولا مملوكك.

وقد روي أن عيسى عليه السلام، قال للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائماً، وقد كشفت الريح ثوبه عنه، قالوا: نستره ونغطيه، قال: بل تكشفون عورته، قالوا: سبحان الله! من يفعل هذا؟ فقال: أحكم يسمع الكلمة في أخيه فيزيد عليها، ويشيعها بأعظم منها.

واعلم أنه لا يتم إيمان المرء ما لم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، كما ورد في الصحيحين وغيرهما، وأقل درجات الأخوة أن يعامل أخاه بما يحب أن يعامله به ولا شك أنه ينتظر منه ستر العورة والسكوت على المساوي والعيوب ولو ظهر منه نقيض ما ينتظره اشتد عليه غيظه وغضبه، فما أبعد عن الإنصاف إذا كان ينتظر منه ما لا يضره له، ولا

يعزم عليه لأجله، وويل له بنص كتاب الله تعالى حيث قال: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ} (١) الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (٣) [المطففين: ١ - ٣]، وكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه، فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية، ومنشأ التقصير في ستر العورة أو السعي في كشفها الداء الدفين في الباطن، وهو الحقد والحسد؛ فإن الحقود الحسود يملأ بطنه بالخبث، ولكن يحبسه في باطنه ويخفيه ولا يبديه مهما لم يجد له مجالاً، وإذا وجد فرصة انحلت الرابطة وارتفع الحياء، ويترشح الباطن بخبثه الدفين، ومهما انطوى الباطن على حقد وحسد فالانقطة لا ع أولى، قال بعض الحكماء: ظَاهِرُ الْعِتَابِ خَيْرٌ مِنْ مَكْتُونِ الْجَفْدِ، ولا يزيد لُطْفُ الْحَقُودِ إِلَّا وَحْشَةً مِنْهُ، وَمَنْ فِي قَلْبِهِ سَخِيمَةٌ عَلَى أَخِيهِ فَايْمَانُهُ ضَعِيفٌ، وأمره مخطر، وقلبه خبيث لا يصلح للقاء الله تعالى) اهـ.

ومن حق الأخ على أخيه وصديقه في اللسان أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه إياه، وله أن ينكره وإن كان كاذباً، فليس الصدق واجباً في كل مقام، فإنه كما يجوز للرجل أن يخفي عيوب نفسه وأسراره وإن احتاج إلى الكذب، فله أن يفعل ذلك في حق أخيه (١) فإن أخاه نازل منزلته، وهما شخص واحد لا يختلفان إلا بالبدن، هذه حقيقة الأخوة، وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرانئياً وخارجاً عن أعمال السر إلى أعمال العلانية، فإن معرفة أخيه لعمله كمعرفته بنفسه من غير فرق، وقد قال عليه السلام: "من ستر عورة أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة" (٢) وفي خبر آخر: "فكأنما أحيا مو وودة—".

رواه أبو داود والنسائي وغيرهما، وقال عليه السلام: "إذا حدث الرجل بحديث ثم التفت فهو أمانة" (٣). وقال: "المجالس بالأمانة إلا ثلاثة

(١) الكذب مفسدة من أضر المفاصد، والقاعدة الشرعية العقلية هي: (ارتكاب أخف الضررين عند تعارضهما) ومهما وجد إلى كتمان السر سبيلاً لا كذب فيه، وجب عليه سلوكه وحرّم عليه الكذب.

(٢) الحديث في الصحيحين بلفظ (من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة) ورواه غيرهما بالفاظ أخرى.

(٣) أي التفاته بمنزلة استكثامه قولاً، والحديث رواه أحمد وأبو داود والترمذي، واختلف في تصحيحه.

مجالس: مجلس يسفك فيه دم حرام، ومجلس يستحل فيه فرج حرام، ومجلس يستحل فيه مال من غير حله⁽¹⁾ وقال ﷺ: "المتجالسان بالأمانة ولا يحل لأحدهما أن يفشي على الآخر ما يكره - (هو مرفوع ضعيف، مرسلاً جيد) وقيل لبعض الأدباء: كيف حفظك للسر؟ قال: أنا قبره، وقد قيل: (صدور الأحرار قبور الأسرار)، وقيل: إن قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه، أي لا يستطيع الأحمق إخفاء ما في نفسه فيبيديه من حيث لا يدري، فمن ههنا يجب مقاطعة الحمقى والتوقي عن صحبتهم، بل عن مشاهدتهم.

وقد قيل لآخر: كيف تحفظ السر؟ قال: أجدد المخبر وأحلف للمستخبر، وقال

آخر: أستره، وأستر أني أستره، وعبر عنه ابن المعتز فقال:

ومستودعي سرّاً تبوأَت كتمه :: فأودعته صدري فكان له قبراً
وقال آخر وأراد الزيادة عليه:

وما السر في قلبي كئاثو بقبره :: فإني أرى المقبور ينتظر النشر
ولكنني أنساه حتى كائنني :: بما كان منه لم أخط ساعة خُبرا
ولو جاز كتم السر بيني وبينه :: عن السر والأحشاء لم أعلم
السر :: السر ::

وأفشى بعضهم سرّاً له إلى أخيه ثم قال له: حفظت؟ فقال: بل نسيت، وكان أبو سعيد الثوري يقول: إذا أردت أن تواخي رجلاً فأغضبه، ثم دس عليه من يسأله عنك وعن أسرارك، فإن قال خيراً أو كتم سرّك فاصحبه، وقيل لأبي يزيد: مَنْ أصحابُ من الناس؟ قال: مَنْ يعلمُ منك كما يعلم الله، ثم يستر عليك كما يستر الله. وقال ذو النون: لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوماً، ومن أفشى السر عند الغضب فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة كلها، وقال بعض الحكماء: لا

(1) رواه أبو داود وسكت عليه؛ فدل ذلك على حسنه عنده، وقال غيره: في سننه مجهول ومتكلم فيه.

تصحب مَنْ يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه، بل ينبغي أن يكون صدق الأخوة ثابتاً على اختلاف هذه الأحوال، ولذلك قيل:

وترى الكريم إذا تصرم وصله
وترى اللئيم إذا تقضى وصله
يُخفي القبيح ويُظهر الإحسانا
يُخفي الجميل ويُظهر البهتانا

وقال العباس لابنه عبد الله: إني أرى هذا الرجل (يعني عمر) يقدمك على الأشياخ، فاحفظ عني خمساً: لا تقشين له سرّاً، ولا تغتابن عنده أحدًا، ولا يجربن عليك كذباً، ولا تعصين له أمراً، ولا يطلعن منك على خيانة، فقال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس خير من ألف.

ومن ذلك السكوت عن الممارسة والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك، قال ابن عباس: لا تُمار سفيهاً فيؤذيك، ولا حليماً فيقلبك، وقال صلى الله عليه وسلم: "من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتاً في ريبض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتاً في أعلى الجنة" - (حسنه الترمذي) هذا مع أن تركه مبطلاً واجب، وقد جعل ثواب النفل أعظم؛ لأن السكوت على الحق أشد على النفس من السكوت على الباطل، وإنما الأجر على قدر النصب، وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان الممارسة والمناقشة؛ فإنها عين التدابر والتقاطع، فإن التناطح يقع أولاً بالأراء، ثم بالأقوال، ثم بالأبدان، وقد قال ﷺ: "لا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تقاطعوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يحرمه، ولا يخذله، بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم" (1). وأشد الاحتقار الممارسة، فإن من رد على غيره كلامه فقد نسبته إلى الجهل والحمق، أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء على ما هو عليه، وكل ذلك استحقاق وإيغار للصدر وإيحاش، وفي حديث أبي أمامة الباهلي قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتماهى، فغضب وقال: "ذروا المراء لقلة خيرها، وذروا المراء فإن نفعه قليل، وإنه يهيج

(1) تقدم بعض هذا الحديث في نبذة الجزء الماضي بلفظ آخر، وكل رواياته في الصحاح.

العداوة بين الإخوان-(1).

وقال بعض السلف : مَنْ لَاحَى (خاصم) الإخوان ومآراهم، قَلَّتْ مروءته وذهبت كرامته. وقال عبد الله بن الحسن: إياك وممارسة الرجال، فإنك لن تعدم مكر حليم، أو مفاجأة لنئيم، وقال بعض السلف: أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم، وكثرة الممارسة توجب التضییع والقطیعة وتورث العداوة، وقد قال الحسن: لا تَشْتَرِ عداوة رجل بمودة ألف رجل.

وعلى الجملة: فلا باعث على الممارسة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل واحتقار المردود عليه بإظهار جهله، وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار، والإيذاء والشتم بالحمق والجهل (2) ولا معنى للمعادة إلا هذا، فكيف تضامه الأخوة والمصافاة، فقد روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : “لا تمار أخاك ولا تمازحه، ولا تعده موعداً فتخلفه”- (رواه الترمذي بسند ضعيف) وقال عليه السلام: “إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسطٍ وَجِهٍ وَحُسْنُ خُلُقٍ”- (حسنه أبو يعلى، وصححه الحاكم، وضعفه ابن عدي) وقد انتهى السلف في الحذر من الممارسة، والحض على المساعدة إلى حد لم يروا السؤال أيضاً، وقالوا: إذا قلت لأخيك: قم، فقال: إلى أين؟ فلا تصحبه، وقالوا: بل ينبغي أن يسأل، وقال أبو سليمان الداراني: كان لي أخ بالعراق فكنت أجيئه في النوائب، فأقول: أعطني من مالك، فكان يلقي إليّ كيسه فأخذ منه ما أريد، فجئته ذات يوم، فقلت: أحتاج إلى شيء، فقال: كم تريد؟ فخرجت حلوة

(1) رواه الطبراني والديلمي وإسناده ضعيف.

(2) وهذا هو الفرق بين الممارسة وبين المذاكرة بالحسنى ومراجعة القول لإظهار الحقيقة والاعتقاد بالإنصاف، وكل هذا من الفضائل التي لا يعرف قيمتها ويقدرها قدرها إلا الفضلاء، وقد قلت في أحد أخواني أوحدهم من قصيدة طويلة:

يرنو بعين الانتقاد إن رأى :: صفاً وإلا فبعيني الرضى
متى رأى فضلاً أذاع وروى :: وإن رأى ميلاً أجنّ وطوى
إن الذي يرضيه كل خلق :: منك خلق أن يعد في العدا
والخل من ينتقد خلال كي :: يثني على الحسنى وينكر الفغا
بل هو مرآة يريك نوره :: منكساً عنك الذي لست ترى

إخائه من قلبي، وقال آخر: إذا طلبت من أخيك مالاً، فقال: ماذا تصنع به؟
فقد ترك حق الإخاء، واعلم أن قوام الأخوة بالموافقة في الكلام والفعل
والشفقة، قال أبو عثمان الحيري:

موافقة الإخوان خير من الشفقة عليهم، وهو كما قال. اهـ بتصرف

وقد قالت العرب:

أخوك من صدقك لا من صدقك.

من اتخذ إخواناً كانوا له أعواناً.

عمرو بن العاص رضي الله عنه: من كثر إخوانه كثر غرماؤه.

المغيرة: التارك للإخوان متروك.

أسماء بن خارجة: إذا قدم الإخاء سمج الثناء.

مسلم بن قتيبة: إن في لقاء الإخوان غنماً وإن قل.

ابن المقفع: إكرامك صديق صديقك أوقع لديه من إكرامك إياه.

العتبي: لقاء الإخوان نزهة القلوب.

خالد بن صفوان: إنما نفقت على الإخوان، لأنني لم أستعمل معهم
النفاق، ولا قصررت بهم عن الارتفاق.

الكندي: الصديق إنسان هو أنت إلا أنه غيرك.

عمرو بن مسعدة: العبودية عبودية الإخاء، لا عبودية الرق.

إسماعيل بن صبيح: الود أعطف من الرحم.

سعيد بن العاص: إن الكريم ليرعى من المعرفة ما يرعى الواصل من
القراية.

شبيب بن شعيب: عليك بالإخوان فلفهم في الرخاء زينة وفي البلاء
عدة.

إبراهيم بن العباس: مثل الإخوان كالنار قليلها متاع، وكثيرها بوار.

سليمان بن وهب النفس بالصدق أنس منها بالعشيق، وغزل المودة
أرق من غزل الصباية.

الحسن بن وهب: من حقوق المودة أخذ عفو الإخوان، والإغضاء عن التقصير إن كان، وذكر محمد بن عبد الملك الزييات رجلاً فقال: ويحسبك أنه خلق كما يشتهي إخوانه.

غيره: المودة قرابة مستفادة. خير الأشياء جديدها، وخير الإخوان قديمهم، ما تواصل اثنان فطال تواصلهما إلا لفضائلهما أو لفضل أحدهما. أسرع الأشياء انقطاعاً مودة الأسرار.

المحروم من حرم صالح الإخوان.

لقاء الإخوان مسلاة للهموم.

لقاء الخليل شفاء الغليل. قلة الزيادة أمان من الملالة.

عليك ب إقلال الزيادة إنها : إذا كثرت كانت الي الهجر مسلكاً
فاني رأيت القطر يسأم دائماً :: ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا
: :
آخر:

إن اخاك الصديق من لم يخذعك : وإن رأك طالباً سعى معك
ومن إذا ريب الزمان صدّعك :: شئت فيك شمله ليجمعك
:

ابن المعتز: إنما سمي الصديق صديقاً لصدقه لك؛ والعدو عدواً لعدوانه عليك، لو ظفر بك. إخوان السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضاً. علامة الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب، ولا يبتدئ بالكتاب. لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له. إذا كثرت ذنوب الصديق تمحق السرور به، وتسلطت التهم عليه. من لم يقدم الامتحان قبل الثقة، والثقة قبل الأنس، أثمرت مودته ندماً. غيره: إذا قدمت الحرمة تشبهت بالقرابة. خير الإخوان من نسي ذنبك فلم يقرعك به، ومعروفه عندك فلم يمتنّ به عليك.

ومن المواقف:

محاسن كرم الصحبة:

قال ابن طاهر: حدثوني عن عبد الله بن مالك قال: كنت أتولى الشرطة للمهدي وكان يبعث إليّ في ندماء الهادي ومغنييه أني أضربهم وأحبسهم صيانة له عنهم، فبعث الهادي يسألني الرفق بهم والترفيه عنهم، فلا ألتفت إلى ذلك وأمضي إلى ما يأمر به المهدي، فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف فبعث إليّ يوماً فدخلت عليه متكئاً متحنطاً، فإذا هو على كرسي والنطع والسيف بين يديه، فسلمت فقال: لا سلم الله عليك! تذكر يوم بعثت إليك في أمر الحراني لما أمر أمير المؤمنين، رضي الله عنه، بضربه فلم تجبني في فلان وفي فلان، وجعل يعدّ ندماءه، ولم يلتفت إلى قلبي؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، أفتأذن لي في استيفاء الحجة؟ قال: نعم، قلت: نشدتك الله يا أمير المؤمنين أيسرك أن وليتني ما ولاني أبوك وأمرتني بأمر فبعث إليّ بعض بنيك بأمر يخالف أمرك فاتبعته أمره وعصيت أمرك؟ قال: لا، قلت: فكذلك أنا لك وكذا لأبيك وأخيك. فاستدنانني فقبلت يده وأمر بخلع فصبت عليّ وقال: قد وليتك ما كنت تتولاه فامض راشداً. فخرجت من عنده وصرت إلى منزلي مفكراً في أمره وأمره وقلت حدث والقوم الذين عصيته في أمرهم ندماءه ووزرائه وكتابه فكأنني بهم حين يغلب عليه الشراب وقد أزالوه عن رأيه في وحملوه في أمري ما كنت أتخوفه، قال: فإني لجالس وبين يديّ بنية لي والكانون بين يدي وراق أشطره بكامخ وأسخنه وأطعمه الصبية حتى توهمت أن الدنيا قد اقتلعت بي وزلزلت لوقع حوافر الدواب وكثرة الضوضاء فقلت: هاه كان والله ما ظننت! فإذا الباب قد فتح وإذا الخدم قد دخلوا وإذا أمير المؤمنين الهادي على حمار في وسطهم، فلما رأيتهم وثبت عن مجلسي مبادراً وقبلت يده ورجله وحافر حماره، فقال: يا أبا عبد الله إني فكرت في أمرك فقلت يسبق إلى قلبك أني إذا شربت وجاءني أعداؤك أزالوا ما حسن من رأيي فيك فأقلقك وأوحشك فصرت إلى منزلك لأؤنسك وأعلمك أن السخيمة قد زالت عن قلبي فهات اطعمني ما كنت تأكل وافعل فيه ما كنت تفعل لتعلم أني قد تحرمت بطعامك وأنست بمنزلك فيزول خوفك ووحشتك. فأدنيته إليه ذلك الرقاق

والسُّكْرَجَة التي فيها الكامخ فأكل منها ثم قال: هاتوا الزلّة التي زللتها لأبي عبد الله من مجلسي، فأدخل إليّ أربعمائة بغل موقرة دراهم، فقال: هذه زلّتكَ فاستعن بها على أمرِكَ واحفظ هذه البغال عندكَ فلعلّي أحتاج إليها لبعض أسفاري، وانصرف راجعاً. فأخبرني موسى بن عبد الله أن أباه أعطاه بستانه الذي كان وسط داره فبنى حوله معالف لتلك البغال وكان هو يتولى القيام عليها مدّة حياة الهادي.

أَغْنِي أَغَاثُكَ اللَّهُ!:

وحدّث من حضر مجلس المأمون وقد أمر بإحضار العباس صاحب الشرطة ببغداد وبين يديه رجل مكبل بالحديد، فلما حضر قال: يا عباس خذ هذا إليك واستوثق منه ولا يفوتنك وبكّر به واحذر كل الحذر. قال العباس: فدعوت جماعة حملوه ولم يقدر يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يُحِبُّ أن يكون معي إلا في بيتي، ثم سألته عن قصته وحاله من أين هو، فقال: من دمشق، فقال: جزى الله دمشق وأهلها خيراً، فمن أنت من أهلها؟ قال: لا تزيد أن تسألني، فقلت له: أتعرف فلاناً؟ فقال: ومن أين عرفت ذلك الرجل؟ فقلت: كانت لي قصة معه، فقال: ما أنا بمعرفك خبره أو تعرّفني قصتك، فقلت: ويحك! كنت مع بعض الولاة بها فخرج علينا أهلها حتى أراد الوالي أن يُدلي في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وجميع أصحابه وهربت فيمن هرب، فإني لفي بعض الطريق إذا جماعة يعدون خلفي، فما زلت أحاضرهم حتى مررت على هذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت: أَغْنِي أَغَاثُكَ اللَّهُ! فقال: لا بأس عليك ادخل الدار، فدخلت، فقالت لي امرأته: ادخل الحجلة، فدخلتها، وأنت الرجال خلفي فما شعرت إلا به وهم معه يقولون: هو والله عندك! فقال: دونكم الدار، ففتشوها حتى لم يبق إلا البيت الذي كنت فيه، فقالوا: هاهنا، فصاحت المرأة وانتهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل فجلس على باب داره ساعة وأنا قائم في الحجلة خائفاً، فقالت المرأة: اجلس لا بأس عليك، فجلست، فلم ألبث أن دخل الرجل وقال: لا تخف فقد صرت إلى الأمن والدعة إن شاء الله تعالى، فقلت له: جزاك الله عني خيراً! ثم ما زال يعاشرني أحسن المعاشرة

وأجملها ولا يفتر من القصف والأكل والشرب والفرح أربعة أشهر إلى أن سكنت الفتنة وهدأت، فقلت له: أتأذن لي في الخروج لأتعرف خبر غلماني ومنزلي فلعلي أن أقف لهم على أثر أو خبر، فأخذ عليّ المواثيق بالرجوع إليه، فخرجت وطلبت غلماني فلم أر لهم أثراً فرجعت إليه وأعلمته الخبر وهو مع هذا لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا مخاطبتي بغير الكنية، ثم قال لي: ما تعزم؟ فقلت: قد عزمت على الشخصوص إلى بغداد فإن قافلة تخرج بعد ثلاثة أيام وقد تفضلت عليّ هذه المدة فأسألك أن تعطيني ما أنفقه في طريقي وما ألبسه، فقال: بصنع الله عز وجل، ثم قال لغلام له أسود: انعل الفرس الفلاني، وتقدم إلى من في منزله بإعداد السفر، فقلت في نفسي: ما أشك إلا أنه يخرج إلى ضيعة له أو ناحية من النواحي، فوقعوا يومهم ذلك في تعبٍ وكدٍّ، فلما كان يوم خروج القافلة جاءني في السحر وقال: يا أبا فلان قم فإن القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد عنها، فقلت في نفسي: ما أعطاني شيئاً مما سألته، ثم قمت فإذا هو وامراته يحملان إليّ خفائين مقطوعة جدداً ورائاتٍ وآلة السفر ثم جاءني بسيف ومنطقة فشدهما في وسطي ثم قدّم البغل فحمل عليه الصناديق وفوقها مفرشان ودفع إليّ نسخةً بما في الصناديق وفيها خمسة آلاف درهم وقدّم إليّ الفرس الذي كان أنعله بسرجه ولجامه وقال لي: اركب وهذا الغلام الأسود يخدمك ويسوس دوابك، وأقبل هو وامراته يعتذران من تقصيرهما في أمري، وركب معي فشيعني، وانصرفت إلى بغداد وأنا على مكافأته ومجازاته فعاقنا عن ذلك ما نحن فيه من الشغل بالأسفار واتصالها والتنقل من مكان إلى مكان. فلما سمع الرجل الحديث قال: قد أتاك الله عز وجل بمن تريد مكافأته بلا مؤونة عليك، فقلت: وكيف ذلك؟ قال: أنا والله ذلك الرجل! ثم قال لي: ما أثبتك! فتعرّف إليّ وأقبل يذكرني بأشياء يتعرف بها إليّ حتى أثبتته وعرفته فما تمالكت أن قمت إليه فقبلت رأسه وقلت له: ما الذي أشاركك إلى هذا؟ فقال: هاجت فتنة بدمشق مثل الفتنة التي كانت في أيامك فنسبت إليّ وبعث أمير المؤمنين بجيوش فأصلحوا البلد وحملت إليه وأمري عنده غليظ جداً وهو قتالي لا محالة، وقد خرجت من عند أهلي بلا وصية وقد تبعني من عبيدي من ينصرف إلى منزلي بخبري وهو نازل عند فلان، فإن رأيت أن تنعم

وتبعث إليه حتى يحضر فأتقدم إليه بما أريد، فإذا أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة لي. قال فقال العباس: بصنع الله، ثم قال: عليّ بحدّادين، فأتوا بهم، فحلّ قيوده وما كان عليه من أنواع الأنكال، ودعا بالحجام فأحضر وأخذ من شعره ثم قال: عليّ بمولاه، فأنفذ في طلبه من يحضره. قال الرجل: فلما أن أخذ شعري أدخلني الحمام فطرح عليّ من ثيابه ما اكتفيت به ثم حضر مولاي وقعد يبكي، فقال العباس: عليّ بفرسي الفلاني والفرس الفلاني والبغل الفلاني، حتى عدّ عشراً، ثم قال: عليّ من الصناديق والكسوة بكذا ومن صناديق الطعام بكذا، ثم أمر لي ببدرية فيها عشرة آلاف درهم وكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال لصاحب شرطته: خذه واعبر به إلى جسر الأنبار، فقلت له: إن أمري غليظ وإن أنت احتججت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأردّ وأقتل، فقال: انج بنفسك ودعني أدبر أمري، فقلت: والله لا أبرح من بغداد أو أعلم ما يكون من خبرك، فإن احتججت إلى حضوري حضرت، فقال لصاحب الشرطة: إن كان الأمر على هذا فليكن في موضع كذا وكذا فإن سلمت في غداة غد فسيبل المحبة وإن قتلت كنت قد وقيت به بنفسي كما وقاني بنفسه، وأنشدك الله أن تذهب من ماله شيئاً قيمته درهم وتخلصه حتى تخرجه من بغداد. دخلني الحمام فطرح عليّ من ثيابه ما اكتفيت به ثم حضر مولاي وقعد يبكي، فقال العباس: عليّ بفرسي الفلاني والفرس الفلاني والبغل الفلاني، حتى عدّ عشراً، ثم قال: عليّ من الصناديق والكسوة بكذا ومن صناديق الطعام بكذا، ثم أمر لي ببدرية فيها عشرة آلاف درهم وكيس فيه خمسة آلاف دينار وقال لصاحب شرطته: خذه واعبر به إلى جسر الأنبار، فقلت له: إن أمري غليظ وإن أنت احتججت بأني هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي كل من على بابه فأردّ وأقتل، فقال: انج بنفسك ودعني أدبر أمري، فقلت: والله لا أبرح من بغداد أو أعلم ما يكون من خبرك، فإن احتججت إلى حضوري حضرت، فقال لصاحب الشرطة: إن كان الأمر على هذا فليكن في موضع كذا وكذا فإن سلمت في غداة غد فسيبل المحبة وإن قتلت كنت قد وقيت به بنفسي كما وقاني بنفسه، وأنشدك الله أن تذهب من ماله شيئاً قيمته درهم وتخلصه حتى تخرجه من بغداد.

قال الرجل: فأخذني صاحب الشرطة فصيرني في مكان يثق به وتفرّغ العباس لنفسه واغتسل وتحنّط وتكفن. قال العباس: فلم أفرغ من ذلك حتى وافقتني رسل المأمون في السحر وقالوا: أمير المؤمنين يقول هات الرجل، فسكّ وأتيت الدار وإذا أمير المؤمنين جالس عليه ثيابه أمام فراشه، فقال: الرجل! فسكّ، فقال: ويحك الرجل! فقلت: يا أمير المؤمنين اسمع مني، فقال: أعطي الله عهداً لئن ذكرت أنه هرب لأضربن عنقك! فقلت: لا والله ما هرب، فاسمع مني حديثي وحديثه ثم أنت أعلم بما تفعله في أمرنا، قال: قل، فقلت: يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كذا وكذا، وقصصت عليه القصة وعرفته أنني كنت أريد مكافأته فشغلت عن ذلك حتى إذا كان البارحة عرفته وعبرت به جسر الأنبار وقلت: أنا من سيدي أمير المؤمنين بين أمرين، إما تصفح عني وإما تقتلني وأكون قد كافيته ووقيته بنفسي كما وقاني بنفسه. فلما سمع المأمون الحديث قال: ويحك! لا جزاك الله خيراً عن نفسك وعنا وعن هذا الفتى الحرّ، إنه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافيه بعد المعرفة بهذا! لم لا عرفّنتني خبره فكنت أكافيه عنك؟ فقلت: يا أمير المؤمنين إنه والله هاهنا قد حلف أنه لا يبرح حتى يعرف سلامتي فإن احتيج إلى حضوره حضر، قال: وهذه والله منه أعظم من الأولى، فاذهب إليه الآن وطيب نفسه وسكن روعه وتعبر به إليّ حتى أتولى مكافأته عنك. فصرت إليه وقلت: ليسكن روعك إن أمير المؤمنين قال كيت وكيت، فقال: الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء غيره، ثم تهيأ للصلاة فصلّى ركعتين ثم جننا فلما مثل بين يدي المأمون أدناه حتى أجلسه إلى جانبه وأنسه وحديثه حتى حضر الغداء، ثم قال: الطعام، فأكل معه وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستغفاه، ثم قال المأمون: عليّ بعشرة أفراس بسرّوجها ولجمها وعشرة بغال بجميع ألّتها وبعشر بدر وبعشر تخوت وعشرة ممالك بذكواتهم وجميع ألّتهم، فدفع ذلك إليه، وكتب إلى عامله بالوصاية عليه وأوغر خراجهم وكتب إلى صاحب البريد أن تنفذ كتبه وصرفه إلى بلده. قال العباس: فكان إذا ورد له كتاب في خريطة يقول لي المأمون: يا عباس هذا كتاب صديقك.

فكيف لا أصبر على أذى الشمس ساعة؟:

وحدّث رجل عن جعفر العطار قال: بينما يحيى بن أكثم يمشي المأمون في بستان موسى والشمس عن يمينه والمأمون في الظل وقد وضع يده على عاتق يحيى وهما يتحدثان إذ رأى المأمون أن يرجع في الطريق الذي جاء منه، فلما انتهى إلى الموضع الذي قصده قال يحيى: إنك جئت وعن يسارك الشمس وقد أخذت منك فكن أنت الآن في منصرفك حيث كنت وأكون أنا حيث كنت أنت، فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين لو أمكنني أن أفيك بنفسي من هول المطلاع لفعلت فكيف لا أصبر على أذى الشمس ساعة؟ فقال: والله لا بدّ من أن آخذ منها كما أخذت منك وتأخذ من الظل كما أخذت منه! فصار المأمون في موضعه وصار يحيى في موضع المأمون وتماشيا وأخذ بيده فوضعها على عاتقه حتى صار إلى المجلس.

وما أعلم لها سبباً إلا تلك الكلمة:

وحدّث رجل من آل اسوار بن ميمون عن عمه عبد الله بن أسوار قال: دخلت على يحيى بن خالد البرمكي يوماً فقال: اجلس، وكنت أحد كتّابه فقلت: ليست معي دواة، فقال: ويحك! في الأرض صاحب صناعة تفارقه ألته؟ وأغلظ لي في حرف علمت أنه أراد به خطّي وأراني بعض التثاقل في الكتاب ظهر لي به أنه أراد خطي على الأدب لا غير، ثم دعا بدواة فكتبت بين يديه كتاباً منه إلى الفضل ابنه، ورأى مني بعض الضجر في ما كتبت فتوهم أن ذلك من أجل الكلمة التي كلمني بها، فأراد أن يمحو عن قلبي ما توهمه عليّ فقال: عليك دين؟ قلت: نعم، قال: من دينك؟ قلت: ثلاثمائة ألف درهم، فوقع بخطه إلى الفضل في الكتاب:

وكلّكم قد نال شبعاً لبطنه :: وشبع الفتى لوّم إذا جاع صاحبه

ثم قال: إن عبد الله ذكر أن عليه ديناً يخرج منه ثلاثمائة ألف درهم فإذا نظرت في كتابي هذا وقبل أن تضعه من يدك فأقسمت عليك لمّا حملت ذلك إلى منزله من أخصّ مال قبلك. قال: فحملها الفضل إليّ وما أعلم لها سبباً إلا تلك الكلمة.

فما حالي من بين ولدك؟:

وحدّث إبراهيم بن ميمون قال: حدثني جبريل بن بختيشوع قال: اشتريت ضيعة فنقدت بعض الثمن وتعدّر عليّ بعضه فدخلت على يحيى وعنده ولده وأنا أفكّر فقال لي: ما لي أراك مفكراً؟ فقلت: أنا في خدمتك وقد اشتريت ضيعة بسبعمئة ألف درهم ونقدت بعض الثمن وتعدّر عليّ بعضه.

فدعا بالدواة وكتب: يعطى جبريل سبع مائة ألف درهم. ثم دفع الكتاب إلى ولده فوقّع فيه كل واحد منهم بثلاثمائة ألف درهم، فقلت: جعلت فداك! قد أدّيت عامة الثمن وإنما بقي عليّ أقلّه، فقال: اصرف ذلك في بعض ما ينوبك. ثم صرت إلى الرشيد فقال: ما أبطأ بك؟ قلت: يا أمير المؤمنين كنت عند أبيك وإخوتك ففعلوا بي كذا وكذا، قال: فما حالي أنا؟ ثم دعا بدابته فركب إلى يحيى فقال له: يا أبت خبرني جبريل بما كان فما حالي من بين ولدك؟ فقال: يا أمير المؤمنين مرّ له بما شئت يحمل إليه، فأمر بحمل مال إلى جبريل.

وكان إبراهيم بن جبريل على شرطة الفضل فوجّهه إلى كابل فافتتحها وغنم غنائم كثيرة ثم ولاه سجستان، فلما انصرف منها كان عنده من مال الخراج أربعة آلاف ألف درهم، فلما قدم بغداد وبنى داره في البغويين استزار الفضل بن يحيى ليريه نعمته عليه وأعد الهدايا والطرف وآنية الذهب والفضة والوصفاء والوصائف والدواب والقباب والثياب وما تهياً لمثله ووضع الأربعة الآلاف الألف درهم في ناحية من الدار، فلما تغدّى الفضل قدّم إليه تلك الهدايا، فأبى أن يقبل منها شيئاً وقال: لم آتكم لأسلبكم! فقال: أيها الأمير إنها نعمتك عليّ! قال: ولك عندنا مزيد. قال: فلم يزل يطلب إليه فأخذ من جميع ذلك سوطاً سجزياً، فقال: هذا من آلة الفرسان، فقال إبراهيم: أيها الأمير فهذا المال من مال الخراج تأمر بقبضه؟ قال: هو لك، فأعاد عليه القول مراراً، فقال: ما لك بيت يسعه، فوهب له المال بعد أن كان قد صار إليه ألف ألف درهم.

ما أحسن ما فعلت!:

قال: ودخل قوم من حاشية المنصور وخدمه عليه فرأى منهم رجلاً عليه سوادٌ خلقٌ فقال له: يا فلان ما لي أرى سوادك منقطعاً، أما تقبض

رزقك؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين ولكن أبي توفي وترك ديناً فبعت تركته في قضاء دينه وصرفت أكثر رزقي إلى حرمة وولده من بعده، فقال: أعد علي ما قلت، فأعاده، فقال: ما أحسن ما فعلت! اغد عليّ في غدٍ، فغدا عليه فوجد الربيع جالساً على الكرسي، فقال: قد سألتك أمير المؤمنين فادخل، فدخل فوجده قائماً يصلي، ففضى صلاته وقال: ألم أمرك أن تغدو؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما قصرت في الغدوّ عند نفسي، قال: خذ ما تحت تلك المضربة، وإذا السراج يزهر وسرير صغير في ناحية المجلس ينাম عليه، فرفعت المضربة فإذا دنانير، فجعلت أحثوها في كمي ثم دعوت له هو وخرجت، فبصر بصفرة دينار في ضوء السراج، فدعا لي فقال لي: انظر ما على السرير، فإذا دينار فأخذه، فقال: ادن مني، فدنوت منه فعرك أذني تعريكاً شديداً فقال: تترك ديناراً وفيه نفقة يومك؟ قال: فأخذت الدينار، ووزنت الدنانير وإذا هي ألف دينار عددها تسعمائة وتسعة وتسعون ديناراً في عافية وأخذت واحداً بعرك الأذن.

قيل: وقال علقمة بن ليبي لابنه: يا بني إن نازعتك نفسك يوماً إلى صحبة الرجال لحاجتك إليهم فاصحب من إن صحبته زانك، وإن تخفت له صانك، وإذا نزلت بك نازلة مانك، وإن قلت صدق قولك، وإن صلت به شدد صولك. اصحب من إذا مددت يدك لفضلٍ مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن بدت منك ثلثة سدها. اصحب من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق.

وقال بعض الحكماء: إذا رأيت كلباً ترك صاحبه وتبعك فارجمه بالحجارة فإنه تاركك كما ترك صاحبه.

وقال آخر: اصحب من خوّلك نفسه وملّك خدمته وتخيّرك لزمانه فقد وجب عليك حقه وذمامه، وكان يقال من قبل: صلتك، فقد باعك مروءته وأذلّ لقدرك عزّه.

وقال بعضهم: أنا أطوع لك من اليد وأذل من النعل.

وقال بعضهم: أنا أطوع لك من الرداء وأذل من الحذاء.

قيل: وقال ابن أبي دؤاد لرجل انقطع إلى محمد بن عبد الملك الزيات: ما خبرك مع صاحبك؟ قال: لا يقصر في الإحسان إليّ، قال: يا هذا إن لسان حالك يكذب لسان مقالك.

تشهوا ما أحببتهم:

وقال أبو سعد كان الشافعي من أجود الناس وأسخاهم كفا كان يشتري الجارية الصناعات التي تطبخ وتعمل الحلواء ويقول لنا تشهوا ما أحببتهم فقد اشتريت جارية تحسن أن تعمل ما تريدون فيقول بعض أصحابنا اعلمي اليوم كذا وكذا وكنا نحن نأمرها.

وقال الربيع كان الشافعي إذا سأله إنسان شيئاً يحمر وجهه حياء من السائل ويبادر بإعطائه رحمه الله ورضي عنه.

إنك ضيق الخلق:

عن مجاهد بن جبر قال كنت أصحب ابن عمر رضي الله عنه في السفر فلين أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي وإذا ركبت سوى ثيابي قال مجاهد فجاءني مرة فكأنني كرهت ذلك فقال : يا مجاهد إنك ضيق الخلق (1).

فباع حماره واشترى شهوتي:

عن سهل بن إبراهيم قال : صحبت إبراهيم بن أدهم في سفر، فأنفق عليّ نفقته، ثم مرضت، فاشتريت شهوة، فباع حماره واشترى شهوتي، فقلت: فعلى أي شيء نركب قال على عنقي، قال: فحملة ثلاثة منازل (2).

قد أبررت يمينك:

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت أبا الوليد يقول: ربّما جلس إبراهيم ابن أدهم من أول الليل إلى آخره يكسر الصنوبر فيطعمنا. وغزوت معه ولي فرسان وهو على رجليه، فأردته أن يركب فأبى، فحلفت، فركب حتى جلس على السرج، فقال: قد أبررت يمينك، ثم نزل (3).

(1) حلية الأولياء، 3 / 284.

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 55/10.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 56/10.

أعز الأشياء في آخر الزمان:

قال إبراهيم بن أدهم: أعز الأشياء في آخر الزمان ثلاثة،: أخ في الله يؤنس به، وكسب درهم من حلال، وكلمة حق عند سلطان⁽¹⁾.

فلم تنفثل إليه!:

قال سفیان بن عیینة: زار قيس بن مسلم محمد بن جحادة ذات ليلة، فأتاه وهو في المسجد بعد صلاة العشاء ومحمد قائم يصلي، فقام قيس بن مسلم في الناحية الأخرى يصلي، فلم يزالا على ذلك حتى طلع الفجر، وكان قيس بن مسلم إمام مسجده، فرجع إلى الحي فأمرهم ولم يلتقيا ولم يعلم محمد بمكانه؛ فقال له أهل المسجد: زارك أخوك قيس بن مسلم البارحة فلم تنفثل إليه! قال: ما علمت بمكانه، فغدا عليه فلما رآه قيس بن مسلم مقبلاً قام إليه فاعتنقه ثم خلوا جميعاً فجعلوا يبكيان⁽²⁾.

أحمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك:

- وفي السير: أن ابن المبارك.. كان كثيراً ما يسافر إلى الرقة.. وينزل في خان فيها..

فكان شاب يأتي إليه.. ويقوم بحوائجه.. ويسمع منه الحديث..

فقدم عبد الله الرقة مرة.. فلم ير ذلك الشاب..

فسأل عنه.. فقالوا: إنه محبوس.. لدين ركبه..

فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه؟ فقالوا: عشرة آلاف درهم..

فلم يزل عبد الله يستقصي.. حتى دُلَّ على صاحب المال.. فدعا به ليلاً

وأعطاه عشرة آلاف درهم.. وحلفه ألا يخبر أحداً.. ما دام عبد الله حياً..

(1) يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي " 654 - 742 "، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، 1400 - 1980، 2 / 35.

(2) كان محمد بن جحادة من العابدين وكان يقال: إنه لا ينام من الليل إلا أسره، فرأت امرأة من جيرانه كأن عليه " لعل هذه اللفظة زائدة " حلاً فرقت على أهل مسجدهم فلما انتهى الذي يفرقها إلى محمد بن جحادة دعى بسفط مختوم فأخرج حلة خضراء قالت: لم يقم لها بصري؛ قالت: فكساه إياها وقال: هذه لك بطول السهر، قالت تلك المرأة: فوالله لقد كنت أراه بعد ذلك فأتخايلها عليه تعني الحلة. ابن الجوزي، صفة الصفوة، 3/128.

وقال له: إذا أصبحت.. فأخرج الرجل منفلماً خرج الفتى من الحبس.. قيل له: عبد الله بن المبارك كان هاهنا.. وكان يسأل عنك.. فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة.. فلما قابله.. قال له عبد الله: يا فتى.. أين كنت؟ لم أرك في الخان! قال: كنت محبوساً بدين..

قال: فكيف كان سبب خلاصك؟ قال: جاء رجل فقضى ديني.. ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس..

فقال له عبد الله: أحمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك.. ثم فارقه ومضى (1) ..

إلا رأيت أنه خير منك:

- وروى الخطابي أن الإمام الفذ عبد الله بن المبارك قدم خراسان فقصده رجلاً مشهوراً بالزهد والورع فلما دخل عليه لم يلتفت إليه الرجل ولم يأبه به ولم يهتم به، فخرج من عنده عبد الله بن المبارك فقال له بعض من عنده: أتدري من هذا؟ قال ” لا، قالوا: هذا أمير المؤمنين في الحديث... هذا عبد الله بن المبارك فبهت الرجل وخرج إلي ابن المبارك مسرعاً يعتذر إليه ويتصل مما حدث وقال يا أبا عبد الرحمن: أعذرني وعظني، قال ابن المبارك: نعم إذا خرجت من منزلك فلا يقعن بصرك علي أحد إلا رأيت أنه خير منك ”.

ما جاء بك؟:

كان الفضيل جالسا وحده في المسجد فجاء إليه أخ له فقال ما جاء بك؟ قال الموانسة قال هي والله بالمواحشة أشبه هل تريد إلا أن تتزين لي وأتزين لك وتكذب لي وأكذب لك إما أن تقوم عني وإما أن أقوم عنك (2) .

والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ بك أشد من شقائك بنا!:

وورد في بعض المجاميع أن سفيان خرج يوماً إلى من جاءه يسمع منه وهو ضجر، فقال: أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس هو أبا سعيد الخدري، وجالست عمرو بن دينار وجالس هو ابن

(1) ابن الجوزي، صفة الصفوة، 4/142.

(2) ابن هبة الله، شرح نهج البلاغة، 1/2795.

عمر رضي الله عنه، وجالست الزهري وجالس هو أنس بن مالك، حتى عد جماعة، ثم أنا أجالسكم فقال له حدث في المجلس: أتتصف يا أبا محمد قال: إن شاء الله تعالى، فقال: والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ بك أشد من شقائك بنا؛ فأطرق وأنشد قول أبي نواس:

خل	جنبيك	لرام	وامض	عنه	بسلام
مت	بداء	الصمت	لك	من	داء الكلام
إنما	السالم	من	جم	فاه	بلجام

فتفرق الناس وهم يتحدثون برجاجة الحدث، وكان ذلك الحدث يحكى
 بن أكثر التميمي، فقال سفيان: هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء، يعني
 السلطان⁽¹⁾.

أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه:

وقال رجل: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكي، فقلت: يا أبا محمد ما الذي أبكاك قال: أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه.

وكان أبو عمران جد سفيان المذكور من عمال خالد بن عبد الله القسري، فلما عزل خالد عن العراق وولي يوسف بن عمر التقي طلب عمال خالد فهرب أبو عمران المذكور منه إلى مكة فنزلها، وهو من أهل الكوفة.

وقال سفيان: دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة، فقال أبو حنيفة لأصحابه ولأهل الكوفة: جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار، قال: فجاء الناس يسألونني عن عمر بن دينار، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة، فذاكرته فقال لي: يا بني، ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث، يضطر في حفظ تلك الأحاديث⁽²⁾.

(1) ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 392/2.

(2) ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 393/2.

إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا:

قال عبد الله بن داود: كتب رجل كتاباً على لسان أبي حنيفة إلى والي جرجان فوصله بأربعة آلاف درهم، فقيل لأبي حنيفة فقال: إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا. كان أبو حنيفة يقول: ما صليت صلاة إلا وأنا أستغفر الله من تركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان أبو حنيفة يقول: ابن أبي ليلى استحل مني ما لا أستحل من سنور.

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا:

خرج أصحاب الحديث إلى سفيان بن عيينة فازدحموا فقال لقد هممت ألا أحدثكم شهراً فقام إليه شاب من أهل العراق فقال له يا أبا محمد ألن جانبك وحسن قولك وتأس بصالحي سلفك وأجمل مجالسة جلسائك فقد أصبحت بقية الناس وأميناً لله ورسوله على العلم والله إن الرجل ليريد الحج فتتعاظمه مشقته حتى يكاد أن يقيم فيكون لقاءه إياك وطعمه فيك أكثر ما يحركه عليه قال فخضع سفيان وتواضع ورق وبكى ثم تمثل بقول حارثة

خَلَّتِ الدِيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنَ الشَّقَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّودِّ

ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا (1).

المعرفة تنفع عند الكلب العقور:

قال سفيان بن عيينة: عرض المغيرة بن شعبة بالكوفة فوجدهم أربعة آلاف، فمر به شاب من الجند فقال: يا غلام زد هذا في عطائه كذا وكذا، قال: فقام شاب كان إلى جانبه فقال: أصلحك الله هذا ابن عمي لحا ليس له علي فضيلة في نسب ولا نجدة فألحقني به، قال: لا، قال فمر من يحط من عطائي ليظن من حضر أن بك علي مودة، قال: لا، إن أبا هذا كانت بيني وبينه مودة وكان صديقاً لي وإن المعرفة تنفع عند الجمل الصوؤل والكلب العقور فكيف بالرجل ذي المروءة والحسب؟ (2).

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 418/8.

(2) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 339/1.

يا غلام أظن السلطان سيحتاج إليك:

بكى سفيان بن عيينة يوماً، فقال له يحيى بن أكتم: ما يبكيك يا أبا محمد؟ قال: بعد مجالستي أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ بليت بمجالستكم. فقال له يحيى، وكان حدثاً، فمصيية أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ بمجالستك بعد أصحاب رسول الله ﷺ أعظم من مصيبتك. فقال: يا غلام أظن السلطان سيحتاج إليك (1).

أنا لكم مثل جبل أبي قبيس:

كان يجتمع في مجلس سفيان بن عيينة مائة ألف نفس، وكان يقول: أنا لكم مثل جبل أبي قبيس، أصدعوا علي وأطلعوا على التابعين (2).

أما والله لو كنت غنياً لجالسني:

ذكر أبو حازم عند الزهري فقال: أما والله إنه لجاري، وما جالسته قط، قال أبو حازم: ذاك لأنني مسكين، أما والله لو كنت غنياً لجالسني، قال الزهري: قد سببتني، قال: أجل (3).

أنت منهم ومعهم والمرء مع من أحب:

عن مالك بن دينار أنه رأى رجلين يكتبان في اليقظة فسألهما فقالا: نكتب أسماء المحبين فقال بالله هل أنا منهم فقالا لا فوقع مغشياً عليه ثم رأى في منامه قائلاً يقول أنت منهم ومعهم المرء مع من أحب (4).

أعجبي صدقك:

جاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم، وهو يريد بيت المقدس، فقال له: إني أريد أن أرافقك، فقال له إبراهيم: علي أن أكون أملك لشئيك منك. قال لا، فقال إبراهيم: أعجبي صدقك (5).

(1) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، 119/1.

(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 128/1.

(3) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 19/3.

(4) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، 69/1.

(5) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، 162/2.

إذا كتبته فاكذب تحتهم إبراهيم محب المحبين:

قال إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه رأيت في الماء كان ملكا نزل من السماء فسألته عن حاله فقال نزلت أكتب المحبين مثل ثابت البناني ومالك بن دينار وذكر جماعة فقلت هل أنا منهم قال لا فقلت إذا كتبته فاكذب تحتهم إبراهيم محب المحبين فقال الملك قد أمرني ربي في هذه الساعة أن أكتبك في أولهم⁽¹⁾.

لا تقل ذلك:

وقال الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا وتبسم كل واحد منهما لصاحبه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر فقلت: إن هذا ليسير، فقال: لا تقل ذلك فإن الله يقول: {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ} [الأنفال: ٦٣]، فعلمت أنه أفقه مني⁽²⁾.

أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك:

وكان سفيان بمكة فمرض ومعه الأوزاعي، فدخل عليه عبد الصمد بن علي فحول وجهه إلى الحائط، فقال الأوزاعي لعبد الصمد: إن أبا عبد الله سهر البارحة فلعله أن يكون نائماً، فقال سفيان: لست بنائم، لست بنائم، فقام عبد الصمد، فقال الأوزاعي لسفيان: أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك.

هذا الحديث يكفي:

حكى أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سمع شخصا من وراء النهر يروي أحاديث مثلثة فسار إليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشغل به قال الإمام أحمد: فأخذت في نفسي وأضمرت أن أرجع إذا لم يلتفت الرجل إلي ثم قال حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: "من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة وإن أرضنا هذه ليست بأرض كلاب وقد

(1) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، 69/1.

(2) أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، 45/1.

قصدي هذا الكلب فخشيت أن أقطع رجاءه - قال فقال الإمام أحمد رحمه الله هذا الحديث يكفيني ثم رجع قافلاً إلى أهله.

أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب:

وعن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال: جاء رجل إلى الشافعي فقال له: - أصلحك الله - صديقك فلان عليل، فقال الشافعي: والله لقد أحسنت إلي وأيقظني لمكرمة، ودفعت عني اعتذار يشوبه الكذب ثم قال: يا غلام، هات السبئية ثم قال: للمشي على الحفاء، على علة الوجاء في حر الرمضاء من ذي طوى أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب. ثم أنشأ يقول:

ويثقل يوماً إن تركت على عمد	:	أرى راحة للحق عند قضائه
وقولك لم أعلم وذاك من الجهد	:	وحسبك حظاً أن ترى غير كاذب
وصاحبه الأدنى على القرب	:	ومن يقض حق الجار بعد ابن
والعبد	:	عمه
وإن نابيه حق أتوه على قصد	:	يعش سيداً يستعذب الناس ذكره
:	:	:

حتى أنتفع به كما انتفعت:

قال أبو عبد الله بن الجراح: قصدي أحمد بن حنبل فسألني أن أخرج إليه شيئاً من العلم، فأخرجت إليه كتاب العقل لداود بن المحبر، فانتخب منه أحاديث وردّ الكتاب، فسألته عن ذلك فقال: لم أر فيه أحاديث صحاحاً، قال ابن الجراح: كلّهُ صحيح، قال أحمد: ومن أين عرفت؟ قال لأنني استعملته فوجدته كلّهُ صحيحاً، فقال ردّ الكتاب إليّ حتى أنتفع به كما انتفعت (1).

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 58/6.

مواقف المخلصين لله

مواقف عربية

مواقف المخلصين لله

الإخلاص لغة: مصدر أخلص يخلص وهو مأخوذ من مادّة (خ ل ص) التي تدلّ على تنقية الشّيء وتهذيبه والخالص كالصّافي إلّا أنّ الخالص ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه والصّافي قد يقال لما لا شوب فيه، ويقال خلّصته فخلص.

قال ابن منظور: خلص الشّيء بالفتح، يخلص خلوصاً وخلّصاً إذا كان قد نشب ثمّ نجا وسلم، وأخلصه وخلّصه، وأخلص لله دينه: أمحضه، وأخلص الشّيء: اختاره، وقريء: {إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ} [ص: ٨٣]، والمخلصين - قال ثعلب: يعني بالمخلصين الذين أخلصوا العبادة لله تعالى. وبالمخلصين الذين أخلصهم الله عز وجل، فالمخلصون المختارون، والمخلصون: الموحّدون. ولذلك قيل لسورة: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} [١] [الإخلاص: ١]، سورة الإخلاص. قال ابن الأثير: لأنها خالصة في صفة الله تعالى وتقدّس. أو لأنّ اللفظ بها قد أخلص التّوحيد لله عز وجل، وكلمة الإخلاص: كلمة التّوحيد. والإخلاص في الطّاعة: ترك الرّياء.

واصطلاحاً: الإخلاص هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد المعبود بها وحده، وقيل تصفية السرّ والقول.

وقال المناويّ الإخلاص: تخليص القلب من كلّ شوب يكدّر صفاءه، فكلّ ما يتصوّر أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وخلص منه يسمّى خالصاً. وقيل: الإخلاص عمل يعين على الإخلاص. وقيل الخلاص عن رؤية الأشخاص، وقيل تصفية العمل من النّهمة والخلل.

وحقيقة الإخلاص: التّبرّي عن كلّ ما دون الله تعالى.

وأجمعوا على أنّ الإخلاص في الطّاعة ترك الرّياء.

وقال الفضيل بن عياض: ترك العمل لأجل النّاس رياء، والعمل لأجلهم شرك، والإخلاص: الخلاص من هذين. وفي رواية عنه: والإخلاص: أن يعافيك الله منهما.

حقيقة الإخلاص:

فحقيقة الإخلاص، باعتباره التزاما في مواقف الحياة، لا مجرد تصوّر نظريّ، وهو "التّبرّي عن كلّ ما دون الله" يجعلنا ننظر إليه من زاويتين: الأولى: من جهة تعلّقه بالعمل، أو من حيث كونه واقعا يتعلّق بحياة النّاس ومواقفها، أو من حيث كونه يتعلّق بسلوك الإنسان، من هذا القبيل نجد أن العمل الصّادر عن الإنسان - أيّا كان - إذا قصد به وجه الله، وظهرت الشّواهد على ذلك، فإنّه يعدّ عملا مخلصا، لأنّه خالص من الشّرك، والرّياء، والمراءاة، والشّهرة. لأنّ العمل الإنسانيّ قد يشوبه شيء ما من ذلك، فإذا صفا عن شوبه، وخلص منه سمّي خالصا، فالإخلاص ينافي الإشراك، والرّياء، والغشّ، والخداع، والاحتتيال، والكذب، ولذا قد نجد بينه وبين الصّدق قرابة معنى، وكذلك يمتدّ إلى معنى الصّراحة، ويلتقي بمفهوم الوضوح، والأمانة والصّفاء.

وإذا كانت كلّ المعاني السّابقة من رياء وغشّ وخداع، واحتتيال، وكذب، تمتدّ إلى الشّرك بمعنى ما، فإنّ من الشّرك ما هو خفيّ وما هو جليّ، وكذا الإخلاص، وكلاهما يرد على قلب المسلم ويكون ذلك في المقصود والنيّة، ولذا يأتي الفعل على قدر النيّة، إمّا مخلصا أو غير مخلص، فمن كان قصده من عمله الرّياء، فهو غير مخلص، ومن كان غرضه التّقرب إلى الله تعالى فهو مخلص، إلّا أنّ العادة جرت بتخصيص الإخلاص على قصد التّقرب إلى الله تعالى وتخليصه من جميع ما يشوبه. وكلّ عمل باعته التّقرب إلى الله تعالى، وانضاف إليه خطرة بشريّة حتّى صار العمل موسوما بها، وأخفّ من جهتها من حيث الإتيان، فقد خرج العمل عن الإخلاص، وخرج عن أن يكون خالصا لوجه الله تعالى، وبالتالي خرج من أن يكون محقّقا لإنسانيّة الإنسان، وكما يقول الإمام الغزاليّ: "كلّ حظّ من حظوظ الدّنيا تستريح إليه النّفس، ويميل إليه القلب، قلّ أم كثر، إذا تطرّق إلى العمل تكدّر به صفوه، وزال به إخلاصه، والإنسان مرتبط في حظوظه، منغمس في شهواته، قلّما ينفكّ فعل من أفعاله، وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس.

فلذلك قيل: من سلم له من عمره لحظة خالصة لوجه الله نجا، وذلك لعزّة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب، بل الخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب القرب من الله تعالى.

وقد ذكر ابن تيمية أنّ إخلاص الدّين هو الذي لا يقبل الله تعالى سواه، وهو الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرّسل، وأنزل به جميع الكتب، واتفق عليه أئمة أهل الإيمان وهذا هو خلاصة الدّعوة النّبويّة، وهو قطب القرآن الذي تدور عليه رحاه.

بناء على ما سبق فإنّ الإخلاص هو تصفية السّرّ والقلب والعمل، والخالص هو الذي لا باعث له إلا طلب الحقّ، والإخلاص لا يكون إلا بعد الدّخول في العمل، والإخلاص لله؛ هو أن لا يفعل المخلص فعلا إلا لله تعالى

الثّانية: من جهة معناه وشروطه كموقف يلتزم به الإنسان في حياته.

الإخلاص ينقسم بحسب ما يظهر من العبد، يمكن أن يشمل كلّ فعل الإنسان، ولذا يقال: إنّ الإخلاص أربعة أقسام: إخلاص في الأقوال، وإخلاص في الأفعال، وإخلاص في الأعمال أي العبادات، وإخلاص في الأحوال أي إلهامات القلب وواردات الغيب. والدّين شامل لكلّ هذا، وباعتبار أنّ الإخلاص التزام حيويّ أكثر ممّا هو تصوّر نظريّ، فإنّ موقف الإخلاص يستلزم عدّة أمور، وهي:

- **الاستمراريّة:** حيث إنّ حياة الإنسان عبارة عن تواصل واستمرار، ومواقف الحياة مستمرة ومتكاملة، ولذا لا ينبغي أن يتفكّك الإخلاص أو يتبعثر، لأنّه لا يتعلّق بالموقف المعاصر فقط، ولا بالماضي فقط، ولا بالمستقبل فقط، وإنّما هو موقف مستمرّ، ومن ثمّ كانت الاستمراريّة صفة أساسيّة في الإخلاص.

- **التّكامل:** بمعنى انضواء الشّخص بجميع مكوّناته في أهداف وجوده المستمدّة من الإطار الإسلاميّ للحياة، حتّى يتمكّن من بلوغ أكمل درجة ممكنة من صياغة الذات بطريقة متكاملة، وذلك عبر محبة قويّة لله وللحقّ والحقيقة، وللآخرين المخلصين، هذا إلى جانب التّكامل بين النّيّة والفعل.

- **العلم:** حيث إنّ الإخلاص يستلزم وعي الإنسان بوجوده في إطار

التعاليم الإسلامية، وهذا الوعي لا يمكن أن يتم بغير معرفة، لأنه لا يمكن أن يتأتى عن جهل، وجهل الإنسان لا يمكن أن يؤدي إلى إخلاص حقيقي، ومن ثم كان العلم شرطاً ضرورياً لتحقيق الإخلاص، هذا إلى جانب ضرورة العلم بما يحقق الإخلاص.

- **التدرج:** باعتبار أن الإخلاص جهد بشري من أجل الوصول إلى كمال الإنسان بوصوله إلى حقيقة العبودية والتحقق بها، ولذا فإن الإنسان يتعثر وينهض مراراً وتكراراً، بهدف بلوغ المرتبة العالية، إن التجربة صعبة في مواقف حياة الإنسان، ولذا فهو يحتاج إلى التدرج، وهذا شرط لكمال الإخلاص.

- **الأمانة:** باعتبارها رعاية لحق الله تعالى، وأداء للفرائض والواجبات، وهذا يتطلب عدم الخيانة وحفظ الحقوق، وهي خير شاهد خارجي على الإخلاص، وخاصة أن المنزقات التي يمكن أن تطيح بالأمانة اللازمة للإخلاص وفيرة، وهذه توفّر حظوظاً للنفس تفسد الإخلاص، ولذا كان لأبد من توافر الأمانة لتوافر الإخلاص والتمسك به.

وخلاصة الأمر: أن الإخلاص تصفية للعمل والقول والعبادة مما يشوبها من رياء ومراعاة أو خداع أو كذب، ويأتي في مراتب عديدة، وهي: طرح العمل وعدم رؤيته، فضلاً عن طرح طلب العوض عنه، والخجل من العمل مع بذل الوسع والغاية فيه، مع رؤية التوفيق في العمل المخلص على أنه جود من الله تعالى، ثم إخلاصه بالإخلاص منه، أي جعله خالصاً لوجه الله تعالى.

الفرق بين الإخلاص والصدق:

قال الجرجاني: الفرق بين الإخلاص والصدق: أن الصدق أصل وهو الأول: والإخلاص فرع وهو تابع، وفرق آخر أن الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل، أما الصدق فيكون بالنية قبل الدخول فيه.

وقد قال المولي عز وجل: { قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ } [البقرة: ١٣٩].

وقال تعالى: { قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ } [الأعراف: ٢٩].

وقال تعالى: { إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ } [الزمر: ٢ - ٣].

وقال تعالى: { قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ } [الزمر: ١١ - ١٢].

وقال تعالى: { قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ } [الزمر: ١٤ - ١٥].

وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } [غافر: ١٣ - ١٤].

وقال تعالى: { هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ } [غافر: ٦٥].

وقال تعالى: { وَمَا نَفَرَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾ } [البينة: ٤ - ٥].

وقال تعالى: { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء: ١٤٥ - ١٤٦].

وقال تعالى: { هُوَ الَّذِي يُسَوِّرُكُمْ فِي الْغَرَابِ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَيْبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ } [يونس: ٢٢].

وقال تعالى: { فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَعْتُهُمْ إِلَىٰ الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْمَعُوا فُسُوفَ يَعْلَمُونَ } [يونس: ١٥].

[العنكبوت: ٦٥ - ٦٦].

وقال تعالى: {الَّذِينَ أَنْفَلَكُ الْبَحْرَ يَجْرَى فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتُ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾} [لقمان: ٣١ - ٣٢].

وقال تعالى: {وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُنَّ ﴿١٦٧﴾ لَوَ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾} [الصافات: ١٦٧ - ١٧٠].

وقال تعالى: {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رءَا بَرُّهِنَّ رَبِّهٖ ۚ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾} [يوسف: ٢٤].

وقال تعالى: {وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾} [مريم: ٥١]، {وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾} [ص: ٤٥ - ٤٦].

وقال تعالى: {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ} [الحجر: ٣٦ - ٤٠].

وقال تعالى: {إِنَّكُمْ لَذَاقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَكَهَهُمْ مُكْرِمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾} [الصافات: ٣٨ - ٤٣].

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرايت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: "لا شيء له". فأعاد ثلاث مرّات.

يقول له رسول الله ﷺ: "لا شيء له". ثم قال: "إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغي به وجهه⁽¹⁾".

(1) النسائي (25/6) واللفظ له وقال الشيخ ناصر الألباني (52) من سلسلة الأحاديث الصحيحة: إسناده حسن كما قاله الحافظ العراقي في تخريج الإحياء، ونحوه عند أحمد (4/126). من حديث شداد بن أوس. وذكر بطرق مختلفة عن ابن عباس وأبي هريرة، السنن الكبرى البيهقي (282/9) وما بعدها. وقال محقق جامع الأصول (584/3): وسنده حسن.

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: «نَضَرَ الله امرأ سمع مقالتي فبلّغها، فربّ حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه». زاد فيه عليّ بن محمّد: «ثلاث لا يغلّ (1) عليهنّ قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصح لأئمّة المسلمين ولزوم جماعتهم» (2).

وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ثلاثة أقسم عليهنّ وأحذّركم حديثاً فاحفظوه — قال: «ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلاّ زاده الله عزّاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلاّ فتح الله عليه باب فقر - أو كلمة نحوها - —، وأحذّركم حديثاً فاحفظوه. قال: «إنّما الدّنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالا وعِلما فهو يتّقي فيه ربّه، ويصل فيه رحمه، ويعلم الله فيه حقّاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالا، فهو صادق النّيّة. يقول: لو أنّ لي مالا لعملت بعمل فلان فهو نيّته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتّقي فيه ربّه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم الله فيه حقّاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علماً، فهو يقول: لو أنّ لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيّته، فوزرهما سواء» (3).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: أنا أغنى الشّركاء عن الشّرك، من عمل

(1) لا يغلّ: لا يغلّ عليه قلب مؤمن أي لا يكون معها في قلبه غش وزغل ونفاق ولكن يكون معها الإخلاص في ذات الله عز وجل وهو في الإغلال بمعنى الخيانة ويروى يغلّ من الغلّ وهو الحقد.

(2) ابن ماجه (230) واللفظ له، قال محقق جامع الأصول (1/ 265، 266): الحديث رواه البزار بإسناد حسن. وأخرجه الشافعي في مسنده (1/ 14) من حديث ابن مسعود وإسناده صحيح والدرامي (1/ 86، 87). وأخرجه أحمد في المسند (5/ 183) وغيره من حديث زيد بن ثابت. وإسناده صحيح وورد في مجمع الزوائد بطرق مختلفة ببعض الزيادات (1/ 137 - 139).

(3) الترمذي (2325) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه—⁽¹⁾.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى أوا المبيت إلى غار فدخلوه، فاندحرت صخرة من الجبل فسدّت عليهم الغار. فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا لله بصالح أعمالكم. فقال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق⁽²⁾ قبلهما أهلا ولا مالا. فأنى بي في طلب شيء قوما⁽³⁾ فلم

أرح⁽⁴⁾ عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقدر على يدي - أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم؛ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة. فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج— قال النبي ﷺ: "قال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي، فأردتها عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألفت بها سنة⁽⁵⁾ من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها، قالت: لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرّجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها، وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم؛ إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إنني استأجرت أجرا فأعطيتهم أجراهم غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله؛ أد إليّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر

(1) مسلم (298).

(2) لا أغبق: لا أقدم في الشرب قبلهما أهلا ولا مالا، والغبوق شرب العشي.

(3) قوما: هكذا في فتح الباري وفي صحيح البخاري يومًا— وهو الصواب، وعبرة مسلم نأى بي ذات يوم الشجر.

(4) أرح: بضم الهمزة وكسر الراء: أي أرجع.

(5) ألفت بها سنة من السنين أي أصابها ما يصيب الناس في القحط والجذب، والسنة معناها هنا الجذب.

والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: إني لا أستهزئ بك. فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً. اللهم؛ فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون⁽¹⁾.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما الأعمال بالنية، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه⁽²⁾." وقال مكحول: ما أخلص عبد قط أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ولسانه.

وقال أبو سليمان الداراني: إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوسوس والرياء.

- قال يوسف بن الحسين: أعزّ شيء في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنّه ينبت على لون آخر.

- قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [الملك: ٢]، هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إنّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتّى يكون خالصاً صواباً. الخالص أن يكون لله والصّواب أن يكون على السنّة. ثم قرأ قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠].

- وقال شهر بن حوشب: جاء رجل إلى عبادة بن الصّامت، فقال: أنبئني عمّا أسأل عنه، أرأيت رجلاً يصلّي يبتغي وجه الله ويحبّ أن يحمده؟ فقال عبادة: ليس له شيء، إنّ الله تعالى يقول: أنا خير شريك فمن كان له معي شريك فهو له كلّ لا حاجة لي فيه.

(1) البخاري - الفتحة 4 (2272) واللفظ له، ومسلم (2743).

(2) البخاري - الفتحة 1 (1)، مسلم (1907) واللفظ له.

- قال الجنيد - رحمه الله - : الإخلاص سرّ بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله.

- قال ابن كثير في تفسير قوله تعالى : {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: ١١٠]، وهذان ركنا العمل المنقّب لا بدّ أن يكون خالصاً لله صواباً على شريعة رسول الله ﷺ .

- قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : عمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملاً ينقله ولا ينفعه.

من صور الإخلاص ومظاهره:

مما سبق يتّضح لنا أنّ للإخلاص صوراً متعدّدة تتمثّل فيما يلي:

- الإخلاص في التّوحيد.

- الإخلاص في النّيّة والقصد.

- الإخلاص في العبادات: الصّلاة، السّجود، الصّيام، قيام رمضان،

قيام ليلة القدر، حبّ المساجد، الزّكاة، الصدّقة، الحجّ، الجهاد، التّوبة، والذكر، والاستغفار، والدّعاء، وقراءة القرآن، وسائر القربات.

- الإخلاص في الأقوال كلّها.

- الإخلاص في الالتزام بمكارم الأخلاق، (كالصدّق، الصّبر، الزّهد،

والتّواضع... الخ).

- الإخلاص في التّوكّل على الله.

- الإخلاص في كافّة الأعمال.

من فوائد (الإخلاص):

- الإخلاص هو الأساس في قبول الأعمال والأقوال.

- الإخلاص هو الأساس في قبول الدّعاء.

- الإخلاص يرفع منزلة الإنسان في الدّنيا والآخرة.

- يبعد عن الإنسان الوسوس والأوهام.

- يحرّر العبد من عبوديّة غير الله.

- يقوي العلاقات الاجتماعيّة وينصر الله به الأمّة.

- يفرّج شدائد الإنسان في الدنيا.
- يحقق الطمأنينة لقلب الإنسان ويجعله يشعر بالسعادة.
- يقوّي إيمان الإنسان ويكرّره إليه الفسوق والعصيان.
- يقوّي عزيمة الإنسان وإرادته في مواجهه الشدائد.
- حصول كمال الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة.

ومن المواقف:

الذي فعلت له لا يخفى عليه:

- ويقول الحسن بن الربيع عن جهاد الإمام الجليل عبد الله بن المبارك: خرج فارس من المسلمين ملثم فقتل فارسا من العدو كان فعل بالمسلمين فكبر له المسلمون، فدخل في غمار الناس ولم يعرفه أحد، فتتبعته حتى سألته بالله أن يرفع لثامه، فعرفته فقلت: أخفيت نفسك مع هذا الفتح العظيم الذي يسره الله على يدك؟ فقال الذي فعلت له لا يخفى عليه.

وقوم طلبوا الدنيا:

- وحدث أبو حنيفة بإسناد له والمازني قالوا: ولي إسماعيل بن عليّة الصدقات بالبصرة، فكتب إلى عبد الله بن المبارك يصف له ما وقع فيه، ويقول له: أحب أن تبعث إلى إخواننا من القراء لنشغلهم، فكتب إليه عبد الله بن المبارك: القراء ضربان: قوم طلبوا هذا الأمر لله، فأولئك لا حاجة لهم في لقائك، وقوم طلبوا الدنيا، فأولئك أضر على الناس من الشرط، وكتب إليه:

يا جاعل الدين له بازيا	::	يصيدُ أموالَ المساكين
احتلتَ للدنيا ولذاتها	:	بحيلةٍ تذهبُ بالدين
وصرتَ مجنوناً بها بعدما	::	كُنتَ دواءً للمجانين
أينَ رواياتك فيما مضى	:	عن ابنِ عون وابنِ سيرين
أينَ أجاديثك والقولُ في	::	لزومِ أبوابِ السلاطين
تقولُ أكرهْتُ وماذا كذا	:	رَلَّ حِمَارُ العلمِ في الطّين
	::	
	:	



أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك:

ولما حج الرشيد دخل على الفضيل فوعظه بما وعظه، وأراد الخروج فقال: يا فضيل هل عليك دين؟ فقال: نعم دين ربي لو يحاسبني عليه، فالويل لي إن حاسبني عليه، والويل لي إن ناقشني. فقال الرشيد: إني أسألك عن دين العباد. فقال: عندنا بحمد الله خير كثير لا نحتاج معه إلى ما في أيدي الناس. قال: هذه ألف دينار فاستعن بها. فقال: يا حسن الوجه أدلك على النجاة وتكافئني بالهلاك، أسأل الله التوفيق! فلما خرج عاتبته بنيته فقالت: لو أخذتها فاستعنا بها. فقال: إن مثلي ومثلكم مثل قوم كان لهم بغير يكونه ويأكلون من كسبه، فلما كبر وسقط عن العمل نحروه فأكلوه⁽¹⁾.

أراك مرائية منذ ثلاثين:

قال الجنيد سمعت السري يقول خفيت على علة ثلاثين سنة وذلك أنا كنا جماعة نبكر إلى الجمعة ولنا أماكن قد عرفت بنا لا نكاد أن نخلو عنها فمات رجل من جيراننا يوم جمعة فأحببت أن أشيع جنازته فشيعتها وأضحيت عن وقتي ثم جئت أريد الجمعة فلما أن قربت من المسجد قالت لي نفسي الآن يروئك وقد أضحيت وتخلفت عن وقتك فشق ذلك علي فقلت لنفسي أراك مرائية منذ ثلاثين سنة وأنا لا أدري فتركت ذلك المكان الذي كنت آتية فجعلت أصلي في أماكن مختلفة لئلا يعرف مكاني هذا أو نحوه⁽²⁾.

ما هم بمجاورين:

وقال الفضيل رحمه الله: وضعت مكة للعبادة والتوبة والحج والعمرة والزهادة وأعمال الآخرة، ولم توضع للتجارة ولا يغرنك أقوام اتخذوا فيها حوانيت ويقولون: نحن مجاورون وقد أعياهم الكسب في بلادهم فصاروا فيها تجاراً، كذبوا ما هم بمجاورين إنما المجاور من هو مقيم بها للعبادة وعمل

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 244/1.

(2) حلية الأولياء، 10/125.

الآخرة، فينفق من فضل الله ما آتاه الله ولا يكسب فيها ولا يشغل نفسه بالكسب فيها، ولأن ترجع إلى بلدك فتشتري به وتبيع وتحج في كل عشرين سنة أحب إلي من أن تكون مقيماً بمكة وتحج وتعتمر كل سنة وتبيع وتشتري فيها⁽¹⁾

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا!:

ويروى أن الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له في بعض الصحاري فأكلا كسرة يابسة واغتربا بأيديهما ماء من بعض الغدران وقام الفضيل فحط رجليه في الماء فوجد برده فالتذ به وبالحال التي هو فيها فقال لرفيقه لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا⁽²⁾.

ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها!:

قال سفيان بن عيينة: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم ابن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجة؛ فقال له: إني لأستحي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة! فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا؛ فقال له سالم: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!⁽³⁾.

نشكو إليك ما يفعل بنا:

عن المعان بن عمران قال: شكا الثوري إلى إبراهيم بن أدهم فقال: نشكو إليك ما يفعل بنا، وكان سفيان مختفياً فقال: أنت شهرت نفسك بحدثنا وحدثنا⁽⁴⁾.

والله إني أخاف أن أكون بها شقياً:

كان أيوب السخثياني يخفي زهده، وما رئي أحد أشد تبسماً في وجوه الرجال منه، ودخلوا عليه فإذا على فراشه مجلس أحمر، فرفعوه فإذا خصفه محشوة بليف، وكان يقوم الليل، فإذا كان من آخر الليل يرفع صوته، يوهم أنه قام

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 29/2.

(2) ابن هبة الله، شرح نهج البلاغة، 4291/1.

(3) مختصر صفة الصفوة، 13/1.

(4) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 58/10.

تلك الساعة وكان يقول أهلكتم المعرفة، والله إنني أخاف أن أكون بها شقياً⁽¹⁾.

الشهرة اليوم في القصر:

قال معمر: رأيت قميص أيوب السختياني يكاد يمس الأرض فقلت: ما هذا؟ فقال: إنما كانت الشهرة فيما مضى في تزييلها واليوم الشهرة في تقصيرها؛ وكان يقول للخياط: أقطع وأطل فإن الشهرة اليوم في القصر⁽²⁾.

اللهم أنسه ذكري:

كان أيوب السختياني صديقاً ليزيد بن الوليد؛ فلما ولي الخلافة قال: اللهم أنسه ذكري⁽³⁾.

رأيته يماشي صاحب بدعة:

ودُعي أيوب السختياني إلى غسل ميّت، فخرج مع القوم حتى إذا كشف عن وجهه عرفه، فقال: (أقبلوا قبل صاحبكم، فلست أغسله، رأيت يماشي صاحب بدعة).

فاعلم أنه ضالّ مضل:

قال أيوب السختياني: إذا حدّث الرجل بالسنة، فقال: دعنا من هذا، وحدّثنا من القرآن، فاعلم أنه ضالّ مضلّ⁽⁴⁾.

إن كان كل العباد يخنقون خنقك فلا خير في العبادة:

وقال مالك بن دينار: مثل قراء هذا الزمان كرجل نصب فخاً، فوقع عصفور قريباً منه، فقال للفخ: ما غيبك في التراب؟ قال: التواضع، قال: فلم اختفيت؟ قال لطول العبادة، قال: فما هذا الحب المصبوب؟ قال: أعددته للصائمين قال: نعم الجار أنت. فلما غابت الشمس أخذ العصفور الحبة فخنقه الفخ فقال: إن كان كل العباد يخنقون خنقك فلا خير في العبادة⁽⁵⁾.

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 309.

(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 309.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 20/11.

(4) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 27/8.

(5) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 313.

هذا اسم ما عرفني به أحد إلا أنت:

قالت: امرأة مالك بن دينار له في أثناء مجادلة: يا مرائي فقال لها: لبيك هذا اسم ما عرفني به أحد إلا أنت⁽¹⁾.

تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم:

قال إبراهيم بن بشار ركبنا البحر مع إبراهيم بن أدهم فبينما نحن نسير بريح طيبة وكانت مراكب كثيرة فعصفت ريح شديدة على المراكب فتقطعت وإبراهيم ملتف في عباءة مستلق فجاء أهل المركب إليه فقالوا يا هذا ما ترى ما نحن فيه وأنت مستلق غير مكترث فجلس وهو يقول لا أفلح من لم يكن استعد لمثل هذا اليوم ثم حرك شفتيه وإذا هاتف ينادي من اللهجة تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم أيها الريح والبحر الهائج اسكنا بإذن الله فسكن البحر وذهبت الريح حتى صار البحر كأنه دف يعني لوح خشب⁽²⁾.

عسى أن يعلموا أي عمل وقع لوجه الله تعالى:

ومن كلامه لا ينبغي للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيقه فإنه ذل وإهانة للعلم ولما صنف كتاب الموطأ في الحديث عمل علماء المدينة الموطآت على منواله فقليل لمالك قد شاركك الناس في مثل هذا التصنيف فلم تكلف هذا القدر نفسك قال إئتوني بها أنظرها فلما نظر فيها قال عسى أن يعلموا أي عمل وقع لوجه الله تعالى فكان كذلك ولم يبق لموطآت الآخرين اسم ولا رسم إلا ما يذكر من موطأ ابن أبي ذئب وأما موطأ مالك فهو مخدوم طوائف الأنام وبضاعة الاجتهاد لعلماء الإسلام والقبول بقدر النية.

(1) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، - 1418 هـ - 1998 م، 2 / 250.

(2) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، كتاب التوابين، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، 1403 - 1983، 1 / 160.

يا حاتم، ما خاب سعيك:

قال حاتم: اختلفت إلى شقيق ثلاثين سنة فقال لي يوماً: أيش تعلمت في ترددك إلينا؟ فقلت له: أربعة أشياء، استغنيت بها عن الأشياء كلها. فقال لي: ما هي؟ فقلت: رأيت أن رزقي من عند ربي فلم أشتغل إلا بربي، ورأيت أن ربي قد وكل بي ملكين يكتبان علي كل ما تكلمت به، فلم أتكلم إلا بما يرضي ربي، ولم أتكلم إلا بحق، ورأيت أن الخلق ينظرون إلى ظاهري والله ينظر إلى باطني، فرأيت مراقبته أولى وأوجب فسقط عني رؤية الخلق، ورأيت أن الله داعياً يدعوا الخلق إليه، فاستعددت له متى جاءني لا أحتاج أن يقتلني يعني ملك الموت، فقال له: يا حاتم، ما خاب سعيك⁽¹⁾.

إذا كان في موضع الأدب:

وقال ابن أبي الحواري، قلت لأبي سليمان: أيجوز للرجل أن يخبر عن نفسه بالشيء يكون منه؟ فقال: إذا كان في موضع الأدب ليقفدي به، جاز له ذلك.

ولم لا أبكى؟!:

وقال أيضاً: دخلت عليه يوماً وهو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟! ، فقال: يا أحمد!، ولم لا أبكى؟!، إذا جن الليل، ونامت العيون، وخلا كل حبيب بحبيبه، افترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وقطرت على محاربيهم، أشرف الجليل سبحانه فنادى: يا جبريل! بعيني من تلذذ بكلامي، واستراح إلى ذكرى، وأنى لمطلع عليهم في خلواتهم، اسمع أنينهم وأرى بكاءهم، فلم لا تنادي فيهم، يا جبريل: ما هذا البكاء؟!، هل رأيتم حببياً يعذب أحباءه؟ أم كيف يجمل بي أن أعذب قوما إذا جنهم الليل تعلقوا بي؟! فبي حلفت!، إذا وردوا علي القيامة لا كشفن عن وجهي الكريم، حتى ينظروا إلى، وانظر إليهم!.

(1) مختصر تاريخ دمشق، 3 / 463.

يا نفس كم تبكين؟:

قيل: أتى رجل بعشرة دنانير إلى معروف، فمر سائل، فناوله إياها، وكان يبكي، ثم يقول: يا نفس كم تبكين؟ أخلصي تخلصي.

فمن دعاني أكلت:

وسئل: كيف تصوم؟ فغالط السائل، وقال: صوم نبينا ﷺ كان كذا وكذا، وصوم داود كذا وكذا، فألح عليه، فقال: أصبح دهري صائماً، فمن دعاني، أكلت، ولم أقل: إني صائم.

سل عما يعينك عافاك الله:

أبو العباس بن مسروق: حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال: كنت عند معروف، ثم جئت، وفي وجهه أثر، فسئل عنه، فقال للسائل: سل عما يعينك عافاك الله، فأقسم عليه، فتغير وجهه، ثم قال: صليت البارحة، ومضيت، فطفت بالبيت، وجئت لأشرب من زمزم، فزلقت، فأصاب وجهي هذا.

رأس الزهد:

وروى أن رجلاً جاء إليه، فقال: يا أبا عبد الرحمن، أي شيء رأس الزهد، ووسط الزهد، وآخر الزهد؟ فقال: رأس الزهد الثقة بالله، ووسطه الصبر، وآخره الإخلاص.

فأشكو ربي:

عن المدائني قال دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم في مدرعة صوف فقال ما يدعوك إلى لبس هذه فسكت فقال له بعض جلسائه يكلمك الأمير ولا تحببه فقال أكره أن أقول زاهدا فأزكي نفسي أو أقول فقيراً فأشكو ربي⁽¹⁾.

* * *

مواقف المتصدقين

مواقف عربية

مواقف المتصدقين

الصدقة لغة: اسم لما يتصدق به وهو مأخوذ من مادة (ص د ق) التي تدلّ على قوّة في الشّيء قولاً أو غيره، ومن ذلك أخذ الصّدق لقوّته في نفسه، ومن الصّدق أخذت الصدقة، لأنّها تدلّ على صدق العبوديّة لله - تعالى - والصدقة ما تصدّقت به على الفقراء (أو المساكين)، والمتصدّق هو الذي يعطي الصدقة، ولا يقال ذلك للذي يسأل الصدقة ليأخذها، والعامة تغلط في ذلك، وقال بعض أهل اللّغة: إنّ المتصدّق يقال للثنين جميعاً أي الذي يعطي الصدقة والذي يسألها، والمصدّق يقال به على معنيين: الذي يصدّقك في حديثك، والذي يأخذ صدقات الغنم (ونحوها)، وقول

الله تعالى: {إِنَّ الْمُصَدِّقِينَ وَالْمُصَدِّقَاتِ} [الحديد: ١٨]، بتشديد الصاد أصله المتصدقين فقلبت التاء صاداً وأدغمت في الصاد، والصدقة ما أعطيته في ذات الله للفقراء، يقال

تصدّق عليه (أعطاه الصدقة)، وفي الحديث لما قرأ القارئ قوله تعالى: {وَلَتَنْظُرَنَّهُ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ} [الحشر: ١٨].

قال ﷺ: "تصدّق رجل من ديناره، ومن درهمه، ومن ثوبه —، أي ليتصدّق، لفظه الخبر، ومعناه الأمر كقولهم:

أنجز حرّاً ما وعد، أي لينجز. ويقال صدّق عليه في معنى تصدّق كما في قوله عز وجل: {فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى} (٣١) [القيامة: ٣١]، وفي حديث الزكاة لا تؤخذ في الصدقة هرمة ولا تيس إلا أن يشاء المصدّق.

واصطلاحاً: هي العطية يبتغى بها المثوبة من الله - تعالى - وقال الراغب: ما يخرج الإنسان من ماله على وجه القرية كالزكاة، لكنّ الصدقة في الأصل تقال للمتطوّع به، والزكاة للواجب.

وقال التّهانوي: الصدقة: عطية يراد بها المثوبة لا التّكرمة؛ لأنّ بها يظهر الصّدق في العبوديّة، وهي أعمّ من الزكاة، وقد تطلق عليها أيضاً.

وقال المولي عز وجل: {إِنْ بُدُوا الصَّدَقَتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٣٧﴾ [البقرة: ٢٧١].

وقال تعالى: {يَمْحُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ} [البقرة: ٢٧٦].

وقال تعالى: {لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا} ﴿١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

وقال تعالى: {يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرُّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَانِكُمْ صَدَقَتٍ فَإِذْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ مَّا تَعْمَلُونَ} ﴿١٣﴾ [المجادلة: ١٢ - ١٣].

وقال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَتِ فَإِن أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} ﴿٦٠﴾ [التوبة: ٥٨ - ٦٠].

وقال تعالى: {فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يٰأَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضْعَةٍ مُّزْجَجَةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ} [يوسف: ٨٨].

وعن أبي مسعود البدری رضي الله عنه عن النبی ﷺ قال: "إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة، وهو يحتسبها كانت له صدقة- (1).

وعن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ثلاثة أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه — قال: "ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة فصبر عليها إلا زاده الله عز وجل بها عزا ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر. وأحدثكم حديثا فاحفظوه—، قال: "إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه

الله عز وجل - مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه ويعلم الله عز وجل فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله عز وجل علماً ولم يرزقه مالا فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان، فهو نيته. فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم، لا يتقي فيه ربه عز وجل ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم الله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل. وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان، فهو نيته فوزرهما فيه سواء-(1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "سبعة يظلهم الله في ظله (2) يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل (3). وشاب نشأ بعبادة الله (4) ورجل قلبه معلق في المساجد (5) ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه (6). ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال (7). فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه. ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه-(8).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من أنفق زوجين في سبيل الله نوذي من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من

(1) الترمذي (2325). وقال: هذا حديث حسن صحيح وبعضه عند مسلم (2588). ورواه أحمد (231/4).

(2) يظلهم الله في ظله: المراد هنا ظل العرش. والمراد يوم القيامة إذا قام الناس لرب

العالمين. ودنت منهم الشمس، وأخذهم العرق. ولا ظل هناك لشيء إلا للعرش.

(3) الإمام العادل: هو كل من إليه نظر في شيء من مصالح المسلمين من الولاة والحكام.

(4) شاب نشأ بعبادة الله: أي نشأ متلبساً للعبادة، أو مصاحباً لها أو ملتصقاً بها.

(5) ورجل قلبه معلق في المساجد: أي شديد الحب لها، والملازمة للجماعة فيها، وليس معناه دوام القعود في المسجد.

(6) ورجلان تحابا في الله... أي اجتمعا وتفرقا على الله، وكانا صادقين في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حال اجتماعهما وافتراقهما.

(7) ورجل دعت امرأته ذات منصب وجمال: أي ذات الحسب، والنسب، والجمال، ومعنى دعت أي دعت إلى الزنا بها.

(8) البخاري - الفتوح 3 (1423). ومسلم (1031) واللفظ له.

باب الجهاد، ومن كان من أهل الصَّيام دعي من باب الرِّيان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة— فقال أبو بكر رضي الله عنه :
بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة، فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: “نعم، وأرجو أن تكون منهم”⁽¹⁾

وعن عمر رضي الله عنه أن الأعمال تباغت فقالت الصدقة: أنا أفضلكم).

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: لما أمرنا بالصدقة كنّا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إنّ الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء، فنزلت: { الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ } [التوبة: ٧٩].

قال عبد العزيز بن عمير: الصلّاة تبلّغك نصف الطريق، والصّوم يبلّغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه.

قال ابن أبي الجعد: إنّ الصدقة لتدفع سبعين باباً من السّوء.

عن الربيع بن خثيم أنه خرج في ليلة شاتية وعليه برنس خزر فرأى سائلاً فأعطاه إياه، وتلا قوله تعالى: {لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ} [آل عمران: ٩٢].

قال يحيى بن معاذ: ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا إلا من الصدقة.
قال الشعبي: من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه.

من فوائد (الصدقة):

- طهارة للنفس، وقربة إلى الله عز وجل.
- طريق موصل إلى محبة الله ورضوانه.
- تنثمر سعادة الدّين والدّنيا.

- دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- حفظ الإنسان في ماله وبدنه.
- دليل على الزَّهد.
- طاعة لله ورسوله ﷺ .
- باب من أبواب التكافل الاجتماعيّ.
- تنمّر محبة النَّاس.

ومن المواقف:

لقمة بلقمة:

عن مالك بن دينار وقال: أخذ السبع صبيّاً لامرأة فتصدقت بلقمة فرماه السبع فنوديت لقمة بلقمة (1).

ما أنا بمسكين، ولا فقير، وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل:

عن الفضيل بن عياض، قال: حدثني رجل: أن رجلاً خرج بغزل، فباعه بدرهم ليشتري به دقيقاً، فمر على رجلين، كل واحد منهما أخذ برأس صاحبه.

فقال: ما هذا؟ فقل: يقتتلان في درهم، فأعطاهما ذلك الدرهم، وليس له شيء غيره.

فأتى إلى امرأته، فأخبرها بما جرى له، فجمعت له أشياء من البيت، فذهب ليبيعهما، فكسدت عليه، فمر على رجل ومعه سمكة قد أروحت. فقال له: إن معك شيئاً قد كسد، ومعني شيء قد كسد، فهل لك أن تبيعني هذا بهذا؟ فباعه.

وجاء الرجل بالسمكة إلى البيت، وقال لزوجته: قومي فأصلي أمر هذه السمكة، فقد هلكنا من الجوع.

فقامت المرأة تصلحها، فشقت جوف السمكة، فإذا هي بلؤلؤة، قد خرجت من جوفها.

(1) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، 503/1.

فقالت المرأة: يا سيدي، قد خرج من جوف السمكة شيء أصغر من بيض الدجاج، وهو يقارب بيض الحمام.

فقال: أريني، فنظر إلى شيء ما رأى في عمره مثله، فطار عقله، وحار لبه.

فقال لزوجته: هذه أظنها لؤلؤة.

فقالت: أتعرف قدر اللؤلؤة.

قال: لا، ولكني أعرف من يعرف ذلك، ثم أخذها، وانطلق بها إلى أصحاب اللؤلؤ، إلى صديق له جوهرى، فسلم عليه، فرد عليه السلام، وجلس إلى جانبه يتحدث، وأخرج تلك البيضة.

وقال: أنظر كم قيمة هذه؟ قال: فنظر زماناً طويلاً، ثم قال: لك بها علي أربعون ألفاً، فإن شئت أقبضتك المال الساعة، وإن طلبت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإنه أثمن بها لك مني.

فذهب بها إليه، فنظر إليها واستحسنها، وقال: لك بها علي ثمانون ألفاً، وإن شئت الزيادة، فاذهب بها إلى فلان، فإني أراه أثمن بها لك مني.

فذهب بها إليه، فقال: لك بها علي مائة وعشرون ألفاً، ولا أرى أحداً يزيدك فوق ذلك شيئاً.

فقال: نعم، فوزن له المال، فحمل الرجل في ذلك اليوم اثنتي عشرة بكرة، في كل بكرة عشرة آلاف درهم، فذهب بها إلى منزله، ليضعها فيه، فإذا فقير واقف بالباب، يسأل.

فقال: هذه قصتي التي كنت عليها، أدخل، فدخل الرجل.

فقال: خذ نصف هذا المال، فأخذ الرجل الفقير، ست بدر، فحملها، ثم تباعد غير بعيد، ورجع إليه.

وقال: ما أنا بمسكين، ولا فقير، وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل، الذي أعطاك بالدرهم عشرين قيراطاً، فهذا الذي أعطاك، قيراط منه، وذخر لك تسعة عشر قيراطاً⁽¹⁾.

(1) القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة، 221/1.

أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه:

وقال رجل: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى، فقلت: يا أبا محمد ما الذي أبكاك قال: أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه ⁽¹⁾.

يؤدي زكاة ماله في السنة مرتين:

قال عثمان رضي الله عنه: تاجروا الله بالصدقة تربحوا. كان أيوب السخثياني يؤدي زكاة ماله في السنة مرتين، ويقول: احتلفوا علينا. فيدفعها مرة إلى المساكين، ومرة إلى الإمام ⁽²⁾.

أيكم إبراهيم بن أدهم؟:

قال علي بن بكار: كان إبراهيم بن أدهم جالسا معنا عند المسجد إذ أقبل رجل أحمر مربع عليه أثر سفر، حتى وقف علينا، فقال: أيكم إبراهيم ابن أدهم؟ قال إبراهيم: أنا فقام إليه إبراهيم فأخذ بيده فنحاه، قال: أي شيء أردت؟ قال: أنا غلامك، بعثني إخوانك إليك، ومعني عشرة آلاف وفرس وبغلة. فقال له إبراهيم: إن كنت صادقا فأنت حر، وما معك لك، اذهب اذهب لا تخبر أحدا ⁽³⁾.

كيف رأيت صنع الله؟!:

الأوزاعي: جاءه جار له، فقال: هذا عيد وما عندنا شيء، فقال لامرأته: أعطيه ما معك؛ فقالت: معي نيف وعشرون درهما فأشاطره؛ فقال أعطيه كلها عسى الله أن يبعث بخير منها. فإذا رجل يدق الباب، فأذن له، فقال: أني كنت عبداً لأبيك أبتعت فأكتسبت هذه الدنانير وهي نيف وعشرون ديناراً؛ فقال: أنت حر. ثم قال لامرأته: كيف رأيت صنع الله، أعطى بكل درهم ديناراً وأعتق نسمة ⁽⁴⁾.

(1) ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 393/2.

(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 160.

(3) المزي، تهذيب الكمال مع حواشيه، 2 / 35.

(4) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1 / 94.

لأبشرك يا علي، بها تبشر أمتي من بعدي:

عن الأوزاعي قال: دخلت المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فقلت من هاهنا من الفقهاء؟ فقالوا: محمد بن المنكدر، ومحمد بن المبشر، ومحمد بن علي - يعني ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فقلت في نفسي: ليس من هؤلاء أحق أن يبدأ به من ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيتته وقلت يا ابن رسول الله: أخبرني عن قول الله عز وجل: {يَمَحُورُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} [الرعد: ٣٩]، فقال أخبرني أبي عن جدي عن علي عليه السلام، أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "لأبشرك يا علي، بها تبشر أمتي من بعدي، وهي: الصدقة على وجهها، وبر الوالدين، واصطناع المعروف، وصلة الرحم تحول الشقاء سعادة، وتزيد في العمر، وتقي مصارع السوء".⁽¹⁾

ما عند الله خير وأبقى:

قال وسمعته يقول كنت أستغل كل شهر خمسمئة درهم فأنفقت كل ذلك في طلب العلم فقلت كم بين من ينفق على هذا الوجه وبين من كان خلوا من المال فجمع وكسب بالعلم حتى اجتمع له فقال أبو عبد الله: {وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى} [الشورى: ٣٦].

وكان يتصدق بالكثير يأخذ بيده صاحب الحاجة من أهل الحديث فيأوله ما بين العشرين إلى الثلاثين وأقل وأكثر من غير أن يشعر بذلك أحد وكان لا يفارقه كيسه.

إذا قدمت إلي فقير شيئاً فقدم إليه مثل هذا:

ويحكي عن الجنيد أنه قال: مرّ بي يوماً الحارث المحاسبي، فرأيت فيه أثر الجوع، فقلت: يا عم، تدخل الدار وتتناول شيئاً؟ فقال: نعم.

فدخلت الدار وطلبت شيئاً أقدمه إليه، فكان في البيت شيء من طعام حمل إليّ من عرس قوم، فقدمته إليه، فأخذ لقمة وأدارها في فمه مرات، ثم إنه قام وألقاها في الدهليز، ومراً.

(1) ابن الشجري، الأمالي الشجرية، 1 / 350.

فلما رأيته بعد ذلك بأيام قلت له في ذلك، فقال: إني كنت جائعاً، وأردت أن أسرّك بأكلي وأحفظ قلبك، ولكن بيني وبين الله، سبحانه، علامة: أن لا يسوغني طعاماً فيه شبهة، فلم يمكّني ابتلاعه، فمن أين كان لك ذلك الطعام؟.

فقلت: إنه حُمِلَ إليّ من دار قريب لي من العرس، ثم قلت: تدخل اليوم؟ فقال: نعم. فقدمت إليه كسراً يابسة كانت لنا، فأكل وقال: إذا قدمتُ إلي فقير شيئاً فقدم إليّ مثله هذا (1).

وأما من جهة الإخلاص فالكل:

- وسئل الشبلي عما يجب في مائتي درهم فقال: أما من جهة الشرع فخمسة دراهم، وأما من جهة الإخلاص فالكل.

فلم لا تطلب منه؟:

- قال ابن شادان: دخلت مع جماعة من الصوفية على الشبلي رحمه الله فبعث إلى بعض المياسير يسأله ما ينفعه عليهم، فقال للرسول: قل له يا أبا بكر أنت تعرف الحق، فلم لا تطلب منه؟ فقال الشبلي: عد إليه وقل له: الدنيا سفلة أطلبها من سفلة مثلك، وأطلب من الحق الحق، فوجه إليه بمائة دينار. وفي المثل: خذ من جذع ما أعطاك.

خمسا في خمس:

وقال شقيق البلخي طلبنا خمسا فوجدناها في خمس طلبنا النور في القبر فوجدناه في قيام الليل وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن وطلبنا الجواز على الصراط فوجدناه في الصدقة وطلبنا الري يوم القيامة فوجدناه في صيام النهار وطلبنا البركة في الرزق فوجدناه في صلاة الضحى..

(1) الرسالة القشيرية، ص 11.

بلا دراهم:

قال عيسى أخو معروف الكرخي يقول قلت لمعروف الكرخي أخي لو قعدت على الدقيق لأمضي في حاجة فقال لي بشرط أن لا أمتع سائلاً قلت نعم وأنا أظن أنه يعطي الكف والأكثر والأقل قال فرجعت فإذا هو قد تصدق بشيء كثير ما بين المكوك والزيادة قال فاحمرت وجنتاي فلما نظر الي قال لست عائدا الى هذا الموضع فلما تقدمت إلى الصندوق فإذا المجري بلا دراهم.

من خليلك؟:

وعن الأحنف بن قيس قال: جلستُ إلى ملأ من قریش، فجاء رجلٌ حَشِينُ الشعر والثياب والهيئة، حتى قام عليهم فسَلَّم، ثم قال: ”بَشِيرُ الكانزين برضف⁽¹⁾ يُحمى عليه في نار جهنم، ثم يوضع على حَلْمة ندي أحدهم حتى يخرج من نُغْضٍ⁽²⁾ كَتْفِهِ، ويوضع على نُغْضِ كَتْفِهِ حتى يخرج من حَلْمة نديه يتزلزل“.

ثم ولى فجلس إلى سارية، وتَبَعْتُهُ، وجلستُ إليه، وأنا لا أدري من هو؟ فقلت: لا أرى القومَ إلا قد كرهوا الذي قلت. قال: إنهم لا يعقلون شيئاً، قال لي خليلي.. قلت: من خليلك؟ قال: النبي ﷺ: ”يا أبا ذر! أتبصر أحداً؟—.

قال: فنظرت إلى الشمس ما بقي من النهار؟ وأنا أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسلني في حاجة له - قلت: نعم. قال: ”ما أُحِبُّ أن لي مثل أحدٍ ذهباً أنفقه كله إلا ثلاثة دنائير—.

وإن هؤلاء لا يعقلون، إنما يجمعون الدنيا، لا والله لا أسألهم دنيا ولا أستفتيهم عن دين، حتى ألقى الله عز وجل⁽³⁾.

وفي رواية لمسلم أنه قال:

(1) الرَّضْفُ: بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة: هو الحجارة المحماة.

(2) النغض: بضم النون وسكون الغين المعجمة بعدها ضاد معجمة، وهو غضون الكتف.

(3) رواه البخاري في كتاب الزكاة برقم (1407 و1408)، ومسلم في كتاب الزكاة برقم (992).

”بشر الكانزين بكَيّ في ظهورهم يخرج من جنوبهم، وبكَيّ من قبل أقفائهم يخرج من جباههم”.

قال: ثم تَنَحَّى فقعد. قال: قلت: من هذا؟ قالوا: أبو ذر.

قال: فقامت إليه فقلت: ما شريء سمعتك تقول قُبَيْل؟

قال: ما قلت إلا شيئاً قد سمعته من نبيهم ﷺ قال: قلت: ما تقول في هذا العطاء؟

قال: خُذْه، فإن فيه اليوم معونةً، فإذا كان ثمناً لدينك فدَّعِه (1).

أنفق هذه الصرة في الأمر الذي ذكرت:

قال أبو الحجاج المقرئ ولد لي مولود وليس عندي شيء قال أخي ادع الله قال فجعل يدعو وأؤمن وأدعو ويؤمن فلما طال علي قمت فانسللت فاذا راكب ينادي من خلفي يا هذا فالتفت فاذا معه صرة فقال لي قال لك أبو محفوظ أنفق هذه الصرة في الأمر الذي ذكرت له وإذا هي مائة دينار أو نحوه.

أنا عبد مدبر آكل ما يطعمني وأنزل حيث ينزلني:

قال عبد الجبار بن عبد الله دعا معروف الكرخي أخ من إخوانه إلى وليمة وكان قدامه بعض الزهاد فأخذ معروف بيده فلما رأى الزاهد تلك الألوان أنكرها وقال يا أبا محفوظ أما ترى ما ها هنا قال ما أمرتهم بشراه فلما رأى الحلواء قال سبحان الله يا أبا محفوظ أما ترى ما ها هنا قال ما أمرتهم بصنْعته فلما رأى القصور والملاحات من الحلواء قال أما ترى ما ها هنا قال معروف قد أكثرت علي أنا عبد مدبر آكل ما يطعمني وأنزل حيث ينزلني (2).

خالك ضيف:

وقال ابن أخت معروف قلت له يا خال أراك تجيب كل من دعاك فقال يا بني خالك ضيف ينزل حيث ينزل.

(1) ماجد إسلام البنكاني أبي أنس العراقي تحذير الأناهيما في الأقوال والأفعال من الأثام ص 85

(2) حلية الأولياء، 8 / 363.

تربح فيه ثلاث خصال:

قال محمد بن منصور الطوسي رآني معروف الكرخي ومعي ثوب فقال لي يا محمد ما تصنع بهذا قلت أقطعه قميصا فقال أقطعه قصيرا ترباح فيه ثلاث خصال أولها اللحوق بالسنة والثاني يكون ثوبك نظيفا والثالث ترباح خرقة.

قصة معروف الكرخي مع مجوسي:

روي عن سعد بن سعيد أنه قال كان في جوار معروف الكرخي رجل مجوسي من أبناء الأغنياء وجد الخليفة عليه فصادره وأخذ منه ألف دينار فافتقر بعد الغنى وذل بعد العز وكان له أعداء وحساد فقالوا للخليفة أنه قد بقي له مال جسيم فلا تظن أنه عديم فأمر بمصادرته ثانياً فلما علم المجوسي ذلك دخل بيت النار وقصد ما كان يعبد من دون الجبار وقال إن لم تخلصيني أمنت برب معروف فلم يجبه أحد ولم ينتفع بسجوده للنار ولا للنور فلما جنَّ عليه الليل اغتسل وأتى مسجد معروف الكرخي فلم يجده في المسجد فرفع رأسه وقال يا إله إبراهيم وعيسى ومحمد وإله معروف ويا من لا إله إلا هو تحققت أن ما عبدته من دونك باطل لا يضر ولا ينفع وإني جئتكم تائباً مما فعلت متبرئاً مما عبدت منفصلاً عما اعتقدت موقناً بك شاهداً بأن لا إله إلا أنت إله الأولين والآخرين وأنت المعبود الحق تفعل ما تشاء ولا يكون إلا ما تريد إنك على كل شيء قدير فأغفر لي ما تقدم من ذنبي وجهلي وإسرافي ولا تنتظر إلي سوء عملي ومعصيتي واصرف شر الخليفة وأعوانه عني فقد وجهت وجهي إليك ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ثم سجد وأطال سجوده وهو يناجي ربه ويبيكي فأتى معروف المحراب فرآه كذلك فبقي متفكراً في أمره لا يتحقق من هو وإذا هو بغلام من خواص الخليفة قد دخل المسجد يسأل عن المجوسي بإسمه ونسبه فقال معروف بيته في موضع كذا وكذا فقال من هناك جئت وقيل لي إنه في مسجد معروف فوالله لا بأس عليه فإن الخليفة قد بعثني إليه برسالة لطيفة تسر قلبه وهو منتظره على أن يؤمنه ويرد عليه ما أخذه منه وكفى بالله شهيداً فقال معروف لست أرى في المسجد أحداً يشبه من تذكره إلا هذا الساجد لله المناجي لربيع فاصبر له حتى يرفع رأسه فوقف

صاحب الخليفة على رأسه ساعة ثم قال يا هذا ارفع رأسك ولا تبك أمير المؤمنين قد قضى حاجتك وبعثني برسالة لطيفة لتسير إليه حتى يرد عليك ما أخذ منك فرفع رأسه وإذا معروف واقف فقال يا معروف ما أكرم هذا الباب وما أحلم صاحبه وما أقربه إلي من دعاه ثم قال يا معروف أمدد يدك إنني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وإنني رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً وأن القرآن كلام الله جاء به محمد بن عبد الله وأنا مؤمن بذلك كله ثم تبع الرسول وذهب معروف الكرخي معه فلما وصلوا إلى دار الخليفة وإذا به واقف على الباب فاستقبلهما وسلم عليهما وصافح كلا منهما ومشى معهما إلى مجلسه وأقعدهما إلى جانبه واقبل يعتذر إليهما مما وقع منه وأمر بالأموال التي أخذت من المجوسي فأحضرت بين يديه عن آخرها ثم قال له تأمل هذه الأموال أليست هي التي أخذت منك قال نعم قال فخذها بارك الله فيها واجعلني في حل ما وقع مني واستغفر الله لي فقال يغفر الله لك ثم قال يا أمير المؤمنين أما الأموال فهي لك حلال بعد أن هداني الله إلى دين الإسلام ولكن أعلمني ما الذي دعاك إلى طلبي في هذا الوقت قال نعم كنت نائماً وإذا أنا برسول الله ﷺ قد دخل عليّ ومعه صف من الملائكة وصف من الصحابة فسلم علي وقال إن الله تبارك وتعالى يقرئك السلام ويقول لك إن عبدنا فلاناً المجوسي كنا قد دعوانه في الذرا فأجابنا وكان في المجوسية مستتراً ولنا معه عناية وقد جاء الآن إلينا تائباً وهو في مسجد معروف الكرخي مستجيراً بجانبنا منك فابعث في طلبه ورد عليه ما أخذ منه ولا تقطع المعاملة بيننا فانتبهت مرعوباً فأرسلت في طلبك وها هو مالك قد رددناه عليك ودفعناه إليك فخر الرجل ساجداً لله تعالى ثم رفع رأسه وبكى وقال واندماه وأسفاه والهفاه كيف تركت عبادة الرحمن الرحيم واشتغلت بعبادة النيران وضيعت العمر والزمان ثم قال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في هذا المال خذه فهو حلال لك فقال أمير المؤمنين لا أرجع بشيء أمرني ربي بإخراجه فقال يا أمير المؤمنين لا حاجة لي في المال أشهد أنني قد جعلته صدقة في فقراء المسلمين لا حظ لي فيه ولا لأحد من أهلي فقال الخليفة لمعروف بقي الأمر إليك فأحمل المال وتصدق به على

الفقراء والمساكين وأبناء السبيل والأيتام والأرامل فدعا له معروف وأخذ بيد الرجل وحمل المال على البغال وصافحهما أمير المؤمنين وسأل الرجل أن يعفو عما وقع منه ولازم الرجل معروفاً الكرخي إلى أن مات تغمده الله برحمته⁽¹⁾.

اللهم أدم حاله هذه فإنه صلاح الفقراء:

وعاد حاتم الأصم بعض الأغنياء، فلما خرج بعث إليه بمال فقال: أهدا كان فعله في الصحة؟ فقيل: لا، فقال: اللهم أدم حاله هذه فإنه صلاح الفقراء.

* * *

(1) تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حجة، طبيب المذاق من ثمرات الأوراق، تحقيق أبي عمار السخاوي، دار النشر: دار الفتح - الشارقة - 1997م، ص 374.

مواقف الشاكرين

مواقف عربية

مواقف الشاكرين

إن الله - تعالى - قرن الشكر بالذكر في كتابه فقال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢]، وقال تعالى: {مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ} [النساء: ١٤٧]، وقال تعالى: {وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ} [آل عمران: ١٤٥]، وقطع - تعالى - بالمزيد مع الشكر فقال سبحانه: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧]، ومن الأحاديث قوله ﷺ: "الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر" (1).

وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول في دعائه: "أسألك تمام النعمة في الأشياء كلها، والشكر لك عليها حتى ترضى وبعد الرضا، والخيرة في جميع ما تكون فيه الخيرة بجميع ميسور الأمور كلها لا معسورها يا كريم—".

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "ما ابتليت ببلاء إلا كان لله تعالى عليّ فيه أربع نعم: إذا لم يكن في ديني، وإذا لم يكن أعظم، وإذا لم أحرم الرضا به، وإذا أرجو الثواب عليه—".

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن النعمة موصولة بالشكر، والشكر يتعلّق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد—".

وقال محمد بن كعب القرظي - رحمه الله تعالى -: "الشكر تقوى الله تعالى، والعمل الصالح، وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل—".

وقال أبو عبد الرحمن السلمي - رحمه الله تعالى -: "الصلاة شكر، والصيام شكر، وكلّ خير عمله لله عز وجل شكر، وأفضل الشكر الحمد—".

وقال أبو حازم - رحمه الله تعالى - لرجل سأله: ما شكر العينين يا أبا

(1) أخرجه أحمد (343/4، رقم 19036)، والدارمي (130/2، رقم 2024)، وابن ماجه (561/1، رقم 1765) قال البوصيري (83/2): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات . والطبراني (100/7، رقم 6492). وأخرجه أيضاً: القضاعي (180/1، رقم 264). قال الشيخ الألباني: صحيح.

حازم؟ قال: "إن رأيت بهما خيرا أعلنته، وإن رأيت بهما شرا سترته، قال فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيرا وعيته وإن سمعت بهما شرا دفعته—، قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما ولا تمنع حقاً لله هو فيهما.

قال: فما شكر البطن؟ قال: قال الله تعالى { وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦ } فَمَنْ أَبْغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٧ } [المؤمنون: ٥ - ٧].

وقال الحسن البصري - رحمه الله تعالى - : "الخير الذي لا شر فيه: العافية مع الشكر، فكم من منعم عليه غير شاكر.

وقال أيضا: "إن الله ليمتّع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابا، ولهذا كانوا يسمّون الشكر: الحافظ، لأنه يحفظ النعم الموجودة: والجالب، لأنه يجلب النعم المفقودة—.

قال بكر بن عبد الله المزني - رحمه الله تعالى - : "قلت لأخ لي أوصني. فقال: ما أدري ما أقول غير أنه ينبغي لهذا العبد ألا يفتر من الحمد والاستغفار، فإن ابن آدم بين نعمة وذنب، ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر، ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار—.

قال كعب الأحبار - رحمه الله تعالى - : "ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله، وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع له بها درجة في الآخرة. وما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا، فلم يشكرها لله، ولم يتواضع بها إلا منعه الله نفعها في الدنيا، وفتح له طبقات من النار يعذب به إن شاء أو يتجاوز عنه—.

وقال يونس بن عبيد - رحمه الله تعالى - لرجل يشكو ضيق حاله: "أيسرك ببصرك هذا مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا. قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فبرجليك مائة ألف؟ قال: لا. فذكره نعم الله عليه. فقال يونس: أرى عندك مئتي الألوف وأنت تشكو الحاجة—.

وقال مطرف - رحمه الله تعالى - : "لأن أعافى فأشكر، أحب إلي من أن أبتلى فأصبر—.

قال الشعبي - رحمه الله تعالى -:"الشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله.

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله تعالى -:"عليكم بملازمة الشكر على النعم، فقلّ نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم—.

وقال - رحمه الله تعالى -:"من عرف نعمة الله بقلبه، وحمده بلسانه، لم يستتم ذلك حتى يرى الزيادة لقول الله تعالى: {لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} [إبراهيم: ٧]، وإنّ من شكر النعمة أن يحدث بها.

وقال أبو حاتم بن حبان البستي رحمه الله تعالى -:"الواجب على العاقل أن يشكر النعمة، ويحمد المعروف على حسب وسعه وطاقته إن قدر بالضّعف وإلا فبالمثل، وإلا فبالمعرفة بوقوع النعمة عنده، مع بذل الجزاء له بالشكر.

و أنشدني عليّ بن محمّد:

فمن كتم المعروف منهم فما	::	علامة شكر المرء إعلان حمده
شكر	:	
فما الذنب عندي للذي خان أو	::	إذا ما صديقي نال خيرا فخانني
فجر	:	

و أنشد عبد العزيز بن سليمان:

إنّ اهتمامك بالمعروف معروف	::	لأشكرنك معروفا هممت به
فالشّيء بالقدر المجلوب	:	
مصروف	::	ولا ألومك إن لم يمضه قدر
	:	

وأنشد المنتصر بن بلال:

شكورا يكن معروفة غير ضائع	::	ومن يسد معروفا إليك فكن له
تكن خير مصنوع إليه وصانع	:	
	::	ولا تبخلن بالشكر والقرض
	:	فأجزه

وقال الكريزي:

لمن سلفت لكم نعم عليه	::	أحقّ الناس منك بحسن عون
بحسن صنيعه منكم إليه	:	
	::	وأشكرهم أحقهم جميعا

وقال بعضهم:

فكن شاكرًا للمنعين لفضلهم
ومن كان ذا شكر فاهل زيادة
وأفضل عليهم إن قدرت وأنعم
وأهل لبذل العرف من كان ينعم

وقال آخر: "الحرّ لا يكفر النعمة، ولا يتسخط المعصية، بل عند النعم يشكر، وعند المصائب يصبر، ومن لم يكن لقليل المعروف عنده وقع أوشك ألا يشكر الكثير منه، والنعم لا تستجلب زيادتها ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر).

وقال ابن قدامة - رحمه الله تعالى -: "الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح. أمّا بالقلب فهو أن يقصد الخير ويضمره للخلق كافة. وأمّا باللسان: فهو إظهار الشكر لله بالتحميد، وإظهار الرضى ١ عن الله تعالى. وأمّا الجوارح: فهو استعمال نعم الله في طاعته، والتوقّي من الاستعانة بها على معصيته، فمن شكر العيين أن تستر كلّ عيب تراه للمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كلّ عيب تسمعه.

قال بعض السلف رحمهم الله تعالى: النعم وحشية فقيّدوها بالشكر.

ومن فوائد الشكر عامة:

- من كمال الإيمان وحسن الإسلام إذ إنّه نصف والنصف الآخر

الصبر.

- اعتراف بالمنعم والنعمة.

- سبب من أسباب حفظ النعمة بل المزيد.

- لا يكون باللسان فقط بل اللسان يعبر عمّا في الجنان وكذلك يكون

بعمل الجوارح والأركان.

- كثرة النعم من المنعم لا يمكن أن يؤدّي الإنسان حقّها إلا بالشكر

عليها.

- يكسب رضا الرّبّ ومحبّته.

- الإنسان الشكور قريب من النّاس حبيب إليهم.

- فيه دليل على سموّ النفس ووفور العقل.
- الشُّكُور قرير العين، يحبّ الخير للآخرين ولا يحسد من كان في نعمة.

ومن المواقف:

أخشى أن يكون حظك من الله لسانك:

قال الجنيد: كنت بين يدي السري ألعب وأنا ابن سبع سنين، فتكلموا في الشكر، فقال: يا غلام، ما الشكر؟ قلت: أن لا يعصى الله بنعمه، فقال: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك. قال الجنيد: فلا أزال أبكي على قوله. شكرًا لله:

عن سفيان بن عيينة قال: عمل رجل من أهل الكوفة بخلق دنيء فأعتق جارية له إذ عافاه الله من ذلك الخلق؛ قال: وأمطر أهل مكة مطراً فهدمت منه البيوت فأعتق ابن أبي رواد جارية له شكرًا لله إذ عافاه الله من ذلك.

فردّه الله عليك وزادك خمسين ديناراً:

قال مكّي بن إبراهيم - رحمه الله تعالى -:- "كُنّا عند ابن جريج المكيّ، فجاء سائل فسأله؟ فقال ابن جريج لخازنه: أعطه ديناراً، فقال: ما عندي إلاّ دينار إن أعطيته لجعت وعيالك. قال: فغضب وقال: أعطه. قال مكّي: فنحن عند ابن جريج، إذ جاءه رجل بصرة وكتاب وقد بعث إليه بعض إخوانه، وفي الكتاب: إنّي قد بعثت إليك خمسين ديناراً قال: فحلّ ابن جريج الصرّة فعدها فإذا هي أحد وخمسون ديناراً قال: فقال ابن جريج لخازنه: قد أعطيت واحدا فردّه الله عليك وزادك خمسين ديناراً-(1).

* * *

مواقف المتوكلين على الله

مواقف عربية

مواقف المتوكلين على الله

التوكل لغة: مصدر توَكَّلَ يتوَكَّلُ وهو مأخوذ من مادّة (و ك ل) التي تدلّ على اعتماد على الغير في أمر ما، ومن ذلك التَّوَكَّلَ وهو إظهار العجز في الأمر والاعتماد على غيرك، وواكل فلان إذا ضيّع أمره متكلًا على غيره والوكال في الدابة: أن يسير بسير الآخر. وقال الراغب: التَّوَكُّيلُ أن تعتمد على غيرك وتجعله نائبًا عنك، وتواكل القوم إذا اتَّكَل كلّ على الآخر، والاسم من التَّوَكُّيل الوكالة (بافتح والكسر). والاسم: التَّكْلَانُ، وتقول: اتَّكَلْتُ على فلان في أمري إذا اعتمدته، ويقال: فلان وكلة أو تكلة، أي عاجز يكل أمره إلى غيره، كما يقال: فرس واكل يعني يتكل على صاحبه في العدو، ويحتاج إلى الضرب. والمتوَكَّل على الله: الَّذي علم أنّ الله كافل رزقه وأمره فيركن إليه وحده، ولا يتوَكَّل على غيره.

قال ابن سيده: يقال وكل بالله وتوَكَّلَ عليه واتَّكَلَ بمعنى استسلم إليه، ويقال توَكَّلَ بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمري إلى فلان أي أَلْجَأْتُهُ إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلانا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزا عن القيام بأمر نفسه، ووكل إليه الأمر سلّمه، ووكله إلى رأيه وكلا ووكولا: تركه.

والوكيل من أسماء الله الحسنى:

قال ابن الأثير: في أسماء الله تعالى : " الوكيل " وهو القَيِّمُ الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنّه يستقلّ بأمر الموكول إليه.

وقال الغزالي: الوكيل هو الموكول إليه الأمور ولكنّ الموكول إليه ينقسم إلى من يوكل إليه بعض الأمور، وذلك ناقص، وإلى من يوكل إليه الكلّ، وليس ذلك إلاّ الله، سبحانه وتعالى. والموكول إليه ينقسم إلى من يستحقّ أن يكون موكولا إليه، لا بذاته ولكن بالتفويض والتَّوَكُّيل، وهذا ناقص، لأنّه فقير إلى التفويض والتَّوَلِيّة؛ وإلى من يستحقّ بذاته أن تكون الأمور موكولة إليه والقلوب متوكّلة عليه، لا بتولية وتفويض من جهة غيره، وذلك هو الوكيل المطلق، والوكيل أيضا ينقسم إلى من يفى بما وكلّ

إليه وفاء تاماً من غير قصور، وإلى من لا يفي بالجميع. والوكيل المطلق هو الذي الأمور موكولة إليه، وهو مليّ بالقيام بها، وفيّ بإتمامها، وذلك هو الله تعالى فقط.

وقد ورد لفظ: " الوكيل " في القرآن الكريم مرّات عديدة "4-وذكر فيه المفسّرون أقوالاً منها: حفيظاً لكم، كفيلاً بأموركم.

قال الشنقيطيّ في أضوائه: المعاني كلّها متقاربة، ومرجعها إلى شيء واحد هو أنّ الوكيل: من يتوكّل عليه، فتفوّض الأمور إليه، ليأتي بالخير ويدفع الشرّ.

وهذا لا يصحّ إلاّ الله وحده جلّ وعلا. ولهذا حدّر من اتّخاذ وكيل دونه لأنّه لا نافع ولا ضارّ ولا كافي إلاّ هو وحده جلّ وعلا، عليه توكلّنا، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

من أسماء رسول الله ﷺ : المتوكّل. كما في الحديث: " ... وسميتك المتوكّل- وإنما قيل له ذلك ﷺ لقناعته باليسير والصبر على ما كان يكره. واصطلاحاً: صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضارّ من أمور الدّنيا والآخرة، وكلة الأمور كلّها إليه، وتحقيق الإيمان بأنّه لا يعطي ولا يمنع ولا يضرّ ولا ينفع سواه. وقال الجرجاني: التّوكّل هو الثّقة بما عند الله واليأس عمّا في أيدي النّاس.

والأخذ بالأسباب لا ينافي التّوكّل:

قال ابن قيم الجوزيّة: التّوكّل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه. فمن أنكر الأسباب لم يستقم معه التّوكّل. ولكن من تمام التّوكّل: عدم الرّكون إلى الأسباب.

وقطع علاقة القلب بها، فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها.

فالأسباب محلّ حكمة الله وأمره ونهيه.

والتَّوَكَّلَ متعلِّقٌ بربوبيّته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبوديّة الأسباب إلّا على ساق التَّوَكَّلَ ولا يقوم ساق التَّوَكَّلَ إلّا على قدم العبوديّة.

بين التوكل والاتكال:

إنّ الأخذ بالأسباب مع تفويض أمر النّجاح لله تعالى والثّقة بأنّه عز وجل لا يضيع أجر من أحسن عملاً، هو من التَّوَكَّلَ المأمور به، أمّا القعود عن الأسباب وعدم السّعي فليس من التَّوَكَّلَ في شيء وإنّما هو اتّكال أو تواكل حدّرنا منه رسول الله ﷺ، ونهى عن الأسباب المؤدّية إليه، مصداق ذلك ما جاء في حديث معاذ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معاذ، تدري ما حقّ الله على العباد وما حقّ العباد على الله؟-قال (معاذ): قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "فإنّ حقّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقّ العباد على الله عز وجل ألاّ يعذّب من لا يشرك به شيئاً -قال: قلت: يا رسول الله، أفلا أبشّر النّاس؟ قال: "لا تبشّروهم فيتكلّوا-، وهنا يضع الرّسول ﷺ قاعدة جليّة، هي أنّ كلّ ما يؤدّي إلى ترك العمل أو ما يكون مظنةً للاتّكال أو التّواكل ليس من التَّوَكَّلَ في شيء، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ما يؤكّد هذه الحقيقة، ففي الحوار الذي رواه أبو هريرة عن المصطفى ﷺ وعمر بن الخطّاب رضي الله عنه هذا الحوار - كما جاء في رواية مسلم: قال عمر: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي، أبعثت أبا هريرة بنعليك، من لقي يشهد ألاّ إله إلّا الله مستيقناً بها قلبه، بشّره بالجنّة؟ قال: "نعم-، قال (عمر): فلا تفعل، فإنّي أخشى أن يتكلّ النّاس عليها، فخلّهم يعملون. قال رسول الله ﷺ: "فخلّهم يعملون -". ويفهم من الحديث والذي قبله أنّ الاتّكال يعني ترك العمل وعدم الأخذ بالأسباب وأنّ ذلك ليس من التَّوَكَّلَ في شيء.

بين التوكل والتفويض:

بين التَّوَكَّلَ على الله وتفويض الأمر إليه علاقة العموم والخصوص إذ التّفويض أوسع من معنى التَّوَكَّلَ، والتَّوَكَّلَ أخصّ من التّفويض، قال صاحب المنازل: والتّفويض ألطف إشارة، وأوسع معنى من التَّوَكَّلَ، والتَّوَكَّلَ يكون بعد وقوع السّبب، أمّا التّفويض فإنّه يكون قبل وقوع السّبب وبعده، والتّفويض هو عين الاستسلام، أمّا التَّوَكَّلَ فهو شعبة منه.

وقال ابن القيم: يعني بذلك من يفوض أمره إلى الله يتبرأ من الحول والقوة، ويفوض الأمر لصاحب الأمر من غير أن يقيم المفوض إليه مقام نفسه في مصالحه، بخلاف التوكّل، فإنّ الوكالة تقتضي أن يقوم الوكيل مقام الموكّل.

وقال - رحمه الله تعالى -: لو قال قائل: التوكّل فوق التفويض، وأجلّ منه وأرفع لكان مصيباً، ولهذا كان القرآن الكريم مملوءاً به (أي بالتوكّل) أمراً وإخباراً عن خاصّة الله وأوليائه، وصفوة المؤمنين، وأمر الله به رسوله في مواضع عديدة من كتابه، وسماه المتوكّل.

أمّا التفويض فلم يجئ في القرآن الكريم إلّا فيما حكاه المولى عز وجل عن مؤمن آل فرعون، وذلك قوله عز وجل: {وَأَفْوِضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ} [غافر: ٤٤]، ثمّ خلص إلى القول: إنّ اتّخاذ المولى عز وجل وكيلاً هو محض العبوديّة، وخالص التّوحيد، إذا قام به صاحبه حقيقة، وهو بذلك أوسع من التفويض، وأعلى وأرفع.

بين التوكّل والثقة بالله عز وجل:

نقل ابن القيم عن صاحب المنازل قوله: الثّقة : سواد عين التّوكّل، ونقطة دائرة التّفويض. وذكر من أمثلة ذلك ما جاء في القرآن الكريم عن أم موسى : {فَاذْخِفْ عَلَيْهِ فَكَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي} [القصاص: ١٧]، قال: فإنّ فعلها هذا هو عين ثقتها بالله تعالى، إذ لولا كمال ثقتها برّبّها لما ألقت بولدها في تيّار الماء، قال ابن القيم: والمراد أنّ الثّقة خلاصة التّوكّل ولبّه، كما أنّ سواد العين أشرف ما فيها، أمّا العلاقة بين الثّقة والتّفويض فتتلخّص في أنّ الثّقة هي التي يدور عليها التّفويض، قال: وكثير من النّاس يفسّر التّوكّل بالثّقة— ومنهم من يفسّره بالتّفويض، ومنهم من يفسّره بالنّسليم ومقام التّوكّل يشمل ذلك كلّهُ.

قلت: ومما يدلّ على صحّة ما قال ابن القيم من شمول معنى التّوكّل لكلّ من التّفويض والثّقة ما ذكره الإمام الغزاليّ في تعريف التّوكّل حيث قال: التّوكّل مشتقّ من الوكالة، يقال: وكلّ أمره إلى فلان: أي فوّضه إليه واعتمد عليه فيه، ويسمّى المفوض إليه: متكلّلاً عليه ومتوكّلاً عليه متى اطمأنّت إليه نفسه ووثق به، ولم يتّهمه فيه بتقصير، ولم يعتقد فيه عجزاً

أو قصورا، وهو (التَّوَكَّل) عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده.

مواطن التوكّل: إنّ التَّوَكَّل على الله عز وجل مطلوب في كلّ شئون الحياة، بيد أنّ هناك مواطن كثيرة ورد فيها الحضّ على التَّوَكَّل والأمر به للمصطفى صلوات الله عليه وآله وسلم ذكر الفيروز آبادي من ذلك:

- إن طلبتم النصير والفوج فتوكلوا عليه: {إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [آل عمران: ١٦٠].

- إذا أعرضت عن أعدائك فليكن رفيقك التَّوَكَّل: {فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء: ٨١].

- إذا أعرض عنك الخلق فاعتمد على التَّوَكَّل: {إِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ} [التوبة: ١٢٩].

- إذا تلى القرآن عليك أو تلوته فاستند على التَّوَكَّل: {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال: ٢].

- إذا طلبت الصلح والإصلاح بين قوم لا تتوسل إلى ذلك إلا بالتَّوَكَّل: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [الأنفال: ٦١].

- إذا وصلت قوافل القضاء فاستقبلها بالتَّوَكَّل: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: ٥١].

- إذا نصبت الأعداء حبالات المكر فادخل أنت في أرض التَّوَكَّل: {وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنْ كَانَ كِبُرُ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِبَايَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ} [يونس: ٧١].

- إذا عرفت أنّ مرجع الكلّ إلى الله وتقدير الكلّ فيها لله فوطن نفسك على فرش التَّوَكَّل: {فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود: ١٢٣].

- إذا علمت أنّ الله هو الواحد على الحقيقة، فلا يكن اتكالك إلا عليه: {قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ} [الرعد: ٣٠].

- إذا كانت الهداية من الله، فاستقبلها بالشكر والتَّوَكَّل: {وَمَا لَنَا إِلَّا نَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنْصِيرَكَ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ { [إبراهيم: ١٢].

- إذا خشيت بأس أعداء الله والشيطان والغدار فلا تلتجئ إلا إلى باب الله: { إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [النحل: ٩٩].

- إذا أردت أن يكون الله وكيالك في كل حال، فتمسك بالتوكل في كل حال: { وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } [النساء: ٨١].

- إذا أردت أن يكون الفردوس الأعلى منزلك فانزل في مقام التوكل: { الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ } [النحل: ٤٢].

- - إن شئت أن تنال محبة الله فانزل أولا في مقام التوكل: { فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران: ١٥٩].

- إذا أردت أن يكون الله لك، وتكون لله خالصا فعليك بالتوكل: { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ } [الطلاق: ٣]. { فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ } [النمل: ٧٩].

وقد قال الله عز وجل: { فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظًا الْقَلْبَ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ } [آل عمران: ١٥٩].

وقال الله عز وجل: { وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَرُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِّءَانِ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ } [النساء: ٨١ - ٨٣].

وقال الله عز وجل: { يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ } [المائدة: ١١].

وقال الله عز وجل: { وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ } [الأنفال: ٦١].

وقال الله عز وجل: { قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (٥١) [التوبة: ٥١].

وقال الله عز وجل: { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } (١٢٣) [هود: ١٢٣].

وقال الله عز وجل: { وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } (٥٦) { قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا } (٥٧) { وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا } (٥٨) { الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَبِيرًا } (٥٩) { [الفرقان: ٥٦ - ٥٩].

وقال الله عز وجل: { وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } (٢١٤) { وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (٢١٥) { فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ } (٢١٦) { وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ } (٢١٧) { الَّذِي يَرْبِكَ حِينَ تَقُومُ } (٢١٨) { وَتَقْلُبَكَ فِي السَّجِدِينَ } (٢١٩) { إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ } (٢٢٠) { [الشعراء: ٢١٤ - ٢٢٠].

وقال الله عز وجل: { إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ } (٧٦) { وَإِنَّهُ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } (٧٧) { إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ } (٧٨) { فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ } [النمل: ٧٦ - ٧٩].

وقال الله عز وجل: { يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا } (١) { وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا } (٢) { وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا } (٣) { [الأحزاب: ١ - ٣].

نعم الوكيل (الله - عز وجل) :-

وقال الله عز وجل: { يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ } (١٧١) { الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ } (١٧٢) { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } (١٧٣) { [آل عمران: ١٧١ - ١٧٣].

وقال الله عز وجل: { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا

{ ١٣٢ } [النساء: ١٣٢].

وقال الله عز وجل: { يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا } [النساء: ١٧١].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: "إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. قال: يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت فتتنحى^(١) له الشياطين، فيقول له شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟^(٢)."

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال: "أعقلها وتوكل"^(٣).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو^(٤) خصاصا وتروح^(٥) بطاناً"^(٦).

(1) تتنحى: تتأخر.

(2) أبو داود (5095) واللفظ له. الترمذي (2426) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال محقق الأصول " (4/ 274): وهو حديث صحيح.

(3) الترمذي (2517) وهذا لفظه، وقال: هذا حديث غريب من حديث أنس. الحاكم (3/ 623) وقال الذهبي في التلخيص: إسناده جيد، البيهقي في الشعب (3/ 1414) من حديث عمرو بن أمية الضمري، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء بعد أن عزاه للترمذي: رواه ابن خزيمة في التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري، وقال: إسناده جيد. وذكره الشيخ الألباني في صحيح الجامع (4809) وقال: حسن.

(4) تغدو: تذهب أول النهار.

(5) تروح: ترجع آخر النهار.

(6) الترمذي (2324) وقال: هذا حديث حسن صحيح، ابن ماجه (4164) وهذا لفظه، أحمد (30/ 1) وقال أحمد شاكر (1/ 343): إسناده صحيح، البيهقي في شعب الإيمان (3/ 378).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عرضت علي الأمم، فرأيت النبي ومعه الرهيط⁽¹⁾، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد. إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمّتي، فقيل لي: هذا موسى ﷺ وقومه ولكن انظر إلى الأفق، فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي: هذه أمّتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. — ثم نهض فدخل منزله فحاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ، وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله، وذكر أشياء، فخرج عليهم رسول الله ﷺ فقال: "ما الذي تخوضون فيه؟ - فأخبروه. فقال: "هم الذين لا يرقون ولا يسترقون⁽²⁾، ولا يتطيرون⁽³⁾ وعلى ربهم يتوكلون —. فقام عكاشة بن محصن، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: "أنت منهم —، ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: "سبقك بها عكاشة⁽⁴⁾."

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه أنّه قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً، فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف⁽⁵⁾."

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قال: "اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول، وبك أجول،

(1) الرهيط: مصغر رهط وهم الجماعة دون العشرة.

(2) لا يسترقون: لا يطلبون من أحد أن يرقبهم.

(3) لا يتطيرون: لا يتشاءمون.

(4) البخاري - الفتحة (6541، 5705)، مسلم (220) واللفظ له.

(5) الترمذي (2516) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح، أحمد (1/ 293، 303) وقال الشيخ أحمد شاكر: صحيح (4/ 293) برقم (2763).

وبك أصول، وبك أقاتل-⁽¹⁾.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وبك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون-⁽²⁾".

وكان موسى عليه السلام يقول: "اللهم لك الحمد وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك—".

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: "كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوا الناس، فأنزل الله تعالى: { وَتَكَزَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى } [البقرة: ١٩٧].

قال الزبير بن العوام رضي الله عنه : كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود. قال: اجتمع يوما أصحاب رسول الله ﷺ ، فقالوا: والله ما سمعت قریش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعه؟ قال عبد الله بن مسعود: أنا. قالوا: إنا نخشاهم عليك. إنما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه، قال : دعوني فإن الله عز وجل سيمنعني، قال: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى، وقریش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ: بسم الله الرحمن الرحيم رافعا بها صوته: {الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝} [الرحمن: ١ - ٢]، قال: ثم استقبلها يقرؤها. قال: فتأملوه فجعلو يقولون ما يقول ابن أم عبد؟ قال: ثم قالوا: إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد، فقاموا إليه فجعلو يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه، فقالوا هذا الذي خشينا عليك. قال: ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن، ولنن سنتم لأغاديئهم بمثلها، قالوا: حسبك فقد أسمعتهم ما يكرهون.

(1) الترمذي (3584) وقال: حسن غريب وقال: عضدي يعني عوني. أبو داود (2632) وهذا لفظه. وعزاه المزي في التحفة (342 / 1) إلى سنن النسائي الكبرى وعمل اليوم والليلة أيضا.

(2) مسلم (2717).

عن عون بن عبد الله قال: بينا رجل في بستان بمصر في فتنة ابن الزبير⁽¹⁾ مكتئباً معه شيء ينكت به في الأرض، إذ رفع رأسه فسنح له⁽²⁾ صاحب مسحة، فقال له: يا هذا مالي أراك مكتئباً حزينا؟ قال: فكأنه ازدراه⁽³⁾. فقال: لا شيء. قال صاحب المسحة⁽⁴⁾: ألدنيا فإن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البرّ والفاجر، والآخرة أجل صادق يحكم فيها ملك قادر، يفصل بين الحقّ والباطل. فلما سمع ذلك منه كأنه أعجبه، قال: فقال: لما فيه المسلمون. قال: فإنّ الله سينجيّك بشفتك على المسلمين، وسل، فمن ذا الذي سأل الله عز وجل فلم يعطه، ودعاه فلم يجبه وتوكل عليه فلم يكفه، أو وثق به فلم ينجه؟ قال: فعلقت لدعاء⁽⁵⁾: اللهم سلّمني وسلّم متي فتمحلت⁽⁶⁾ ولم تصب منهم أحداً⁽⁷⁾.

قال سعيد بن جبیر - رحمه الله - : التوكل على الله عز وجل جماع الإيمان.

قال عياض الأشعري - رحمه الله تعالى: شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة بن الجراح ويزيد بن أبي سفيان وابن حسنة وخالد بن الوليد وعياض. وقال عمر رضي الله عنه: "إذا كان قتال فعليكم أبو عبيدة. قال فكتبنا إليه: أنه قد جاش إلينا الموت، واستمددناه فكتب إلينا أنه قد جاءني كتابكم تستمدوني وإنّي أدلكم على من هو أعزّ نصراً وأحضر جنداً، الله عز وجل فاستنصروه فإنّ محمداً ﷺ قد نصر يوم بدر في أقلّ من عدّتكم، فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني. فقاتلناهم فهزمناهم وقتلناهم أربع فراسخ، وأصبنا أموالاً.

(1) فتنة ابن الزبير: قتاله مع الحجاج.

(2) فسّح له: عرض له.

(3) ازدراه: استصغر شأنه.

(4) مسحة: مجراف من الحديد.

(5) فعلقت لدعاء: فاغتمته.

(6) فتمحلت: فانكشفت الفتنة.

(7) التوكل لابن أبي الدنيا (52) وقال مخرجه: إسناده صحيح.

قال شقيق بن سلمة أبو وائل؛ قال : خرجنا في ليلة مخوفة، فمررنا بأجمة⁽¹⁾ فيها رجل نائم، وقيد فرسه فهي ترعى عند رأسه فأيقظناه، فقلنا له:

تنام في مثل هذا المكان؟ قال: فرفع رأسه فقال: "إني أستحي من ذي العرش أن يعلم أنني أخاف شيئاً دونه-ثم وضع رأسه فنام.

قال الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - : ينبغي للناس كلهم (يتوكلون) على الله عز وجل ولكن يعودون أنفسهم بالكسب فمن قال بخلاف هذا القول فهذا قول إنسان أحمق.

وقال أيضا: "الاستغناء عن الناس بطلب العمل أعجب إلينا من الجلوس وانتظار ما في أيدي الناس.

وقال أيضا: "صدق المتوكل على الله عز وجل - أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الأدميين يطمع أن يجيئه بشيء، فإذا كان كذلك كان الله يرزقه وكان متوكلاً.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى: "التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم.

قال ابن القيم والفيروز آبادي - رحمهما الله تعالى - : "التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبادة، فالتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة.

وقال صالح بن جناح:

- فليس لنا غير التوكل عصمة :: على ربنا إن التوكل نافع

وقال يحيى بن زياد:

- لا تجز عن متى اتكلت على ::
الذي :: ما زال مبتدئاً يجود ويفضل
- ولقد يريح أخو التوكل نفسه :: إن المريح لعمرك المتوكل ::

(1) الأجمة: الشجر الكثير الملتفت.

وقال مسعود سماحة:

لـ : - ألا انظر في أمورك لا تكلها
لـ : - وخَلْ أمورَ غيرك في يديه
لـ :
لـ :

وقال مالك بن عيمر التغلبي:

لـ : - توكلنا على الرحمن إنا
لـ : - ومن لبس التوكل لم تجده
لـ :
لـ :

وقال منصور بن محمد الكريزي:

لـ : - توكل على الرحمن في كل
لـ : - حاجة
لـ : - متى ما يرد ذو العرش أمراً
لـ : - بعبده
لـ : - وقد يهلك الإنسان من وجه
لـ : - أمنه
لـ :

من فوائد (التوكل):

- أنه من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- يجلب محبة الله تعالى ومعونته ونصره وتأييده.
- دوام طلب المعونة من الله الملك ليقين المتوكل بالعجز التام عن
- تحصيل ما يريده وتمام قدرة الله على إنجاز كل ما يريد وفوق ما يريد.
- الحفظ والمنعة من الشيطان الرجيم ومن البشر اللئيم.
- الوقوف على الحدود الشرعية وعدم الخوض في الحرام.
- ترك المزاحمة مع الناس؛ لأن المتوكل لا يخاف فوت شيء قدر له.
- قطع الطمع فيما في أيدي الناس توكلًا على ما عند الله.
- راحة البال واستقرار الحال.
- لا يمنع الأخذ بالأسباب المشروعة المباحة مع الخروج من أسرها.
- يحقق طاعة الله ورسوله ﷺ .

- يحقق رضا الله، فيجعل للعبد مخرجاً ويكفر عنه سيئاته.
 - يهياً صاحبه للفوز بصحبة النبيين في جنات النعيم.
 - من أسباب سعة الرزق.
 - به تمام المعونة من الله عز وجل مما يدفع عن المتوكل شر الأشرار من الشيطان ومن كل من يكيده.
- ومن المواقف:**

ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح:

قال إبراهيم بن أدهم لشقيق البلخي بمكة: ما بدء أمرك الذي بلغك إلى هذا؟ فذكر أنه رأى في بعض الفلوات طائراً مكسور الجناحين، أتاه طائر صحيح الجناح، في منقاره جرادة، فتركت التكسب واشتغلت بالعبادة، فقال له إبراهيم: ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح الذي أطعم الطائر المكسور حتى تكون أفضل منه؟ أما سمعت عن النبي ﷺ: **“اليد العليا خير من اليد السفلى”**. ومن علامة المؤمن: أن يطلب أعلى الدرجتين في أموره كلها، حتى يبلغ منازل الأبرار، فأخذ شقيق يد إبراهيم فقبلها وقال: أنت أستاذنا يا أبا إسحاق.

لم أعنك رحمك الله:

وعن عبد الله الهروي قال كنا مع الفضيل بن عياض على جبل أبي قيس فقال لو أن رجلاً صدق في توكله على الله ثم قال لهذا الجبل اهتز لا اهتز فوالله لقد رأيت الجبل اهتز وتحرك فقال له الفضيل رحمه الله تعالى لم أعنك رحمك الله فسكن (1).

أيش قلت؟:

قال حاتم: قدم شقيق بن إبراهيم من الكوفة يريد مكة، فلقبه سفيان الثوري فقال له: أنت الذي يدعو إلى التوكيل ويمنع المكاسب؟ فقال: شقيق ما قلت كذا. قال: أيش قلت؟ قال: قلت: حلال بين وحرام بين ومتشابه فيما بين ذلك ولكن دخلت الآفة من الخاصة على العامة. وهم خمس طبقات:

(1) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1986، 549/2.

فأولهم العلماء، والثاني الزهاد، والثالث الغزاة، والرابع التجار، والخامس السلطان. فأما العلماء فهم ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم. وإذا كان العالم طامعاً جامعاً فالجاهل بمن يقتدي؟ وأما الزهاد فهم ملوك الأرض. فإذا كان الزاهد يرغب فيما في أيدي الناس فالراغب بمن يقتدي؟ وأما الغزاة فهم أضياف الله في أرضه. فإذا كان الغازي يحب الخيلاء والتصدر في المجالس فمن يغزو؟ وأما التجار فهم أمناء الله عز وجل في أرضه، فإذا كان التاجر الأمين خائناً فالخائن بمن يقتدي؟ وأما السلطان فهم الرعاة، فإذا كان الراعي هو الذئب فالذئب ما يجد ما يأكل. يا سفيان، لا تجمعن منها إلا قدر مقامك فيها، فقام سفيان ولم يردّ عليه شيئاً.

هكذا كلاب بلخ:

قدم شقيق البلخي مكة وإبراهيم بن أدهم بمكة فاجتمع الناس فقالوا نجمع بينهما فجمعوا بينهما في المسجد الحرام فقال إبراهيم بن أدهم لشقيق يا شقيق على ما أصلتكم أصولكم فقال شقيق إنا أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا أكلنا وإذا منعا صبرنا فقال إبراهيم بن أدهم هكذا كلاب بلخ إذا رزقت أكلت وإذا منعت صبرت فقال شقيق على ما أصلتكم أصولكم يا أبا إسحاق فقال أصلنا أصولنا على أنا إذا رزقنا آثرنا وإذا منعنا حمدنا وشكرنا قال فقام شقيق وجلس بين يديه وقال يا أبا إسحاق أنت أستاذنا.

التجربة شك:

ودخل جماعة على الجنيد فقالوا نطلب الرزق قال إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه قالوا فنسال الله ذلك قال إن علمتم انه ينساكم فذكروه قالوا لندخل البيت فننوكل قال التجربة شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة.

فانتبهت وأنا أسمع الصراخ:

قال أبو سعيد الخراز: رأيت شقيقاً البلخي في النوم، قلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، غير أننا لا نلحقكم، قلت: ولم ذاك؟ قال: لأننا توكلنا على الله بوجود الكفاية وتوكلتم بعدم الكفاية، قال: فسمعت الصراخ: صدق صدق، فانتبهت وأنا أسمع الصراخ ⁽¹⁾.

* * *

(1) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي، القصاص والمذكرين، تحقيق د. محمد لطفي الصباغ، نشر المكتب الإسلامي، 1409 هـ - 1988م، مكان النشر بيروت، ص 275.

أحوال الراضين والقانعين

مواقف عربية

أحوال الراضين والقانعين

الرضا لغة: مصدر رضي يرضى وهو مأخوذ من مادة (ر ض و) التي تدلّ على خلاف السخط. وفي حديث الدعاء: "اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك—".

وتثنية الرضا رضوان ورضيان، والاسم الرضاء (بالمذ) والرضا (بالقصر)، قال القحيف العقيلي:

إذا رضيت عليّ بنو قشير : لعمر الله أعجبنى رضاها
ولا تنبو سيوف بني قشير : ولا تمضي الأسنة في صفاها

عدّاه بعلى لأّنه إذا رضيت عنه أحبّته وأقبلت عليه. فلذلك استعمل على بمعنى عن.

وقوله عز وجل: {رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ} [البينة: ٨]، معناه أنّ الله تعالى رضي عنهم أفعالهم ورضوا عنه ما جازاهم به.

وقال الراغب: رضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرا بأمره ومنتهيا عن نهيه. وأرضاه: أعطاه ما يرضى به. وترضاه طلب رضاه، قال:

إذا العجوز غضبت فطلق : ولا ترضاها ولا تملق

وفي الصحاح: الرضوان: الرضا، وكذلك الرضوان، بالضمّ، والمرضاة مثله. والمرضاة والرضوان مصدران، وقيل في عيشة راضية أي مرضيّة أي ذات رضى. والرضوان: الرضا الكثير، ولما كان أعظم الرضا رضا الله - سبحانه - خصّ لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله عز وجل قال سبحانه: {يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا} [الفتح: ٢٩]، وقال عزّ من قائل: {يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ} [التوبة: ٢١].

ويقال: رضيت به صاحباً، وأرضيته عني ورضيته، بالتشديد أيضاً، فرضي، وتراضى القوم: أظهر كلّ واحد منهم الرضا بصاحبه ورضيه.

والرضا اصطلاحاً: هو سرور القلب بمرّ القضاء. وقيل: الرضا

ارتفاع الجزع في أيِّ حكم كان، وقيل الرّضا هو صحّة العلم الواصل إلى القلب. فإذا باشر القلب حقيقة العلم أدّاه إلى الرّضا.

وقيل استقبال الأحكام بالفرح. وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام. وقيل: نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد فإنّه اختار له الأفضل. وهو ترك السّخط.

وقال المناوي: الرّضا طيب نفسيّ للإنسان بما يصيبه أو يفوته مع عدم التّغيّر، وقول الفقهاء يشهد على رضاها أيّ إذنّها جعلوا الإذن رضا لدلالته عليه.

أنواع الرضا:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -:

من لزم ما يرضي الله من امتثال أوامره واجتناب نواهيه لا سيّما إذا قام بواجبها ومستحبّها فإنّ الله يرضى عنه، كما أنّ من لزم محبوبات الحقّ أحبّه الله. كما قال في الحديث الصّحيح الذي في البخاري: "من عادى لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وما تقرب إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنّوافل حتّى أحبّه فإذا أحببته..." الحديث. وذلك أنّ الرّضا نوعان:

أحدهما: الرّضا بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه. ويتناول ما أباحه الله من غير تعدّد محظور.

{وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} [التوبة: ٥٩]. وهذا الرّضا واجب.

ولهذا ذمّ من تركه بقوله: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسَخَطُونَ} ٥٨ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ} [التوبة: ٥٨ - ٥٩].

والنّوع الثّاني: الرضا بالمصائب: كالفقر والمرض والدّلّ. فهذا رضا مستحبّ في أحد قولي العلماء، وليس بواجب، وقد قيل: إنّّه واجب، والصّحيح أنّ الواجب هو الصّبر. كما قال الحسن:

الرّضا غريزة، ولكنّ الصّبر معوّل المؤمن. وقد روي في حديث ابن عبّاس أنّ النّبي ﷺ قال: "إن استطعت أن تعمّ بالرّضا مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإنّ في الصّبر على ما تكره خيرا كثيرا —. وأمّا الرّضا بالكفر والفسوق والعصيان: فالَّذي عليه أنمة الدين أنّه لا يرضى بذلك، فإنّ الله لا

يرضاه كما قال: {وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ} [الزمر: ٧]، وقال: {وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ} [البقرة: ٢٠٥]، وقال تعالى: {فَإِنْ تَرَضُوا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٩٦].

قال ابن القيم - رحمه الله - بعد أن ساق حديثين: الأوّل: قوله ﷺ: "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربّا وبالإسلام ديناً وبمحمّد رسولا—.

والثاني: قوله: "من قال حين يسمع النّداء رضيت بالله ربّا وبالإسلام ديناً وبمحمّد رسولا غفرت له ذنوبه —. قال - رحمه الله -: هذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدّين، وإليهما ينتهي. وقد تضمّن الرّضا بربوبيّته سبحانه وألوهيّته. والرّضا برسوله، والانقياد له، والرّضا بدينه والتّسليم له.

ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصّدّيق حقّا.

وهي سهلة بالدّعوى واللّسان، وهي من أصعب الأمور عند حقيقة الامتحان. ولا سيّما إذا جاء ما يخالف هوى النّفس ومرادها، من ذلك تبيّن أنّ الرّضا كان لسانه به ناطقا. فهو على لسانه لا على حاله.

فالرّضا بالهويّة يتضمّن الرّضا بمحبّته وحده، وخوفه، ورجائه، والإنابة إليه، والتّبتّل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحبّ كلّها إليه، فعل الرّاضي بمحبوبه كلّ الرّضا. وذلك يتضمّن عبادته والإخلاص له، والرّضا بربوبيّته يتضمّن الرّضا بتدبيره لعبده. ويتضمّن إفراده بالتّوكّل عليه، وبالإستعانة به والثّقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضيا بكلّ ما يفعل به. فالأوّل: يتضمّن رضاه بما يؤمر به. والثّاني: يتضمّن رضاه بما يقدره عليه.

وأما الرّضا بنبيّه رسولا فيتضمّن كمال الانقياد له، والتّسليم المطلق

إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة. لا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره ولا يرضى إلا بحكمه.

فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطرّ إذا لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم. وأحسن أحواله: أن يكون من باب التراب الذي إنما يتيمم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

وأما الرضا بدينه: فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى، رضي كل الرضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلم له تسليمًا، ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواها، أو قول مقلّده وشيخه وطائفته⁽¹⁾.

وجوب ابتغاء مرضاة الله عز وجل في كل عمل:

وقال المولي عز وجل: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ } [البقرة: ٢٠٧].

وقال تعالى: { يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُطْلَوْا أَصْدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } [٢٦٤] وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَنَبُّيَاتٍ مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَتَأَنَّتْ أَكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِيبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } [البقرة: ٢٦٤ - ٢٦٥].

وقال تعالى: { لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا } [النساء: ١١٤].

وقال تعالى: { يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُحْلَوْا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدَى وَلَا أَفْلَکَيْدَ وَلَا ءَامِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْبَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حُلَلْتُمْ

(1) مدارج السالكين لابن القيم (2/ 179، 180)، بصائر ذوى التمييز (3/ 79 - 81).

فَأَصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْخَفَةُ وَالْمَوْفُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذُكِّرْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْنَقُوا بِأَلْزَامِ ذَلِكَمَ ذِكْرُكُم فَسَقُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ { [المائدة: ٢ - ٣].

وقال تعالى: { يَتَأَهَّلِ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [المائدة: ١٥ - ١٦].
وقال تعالى: { يَخْلَفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ } ﴿٦٢﴾ { [التوبة: ٦٢].

وقال تعالى: { أَفَمَن أَسْسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّن أَسْسَ بُيُوتَهُ عَلَى شِقَاجِرٍ هَاكِرٍ فَتَنَارِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } ﴿١٠٩﴾ { [التوبة: ١٠٩].

وقال تعالى: { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ } ﴿٦١﴾ ثُمَّ فَقَيْنَا عَلَىٰ ءَانْدَرِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ } ﴿٢٧﴾ [الحديد: ٢٦ - ٢٧].

وقال تعالى: { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } ﴿٨﴾ [الحشر: ٨].

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خُرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَقْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾} [المتحنة: ١].

إرضاء الله عز وجل رسوله ﷺ والمؤمنين في الدنيا والآخرة:

وقال تعالى: {قَدْ زُرَى ثَقَلَبٌ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾} [البقرة: ١٤٤].

وقال تعالى: {قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِمَنِ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾} [آل عمران: ١٥].

وقال تعالى: {أَفَمِنْ أَتْبَعِ رِضْوَانِ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَا لَهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾} [آل عمران: ١٦٢].

وقال تعالى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ إِلَى دِيَارِهِمْ فَأَتَى الْفَوْزَ الْعَظِيمَ ﴿١٧٤﴾} [آل عمران: ١٧٢ - ١٧٤].

وقال تعالى: {قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾} [المائدة: ١١٩].

وقال تعالى: {الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾} [التوبة: ٢٠ - ٢٢].

وقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (٧٢) { [التوبة: ٧٢].

وقال تعالى: {وَالسَّيِّقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} (١٠٠) { [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ} (١٣٠) { [طه: ١٣٠].

وقال تعالى: {لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَتَدَّهُمْ فِي رُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (٢٢) { [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: {وَالضُّحَىٰ ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَاقَىٰ ٣ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ٥} [الضحى: ١ - ٥].

وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمُ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ٧ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ٨} [البينة: ٧ - ٨].

وقال تعالى: {تُرْجَىٰ مِنْ شَاءَ مِنْهُمْ وَنُصِيَ إِلَيْكَ مِنْ شَاءَ ٣ وَمَنْ ابْتِغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُمْ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَىٰ بِمَا آتَيْتَهُمْ كُلُّهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ٥١} [الأحزاب: ٥١].

وقد قال الحبيب محمد ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ لِيرِضَىٰ عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ (١) فِيحَمْدِهِ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فِيحَمْدِهِ عَلَيْهَا". (٢)

(١) الأكلة: بفتح الهمزة، وهي المرة الواحدة من الأكل، كالغداء والعشاء.

(٢) مسلم (2734).

وعن أبي سلام رضي الله عنه خادم النبي ﷺ - عن النبي ﷺ ، قال: "ما من مسلم، أو إنسان، أو عبد، يقول، حين يمسي، وحين يصبح: رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً إلا كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة".⁽¹⁾

وعن عائشة رضي الله عنه قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من التمس رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس. ومن التمس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس".⁽²⁾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهنّ أو يعلم من يعمل بهنّ". فقال أبو هريرة: فقلت: أنا يا رسول الله. فأخذ بيدي فعدّ خمسا، وقال: "أتق المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب".⁽³⁾

وعن أم سلمة رضي الله عنه أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتى واخلف لي خيرا منها. إلا أخلف الله له خيرا منها".⁽⁴⁾

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده، فيقولون: نعم، فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتا في الجنة

(1) ابن ماجه (3870/2) وفي الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(2) صحيح سنن الترمذي (1967) وهو في الصحيحة (2311).

(3) أحمد في المسند (310/2)، والترمذي (2305) واللفظ له وحسنه الألباني، وابن ماجه

(4217) وقال محقق جامع الأصول (687/11): حديث حسن.

(4) مسلم (918).

وسمّوه بيت الحمد⁽¹⁾.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عجبت من قضاء الله عز وجل - للمؤمن إن أصابه خير حمد ربّه وشكر، وإن أصابته مصيبة حمد ربّه وصبر. المؤمن يؤجر في كلّ شيء حتّى في اللّقة يرفعها إلى في امرأته⁽²⁾."

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كلّه خير، وليس ذاك لأحد إلّا للمؤمن. إن أصابته سرّاء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضرّاء صبر فكان خيرا له⁽³⁾."

وقد قال لقمان لابنه: أوصيك بخصال تقرّبك من الله وتباعدك من سخطه: أن تعبد الله لا تشرك به شيئا، وأن ترضى بقدر الله فيما أحببت وكرهت.

- وكتب عمر بن الخطّاب إلى أبي موسى رضي الله عنه -: "أمّا بعد، فإنّ الخير كلّ في الرّضى، فإن استطعت أن ترضى وإلّا فاصبر.

وعن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: "لما كان بين إبراهيم وبين أهله ما كان خرج بإسماعيل وأمّ إسماعيل، ومعهم شنة⁽⁴⁾ فيها ماء، فجعلت أمّ إسماعيل تشرب من الشنة فيدرّ لبنها على صبيّها حتّى قدم مكّة فوضعها تحت دوحة⁽⁵⁾، ثمّ رجع إبراهيم إلى أهله فاتّبعته أمّ إسماعيل حتّى لمّا بلغوا كداء نادته من ورائه: يا إبراهيم إلى من نتركنا؟ قال: إلى الله. قالت: رضيت بالله⁽⁶⁾."

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه: "إذا توفّي العبد المؤمن، أرسل

(1) الترمذي (1021) وحسن إسناده الألباني.

(2) أحمد (173 / 1، 177، 178) وشرح السنة (1540) وقال مخرجه: إسناده حسن والبيهقي في السنن (3/ 375، 376) والهيثمى في المجمع (7/ 209) وقال: رواه أحمد بأسانيد ورجالها كلها رجال الصحيح.

(3) مسلم (2999).

(4) الشنة: هي القرية الصّغيرة.

(5) الدوحة: الشجرة الكبيرة.

(6) البخاري - الفتح 6 (3365).

الله إليه ملكين، وأرسل إليه بتحفة من الجنة. فيقال: اخرجني أيتها النفس المطمئنة، اخرجني إلى روح وريحان وربّ عنك راض.

وعن عائشة رضي الله عنه في قوله تعالى: {وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا} [النساء: ١٢٨]، قالت: هو الرجل يرى من امرأته ما لا يعجبه كبيراً أو غيره فيريد فراقها، فتقول: أمسكني، أو أقسم لي ما شئت. قالت: ولا بأس إذا تراضيا.

قال ميمون بن مهران: من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء.
وقال الربيع بن أنس: علامة حبّ الله، كثرة ذكره، فإنّك لا تحبّ شيئاً إلاّ أكثرت من ذكره، وعلامة الدين: الإخلاص لله في السرّ والعلانية، وعلامة الشكر: الرضى بقدر الله والتسليم لقضائه.

وعن مالك بن أنس - رحمه الله - قال بلغني أنّ رجلاً من بعض الفقهاء كتب إلى ابن الزبير رضي الله عنه - يقول: "ألا إنّ لأهل التقوى علامات يعرفون بها، ويعرفونها من أنفسهم، من رضي بالقضاء، وصبر على البلاء، وشكر على النعماء، وصدق باللسان، ووفا بالوعد والعهد، وتلا لأحكام القرآن، وإنّما الإمام سوق من الأسواق، فإن كان من أهل الحقّ حمل إليه أهل الحقّ حقهم، وإن كان من أهل الباطل حمل إليه أهل الباطل باطلهم.

وقال عبد الله بن المبارك: قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: "يا بني، إنّما تستدلّ على تقوى الرجل بثلاثة أشياء: لحسن توكلّه على الله فيما نابه، ولحسن رضاه فيما آتاه، ولحسن زهده فيما فاتّه.

وقال ابن القيم - رحمه الله -: ثمرة الرّض : ١: الفرح والسّرور بالرّبّ تبارك وتعالى.

وقال الفيروز ابادي: "رضا العبد عن الله على ألاّ يكره ما يجري به قضاءؤه، والرّضوان الرّضا الكبير. ولما كان أعظم الرّضا رضا الله خصّ لفظ الرّضوان في القرآن بما كان من الله تعالى.

وقال محمود الورّاق:

أعيب كلّ الناس من نفسي :: إلاّ الحسود فإنّه أعياني

الرّضا :
ما إن لي ذنبا إليه عملته ::
وأبى فما يرضيه إلا ذلتي ::
: ::
:

وقال المتنبي:

وعين الرّضى عن كل عيب كليلة ::
كما أن عين السّخط تبدي ::
المساويا :

وقال كشاجم:

لم أرض عن نفسي مخافة ::
سخطها ::
ولو أنني عنها رضيت لقصّرت ::
وتبيّنت آثار ذاك فأكثررت ::
: ::
ورضا الفتى عن نفسه إغضاها ::
عما تزيد بمثله آدابها ::
عذلي عليه فطال فيه عتابها ::
:

من فوائد الرضا:

- يثمر محبة الله ورضاه وتجنّب سخطه.
- دليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- الفوز بالجنة والنّجاة من النّار.
- مظهر من مظاهر صلاح العبد وتقواه.
- الوعد بالبشرى في الآخرة.
- دليل حسن ظنّ العبد برّبّه.
- طريق إلى الفوز برضوان الله تعالى.
- يضيف على الإنسان المسلم راحة نفسيّة وروحيّة.
- يجنّب المسلم الأزمات النّفسيّة من قلق زائد وتوتر.
- طريق واضح إلى تحقيق السّلام الاجتماعي.

ومن المواقف

فما عوضك؟:

كان لبعض الملوك نديم فسكّر ففاته الصلاة فجاءت جارية له بجمرة

نار فوضعتها على رجله فانتبه مذعورا فقالت إنك لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فترك الدنيا وانقطع إلى العبادة وقعد يبيع البقل فدخل عليه الفضيل وابن عيينة فإذا تحت رأسه لبنة وليس تحت جنبه حصير فقالا له إنا روينا أنه لم يدع أحد شيئا لله إلا عوضه خيرا منه فما عوضك؟ قال القناعة والرضا بما أنا فيه⁽¹⁾.

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا!:

ويروى أن الفضيل بن عياض كان هو ورفيق له في بعض الصحاري فأكلا كسرة يابسة واغترفا بأيديهما ماء من بعض الغدران وقام الفضيل فحط رجله في الماء فوجد برده فالتذ به وبالحال التي هو فيها فقال لرفيقه لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا⁽²⁾.

لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف:

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: خرجت أنا وإبراهيم بن أدهم، وأبو يوسف الغسولي، وأبو عبد الله السنجاري نريد الإسكندرية، فمررنا بنهر يقال له نهر الأردن، فقعدنا نستريح، وكان مع أبي يوسف كسيرات يابسات، فألقاها بين أيدينا فأكلناها وحمدنا الله تعالى، فقامت أسعى أتناول ماء لإبراهيم، فبادر إبراهيم فدخل النهر حتى بلغ الماء إلى ركبته، فقال بكفيه في الماء فملأها، ثم قال: (بسم الله) وشرب الماء، ثم قال: (الحمد لله)، ثم ملأ كفيه من الماء وقال: (بسم الله) وشرب، ثم قال: (الحمد لله)، ثم إنه خرج من النهر فمد رجله، ثم قال: يا أبا يوسف، لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف أيام الحياة على ما نحن فيه من لذيذ العيش وقلة التعب، فقلت: يا أبا إسحاق، طلب القوم الراحة والنعيم، فأخطؤوا الطريق المستقيم. فتبسم، ثم قال: من أين لك هذا الكلام؟!⁽³⁾.

(1) أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن محمد بن أبي الحديد المدائني، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الأولى، - 1418هـ - 1998م، 792/1.

(2) ابن هبة الله، شرح نهج البلاغة، 4291/1.

(3) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق،

وهو عن الله راض والله عنه راض:

عن بن شاذب قال اجتمع مالك بن دينار ومحمد بن واسع فتذاكروا العيش فقال مالك ما شيء أفضل من أن يكون للرجل غلة يعيش فيها فقال محمد طوبى لمن وجد غداء ولم يجد عشاء ووجد عشاء ولم يجد غداء وهو عن الله راض والله عنه راض⁽¹⁾.

* * *

حقيقة الدنيا

مواقف عربية

حقيقة الدنيا

وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور:

جاء في "مختصر منهاج القاصدين- ما مختصره:

الآيات الواردة في القرآن العزيز بعبق الدنيا، والتزهيد فيها،

وضرب الأمثال لها كثيرة، كقوله تعالى: { زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْمَعَادِ } (١٤) قُلْ أَزْيَبَكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ كُمْ { [آل عمران: ١٤ - ١٥]، وقوله: { وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَاعُ الْغُرُورِ } [آل عمران: ١٨٥]، وقوله: { إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ { [يونس: ٢٤]، وقوله: { أَعْلَمُوا أَنَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ } [الحديد: ٢٠]، وقوله: { وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ } (٣٥) [الزخرف: ٣٥]، وقوله: { فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا } (٢٩) [النجم: ٢٩ - ٣٠].

وأما الأحاديث، ففي "الصحيحين- من رواية المسور بن شداد، قال: قال رسول الله ﷺ: "ما الدنيا في الآخرة إلا كمثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع-؟".

وفي حديث آخر: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر- رواه مسلم.

وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز في ذم الدنيا كتاباً طويلاً فيه: أما بعد فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار مقام، فاحذر يا أمير المؤمنين، فإن الزاد منها تركها، والغنى فيها فقرها، تذلل من أعزها، وتفقر من جمعها، كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه، فاحذر هذه الدار الغرارة الخيالة الخداعة، وكن أسراً ما تكون فيها، احذر ما تكون لها، سرورها مشوب بالحزن، وصفوها مشوب بالكدر، فلو كان الخالق لم يخبر عنها خيراً، ولم يضرب لها مثلاً لكانت قد أيقظت النائم، ونبهت الغافل، فكيف وقد جاء من الله عز وجل عنها زاجر، وفيها واعظ، فما لها عند الله سبحانه قدر ولا وزن.

ولقد عرضت على نبينا محمد ﷺ مفاتيحها وخزائنها، لا ينقصه عند الله

جناح بعوضة، فأبى أن يقبلها، وكره أن يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع ملكه، زواها الله عن الصالحين اختياراً، وبسطها لأعدائه اغتراراً، أفيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها؟ ونسي ما صنع الله بمحمد ﷺ حين شد على بطنه الحجر، والله ما أحد من الناس بسط له في الدنيا، فلم يخف أن يكون قد مكر به، إلا كان قد نقص عقله، وعجز رأيه، وما أمسك عن عبد فلم يظن أنه قد خير له فيها، إلا كان قد نقص عقله وعجز رأيه.

وقال مالك بن دينار: اتقوا السحارة، فإنها تسحر قلوب العلماء - يعني الدنيا.

ومن أمثلة الدنيا: قال يونس بن عبيد: شبهت الدنيا كرجل نائم، فرأى في منامه ما يكرهه وما يحب، فبينما هو كذلك انتبه. ومثل هذا قولهم: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا. والمعنى أنهم ينتبهون بالموت وليس في أيديهم شيء مما ركنوا إليه وفرحوا به.

قيل: إن عيسى عليه السلام رأى الدنيا في صورة عجوز هتماء⁽¹⁾ عليها من كل زينة. فقال لها: كم تزوجت؟ قالت: لا أحصيهم. قال: فكلهم مات عنك أو كلهم طلقك؟ قالت: بل كلهم قتلْتُ، فقال عيسى عليه السلام: بوئساً لأزواجك الباقيين، كيف لا يعتبرون بأزواجك الماضين، كيف تهلكينهم واحداً بعد واحد، ولا يكونون منك على حذر.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: يؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء⁽²⁾ زرقاء أنيابها بادية، مشوه خلقها، فتشرف على الخلق، فيقال: هل تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه. فيقال: هذه الدنيا التي تشاجرتم عليها، وبها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تقذف في جهنم؛ فتنادي: يا رب، أين أتباعي

(1) ليس لها أسنان، وفي نسخة: صماء، وهي الداهية.

(2) الشمط في الشعر: اختلاطه بلونين من سواد وبياض، أو بياض شعر الرأس يخالط سواده.

وأشياعي؟ فيقول: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها.

وعن أبي العلاء، قال: رأيت في النوم عجوزًا كبيرة عليها من كل زينة، والناس عكوف عليها متعجبون، ينظرون إليها، فقلت: من أنت ويملك؟ قالت: أما تعرفني؟ قلت: لا، قالت: أنا الدنيا. فقلت: أعود بالله من شرك. قالت: إن أحببت أن تعاذ من شري فأبغض درهم.

وقال بعضهم: رأيت الدنيا في النوم عجوزًا مشوهة الخلقة حذباء. مثال آخر: واعلم أن أحوالك ثلاث: حال لم تكن فيها شيئًا، وهي قبل أن توجد⁽¹⁾.

وحال أخرى، وهي من ساعة موتك إلى ما لا نهاية له في البقاء السرمدي، فإن لنفسك وجودًا بعد خروجها من بدنك، إما في الجنة أو النار، وهو الخلود الدائم.

وبين هاتين الحالتين حالة متوسطة، وهي أيام حياتك في الدنيا، فانظر إلى مقدار ذلك، وانسبه إلى الحالتين، تعلم أنه أقل من طرفة عين في مقدار عمر الدنيا.

ومن رأى الدنيا بهذه العين لم يركن إليها، ولم يبال كيف انقضت أيامه بها في ضرر وضيق، أو سعة ورفاهية، ولهذا لم يضع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبنة على لبنة، ولا قصبه على قصبه. وقال: "ما لي وللدنيا؟ إنما مثلي ومثل الدنيا كراكب، قال تحت شجرة، ثم راح وتركها"⁽²⁾.

وقال عيسى عليه السلام: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمروها.

هذا مثل واضح، فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة، والمهد هو الركن الأول على أول القنطرة، واللحد هو الركن الثاني على آخر القنطرة.

(1) ففروا إلى الله، ص 41.

(2) أخرجه أحمد (301/1، رقم 2744)، والطبراني (327/11، رقم 11898)، وابن حبان (265/14، رقم 6352)، والحاكم (344/4، رقم 7858) وقال: صحيح على شرط البخاري. والبيهقي في شعب الإيمان (312/7، رقم 10417).

ومن الناس من قطع نصف القنطرة، ومن الناس من قطع ثلثيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها، وكيفما كان فلا بد من العبور، فمن وقف يبني على القنطرة ويزينها وهو يستحث للعبور عليها، فهو في غاية الجهل والحمق.

وقيل: مثل طالب الدنيا، مثل شارب ماء البحر، كلما ازداد شرباً، ازداد عطشاً حتى يقتله.

وكان بعض السلف يقول لأصحابه: انطلقوا حتى أريكم الدنيا، فيذهب بهم إلى مزبلة فيقول: انظروا إلى ثمارهم ودجاجهم وعسلهم وسمنهم. وقد سمع خلق كثير ذم الدنيا مطلقاً، فاعتقدوا أن الإشارة إلى هذه الموجودات التي خلقت للمنافع، فأعرضوا عما يصلحهم من المطاعم والمشارب.

وقد وضع الله في الطباع توقان النفس إلى ما يصلحها، فكلما تآقت منعوها، ظناً منهم أن هذا هو الزهد المراد، وجهلاً بحقوق النفس، وعلى هذا أكثر المتزهدين، وإنما فعلوا ذلك لقلة العلم، ونحن نصدع بالحق من غير محاباة فنقول:

اعلم: أن الدنيا عبارة عن أعيان موجودة للإنسان، فيها حظ، وهي الأرض وما عليها، فإن الأرض مسكن الأدمي، وما عليها ملبس ومطعم ومشرب ومنكح، وكل ذلك علف لراحة بدنه السائر إلى الله عز وجل، فإنه لا يبقى إلا بهذه المصالح، كما لا تبقى الناقة في طريق الحج إلا بما يصلحها، فمن تناول منها ما يصلحه على الوجه المأمور به مدح، ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنف الشره وقع في الذم، فإنه ليس للشره في تناول الدنيا وجه؛ لأنه يخرج عن النفع إلى الأذى، ويشغل عن طلب الآخرة فيفوت المقصود، ويصير بمثابة من أقبل يعلف الناقة، ويرد لها الماء، ويغير عليها ألوان الثياب، وينسى أن الرفقة قد سارت، فإنه يبقى في البادية فريسة للسباع هو وناقته.

ولا وجه أيضاً للتقصير في تناول الحاجة، لأن الناقة لا تقوى على السير إلا بتناول ما يصلحها، فالطريق السليم هي الوسطى، وهي أن يأخذ

من الدنيا قدر ما يحتاج إليه من الزاد للسلوك ، وإن كان مشتهى ، فإن إعطاء النفس ما تشتهيه عون لها وقضاء لحقها.

وقد كان سفيان الثوري يأكل في أوقات من طيب الطعام، ويحمل معه في السفر الفالودج.

وكان إبراهيم بن أدهم يأكل من الطيبات في بعض الأوقات ، ويقول : إذا وجدنا أكلنا أكل الرجال ، وإذا فقدنا صبرنا صبر الرجال.

ولينظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته، فإنهم ما كان لهم إفراط في تناول الدنيا، ولا تفريط في حقوق النفس.

وينبغي أن يتلمح حظ النفس في المشتهى، فإن كان في حفظها وما يقيمها ويصلحها وينشطها للخير ، فلا يمنعها منه ، وإن كان حفظها مجرد شهوة ليست متعلقة بمصالحها المذكورة فذلك حظ مذموم ، والزهد فيه يكون. اهـ من "مختصر منهاج القاصدين" —.

فائدة:

قال ابن السماك الواعظ : هب الدنيا في يديك ، ومثلها ضم إليك ، والمشرق والمغرب جاءا إليك، فجاءك الموت ماذا في يديك؟!

ومن المواقف:

انطلقوا حتى أريكم الدنيا:

وكان الفضيل بن عياض يقول لأصحابه إذا فرغ من حديثه انطلقوا حتى أريكم الدنيا فيجيء بهم إلى المزبلة فيقول انظروا إلى عنبهم وسمنهم ودجاجهم وبطهم صار إلى ما ترون⁽¹⁾.

أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه:

وقال رجل: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة إذ أتاه سائل فلم يكن معه ما يعطيه، فبكى، فقلت: يا أبا محمد ما الذي أبكاك قال: أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه⁽²⁾.

(1) ابن هبة الله، شرح نهج البلاغة، 1/1645.

(2) ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 2/393.

ماذا تفعل الدنيا بأهلها!؟:

قال حدثني سفيان بن عيينة قال بينا أنا ومسرر بن كدام مع إسماعيل بن أمية بفناء الكعبة إذا بعجوز قد طلعت علينا عوراء متكئة على عصا يصفق أحد لحييها على الآخر فوقفت على إسماعيل فسلمت عليه فرد عليها السلام وسألها فأحفى المسألة ثم انصرفت فقال إسماعيل لا إله إلا الله ماذا تفعل الدنيا بأهلها ثم أقبل علينا فقال أتعرفان هذه قلنا لا والله ومن هي قال هذه بَعُومُ بن أبي ربيعة التي يقول فيها

(حَبَا أَنْتِ يَا بَعُومُ وَأَسْمَاءُ :: وَعِصَّ يَكُنُّنَا وَخَلَاءُ)

انظرا كيف صارت وما كان بمكة امرأة أجمل منها قال فقال له مسرر لا ورب هذه البنية ما أرى أنه كان عند هذه خير قط (1).

من خدمك فأتعبيه ومن خدمني فاخدميه:

قال سفيان بن عيينة: سمعت أبا حازم يقول: أوحى الله عز وجل إلى الدنيا من خدمك فأتعبيه ومن خدمني فاخدميه.

ما حملك على الخروج من الدنيا؟:

إبراهيم بن أدهم قال لقيت رجلا بالإسكندرية يقال له أسلم بن زيد الجهني فقال من أنت يا غلام فقلت شاب من أهل خراسان قال ما حملك على الخروج من الدنيا فقلت زهدا فيها ورجاء ثواب الله تعالى فقال إن العبد لا يتم رجاؤه لثواب الله تعالى حتى يحمل نفسه على الصبر فقال له رجل ممن كان معه وأي شيء الصبر فقال إن أدنى منازل الصبر أن يروض العبد نفسه على احتمال مكاره الأنفس قال قلت ثم مه قال إذا كان محتما للمكاره أورث الله عز وجل قلبه نورا قلت فماذا النور قال سراج يكون في قلبه يفرق بين الحق والباطل والمتشابه ثم قال يا غلام إياك إذا صحبت الأخيار وجاريت الأبرار أن تغضبهم عليك لأن الله تعالى يغضب لغضبهم ويرضى لرضاهم وذلك أن الحكماء هم العلماء هم الراضون عن الله إذا سخط الناس يا غلام احفظ عني واعقل واحتمل ولا تعجل ولا تعجل إياك والبخل قلت وما البخل قال أما البخل عند أهل الدنيا فهو أن يكون

(1) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، 174/1.

الرجل ضنينا بماله وأما عند أهل الآخرة فهو الذي يضمن بنفسه عن الله ألا وإن العبد إذا جاد بنفسه لله أورث الله قلبه الهدى والتقوى وأعطى السكينة والوقار والحلم الراجح والعقل الكامل⁽¹⁾.

ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!

قال سفيان بن عيينة: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم بن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجة؛ فقال له: إنني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة؛ فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا؛ فقال له سالم: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!⁽²⁾.

ذهبوا وبقيت أعمالهم:

عن مجاهد قال مررت مع ابن عمر على خربة فقال يا مجاهد ناد يا خربة ما فعل أهلك أين أهلك قال فناديت فقال ابن عمر ذهبوا وبقيت أعمالهم.

إنني لا أحب الظلم:

- عن مجاهد قال مر نوح عليه السلام بالأسد فضربه برجله فخمشه فبات ساهرا فشكى نوح ذلك الى الله عز وجل فأوحى الله تعالى إليه إنني لا أحب الظلم.

وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا:

- قال مجاهد ما من مرض يمرضه العبد إلا رسول ملك الموت عنده حتى إذا كان آخر مرض يمرضه أتاه ملك الموت فقال أتاك رسول بعد رسول فلم تعبأ به وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا.

الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها:

- عن مجاهد قال ما من يوم ينقضي من الدنيا إلا قال ذلك اليوم الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها ثم يطوي عليه فيختم الى يوم القيامة حتى

(1) ابن الجوزي، صفة الصفة، 4 / 334.

(2) مختصر صفة الصفوة، 13/1.

يكون الله هو الذي يفيض خاتمه رواء المعافى بن عمران عن طلحة بن عمرو فقال عن قيس بن سعد عن مجاهد وهو الصواب.

والله دخلها الحزن، وذهب بأهلها الزمان:

قال مالك بن دينار: مررت على قصر تضرب فيه الجواري بالدفوف ويقلن:

ألا يا دار لا يدخلك حزن :: ولا يذهب بساكنك الزمان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب، وثم عجوز فقالت: يا عبد الله قد والله دخلها الحزن، وذهب بأهلها الزمان.
أبو العتاهية:

لئن كنت بالدنيا بصيراً فاتما :: بلاغك منها مثل زاد المسافر
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه :: فما فاته منها فليس بضائر⁽¹⁾

ثم رفعناها بعد، فما لقينا منها؟:

قال مالك بن دينار: لما بعث الله عيسى بن مريم كب الدنيا على وجهها، ثم رفعها الناس حتى بعث الله تعالى محمداً فكب الدنيا على وجهها، ثم رفعناها بعد، فما لقينا منها؟⁽²⁾.

أو ما تعلم أي قد طلقت الدنيا ثلاثاً؟!:

كان رجل من الأغنياء بالبصرة وكانت له ابنة نفيسة فائقة الجمال، فقال لها أبوها: قد خطبك بنو هاشم والعرب والموالي فأبيت! أراك تريدين مالك ابن دينار وأصحابه! فقالت: هو والله غايتي! فقال الأب لأخ له: إئت مالك ابن دينار فأخبره بمكان ابنتي وهواها له؛ فأتاه فقال له: فلان يقرئك السلام ويقول لك: إنك تعلم أي أكثر أهل هذه المدينة مالاً وأفشاهم ضيعة، ولي ابنة نفيسة وقد هويتك فشأنك وهي؛ فقال مالك للرجل: عجباً لك يا

(1) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1/ 44.

(2) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1/ 88.

فلان، أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثاً⁽¹⁾.

ولم تؤو الضالة ولم تجبر الكسير؟؟ ولم ترعها حق رعايتها!:

قال مالك بن دينار: قرأت في بعض الكتب: يجاء براعي السوء يوم القيامة فيقال: يا راعي شربت اللبن وأكلت اللحم ولم تؤو الضالة ولم تجبر الكسير؟؟ ولم ترعها حق رعايتها! اليوم أنتقم لهم منك⁽²⁾.

لأن مادحهم مفرط وذامهم مفرط:

قال مالك بن دينار: منذ عرفت الناس لم أفرح بمذحتهم ولا أكره مدمتهم، قيل: ولم ذلك؟ قال: لأن مادحهم مفرط وذامهم مفرط.
يا قارئ أنت قارئ؟!⁽³⁾.

قال مالك بن دينار: من تباعد من زهرة الحياة الدنيا فذلك الغالب لهواه؛ ومن فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من دخول قلبه؛ يا قارئ أنت قارئ؟! ينبغي للقارئ أن يكون عليه ذراعة صوف وعصا راع، يفر من الله إلى الله عز وجل، ويحوش العباد على الله تعالى⁽⁴⁾.

فعلى الدنيا العفاء:

جعفر عن مالك بن دينار قال خرج سليمان بن داود عليه السلام في موكبه فمر بببليل على غصن شوك يصفر ويضرب بذنبه فقال أتدرون ما يقول قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنه يقول قد أصبت اليوم نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء⁽⁵⁾.

على القلب ثلاثة أغطية:

عن إبراهيم قال: على القلب ثلاثة أغطية: الفرح، والحزن، والسرور فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص، والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط، والساخط معدب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب، والعجب بحبط العمل، قال الله تعالى: لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا

(1) أبو نعيم، حلية الأولياء، 365/2.

(2) أبو نعيم، حلية الأولياء، 375/2.

(3) أبو نعيم، حلية الأولياء، 372/2.

(4) أبو نعيم، حلية الأولياء، 364/2.

(5) صفق الصفوة، 287/3.

بما آتاكم⁽¹⁾.

أحسن بالحرّ المريد أن يتذلّل للعبيد:

وعنه قال: رأيت في النوم كأن قائلاً يقول لي: أحسن بالحرّ المريد أن يتذلّل للعبيد وهو يجد عند مولاه كلّ ما يريد⁽²⁾.

فلم أعرف قبر الأسود من قبره:

قال مالك بن دينار: قدم علينا بشر بن مروان أخو الخليفة، فطعن في قدمه فمات فأخرجناه إلى القبر، فلما صرنا إلى الجبان إذا نحن بسودان يحملون صاحب لهم إلى القبر، فدفناه ودفنوا صاحبهم، فعدت قبل السبوع فلم أعرف قبر الأسود من قبره. وعلى هذا قول الشاعر:

ولقد مررت على القبور فما :: ميزت بين العبد والمولى⁽³⁾

أبشّر بشرّ:

كان لمالك بن دينار جار كما شاء الله أن يكون، وكان إذا استقبله مالك يقول: يا أبا فلان إن كان المال الذي قد جمعته من حلال فقد آن لك أن تقتصر عليه، وإن كان من حرام فقد آن لك أن تردّها على أربابها فكان من جوابه لمالك: يا مالك إنا ندق الدنيا دقاً دقاً، فقال مالك: إذا والله يأتيك الموت فيدقك دقاً دقاً، فضرب الدهر ضرباته ما ضرب فمرض ذلك الرجل فدخل عليه مالك بن دينار فقال له: كيف تجدك؟ قال الرجل: بشر، فقال مالك: وكيف ذاك؟ قال الرجل: أتاني آت من ربي فقال: أبشّر بشرّ⁽⁴⁾.

لم حجبت القلوب عن الله عز وجل؟:

حدث إبراهيم بن بشار الصوفي الخراساني خادم إبراهيم بن أدهم،

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 58/10.

(2) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري. دار الكتاب العربي. لبنان/ بيروت. الطبعة: الأولى. 1407هـ - 1987م، 10 / 49 - 58.

(3) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 2 / 64.

(4) الزهد الكبير، ص173.

قال: وقف رجل مرة على إبراهيم بن أدهم، فقال: يا أبا إسحاق، لم حجت القلوب عن الله عز وجل؟ قال: لأنها أحببت ما أبغض الله، أحببت الدنيا ومالت إلى دار الغرور واللهو واللعب، فتركت العمل لدار فيها حياة الأبد، في نعيم لا يزول ولا ينفذ، خالد مخلد، في ملك سرمد لا نهاية له ولا انقطاع⁽¹⁾.

ما لك حيلة؟:

حدثنا إبراهيم بن بشار، قال: قلت لإبراهيم بن أدهم: أمر اليوم أعمل في الطين. فقال: يا بن بشار، إنك طالب ومطلوب، يطلبك من لا تقوته، وتطلب ما قد كفيته، كأنك بما قد غاب عنك قد كشف لك، وما كنت فيه قد نقلت عنه. يا بن بشار، كأنك لم تر حريصا محروما، ولا ذا فاقة مرزوقا. ثم قال لي: ما لك حيلة؟ قلت: نعم، لي عند البقال دانق، فقال: عز علي، تملك دانقا وتطلب العمل⁽²⁾.

أخرجوه فقد استقتل!:

وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ الْفَرَاءِ، عَنْ شُعَيْبِ بْنِ حَرْبٍ: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدَهَمَ عَلَى بَعْضِ هَؤُلَاءِ الْوَلَاةِ فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَيْنَ مَعِيشَتِكَ؟ قَالَ إِبْرَاهِيمُ: نَرْقَعُ دُنْيَانَا بِتَمْزِيقِ دِينِنَا • فَلَا دِينَنَا يَبْقَى وَلَا مَا نَرْقَعُ قَالَ: فَقَالَ الْوَالِي: أَخْرِجُوهُ فَقَدْ اسْتَقْتَلَ! ⁽³⁾.

أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا:

عن خلف بن تميم قال: سمعت إبراهيم بن أدهم ينشد:
أرى أناسا بأدنى الدين قد قنعوا • ولا أراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالله عن دنيا الملوك كما • استغنى الملوك بدنياهم عن الدين⁽⁴⁾

(1) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، مكان النشر بيروت / لبنان، سنة النشر 1420هـ - 2000م، 1 / 55.

(2) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، 1 / 62.

(3) المزي، تهذيب الكمال مع حواشيه، 2 / 36.

(4) المزي، تهذيب الكمال مع حواشيه، 2 / 36.

فسارع إلى أمر الله:

وكننت ماراً مع إبراهيم، فأتينا على قبر مستم، فترحم عليه، وقال: هذا قبر حميد بن جابر أمير هذه المدن كلها، كان غرق في بحار الدنيا ثم أخرجه الله منها. بلغني أنه سر ذات يوم بشيء ونام، فرأى رجلاً بيده كتاب، فناوله ففتحه، فإذا فيه كتاب بالذهب مكتوب: لا تؤثرن، فإننا على باق، ولا تعترن بملكك، فإن ما أنت فيه جسيم، لولا أنه عديم، وهو ملك، لولا أن بعده هلك، وفرح وسرور، لولا أنه لهو وغرور وهو يوم لو كان يوثق له بغد، فسارع إلى أمر الله، فإن الله قال: {وَسَارِعُوا إِلَى مَعْفَرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: ١٣٣]، فانتبه فزعاً وقال هذا تنبيه من الله وموعظة، فخرج من ملكه وقصد هذا الجبل، فعبد الله فيه حتى مات⁽¹⁾.

لَمَّا كُنْتُ تُضْرِبُنِي كُنْتُ أَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ الْجَنَّةَ:

أتى جُنْدِيٌّ إلى بلده فوجد إبراهيم بن أدهم، فسأله: أين العُمران؟ فذله على المقبرة، فظن أنه يستهزئ به، فضربه حتى أدماء، فقيل للجندي: هذا الأمير بن أدهم، فعاد يعتذر إليه، فقال إبراهيم: لَمَّا كُنْتُ تُضْرِبُنِي كُنْتُ أَسْأَلُ اللَّهَ لَكَ الْجَنَّةَ، قال: ولم، قال: لأنك ظلمتني فصبرت حين ضربتني، فخلعت رجاء الجنة، فكان لك فضلٌ علي فسألت لك الجنة.

يا أخي أما علمت أن الموت أمامك:

عن إبراهيم بن بشار قال: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: مر عبد الله ابن عمر على قوم مجتمعين وعليه بردة حسناء فقال رجل من القوم: إن أنا سلبته بردته فما لي عندكم؟ فجلعوا له شيئاً، فأتاه فقال: يا أبا عبد الرحمن بردتك هذه لي، قال: فقال: إني اشتريتها أمس، قال: قد أعلمتك وأنت في حرج من لبسها، قال: فخلعها ليدفعها إليه، قال: فضحك القوم، فقال: ما لكم؟ فقالوا: هذا الرجل بطل، قال: فالتفت إليه فقال له: يا أخي أما علمت أن الموت أمامك لا تدري متى يأتيك صباحاً أو مساءً ليلاً أو نهاراً ثم القبر

(1) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 442/13.

وهول المطلع ومنكر ونكير وبعد ذلك القيامة، يوم يخسر فيه المبطلون؛
فأبكاهم ومضى (1).

* * *

(1) بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، 1 / 319، 374.

مواقف المتهادين

مواقف عربية

مواقف المتهادين

الهدية كما عرفها أهل العلم هي عطية بلا اشتراط مقابل، وقد ورد ذكرها والحث عليها في القرآن والسنة، وهي من أعظم الأسباب التي تعين على إزالة ما في النفوس وتحبب المؤمنين بعضهم إلى بعض ، وهي شعيرة إسلامية جميلة جداً، فيها يتم سببٌ عظيمٌ للتآلف بين القلوب والاجتماع، وشيوع المودة بين المسلمين، وهذا من أعظم ما جاء في شريعة الإسلام.

أما الهدية: فإنها ما أتحت به، والتهادي: أن يهدي بعضهم إلى بعض، يقال: أهديت له وإليه، والجمع هدايا، وهداوي، وهداوي كما هي في بعض روايات أهل اللغة، والهدية: مفرد هدايا، يقال: أهدى له وأهدى إليه، كلاهما صحيح، فيتعدى الفعل باللام وإلى، ويقال: أهدى الهدية إلى فلان، وأهدى له هدية، أي: بعث بها إكراماً له. ويقال أيضاً: أهديت العروس إلى بعلها، أي: زفت إليه، وهدى فلانٌ فلاناً أي: أرسل كلٌ منهما هدية إلى صاحبه.

وبالنسبة للتعريف الشرعي للهدية، فإن العلماء قد ذكروا عدة تعريفات، ويمكن أن نقول عموماً: إن الهدية هي دفع عينٍ - سواءً كانت مالاً أو سلعة - إلى شخصٍ معين - الذي يراد بالهدية هذا الشخص المعين - لأجل الألفة والثواب، من غير طلبٍ ولا شرط.

لأجل الألفة والثواب: وهو الأجر من الله سبحانه وتعالى.

من غير طلبٍ؛ لأنه لو قال: أهدني أو أعطني ربما صارت رشوة.

ولا شرط كما يشترط بعضهم في الإعانة، بشرط الإعانة.

فاذاً الهدية: هي عطية بلا اشتراط مقابل، وهناك كلمات مرادفة لكلمة الهدية مثل: الهبة والعطية والصدقة، وقد جاء عن أهل العلم رواياتٌ في التفريق بينها، ولكن يمكن أن نقول: إن الهدية والهبة والصدقة والعطية بمعنى واحد من جهة أنها تمليكٌ في الحياة بلا عوض، فالهدية والهبة والعطية والصدقة تشترك كلها في أنها تمليك في الحياة بلا عوض؛ لأنك

تملكه هذا الشيء بلا مقابل، والعطية: اسمٌ شاملٌ للجميع.

والهدية يُتقرب بها محبة لك، والهبة والعطية معناهما متقارب حتى لا يكاد يوجد فرقٌ بينهما، والصدقة: التي تُدفع إلى الشخص لقصد ثواب الآخرة فقط.

فإذاً هناك فرقٌ بين الهدية والصدقة، من جهة أن الهدية يقصد بها التحبب وثواب الآخرة، والصدقة يقصد بها ثواب الآخرة فقط. وثمانك الهدية بالقبض، فإذا قبلها وقبضها صارت في ملكه، ولا تنتقل إلى ملكه إلا بقبضها سواء قبضها هو أو وكيله، واحتج جمهور العلماء بحديث النبي ﷺ: "ولو أهدي إلي كراعٍ لقبلت—".

فالهدية بناءً على ذلك لا تُملك بمجرد الإهداء، حتى تصل إلى الشخص المهدى إليه أو وكيله، فإذا استلمها صارت ملكاً له.

وقد جاء في القرآن الكريم ذكر الهدية، فقالت ملكة سبأ - بلقيس - لما خافت من سليمان عليه السلام، قالت للملأ من حولها: {وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاطِرُهُ بِمِ رَجْعِ الْمُرْسَلُونَ} (٣٥) فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنُ قَالَ أُمِدُّوْنِي بِمَالٍ فَمَاءَ آتِنِي ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَيْتُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} (٣٦) [النمل: ٣٥ - ٣٦].

فأرادت استمالة قلب سليمان لدفع الضرر عنها، وأرادت مصانعتها، وأن تنبيهه عن دعوته لها ولقومها وتهديدهم لهم، وسليمان لم يقبل الهدية؛ لأنها لم تكن لوجه الله، ولا كان فيها معروف، وإنما أرادت إيقافه عن جهادها، عن الجهاد وقتال هذه البلدة وهي اليمن، فلما رأى سليمان عليه السلام أن هذه الهدية ليس فيها خير ولم يرد بها وجه الله ردها، وقال: {بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ} (٣٦) أَرْجِعِ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِمِجُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا} [النمل: ٣٦ - ٣٧]، ليعلموا أننا نريد الجهاد وإقامة الدين، وليست القضية مجاملات

وهدايا، كما هي العادة بين الملوك: {أَرْجِعِ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِمِجُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ} (٣٧) [النمل: ٣٧]، حتى لا يخذعوا بحطام هذه الدنيا أو يظنوا أننا نغتر بالهدايا أو أننا سنترك الجهاد لأجل هديتهم: {أَرْجِعِ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِمِجُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا} [النمل: ٣٧].

ومما يدخل - أيضاً - في الهدية مثل العطية والهبة، أو مما يقرب من

معناها ما جاء في قوله تعالى: { وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا } [النساء: ٤]، فالله عز وجل أمر بإيتاء النساء المهور.

{ وَءَاتُوا النِّسَاءَ صَدُقَتِهِنَّ نِحْلَةً } [النساء: ٤]، ومعنى نحلة: عطية عن طيب نفس.

وقال: { فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ } [النساء: ٤]، وهبته لكم، وتنازلن عنه لكم: { فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا } [النساء: ٤]، فإذا تنازلت عن جزء من الصداق لزوجها أو أعطته إياه بعدما استلمته منه دون ضغط منه ولا إكراه، وإنما عن طيب نفسٍ منها ورضا: { فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا } [النساء: ٤].

فإذاً: من أعظم الحلال الذي يؤكل، المغانم: { فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا } [الأنفال: ٦٩]، وهو أعظم أنواع المال الحلال، بل هو أشد الأموال حلة، وقد فاتنا هذا النوع من المال بسبب ترك الجهاد.

وكذلك من الأموال الحلال الطيبة، ما تتنازل به المرأة من مهرها لزوجها، قال الله عز وجل: { فَكُلُوهُ هَنَيْئًا مَرِيئًا } [النساء: ٤]، ولذلك جاء عن بعضهم أنه قال: إذا أردت أن تستشفى فاستوهب درهماً من زوجتك عن طيب نفسٍ منها، ثم اشتر به عسلاً، وهاتِ إناءً واجمع فيه من ماء المطر، ثم اقرأ القرآن وأذب العسل فيه واشربه، قال: أما ماء المطر فإنه ماء مبارك، والعسل فيه شفاء للناس، والقرآن - أيضاً - فيه شفاء، ودرهم الزوجة هنيئاً مريئاً، فإنك تبرأ بإذن الله.

والهدية قد وردت في السنة النبوية، وجاء النص عليها لما لها من الأثر العظيم في النفوس، كما قال النبي ﷺ: "تهادوا تحابوا".⁽¹⁾

ولا شك أن الهدية سببٌ للمحبة وتآلف القلوب، وكان التابعون يرسلون بهداياهم، ويقول الواحد لأخيه الذي يهديه: نحن نعلم غناك عن مثل ذلك، وإنما لتعلم أنك منا على بال، يعني: نحن نعلم أنك مستغن عن هديتنا، ولكن لتعلم أننا نقدرك وأن لك في أنفسنا مكانة، وقال الشاعر:

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد وقال ابن حجر: إسناده حسن.

هدايا الناس بعضهم لبعض تولد في قلوبهم الوصالا
وتزرع في الضمير هوأ وودأ وتكسوه إذا حضروا جمالا
وقال آخر:

إن الهدايا لها حظ إذا وردت أحظى من الابن عند الوالد الحذب
يكون لها مكانة في النفس إذا جاءت.
وقال آخر:

إن الهدية حلوة كالسحر تجتذب القلوبا
تدني البغيض من الهوى حتى يصيره قريبا
وتعيد مضطغن العداوة بعد نفرتة حبيبا
وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ: "كان يقبل الهدية ويشيب
عليها-وقال النبي ﷺ: "لو دعيت إلى كراع لأجبت، ولو أهدي إلي ذراع
لقبلت-(1).

وجاء الأمر بقبول الهدية وعدم ردها إذا كانت لا شبهة فيها ولا حرام،
فأخرج الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد وغيرهما عن ابن مسعود
رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "أجيبوا الداعي، ولا تردوا الهدية،
ولا تضربوا المسلمين-فنهى النبي ﷺ عن رد الهدية (2).

وكان النبي ﷺ يعطي عمر شيئا من العطاء فكان يقول عمر: (أعطه
من هو أفقر مني يا رسول الله! فقال النبي عليه الصلاة والسلام: "إذا جاءك
من هذا المال شيء وأنت غير مستشرف -أي: غير متطلع" ولا سائل-ما
طلبتة" فخذة فتموله -أي: تملكه" فإن شئت كله وإن شئت تصدقت به،
ومالا - إذا كان خالياً من هذه الشروط - فلا تتبعه نفسك - فإذا: قوله: "إذا
جاءك من هذا المال شيء فخذة-يدخل فيه الهدايا(3).

وقال النبي ﷺ: "من آتاه الله شيئا من هذا المال من غير مسألة

(1) وهو في صحيح البخاري.

(2) البخاري في الأدب المفرد ج1/ص67 ح157 وقال الشيخ الألباني: صحيح.

(3) أخرجه: البخاري 84/9 - 85 (7163)، ومسلم 98/3 (1045) (110).

فليقبل، فإنما هو رزقٌ ساقه الله إليه - (1) مادام أن المال أتى من غير مسألة، وأنت لست مستشرفاً له، ولا متطلعاً له، ولا متعلقة نفسك به تهفو إليه وترجوه، فخذة ولا ترده، فهذا مال مبارك.

ومن الأدلة أيضاً - أن النبي ﷺ كان يقبل الهدية - قصة بريرة رضي الله عنه، وجاء في صحيح البخاري عديدٌ من الروايات في هذه القصة، فمنها ما رواه في كتاب الأطعمة، وربما تكون هذه الرواية هي أوضحها وأتمها، أن النبي ﷺ دخل يوماً بيت عائشة وعلى النار برمةٌ تفور فدعا بالغداء، فأتي بخبزٍ وأدمٍ من أدم البيت فقال: (ألم أر لحماً؟) قالوا: بلى يا رسول الله! ولكنه لحمٌ تُصدق به على بريرة، فأهدته، لنا وأنت لا تأكل الصدق، فقال النبي ﷺ: هو صدقة عليها وهدية لنا (2).

إذاً: المال لما انتقل من شخص يختلف حكمه.

من المتصدق إلى بريرة صدقة، ومن بريرة إلى بيت النبي عليه الصلاة والسلام هدية، إذاً: يجوز للنبي عليه الصلاة والسلام أن يأكل منه، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يسأل عنه: "أهديته أم صدقة؟" - فإن قيل: صدقة قال لأصحابه: "كلوا -"، ولم يأكل؛ - لأنه لا يليق بمقام النبوة أن يأخذ من صدقات الناس وأوساخهم - وإن قيل: هدية، ضرب بيده صلى الله عليه وسلم فأكل معهم (3).

إذاً: النبي عليه الصلاة والسلام كان يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة، والسبب في ذلك كما تقدم، وهذه آيته عليه الصلاة والسلام في الكتب المتقدمة، أنه كان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة، والكتب المتقدمة كانت فيها صفة النبي ﷺ .

(1) رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح، أنظر صحيح الترغيب والترهيب، 207/1.
(2) رواه البخاري 3 / 281 في الزكاة، باب الصدقة على موالي أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وفي المساجد، باب ذكر البيع والشراء على المنبر في المسجد، وفي البيوع، باب البيع والشراء مع النساء، وباب إذا اشترط شروطاً في البيع لا تحل، وفي العتق، باب بيع الولاء وهبته، وباب ما يجوز من شروط المكاتب، وباب استعانة المكاتب وسؤاله الناس.

(3) رواه البخاري في كتاب الهبة.

ولا شك أن هناك فرقاً بين الهدية والصدقة، فالهدية نوع من الكرامة، ومن باب حسن الخلق، وتتألف بها القلوب، وكان عليه الصلاة والسلام يأكلها؛ لأنها من باب الإكرام ولا يردّها؛ لأجل ألا يغضب الذي أهدى، أو يصبح في نفسه عليه شيء، فلا شك أن في أخذ الهدية تألفاً للقلوب وإبلاغاً له بأن إكرامك مقبول.

أما الصدقة من اليد العليا إلى اليد السفلى فلا تليق بمقام النبوة، وكان عليه الصلاة والسلام يقبل الهدية ولو كانت قليلة ويسيرة، ولذلك قال: (ولو أهدني إلي ذراعٌ أو كراعٌ لقبلته) والكراع: ما دون الكعب، وما عليه إلا اليسير من اللحم، لكن لو أهدني إليه لقبله عليه الصلاة والسلام ولم يحتقر شيئاً، وبذلك أوصى نساء المؤمنين فقال: “يا نساء المسلمين! لا تحقرن جارةً لجارتها ولو فرسن شاة”⁽¹⁾. والفرسن: هو في الأصل اسمٌ لحف البعير، فاستعير للشاة فهو ظلفها، ولم تجر العادة بإهداء ظلف الشاة، لكن ذكره على سبيل المبالغة، أي: اقبل الشيء اليسير من الهدية ولا ترده، فأحياناً قد يهدي إليك أخ شيئاً يصنعه بيده من الأوراق التي لا قيمة لها في الحقيقة، فاقبله تطيباً لخاطره وقلبه.

وكان من كريم خلقه ﷺ أنه إذا جاءت الهدية، أشرك فيها من معه، أو من حوله، كما جاء في كتاب الرقاق في صحيح البخاري، دخل عليه الصلاة والسلام فوجد لبناً في قدح فقال: “من أين هذا اللبن؟ -فقالوا: أهده لك فلانٌ أو فلانة، فقال: -أبا هر! -قلت: لبيك يا رسول الله! قال: -الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي -، قال: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهلٍ ولا مال ولا على أحد.

كان عليه الصلاة والسلام إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديةً أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها... الحديث.

إذاً: كان هذا من كريم خلقه عليه الصلاة والسلام، من كرمه أنه كان إذا جاءت الهدية لم ينس من حوله من الفقراء والمحتاجين، وكان من

(1) أخرجه البخاري في: 51 كتاب الهبة: 1 باب الهبة وفضلها والتحريض عليها.

حضره يعطيه، وإذا أهديت إليه باكورة الثمر - أو الثمار - كان يعطيها لأصغر القوم سنّاً - الطفل -.

وكان ﷺ يتألف بهداياه القوم، وربما كان رجلٌ حديث عهدٍ بالإسلام أو في قلبه شيء على الإسلام وأهله، أو على النبي ﷺ فلا يزال يعطيه حتى يرضيه.

ومن الأحاديث الجميلة التي وردت في صحيح البخاري عن ابن أبي مليكة أن النبي ﷺ : أهديت له أقبية من ديباجٍ مزررةٍ بالذهب فقسمها في ناسٍ من أصحابه ، ولا يلزم أن يلبسوها؛ لأن لبس الحرير للرجال حرام لكن يمكن أن يعطوها زوجاتهم أو بناتهم، أو كما فعل عمر حين أهداها لأخٍ له مشرك بـ مكة.

(أهديت له أقبية من ديباجٍ مزررةٍ بالذهب فقسمها في ناسٍ من أصحابه، وعزل منها واحدة لمخرمة بن نوفل، فجاء ومعه المسور بن مخرمة فقام على الباب فقال: ادعه لي - وكان صاحب جفاء وغلظة - فسمع النبي ﷺ صوته فأخذ قباءً فتلقاه به واستقبله بأزراره فقال: “ يا أبا المسور! خبأت هذا لك، يا أبا المسور! خبأت هذا لك —، وكان في خلقه شدة أي: أبو المسور.

وقد كان ابنه المسور بن مخرمة من كبار رواة الأحاديث.

وكان ﷺ يرسل الهدايا في أقربائه، وكان عنده من الوفاء لذكرى زوجته خديجة ما يستخدم الهدية فيه لإحيائه، والتدليل على أنه باقٍ في نفسه ذكرى تلك المرأة الطيبة التي ساعدته بمالها ودافعت عنه بنفسها، وكان أولاده منها، وأن ذكراها الطيبة لا زالت موجودة وحية، فكان إذا ذبح الشاة يُهدي لصديقات خديجة.

ولذلك تقول عائشة رضي الله عنه: (ما غرت على امرأةٍ للنبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة) مع أنها ما رأتها، لكن غارت عليها من الذكر والسمعة، وأن النبي عليه الصلاة والسلام كان يذكرها دائماً حتى قالت عائشة: (ما تريد من عجزٍ حمراء الشدين أبدلك الله خيراً منها؟! قال: “إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد—).

قالت عائشة: (ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني، لكثرة ما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلالها منها ما يسعهن) أي: يُعطينهن ما يسعهن⁽¹⁾.

وكان صلى الله عليه وسلم يعطي الهدية، كما جاء في الحديث: (كان يقبل الهدية ويثيب عليها) ولا شك أن هذا من السنن الجميلة - المكافأة على الهدية - وذلك لعدة أسباب، منها: السبب الأول: ألا يبقى له منة عليك، أو أن تبادله محبة بمحبة، أو أن تُظهر له أنك كافأته على جميله بجميل، وأنك لم تنس الجميل، وأنه صنع إليك معروفاً فصنعت إليه معروفاً مقابله، ولا شك كما قلنا أن الهدية الأصل فيها هو التبرع، وأن الذي يهدي لا يشترط المكافأة. وقد تكلم العلماء في حكم المكافأة على الهدية، وقال بعض أهل العلم: إن المكافأة على الهدية لا تجب، إذا أهداك شخص هدية لا يجب أن تكافئه عليها.

وقال بعض المالكية: تجب المكافأة على الهدية؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، لكن مجرد فعله عليه الصلاة والسلام لا يدل على الوجوب⁽²⁾. وقد جعل بعض العلماء الناس في الهدايا على ثلاث طبقات: هبة الرجل إلى من هو دونه، فهي إكرام وإطاف لا تقتضي الثواب والمكافأة

(1) أخرجه البخاري (6004) و(7484)، ومسلم (2435) و(74) وأخرجه ابن راهويه (720) و(854)، والبخاري (3816) و(3817) و(3818) و(5229)، ومسلم (2434) و(2435)، والترمذي (2017) و(3875) و(3876)، والنسائي في الكبرى " (8361) و(8362) و(8363) و(8913)، وابن ماجه (1997)، وابن حبان

(7006)، والطبراني في الكبير " 23/ (15) و(16) و(17) و(19)، والحاكم في المستدرک " 186/3، والبيهقي في السنن " 307/7، وابن عبد البر في الاستيعاب

(في ترجمة خديجة)، والبعوي في " شرح السنة " (3956).

(2) انظر سلسلة الآداب الإسلامية، 8 - 12/ 7.

بالمثل، فإذا استلمها هذا الأدون لا يستلزم ذلك أن يرد بهديةٍ مقابلها.

وثانياً: هبة النظير إلى نظيره.

وثالثاً: هبة الأدنى إلى الأعلى، إذا أهدى الأدنى للأعلى فإنه يكون من المؤكد في حق الأعلى أن يثيبه، وذلك بما جرت به العُرف والعادة.

فإذاً: حكم الإثابة على الهدية مستحب؛ لأنه ورد في السنة.

إذا أهداك إنسان هدية يُسن لك أن تهديه أخرى، وخصوصاً عندما يكون الذي أهداك أقل منك منزلة أو سناً - مثلاً - والنبي صلى الله عليه وسلم قد قال: (من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) ⁽¹⁾.

وقد أهدى أعرابي رسول الله ﷺ ناقةً فعوضه ﷺ ستة، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس" ⁽²⁾ - فالهدية على الهدية من شكر الناس.

إذاً: دخل في عموم قوله ﷺ: "من صنع إليكم معروفاً فكافئوه" - الهدية على الهدية، وجاء في قوله عليه الصلاة والسلام: "من أُعطي عطاءً فليجز به إن وجد، وإن لم يجد فليثن به، فإن من أثنى به فقد شكر، ومن كتبه فقد كفره، ومن تشبع بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور" -

وهذا الحديث حسنه الترمذي وصححه ابن حبان، وإذا لم يجد شيئاً، فأقل شيء أن يدعو لمن أهدى له الهدية، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي وحسنه: "من صنع إليهم معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيراً فقد أبلغ في الثناء، وأجزل له في العطاء" ⁽³⁾.

(1) صحيح. أخرجه أحمد (2 / 68، 99، 127) وكذا البخاري في "الأدب المفرد" (216) وأبو داود (1672، 5109) والنسائي (1 / 358) والحاكم (1 / 412، 413 - 412).

(2) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (217/5) قال الهيثمي: رواه عبد الله بن أحمد والبخاري والطبراني ورجالهم ثقات.

(3) أخرجه الترمذي (380/4، رقم 2035) وقال: حسن جيد غريب. والنسائي في الكبرى (53/6، رقم 10008)، وابن حبان (202/8، رقم 3413)، والبيهقي في شعب الإيمان

وينبغي كذلك على المدعو له أن يبادل الدعاء بدعاء، كأن يقول له: وجزاك، أو وإياك، ونحو ذلك، وقد قالت عائشة رضي الله عنه: (أهديت لرسول الله ﷺ شاة فقال: "اقسميها —، فكانت عائشة إذا رجع الخادم تقول: ما قالوا؟، تسأل الخادم إذا رجع، تقول له: ماذا قال أهل البيت لما أعطيتهم ما أرسلنا به إليهم؟ فيقول الخادم: (قالوا: بارك الله فيكم، فتقول عائشة: وفيهم بارك الله، نرد عليهم مثلما قالوا، ويبقى أجرنا لنا) (1).

أما بالنسبة لمن يُستحب أن يهدي إليهم الإنسان ويبدأ بهم، فقد جاء في صحيح البخاري في كتاب الهبة أن ميمونة زوج النبي ﷺ أعتقت وليدة لها - جارية - فقال لها النبي عليه الصلاة والسلام: "لو وصلت بعض أخوالك كان أعظم لأجرك-يعني لو أعطيتها بعض أخوالك، كان أعظم لأجرك من العنق؛ لأنهم قد يكون بهم حاجة، فأعطاؤها إياهم أحسن وأكثر أجراً.

وكذلك من الضوابط في مسألة الإهداءات أن نبداً بمن جاء في صحيح البخاري في كتاب الشفعة، عن عائشة رضي الله عنه قالت: (قلت: يا رسول الله! إن لي جارين فإلى أيهما أهدي؟ قال: "إلى أقربهما منك باباً - فالجار الأقرب يبدأ به في الهدية؛ لأن الإنسان قد تكون مقدرته محدودة على الإهداء، ليس عنده هدايا كثيرة تسع الجميع، فيبدأ بالأقرب باباً بالنسبة لهدايا الجيران.

وكذلك من الأحوال التي يتأكد فيها الإهداء: إذا احتاج الناس، إذا كانت هناك حاجة كما جاء في صحيح البخاري في كتاب المغازي: " أن رجلاً من الصحابة رضي الله عنه صنع طعاماً فلما أوشك على النضج جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال: يا رسول الله! طعيمٌ لي - طعيم: تصغير طعام، أي: هو قليل - فقم أنت يا رسول الله! ورجلٌ أو رجلان " عندي طعيم لو تأتي أنت ورجل أو رجلان قال: "كم هو؟-فذكرت له كم هو مقدار

(522/6، رقم 9138)، والضياء (110/4، رقم 1322). وأخرجه أيضاً: البزار

(54/7، رقم 2601).

(1) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (303) أنظر: سلسلة الآداب الإسلامية، 12 / 8.

الطعام، فقال: “كثير طيب—.

ثم قال: “قل لها - يعني لزوجتك التي تطبخ الطعام - لا تنزعي البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي —، فقال النبي عليه الصلاة والسلام: “قوموا-ومن حوله كان المهاجرون والأنصار، فقام المهاجرون والأنصار، والرجل يريد واحداً أو اثنين أو ثلاثة بالكثير، فالتبى عليه الصلاة والسلام نادى المهاجرين والأنصار فلما دخل على امرأته قال: ويحك - مصيبة - جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار، فقالت المرأة - وكانت فقيهة -: هل سألك عن مقدار الطعام؟! قلت: نعم. فاطمأنت، لأنه ما دام يعلم أن الطعام قليل ومع ذلك دعاهم، فلا بد أن يكون هناك سبب، فلما دخلوا قال: (ادخلوا ولا تباغظوا - النبي ﷺ - فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقيت بقية، فقال عليه الصلاة والسلام للمرأة: “كلي هذا وأهدي، فإن الناس أصابتهم مجاعة—.

فإذا: تتأكد أن الهدية إن احتاج الناس إليها وصارت حاجة، فيكون إرسالها فيه أجر عظيم.

وبالنسبة لبعض الهدايا التي يتأكد عدم ردها: ما كان غير ذي مئة ولا فيه كلفة، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان لا يرد الطيب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “من عرض عليه ربحاً فلا يرد؛ لأنه خفيف المحمل طيب الرائحة—⁽¹⁾.

فإذا: الأشياء اليسيرة يتأكد عدم ردها⁽²⁾.

الأحوال التي ترد فيها الهدية:

ما هي الأحوال التي ترد فيها الهدية؟ أولاً: هل ثبت أن النبي عليه

(1) رواه أحمد وأبو داود، وصححه إسناده في صحيح الجامع الصغير.

(2) سلسلة الآداب الإسلامية، 9/ 12.

الصلاة والسلام رد هدايا؟ نعم.

ثبت أن النبي ﷺ رد هدايا بعض المشركين، وقال - أيضاً - في الحديث الصحيح: "وايم الله! لا أقبل بعد يومي هذا من أحد هدية إلا أن يكون مهاجراً قرشياً أو أنصارياً أو دوسياً أو ثقفياً - والسبب أن أعرابياً وهب النبي عليه الصلاة والسلام ناقة فأتاه النبي ﷺ عليها، فقال: "أرضيت؟ قال: لا. فزاده حتى عوضه ست بكرات ، هذا الأعرابي كأنه يريد بالهدية أن يأخذ أكثر منها.

ولذلك النبي ﷺ قال هذه العبارة الشديدة: أنه هم ألا يقبل هدية إلا من هؤلاء الأحياء من العرب، قال: "إن فلاناً أهدى إلي ناقةً فعوضته عنها ست بكرات، فظل ساخطاً، ولقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفى أو دوسي-رواه أحمد والترمذي.

وكذلك قال ﷺ : (إن رجلاً من العرب يهدي أحدهم الهدية فأعوضه منها بقدر ما عندي، ثم يتسخطه فيظل يتسخط فيه علي، وايم الله! لا أقبل بعد مقامي هذا من رجل من العرب هدية إلا من قرشي أو أنصاري أو ثقفى أو دوسي) لأن هؤلاء لا يفعلون هذه الأفاعيل، هؤلاء الأربعة الأحياء من العرب معروفون بجودة الأخلاق، فالواحد منهم لا يلجأ إلى هذه الأساليب الملتوية، ثم يتسخط إذا أُعطي رداً عليها.

فالإنسان إذا أحس أن الشخص يُريد بالهدية إحراجه، فإن له أن يردها، وإذا كانت الهدية من حرام، فإنه يجب ردها.

وإن كانت فيها شبهة فإنه يستحب له أن يردها، وإذا كانت رشوة، فإنه يجب عليه أن يردها، كأن يكون موظفاً صاحب منصب ولولا وظيفته ما أعطي الهدية، أو يكون موظفاً في الجوازات، أو موظفاً في المصلحة الفلانية، فإذا جاءت هدية من معقب الشركة، قال: هذه الشركة تهدي لك هذه الهدية، فلا يأخذها، لأنه يجوز له ذلك، ولو كان في غير هذه الوظيفة ما أعطوه، لكن لو أن جاره أو قريبه أعطاه، فليقبلها؛ لأنها ما جاءت من أجل أنه موظف في هذه الدائرة التي يراجعها الناس، وإنما جاءت لأنه قريب أو جار.

فإذاً: إذا اشتم منها رائحة التهمة أو الرشوة أو الريبة فإنه يردها.
فإذاً هناك بعض الحالات التي يجب فيها رد الهدية، أو يستحب فيها رد الهدية.

كذلك لو أهداك إياها فاجر فاسق، أو كافر يريد بالهدية أن يبقى له منة عليك، حتى إذا قابلك انكسرت عينك وذلت نفسك له، ففي هذه الحالة لا تقبلها، لكن إذا جاءتك الهدية سليمة نقية ما فيها شائبة ولا ريبة ولا شبهة ولا حرمة فاقبلها ولا تردّها، وربما قبل النبي ﷺ هدايا وهو لا يحبها، لا يحبها من جهة نفسه؛ لأن نفسه لا تشتهيها لكن يأخذها إكراماً لصحابها، كما جاء في كتاب الهبة في صحيح البخاري رحمه الله عن ابن عباس قال: "أهدت أم حفيدة خالة ابن عباس إلى النبي ﷺ أقطاً وسمناً وأضباً - جمع ضب - فأكل النبي من الأقط والسمن وترك الضب تقذراً - نفسه تعافه؛ لأنه لم يكن بأرض قومه، لم يكن من طعام قريش - وأكل على مائدة رسول الله ﷺ، ولو كان حراماً لما أكل على مائدته".

إذاً: يأخذ الإنسان الطعام ولو كانت هذه الأكلة لا تعجبه، فيأخذها ويعطيها إلى أناس آخرين.

بعض الأحيان قد يطبخ جيرانك طعاماً، ويهدونك منه، وأنت لا يعجبك هذا النوع من الطعام مطلقاً، فلا غضاضة عليك لو أخذته وطيبت خاطرهم بأخذه، ثم أعطيته بعض الفقراء أو العمال أو المساكين، أو الناس الآخرين فهم يأكلونه أو يستفيدون منه.

وإذا أراد الإنسان أن يُهدي أخاه هدية، فإنه يتحرى أحسن الأوقات والأماكن، ليهدي إليه حتى تصبح أعظم، وحتى تصبح أوقع في النفس، والدليل على ذلك ما رواه البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض.

وقالت عائشة: كان الناس يتحرون بهداياهم اليوم الذي يكون فيه رسول الله ﷺ عندي يبتغون بذلك مرضاة رسول الله ﷺ.

فإذاً: الهدية إذا كانت في يوم مُفضل أو ساعة أو مكان معين أو ظرف معين عند المهدى إليه تكون أوقع في النفس وأحسن، فهذا من آداب الهدية.

وقد حدثت قصة طويلة في هذا الباب رواها البخاري رحمه الله في كتاب الهبة وفي كتاب المناقب، وملخص هذه الهدية أن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشة فاجتمع صواحيبي - تقول عائشة - إلى أم سلمة فقلن: (يا أم سلمة! والله إن الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، وإننا نريد الخير كما تريد عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث ما كان، أو حيث ما دار - لا يتقصدون عائشة - قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليّ ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: "يا أم سلمة! لا تؤذيني في عائشة، فإنه - والله - ما نزل علي الوحي وأنا في لحاف امرأة منكن غيرها- وهذا من فضلها رضي الله عنه.

وجاء في رواية أخرى: أنهن وسطن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول له: إن نساءك ينشدنك الله العدل في بنت أبي بكر، فكلمته فقال: "يا بنية! ألا تحبين ما أحب؟- قالت: بلى.

فرجعت إليهن فاطمة ، ثم أنه ليس من المناسب للنبي عليه الصلاة والسلام أن يقول: يا أيها الناس! أهدوني في بيت فلان وفلان.

فعلى أية حال: النبي عليه الصلاة والسلام كان يحب أن يهدى إليه وهو في بيت عائشة؛ لأنه يحب عائشة رضي الله عنه ، وأن تأتيه الهدية في هذا البيت يكون موقعها أجمل وأحسن، على أنه ينبغي على الإنسان المتزوج بأكثر من زوجة أن يراعي مسألة الغيرة أشد المراعاة حتى لا تتفاقم المشكلات وتعظم، ويكون هذا من أسباب القطيعة، أو من أسباب تنغيص عيشه في بيته مع زوجاته، وقد جاءت قصة حفصة مع النبي ﷺ لما كان يحب العسل والحلوى، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نساءه فيدنون من أحدهن، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، تقول عائشة: فغرت، لماذا أطل عند حفصة أكثر من المعتاد؟ فسألت عن ذلك فقيل لي أهدت لها امرأة من قومها عكةً من عسل فسقت النبي ﷺ منه شربة فقلت: أما والله لنحتالن له، وجاءت قصة العرفط والمغافير التي حصلت من حيلة عائشة رضي الله عنه ، فالإنسان على أية حال يحتاج أن ينتبه إلى مسألة الغيرة بين الزوجات، ولا يكون

هو سبب الشر، أو يكون هو مفتاح الشر.

قال الشاعر:

إنّ الهدايا لها حظٌّ إذا وردت :: أحظى من الابن عند الوالد
وقال آخر:

يوماً بأنجح في الحاجات من ::
طبق :: ما من صديق وإن أبدى مودّته
إذا تلثم بالأمّنديل منطلقاً :: لم يخش صولة بواب ولا غلق
لا تكذبن فإنّ الناس قد خلقوا :: لرغبة يكرمون الناس أو فرق
أما الفعال فعند النجم مطلعته :: واليقول يوجد مطروحاً على
الطرق ::
وقال آخر:

أهدى إليه حبيبه أترجّة :: فبكى وأشفق من عيافة زاجر
خوف التبدّل والتلّون إنّها :: لوان باطنها خلاف الظاهر
بعث أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع بنعل، وكتب معها:

نعلٌ بعثت بها لتلبسها :: تمشي بها قدّم إلى المجد
لو كان يحسن أن أشركها :: خدي جعلت شراكها خدي
أهدى الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً، وكتب إليه:

قد بعثنا إليك أكرمك الله :: بشيء فكن له ذا قبول
لا تقسه إلى ندى كفك الغم :: رولا نيلك الكثير الجزيل
واغتفر قلبه الهدية مني :: إن جهد المقلّ غير قليل

ومن المواقف:

كما أنت إذاً:

حدث يونس بن عبيد، قال: أتيت محمد بن سيرين، فقلت: قولوا له: يونس بن عبيد بالباب، فقال: قولوا له: أنا نائم، فقلت: قولوا له: إن معي هدية، فقال: كما أنت إذاً.

فنيروز لنا إذاً كل يوم:

أصبح عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالكوفة يوم نيروز هدايا كثيرة وتحف، فأنكر ذلك. فقالوا له: إنه يوم نيروز قال: فنيروز لنا إذاً كل يوم.

قال أبو عمر: كان هذا منه رضي الله عنه - إن صحَّ - قبل أن يدخل الكوفة، وأن يكون خليفة، لأن المحفوظ عنه من رواية الثقات أنه كان لا يقبل هدية نيروز ولا مهرجان، وأنه كان يأخذ ما أهدى إليه عماله فيضعه في بيت المال - مال المسلمين.

وما تصنع بعنائي؟!:

قال أبو عوانة: قلت للأعمش: يا أبا محمد! إن عندي بطة سمينية، أف تكون عندي في الدار؟ قال: وما تصنع بعنائي؟! ابعث بها إلى الدار.

هديتي تقصر عن همّتي.. وهمّتي تعلو على مالي:

أولم إسحاق بن إبراهيم الموصلي وليمة، فأهدى إليه إخوانه هدايا، وأهدى إليه إبراهيم بن المهدي جراب ملح وجراب أشنان مطيب، وكتب إليه رقعة: فذاك أخوك عنده، لولا أن البضاعة تقصر لجزت السابقين إلى برك، وكرهت أن تطوى صحيفة البرّ ولا حظّ لي فيها، فوجهت إليك بالمبتدأ به ليمنه وبركته، والمختوم به لطيبه ونظافته، جراب ملح وجراب أشنان هدية من يحتشم إلى من لا يغتنم، وكتب أسفل الرقعة:

هديتي تقصر عن همّتي وهمّتي تعلو على مالي
وخالص الودِّ ومحض الهوى أحسن ما يهديه أمثالي

:

بعث رجل إلى دعبل بأضحية، فكتب إليه دعبل:

بعثت	إلينا	بأضحية	:	وكنت	حرياً	بأن	تفعلا
ولكنها	خرجت	غثة	:	كانك	أرعتها	حرماً	
فإن	قبل	الله	:	فسبحان	ربك	ما	أعدلا
			:				
			:				

فمن أي هذين لا أجزع:

قال المدائني: أهدى رجل إلى مجوسي هدية فاغتم لذلك فقيل له فقال: لنن ابتدأني بها فإنه يدعوني إلى أن أتقلد منه منة، ولنن كافأني على معروف عنده إنه ليروم أخذ ذلك، فمن أي هذين لا أجزع.

لو قبلت هديتك ليلاً قبلتها نهاراً:

أهدى عبد الله بن السري إلى عبد الله بن طاهر لما ولاه مصر مائة وصيفة، مع كل واحدة بدرة، وبعثها إليه ليلاً فردّها وكتب إليه: لو قبلت هديتك ليلاً قبلتها نهاراً، وما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون.

من هذا؟:

مر زياد بأبي العريان بالبصرة فقال: من هذا؟ فقالوا: زياد بن أبي سفيان. فقال: ما أعرف في ولد أبي سفيان زياداً فبلغه ذلك فوجه إليه دنائير ثم مر به فقال: من هذا؟ فقالوا: زياد بن أبي سفيان. فقال: لقد ذكرني شمائل أبي سفيان، فبلغ ذلك معاوية فكتب إليه:

ما لبثتك	دنائير	رشيت	بها	:	أن	لونتك	أبا	العريان	ألوانا
لله	در زياد	منذ	قدمها	:	كانت	لو	دون	ما	يخشاه
				:					قربانا
				:					

فكتب له:

ابعث	لنا	صلة	تحيا	النفوس	بها	:	قد	كدت	يا	ابن	سفيان	تنسانا
من	يسد	خيراً	يجده	حيث	يجعله	:	أويسد	شراً	يجده	حيثما	كانا	
أما	زياد	فلا	أنسيت	نسبته		:	ولم	أرد	بالذي	حاولت	بهتانا	

⋮

ظالم ولي المظالم!:

ولما ولي الحسن بن عمارة المظالم قيل ذلك للأعمش فقال: ظالم ولي المظالم! فأهدى إلى الأعمش رزمة ثياب فجعل يقول من بعد: إن الحسن كريم وحر سخي.

والظرف يوجب أخذه مع ظرفه:

وقال إسحاق بن إبراهيم: كنت مع الرشيد بالكوفة في شهر رمضان فقال لموسى بن عيسى: يا أبا عيسى حلواؤنا عليك. وكان يوجه إليه كل ليلة عشر صحاف؛ فلما كان بعد عشر ليال قطعها فقال له الرشيد: اصغوت فقطعت الحلواء. فقال: ما قطعها غيرك إن أنصفت. قال: كيف؟ قال: إن من يأخذها منا لا يرد صفحة ولا منديلاً ولا طبقاً. قال: بئس ما عمل! إن الهدايا تستدام برد الظروف، فإذا صرت المتقاضي وأنت القاضي فلا تحتشم أحد في استرداد الظروف. وقد أهدى دنائير على طبق فضة فكتب أبيات فيها

والظرف يوجب أخذه مع ظرفه

كل يهدي على قدر وسعه:

وروي أن سليمان عليه الصلاة والسلام مر بعش قنبرة، فأمر الريح أن تتجنب عشها الذي فيه فراخها، فجاءت القنبرة لما نزل سليمان فرفرفت على رأسه وألقت جرادة هدية له لما فعل، فقال سليمان: هي مقبولة فكل يهدي على قدر وسعه.

نفسك والله أحب إلي!:

اقتصد المتوكل فلم يبق أحد من جواريه وحشمه إلا أهدى إليه، فأخبرت قبيحة بذلك، وكانت معشوقته، فتزينت ودخلت عليه فأنشدته:

⋮	⋮
على ما كان من حسي وبسي	طلبت هدية لك باحتيال
يكون هديتي أهديت نفسي	فلما لم أجد شيئاً نفيساً
⋮	⋮

فقال المتوكل: نفسك والله أحب إلي!

حين احتفل أهدى بصل:

أهدى أبو رهم السدوسي إلى قينة كان يعشقها زنبيل بصل فقال فيه
ابن المعدل:

قالت جبل ماذا العمل هذا الرجل حين احتفل أهدى بصل!

والا قنتها!:

أهدى رجل إلى الأعمش بطيخة، فلما أصبح قال: يا أبا محمد كيف كانت
البطيخة؟ قال: طيبة! ثم أعاد عليه ثانياً وثالثاً فقال: إن خفت من قولك
والا قنتها!

أرخ بديكه:

وأهدى أبو الهذيل إلى أستاذ له ديكاً فكان بعد ذلك إذا خاطبه أرخ
بديكه فيقول: إنه كان يوم أهديت إليك الديك، وأنه كان قبل الديك بكذا وبعد
الديك بكذا!

حسبك فداك أبوك ووريت زناده فيك!:

وقدم زياد على معاوية وأهدى إليه هدايا كثيرة، فأعجب بها معاوية
فلما رأى زياد سروره بذلك قال: يا أمير المؤمنين، إنني دوخت لك العراق
وجبيت لك برها وبحرها وغلثها وسمينها، وحملت لك لبها وسروها. فقال
له يزيد: أما إذا فعلت ذلك فقد نقلناك من ولاء ثقيف إلى شرف قریش،
ومن عبيد إلى أبي سفيان، وما أمكنك تدويخ العراق إلا بنا. فقال معاوية:
حسبك فداك أبوك ووريت زناده فيك!.

إن جهد المقل غير قليل:

أهدى حبيب بن أوس الطائي إلى الحسن بن وهب قلماً، وكتب معه
إليه هذه الأبيات:

قد بعثنا إليك أكرمك الله :: بشيء فكن له ذا قبول
لا تقسه إلى ندى كفك الغم : رولاً نيلك الكثير الجزيل
فاستجز قلة الهدية مني :: إن جهد المقل غير قليل (1)

(1) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 500/2.

⋮

سألتك الجلوس لنا فأبيت علينا، فلما جاءك المال والجائزة جلست!!:

وحج هارون الرشيد، فأرسل إلى سفيان بن عيينة فأمره أن يحدث بنيه، فقال يا أمير المؤمنين قد سألتني الناس فامتنعت عليهم، ولكنني أجلس لبنيك وللناس، فقال: نعم. فلما جلس صاح به الناس: سألتك الجلوس لنا فأبيت علينا، فلما جاءك المال والجائزة جلست. فقال للمستملي: أنصت لهم لي. فصاح المستملي: صه صه. فسكت الناس، فأخرج سفيان بن عيينة رأسه إليهم، وقال: حدثني الزهري، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: **“ما شيء أحل وأطيب من ثلاثة: صداق الزوجة، والميراث، وما أتاك الله به من غير مسألة، فإنه رزق ساقه الله إليك—** والله ما جئت هذا الرجل ولا سألته شيئاً من ماله، ولو وجّه إليّ شطر ماله لقبلته، ثم أدخل رأسه ولم يحدثهم في ذلك الموسم بشيء (1).

إن لم تكن من الصالحين فإننا نحب الصالحين:

وقال بعضهم للفضيل: إن سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال: ما أخذ منهم إلا دون حقه ثم خلا به وعاتبه بالرفق فقال: يا أبا علي إن لم تكن من الصالحين فإننا نحب الصالحين (2).

ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها!:

قال سفيان بن عيينة: دخل هشام بن عبد الملك الكعبة، فإذا هو بسالم ابن عبد الله، فقال له: يا سالم سلني حاجة؛ فقال له: إني لأستحيي من الله أن أسأل في بيت الله غير الله، فلما خرج خرج في أثره، فقال له: الآن قد خرجت فسلني حاجة؛ فقال له سالم: من حوائج الدنيا أم من حوائج الآخرة؟ فقال: بل من حوائج الدنيا؛ فقال له سالم: ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟! (3).

(1) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 32/1.

(2) المشتولي، سلوة الأحرار للاجتئاب عن مجالسة الأحداث والنسوان، 58/1.

(3) مختصر صفة الصفوة، 13/1.

إن شئت رددت الجرة وكتبت لك:

أهدى رجل نصراني إلى الأوزاعي جرة عسل وقال له: يا أبا عمرو، تكتب لي إلى والي بعلبك فقال: إن شئت رددت الجرة وكتبت لك، وإلا قبلت الجرة ولم أكتب لك. قال: رد الجرة فردها وكتب له فوضع عنه ثلاثين ديناراً.

لحملة القتاء إليه أحياناً:

قال محمد بن أبي حاتم كانت له قطعة أرض يؤجرها كل سنة بسبعمئة درهم فكان ذلك المؤجر ربما حمل منها إلى أبي عبد الله قنّاة أو قنّاتين لأن أبا عبد الله كان معجباً بالقتاء النضيج وكان يؤثره على البطيخ أحياناً فكان يهب للرجل مائة درهم كل سنة لحملة القتاء إليه أحياناً⁽¹⁾.

* * *

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 41/1 - 42.

مواقف التائبين

مواقف عربية

مواقف التائبين

التوبة لغة: مصدر قولك: تاب يتوب وهو مأخوذ من مادة (ت وب) التي تدلّ على الرجوع، يقال: تاب من ذنبه، أي رجع عنه توبة ومتابا، والوصف منه تائب، والتّوب: ترك الذّنب على أجمل الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار؛ فإنّ الاعتذار على ثلاثة أوجه:

إمّا أن يقول المعتذر: لم أفعل، أو يقول فعلت لأجل كذا، أو يقول: فعلت وأسأت وقد أقلعت، ولا رابع لذلك وهذا الأخير هو التّوبة، يقال: تاب إلى الله أي تذكر ما يقتضي الإنابة، نحو قوله سبحانه: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا } [النور: ٣١]، أي عودوا إلى طاعته وأنبيوا إليه.. ويقال: تاب الله عليه أي قبل منه التّوبة، والتائب يقال لبازل التّوبة ولقابل التّوبة فالعبد تائب إلى الله. والله تائب على عبده، والتّواب العبد الكثير التّوبة، وذلك بتركه كلّ وقت بعض الذّنوب على التّرتيب حتّى يصير تاركا لجميعه، وقد يقال لله عز وجل ذلك (أي تّواب) وذلك لكثرة قبوله توبة العباد حالا بعد حال، والمتاب في قوله تعالى: { وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا } [الفرقان: ٧١]، يقصد به التّوبة التّامة وهي الجمع بين ترك القبيح وتحريّ الجميل.

والتوبة في الاصطلاح:

قال الرّاغب: التّوبة في الشّرع: ترك الذّنب لقبحه والنّدم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعادة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة.

وقال الجرجاني: التّوبة هي الرجوع إلى الله بحلّ عقدة الإصرار عن القلب، ثمّ القيام بكلّ حقوق الرّب، وقيل: التوبة الاعتراف والنّدم والإقلاع. وقيل: التوبة في الشّرع: النّدم على معصيته من حيث هي معصية، مع عزم ألا يعود إليها إذا قدر عليها.

فقولهم على معصية: لأنّ النّدم على المباح أو الطّاعة لا يسمّى توبة، وقولهم من حيث هي معصية: لأنّ من ندم على شرب الخمر لما فيه من الصّداع أو خفة العقل أو الإخلال بالمال والعرض لم يكن تائبا شرعا،

وقولهم: مع عزم ألا يعود، زيادة تقرير؛ لأنَّ الندم على الشيء لا يكون إلا كذلك، ولذلك ورد في الحديث "الندم توبة" —. وقولهم: إذا قدر عليها، إشارة إلى أنَّ من سلب القدرة على معصية مثل الزنا وانقطع طمعه عن عود القدرة إليه لم يكن ذلك توبة منه —.

التوبة النصوح:

قال الجرجاني: التوبة النصوح هي توثيق العزم على ألا يعود بمثله. وقيل هي ألا يبقى (التائب) على عمله أثرا من المعصية سرا وجهرا، وهذه التوبة هي التي تورث صاحبها الفلاح عاجلا وأجلا. وقال التهانوي: التوبة النصوح وهي من أعمال القلب تعني تنزيه القلب عن الذنوب، وعلامتها أن يكره العبد المعصية ويستقبحها فلا تخطر له على بال ولا ترد في خاطره أصلا.

معاني التوبة وأنواعها:

قال صاحب التعريفات: التوبة على ثلاثة معان: أولها: الندم. وثانيها: العزم على ترك العود إلى ما نهى الله عنه. وثالثها: السعي في أداء المظالم. أما أنواعها:

فقليل هي نوعان: توبة الإنابة وتوبة الاستجابة، فتوبة الإنابة أن تخاف من الله من أجل قدرته عليك، وتوبة الاستجابة أن تستحي من الله لقربه منك، قال تعالى: {وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: ١٦]، وقيل: بل ثلاثة: التوبة الصحيحة: وهي أنه إذا اقترف العبد ذنبا تاب عنه بصدق في الحال.

والتوبة الأصح: وهي التوبة النصوح (وقد سبق تعريفها).
والتوبة الفاسدة: هي التوبة باللسان مع بقاء لذة المعصية في خاطر.

التوبة والإنابة والأوبة:

يقال لمن خاف العقاب هو صاحب توبة، ولمن يتوب بطمع الثواب هو صاحب إنابة، ولمن يتوب لمحض مراعاة أمر الله فهو صاحب أوبة. وقيل:

التوبة صفة عامة المؤمنين. قال تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ} [النور: ٣١]. والإنابة صفة الأولياء والمقربين. قال تعالى: {وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} [ق: ٣٣]، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص: ٣٠].

وردت كلمة التوبة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

- بمعنى التجاوز والعفو. وهذا مقيد بعلى، كقوله تعالى: {فَنَابَ عَلَيْكُمْ} [البقرة: ٥٤].

- بمعنى الرجوع والإنابة. وهذا مقيد بإلى، كقوله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ} [النور: ٣١].

- بمعنى الندامة. وهذا غير مقيد لا ب (إلى) ولا ب (على): كقوله تعالى: {فَإِنْ تَبُتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [التوبة: ٣].

شروط التوبة:

قال النووي - رحمه الله تعالى -: التوبة واجبة من كلّ ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها شروط ثلاثة وهي:

- أن يقلع عن المعصية.

- أن يندم على فعلها.

- أن يعزم على ألا يعود إليها أبدا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

ويزاد شرط رابع إذا كان الذنب يتعلق بحق آدمي: أن يبرأ من حق صاحبه؛ فإن كان مالا أو نحوه رده إليه، وإن كان حدّ قذف مكّنه منه أو طلب عفو، وإن كان غيبة استحلّه منها، هذا إذا لم يترتب على ذلك مفسدة أعظم. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها

صَحَّتْ توبته من ذلك الذنب.

التوبة من ترك المأمور أولى من التوبة من فعل المحظور:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -: من تاب توبة عامة كانت هذه التوبة مقتضية لغفران الذنوب، وإن لم يستحضر أعيان الذنوب إلا أن يعارض هذا العام معارض يوجب التخصيص مثل أن يكون بعض الذنوب لو استحضره لم يتب منه، لقوة حبه إياه، أو لا اعتقاده أنه حسن ليس بقبیح، فما كان من ذنب لو استحضره لم يتب منه لم يدخل في التوبة، وأما ما كان لو استحضره بعينه لكان مما يتوب منه؛ فإن التوبة العامة شاملة له. وأما التوبة المطلقة:

وهي أن يتوب توبة مجملّة، فإنّها لا تستلزم التوبة من كلّ ذنب. فهذه لا توجب دخول كلّ فرد من أفراد الذنوب فيها ولا تمنع دخوله كاللفظ المطلق، لكن هذه تصلح أن تكون سببا لغفران المعين، كما تصلح سببا لغفران الجميع، بخلاف التوبة العامة فإنّها مقتضية للغفران العام.

وكثير من الناس لا يستحضر عند التوبة إلا بعض المعاصي المتّصّفات بالفاحشة أو مقدّماتها أو بعض الظلم باللسان أو اليد، وقد يكون ما تركه من المأمور الذي يجب عليه في باطنه وظاهره من شعب الإيمان وحقائقه أعظم ضررا عليه ممّا فعله من بعض الفواحش؛ فإنّ ما أمر الله به من حقائق الإيمان التي بها يصير العبد من المؤمنين حقّا أعظم نفعا من نفع ترك بعض الذنوب الظاهرة، كحبّ الله ورسوله، فإنّ هذا أعظم الحسنات الفعلية. والناس في غالب أحوالهم لا يتوبون توبة عامة مع حاجتهم إلى ذلك؛ فإنّ التوبة واجبة على كلّ عبد في كلّ حال، لأنّه دائما يظهر له ما فرط فيه من ترك مأمور أو ما اعتدى فيه من فعل محظور، فعليه أن يتوب دائما.

شمول التوبة لكل مراتب الدين (الإسلام، الإيمان، الإحسان).

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: التوبة هي حقيقة دين الإسلام، والدين كلّّه داخل في مسمّى التوبة وبهذا استحقّ التائب أن يكون حبيب الله. فإنّ الله يحبّ التوابين ويحبّ المتطهرين. وإنّما يحبّ الله من فعل ما أمر

به. وترك ما نهى عنه. فإذا التَّوبَةُ هي الرَّجُوع عما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً. ويدخل في مسمّاها الإسلام، والإيمان، والإحسان. وتتناول جميع المقامات. ولهذا كانت غاية كلّ مؤمن، وبداية الأمر وخاتمته وهي الغاية التي وجد لأجلها الخلق. والأمر والتَّوْحِيد جزء منها، بل هو جزؤها الأعظم الذي عليه بناؤها.

وأكثر النَّاس لا يعرفون قدر التَّوبَةِ ولا حقيقتها، فضلاً عن القيام بها علماً وعملاً وحالاً. ولم يجعل الله تعالى محبته للتَّوَّابِينَ إلّا وهم خواصُّ الخلق لديه، ولولا أنّ التَّوبَةَ اسم جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكن الرَّبُّ تعالى يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم، فجميع ما يتكلّم فيه النَّاس من المقامات والأحوال هو تفاصيلها وآثارها.

وقد قال الله تعالى: { وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَثَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٥٤ } [البقرة: ٥٤].

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ١٥٩ } { الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١٦٠ } [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ٦٤ } [النساء: ٦٤].

وقال تعالى: { لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧ } { عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١١٨ } [التوبة: ١١٧ - ١١٨].

وقال تعالى: { وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ١٢٧ } { رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ } [البقرة: ١٢٧].

وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٨].

وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْلِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣١﴾ التَّائِبُونَ الْعَبَدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْخَافُونَ لِحُذُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ [التوبة: ١١١ - ١١٢].

وقال تعالى: {الرَّكَابُ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُبْعَثْكُمْ مِّنْهَا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤﴾ [هود: ١ - ٤].

وقال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِينَ إِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًا ﴿٥٨﴾ خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} [مريم: ٥٨ - ٦٠].

وقال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصَّلَتْهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبْلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ [الأحقاف: ١٥ - ١٦].

وقال تعالى: {وَإِذَا أَسْرَأَ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ أَنْ

يُبَدِّلُهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَتَبِعْنَ عِدَّتِ سَيِّحَتٍ ثَبَّتَتْ وَأَبْكَارًا {
[التحریم: ۳ - ۵].

التوبة من الكفر أو النفاق لا تكون إلا بالإيمان الصادق:

وقال تعالى: { كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ
الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَئِكَ
جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا
يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا
فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ } [آل عمران: ٨٦ - ٨٩].

وقال تعالى: { وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفُجْشَةُ مِنْ نِسَائِكَ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ
أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ
يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَعَادُوهُمَا فَإِنْ تَابَا
وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ
لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ
حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْكُفْرَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ
كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ } [النساء: ١٥ - ١٨].

وقال تعالى: { وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِي
الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٣﴾ } [البقرة: ٢٢٢].

وقال تعالى: { يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ
يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا
يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ
رَبَّنَا آتِنَا نُورَنَا وَاعْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ } [التحریم: ٨].

وقال تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ
وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ
عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٦٨﴾ } [النساء: ٢٦ - ٢٨].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: إِنَّ رجلاً جاء إلى النَّبِيِّ صَلَّى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أحدنا يذنب. قال: “يكتب عليه —. قال: ثُمَّ يستغفر منه ويتوب. قال: “يغفر له ويتاب عليه —. قال: فيعود فيذنب. قال: “فيكتب عليه —. قال: ثُمَّ يستغفر منه ويتوب. قال: “يغفر له ويتاب عليه، ولا يملّ الله حتّى تملّوا — (1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “إِنَّ العبد إذا أخطأ نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صفّل قلبه، وإن عاد زيد فيه حتّى تعلو قلبه وهو الرّان (2) الذي ذكر الله: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [المطففين: ١٤] — (3).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “إِنَّ الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتّى تطلع الشّمس من مغربها - (4).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “إِنَّ الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغ - (5).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً. فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على راهب فأتاه، فقال: إنّه قتل تسعة وتسعين

(1) قال الهيثمي في المجمع (10/ 200): رواه الطبراني في الكبير والأوسط وإسناده حسن.

(2) الران: الطبع والختم.

(3) الترمذي (3334) وقال: حديث حسن صحيح واللفظ له. وابن ماجه (4244). والحاكم (517/2) من حديث أبي هريرة، وقال: صحيح على شرط مسلم، وأقره الذهبي.

(4) مسلم (2759).

(5) الترمذي (3537) وهذا لفظه وقال: هذا حديث حسن غريب. وابن ماجه (4253) وأحمد برقم (6160، 6400). والحاكم (4/ 257) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال الشيخ أحمد شاكر في المسند: إسناده صحيح (9/ 17) حديث (6160).

نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمّل به مائة، ثمّ سأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على رجل عالم، فقال: إنّه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم. ومن يحول بينه وبين التّوبة. انطلق إلى أرض كذا وكذا فإنّ بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنّها أرض سوء، فانطلق حتّى إذا نصف⁽¹⁾ الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرّحمة وملائكة العذاب. فقالت ملائكة الرّحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنّه لم يعمل خيرا قطّ. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيّتهما كان أدنى فهو له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد. فقبضته ملائكة الرّحمة⁽²⁾.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "كلّ ابن آدم خطّاء وخير الخطّائين التّوابون"⁽³⁾.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لله أفرح بتوبة العبد من رجل نزل منزلا وبه مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتّى اشتدّ عليه الحرّ والعطش، أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة ثمّ رفع رأسه فإذا راحلته عنده"⁽⁴⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو أخطأتم حتّى تبلغ خطايكم السّماء، ثمّ تبتّم لتاب عليكم"⁽⁵⁾.
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه

(1) نصف الطريق: في منتصف الطريق.

(2) البخاري - الفتح 6 (3470). ومسلم برقم (2766) واللفظ له.

(3) الترمذي (2499) وهذا لفظه وقال: غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة. ابن ماجه (4251) وقال الحافظ: سنده قوي (4/346) والدارمي (2/393) وأحمد (3/198) والحاكم (4/244). وقال محقق جامع الأصول (2/515): حسن.

(4) البخاري - الفتح 11 (6308) واللفظ له ومسلم (3744).

(5) ابن ماجه (4248) وفي الزوائد: هذا إسناد حسن، وشيخ ابن ماجه مختلف فيه وباقي رجاله ثقات. وقال العراقي في تخريج الإحياء (4/13): إسناده حسن. وذكره في الترغيب والترهيب (4/90) وقال: رواه ابن ماجه بإسناد جيد.

وسلم: "للجنة ثمانية أبواب، سبعة مغلقة وباب مفتوح للتوبة حتى تطلع الشمس من مغربها".⁽¹⁾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل قال: "أذنب عبد ذنبا، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنوب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنوب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنوب، اعمل ما شئت فقد غفرت لك".⁽²⁾

وعن شذاد بن أوس - رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء لك بذنبي اغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال: ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسي، فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة".⁽³⁾

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: إن كنا لنعدّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: "رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم".⁽⁴⁾

قال عمر بن الخطّاب - رضي الله عنه: اجلسوا إلى التّوابين فإنّهم أرقّ أفئدة.

وقال أيضا رضي الله عنه في معنى قوله تعالى: {تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا} [التحریم: ٨]. يذنب العبد ثم يتوب فلا يعود فيه.

(1) ذكره في الترغيب والترهيب (4/ 89) وقال: رواه أبو يعلى والطبراني بإسناد جيد.

(2) البخاري - الفتح 13 (7507). مسلم (2758) واللفظ له.

(3) البخاري - الفتح 11 (6306).

(4) أبو داود (1516) وهذا لفظه والترمذي (3434) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. وابن ماجه (3814)، وعزاه شاكراً للنسائي في عمل اليوم والليلة (ص 148).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال الله عز وجل: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ
كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّمَمَ} [النجم: ٣٢]، قال: هو الرجل يصيب الفاحشة
يلم بها ثم يتوب منها. قال يقول:

إن تغفر اللهم تغفر جمّا :: وأيّ عبد لك لا ألما

قال الحسن البصري - رحمه الله - : يابن آدم ترك الخطيئة أيسر من
طلب التوبة.

وقال أيضا - رحمه الله - في معنى التوبة النصوح: "أن يكون العبد
نادما على ما مضى، مجمعا على أن لا يعود فيه.

وقال فيها أيضا: ندم بالقلب، واستغفار باللسان وترك بالجوارح،
وإضمار ألا يعود.

وقال الكلبي: أن يستغفر باللسان، ويندم بالقلب، ويمسك بالبدن.

وقال سعيد بن المسيب: التوبة النصوح ما تنصحون بها أنفسكم.

وقال محمد بن كعب القرظي: التوبة يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار
باللسان، الإقلاع بالأبدان، إضمار ترك العود بالجنان، مهاجرة سيئ
الإخوان.

وقال أبو حازم - رحمه الله - : عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، إذا
عزم العبد على ترك الآثام أمه الفتوح.

قال يحيى بن معاذ - رحمه الله تعالى: الذي حجب الناس عن التوبة
طول الأمل، وعلامة التائب إسبال الدمعة وحب الخلوة والمحاسبة للنفس
عند كل همّة.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - : التوبة من أفضل مقامات السالكين
لأنها أول المنازل، وأوسطها، وآخرها. فلا يفارقها العبد أبدا ولا يزال فيها
إلى الممات. وإن ارتحل السالك منها إلى منزل آخر ارتحل به، ونزل به.
فهي بداية العبد ونهايته، وحاجته إليها في النهاية ضرورية، كما حاجته
إليها في البداية كذلك.

قال محمود الورّاق - رحمه الله -:

قدّم لنفسك توبة مرجوة
بادر بها غلق النفوس فإنّها
قبل الممات وقبل حبس الألسن
ذخر وغنم للمنيب المحسن

قال بعض أهل العلم: من أعطي أربعاً لم يمنع أربعاً: من أعطي الشكر، لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة، لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يمنع الصواب.
من فوائد التوبة:

- التوبة من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- سبب حبّ الله تعالى ورضاه؛ لأنّ الله يحبّ التّوابين ويحبّ المتطهرين.
- سعة رحمة الله تعالى للتائب.
- ضعف الإنسان لكون الخطيئة جزءاً منه.
- عموم وشمول مغفرة الله ورحمته لكلّ ذنب تاب العبد منه وإن كان شركاً.
- حرمة المسلم (عرضه وماله) فلا تقبل التّوبة من حقوق العباد إلّا بأن يأخذ حقّه أو يعفو.
- يتجلّى الله على التائب برضوانه وإحسانه.
- يقبل الله على التائب أضعاف إقبال عبده عليه بطاعته.
- تسبّب التّوبة ذهاب الضيق وإزالة الهمّ.
- الرّجاء في العفو والتّوبة ما دامت الرّوح في الجسد إلى طلوع الشّمس من مغربها، وقبل الغرغرة.
- وجوب التّوبة على العموم وعلى الخصوص والمبادرة بها.
- المعاصي سواد والتّوبة جلاؤها.

ومن المواقف:

قد آذاني هذا المتخلف من كثرة ما يتوب:

وحكى بعضهم قال: كان لنا صديق يكثر التوبة من الشرب والعود إليه. ففارقنا يوماً على أنه قد تاب فجاءنا صبيحة غداة وقد أنمحت من أحد عارضيه لحيته فقال: رأيت إبليس في منامي وهو يستعرض أصحابه، فأتى بي إليه بعض أعوانه وقال: قد آذاني هذا المتخلف من كثرة ما يتوب لم يرجع، حلفوه على أن لا يتوب فحلفت ثم قال: الحسوا لحيته من جانب يكون ذلك تذكرة معه، فأصبحت على تلك الحالة.

توبة كعب بن مالك رضي الله عنه:

عن الزهري قال أخبرني ابن كعب بن مالك عن أبيه قال لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في الغزاة ولا حتى كانت غزوة تبوك إلا بدرا ولم يعاتب النبي ﷺ أحدا تخلف عن غزوة بدر إنما خرج يريد العير فخرجت قريش مغوثين لعيبرهم فالتقوا على غير موعد كما قال الله تعالى ولعمري إن أشرف مشاهد رسول الله ﷺ في الناس لبدر وما أحب أني كنت شهدتها مكان بيعتي ليلة العقبة حيث توافقتنا على الإسلام ثم لم أتخلف بعد عن رسول الله ﷺ في غزاة غزاها حتى إذا كانت غزوة تبوك وهي آخر غزاة غزاها وأذن النبي ﷺ الناس بالرحيل وأراد أن يتأهبوا أهبة غزوهم وذلك حين طابت الظلال وطابت الثمار وكان قلما أراد غزوة إلا وري بغيرها وكان يقول الحرب خدعة إلا غزوة تبوك فإنه جلى للناس أمرهم فأراد النبي ﷺ في غزوة تبوك أن يتأهب الناس أهبته وأنا أيسر ما كنت قد جمعت راحلتين وأنا أقدر شيء في نفسي على الجهاد وخفة الحاذ وأنا في ذلك أصغي إلى الظلال وطيب الثمار فلم أزل كذلك حتى قام رسول الله ﷺ غاديا بالغداة وذلك يوم الخميس وكان يحب أن يخرج يوم الخميس فأصبح غاديا فقلت أنطلق غدا إلى السوق فأشتري جهازي ثم ألحق بهم فانطلقت إلى السوق من الغد فعسر علي بعض شأني فرجعت فقلت أرجع غدا إن شاء الله فألحق بهم فعسر علي بعض شأني أيضا فقلت أرجع غدا إن شاء الله فلم أزل كذلك حتى ألبس بي الذنب وتخلفت عن رسول الله

ﷺ فجعلت أمشي في الأسواق وأطوف بالمدينة فيحزنني أني لا أرى أحدا تخلف إلا رجلا مغموصا عليه في النفاق وكان ليس أحد تخلف إلا رأى أن ذلك سيخفى له وكان الناس كثيرا لا يجمعهم ديوان وكان جميع من تخلف عن النبي ﷺ بضعة وثمانين رجلا ولم يذكرني النبي ﷺ حتى بلغ تبوكا قال ما فعل كعب بن مالك قال رجل من قومي خلفه يا رسول الله برده والنظر في عطفه فقال معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا نبي الله ما علمنا عليه إلا خيرا قال فبينما هم كذلك إذا هم برجل يزول به السراب فقال النبي ﷺ كن أبا خيثمة فإذا هو أبو خيثمة فلما قضى النبي ﷺ غزوة تبوك وقفل ودنا من المدينة جعلت أتذكر بماذا أخرج به من سخط النبي ﷺ وأستعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي حتى إذا قيل النبي ﷺ هو مصبحكم غدا بالغداة زاح عني الباطل وعرفت أني لا أنجو إلا بالصدق فدخل النبي ﷺ ضحى فصلى في المسجد وكان إذا جاء من سفر فعل ذلك دخل المسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فجعل يأتيه من تخلف فيحلفون له ويعتذرون إليه فيستغفر لهم ويقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله عز وجل فدخلت المسجد فإذا هو جالس فلما رأي تبسم تبسم المغضب فجئت فجلست بين يديه فقال ألم تكن ابتعت ظهرك فقلت بلى يا نبي الله قال فما خلفك فقلت والله لو بين يدي أحد من الناس غيرك جلست لخرجت من سخطه علي بعذر ولقد أوتيت جدلا ولكن قد علمت يا نبي الله أني إن أخبرتك اليوم بقول تجد علي فيه وهو حق فأني أرجو فيه عقبي الله وإن حدثتك اليوم حديثا ترضى عني فيه وهو كذب أو شك الله أن يطلعك علي والله يا نبي الله ما كنت قط أيسر ولا أخف حازا مني حين تخلفت عنك قال أما هذا فقد صدقكم الحديث فقم حتى يقضي الله فيك فقامت فثار على إثري أناس من قومي يؤنبونني فقالوا والله ما نعلمك أذنبت ذنبا قط قبل هذا فهلا اعتذرت إلى نبي الله ﷺ بعذر يرضى عنك فيه وكان استغفار رسول الله ﷺ سيأتي من وراء ذنبك ولم تقف نفسك موقفا لا تدري ماذا يقضى لك فيه فلم يزالوا يؤنبونني حتى هممت أن أرجع فأكذب نفسي فقلت هل قال هذا القول أحد غيري قالوا نعم قاله هلال بن أمية ومرارة بن ربيعة فذكروا رجلين صالحين قد شهدا بدرا لي فيهما أسوة فقلت والله لا أرجع

إليه في هذا أبدا ولا أكذب نفسي قال ونهى النبي ﷺ الناس عن كلامنا أيها الثلاثة قال فجعلت أخرج إلى السوق فلا يكلمني أحد وتنكر لنا الناس حتى ما هم بالذين نعرف وتنكرت لنا الشيطان حتى ما هي بالشيطان التي نعرف وتنكرت لنا الأرض حتى ما هي بالأرض التي نعرف وكنت أقوى أصحابي فكنت أخرج وأطوف في السوق وأتي المسجد فأدخل وأتي النبي ﷺ فأسلم عليه فأقول هل حرك شفتيه بالسلام إذا قمت أصلي إلى السارية فأقبلت قبل صلاتي نظر إلي بمؤخر عينيه وإذا نظرت إليه أعرض عني قال واستكان صاحبي فجعلنا يبكيان الليل والنهار ولا يطلعان رؤوسهما فبينما أنا أطوف في السوق إذا رجل نصراني جاء بطعام له يبيعه يقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له إلي فأتاني بصحيفة من ملك غسان فإذا فيها أما بعد فإنه بلغني أن صاحبك قد جفاك وأقصاك ولست بدار مضيعة ولا هوان فالحق بنا نواسك قال فقلت هذا أيضا من البلاء والشر فأسجرت لها التنور وأحرقتها فلما مضت أربعون ليلة إذا رسول من النبي ﷺ قد أتاني فقال اعتزل امرأتك فقلت أطلقها قال لا ولكن لا تقربها وأرسل إلي صاحبي بمثل ذلك فجاءت امرأة هلال بن أمية فقالت يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ كبير ضعيف فهل تأذن لي أن أخدمه قال نعم ولكن لا يقربنك قالت يا نبي الله والله ما به من حركة لشيء ما زال مكتئبا يبكي الليل والنهار منذ كان من أمره ما كان قال كعب فلما طال علي البلاء اقتحمت على أبي قتادة حائطه وهو ابن عمي فسلمت عليه فلم يرد علي فقلت أنشدك الله يا أبا قتادة أتعلم أنني أحب الله ورسوله فسكت ثم قلت أيضا يا أبا قتادة أتعلم أنني أحب الله ورسوله فسكت ثم قلت أنشدك الله يا أبا قتادة أتعلم أنني أحب الله ورسوله قال الله ورسوله أعلم قال فلم أملك نفسي أن بكيت ثم اقتحمت الحائط خارجا حتى إذا مضت خمسون ليلة من حين نهى النبي ﷺ الناس عن كلامنا صليت على ظهر بيت لنا صلاة الفجر ثم جلست وأنا في المنزلة التي قال الله عز وجل قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي الأرض بما رحبت إذ سمعت نداء من ذروة سلع أبشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وعرفت أن الله تعالى قد جاء بالفرج ثم جاء رجل يركض على فرس يبشرني فكان الصوت أسرع من فرسه فلما

جاءني الذي سمعت صوته أعطيته ثوبي بشارة وليست ثوبين آخرين قال وكانت توبتنا نزلت على النبي ﷺ ثلث الليل فقالت أم سلمة يا نبي الله ألا نبشر كعب بن مالك قال إذا يحطمكم الناس ويمنعونكم النوم سائر الليلة قال وكانت أم سلمة محسنة في شأني تحزن بأمرني فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون وهو يستنير كاستنارة القمر وكان إذا سر استنار فجئت فجلست بين يديه فقال أبشر يا كعب بن مالك بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك قال قلت يا نبي الله أمن عند الله أم من عندك قال بل من عند الله ثم تلا عليهم: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ} [التوبة: ١١٧]، حتى بلغ: {الْوَّابِئُ الرَّحِيمُ} [١١٨] { [التوبة: ١١٨]، قال: وفيها نزلت: {اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ} [التوبة: ١١٩]، قال: فقلت: يا نبي الله إن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا وأن أتخلع من مالي كله صدقة إلى الله وإلى رسوله فقال: "أمسك بعض مالك فهو خير لك-فقلت: فإني أمسك سهمي الذي بخير قال فما أنعم الله علي نعمة بعد الإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ حين صدقته أنا وصاحباي أن لا نكون كذبناه فهلكنما كما هلكوا وإني لأرجو أن لا يكون ابتلى الله أحدا في الصدق مثل الذي ابتلاني ما تعمدت لكذبة بعد وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي (1).

ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت:

قال إبراهيم بن بشار، قلت لإبراهيم بن أدهم: كيف كان بدو أمرك قال: غير ذا أولى بك، قلت: أخبرني لعل الله أن ينفعنا به يوماً، فقال: كان أبي من أهل بلخ، وكان من ملوك خراسان المياسير، وحبب إلينا الصيد، فخرجت راكباً فرسي ومعني كلبتي، فينما أنا كذلك ثار أرنب أو ثعلب، فحرّكت فرسي، فسمعت نداء من ورائي: ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت أنظر يمنة ويسرة، فلم أر أحداً فقلت، لعن الله إبليس، ثم حرّكت فرسي، فأسمع نداء أجهر من ذلك: يا إبراهيم ليس لذا خلقت، ولا بذا أمرت، فوقفت وقلت، انتهيت انتهيت، جاءني نذير من رب العالمين، والله

(1) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، التوابين، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، 1403 - 1983، ص 94 - 101.

لا عصيت الله بعد يومي إذا ما عصمني ربّي. فرجعت إلى أهلي، فخلّيت عن فرسي، ثم جئت إلى رعاة لأبي، فأخذت منه جبّة وكساء، وألقيت ثيابي إليه، ثم أقبلت إلى العراق فعملت بها أياماً، فلم يصف لي منها الحلال، فقليل لي: عليك بالشام، فصرت إلى المصيّصة، فعملت بها، فلم يصف لي الحلال، فسألت بعض المشايخ فقال: إن أردت الحلال الصافي فعليك بطرسوس، فإنّ فيها المباحات والعمل الكثير، فأتيته، فعملت بها انظر في البساتين وأحصد، فبينما أنا على باب البحر جاءني رجل أنظر له، فكتبت في البستان مدّة، فإذا بخادم قد أقبل ومعه أصحابه، فقع في مجلسه فصاح: يا ناظور، إذهب فأتنا بأكبر رمان تقدّر عليه وأطيبه، فذهبت فأتيت بأكبر رمان، فكسر رمانة فوجدها حامضة فقال: أنت عندنا كذا وكذا تأكل فاكهتنا ورماننا، لا تعرف الحلو من الحامض، قلت: والله ما ذقتها. فأشار إلى أصحابه تسمعون كلام هذا، ثم قال لي: أتراك لو أنّك إبراهيم بن أدهم زاد على هذا فانصرف، فلمّا كان من الغد ذكر صفتي في المسجد، فعرفني بعض الناس، فجاء الخادم ومعه عتق من الناس، فلمّا رأيته قد أقبل اختفيت خلف الشجر والناس داخلون، فاختلطت معهم وهم داخلون وأنا هارب⁽¹⁾.

وأيّ دين لو كان له رجال:

قال إبراهيم بن بشّار الصوفي، سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: وأيّ دين لو كان له رجال من طلبة العلم لله كان الخمول أحبّ إليه من التطاول، وقال: والله ما الحياة بثقة يرجى نومها، ولا المنية بعذر فيؤمن غدرها، ففيم التفريط والتقصير والاتكال والإبطاء، قد رضينا من أعمالنا بالمعاني، ومن طلب التوبة بالتواني، ومن العيش الباقي بالعيش الفاني⁽²⁾.

كم شهوة قد ذهبت لذتها وبقيت تبعثها:

قال مالك بن دينار بينا أنا أطوف بالبيت إذا أنا بجويرية متعبدة فإذا هي تقول يا رب كم شهوة قد ذهبت لذتها وبقيت تبعثها يا رب ما كان لك عقوبة ولا أدب إلا النار قال فوالله ما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر قال

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 54/10.

(2) أبو نعيم، حلية الأولياء، 40/8.

مالك فوضعت يدي على راسي ثم صرخت وجعلت أقول ثكلت مالكا أمه وعدمته جويرية منذ الليلة قد بطلته (1).

فرجعت إلى بلدي فجعلت أسير سير الضعفاء:

قال إبراهيم بن زياد المقرئ قال إبراهيم بن أدهم بابتدائه كيف كان قال كنت يوما في مجلس لي له منظره إلى الطريق فإذا أنا بشيخ عليه أطمار وكان يوما حارا فجلس في فيء القصر ليستريح فقلت للخادم اخرج إلى هذا الشيخ فأقرئه مني السلام وسله أن يدخل إلينا فقد أخذ بمجامع قلبي فخرج إليه فقام معه فدخل إلي فسلم فرددت عليه السلام واستبشرت بدخوله وأجلسته إلى جنبي وعرضت عليه الطعام فأبى أن يأكل فقلت له من أين أقبلت فقال من وراء النهر فقلت أين تريد قال الحج إن شاء الله تعالى قال وكان ذلك في أول يوم من العشر أو الثاني فقلت في هذا الوقت فقال بل يفعل الله ما يشاء فقلت الصحبة فقال إن أحببت ذلك حتى إذا كان الليل قال لي قم فلبست ما يصلح للسفر وأخذ بيدي وخرجنا من بلخ فمررنا بقرية لنا فلقيني رجل من الفلاحين فأوصيته ببعض ما أحتاج إليه فقدم إلينا خبزا وبيضًا وسألنا أن نأكل فأكلنا وجاء بماء فشربنا وقال لي بسم الله قم فأخذ بيدي فجعلنا نسير وأنا أنظر إلى الأرض تجذب من تحتنا كأنها الموج فمررنا بمدينة بعد مدينة فجعل يقول هذه مدينة كذا هذه مدينة كذا هذه الكوفة ثم قال الموعد هاهنا في مكانك هذا في الوقت من الليل حتى إذا كان الوقت إذا به قد أقبل فأخذ بيدي وقال بسم الله قال فجعل يقول هذا منزل كذا هذا منزل كذا وهذه فيد وهذه المدينة وأنا أنظر إلى الأرض تجذب من تحتنا كأنها الموج فصرنا إلى قبر رسول الله ﷺ فزرناه ثم فارقتني وقال الموعد في الوقت من الليل في المصلى حتى إذا كان الوقت خرجت فإذا به في المصلى فأخذ بيدي ففعل كفعله في الأولى والثانية حتى أتينا مكة في الليل ففارقتني فقبضت عليه وقلت الصحبة فقال إني أريد الشام فقلت أنا معك فقال لي إذا انقضى الحج فالموعد هاهنا عند زمزم حتى إذا انقضى الحج إذا به عند زمزم فأخذ بيدي فطفنا بالبيت ثم

خرجنا من مكة ففعل كفعله الأول والثاني والثالث فإذا نحن بببيت المقدس فلما دخل المسجد قال لي عليك السلام أنا على المقام إن شاء الله هاهنا ثم فارقتني فما رأيته بعد ذلك ولا عرفني اسمه قال إبراهيم فرجعت إلى بلدي فجعلت أسير سير الضعفاء منزلاً بعد منزل حتى رجعت إلى بلخ فكان ذلك أول أمري⁽¹⁾.

أمجنون أنت؟:

قال مالك بن دينار: رأيت بالمصيصة شيخاً في عنقه غل وسلسلة والصبيان يرمونه وهو يقول:

إن من قد أرى على صور النا :: س وإن فتشوا فليسوا بناس

قال فتقدمت إليه فقلت أمجنون أنت؟ قال أنا مجنون الجوارح لا مجنون القلب ثم مر وأنشأ يقول:

واريت أمري بالجنون عن :: كيما أكون بواحد مشغول
الورى :: ماذا أقول ومنطقي مجهول⁽²⁾
يا من تعجب في الأنام لمنطقي ::

قلوب الملوك بيدي:

عن مالك بن دينار: وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى: أنا ملك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة. لا تشغلوا أنفسكم بسبب الملوك، ولكن توبوا إلى الله أعطفهم عليكم⁽³⁾.

قد عاهدناك مراراً فوجدناك كذوباً:

قال مالك بن دينار: دخلت على جار لي وهو مريض فقلت له: عاهد الله أن تتوب فلعله أن يشفيك. فقال: هيهات قد عاهدته فسمعت هاتفاً من

(1) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، التوابين، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، 1403 - 1983، 1/160.

(2) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، 1/9.

(3) الزمخشري، ربيع الأبرار، 1/439.

جانب البيت: قد عاهدناك مراراً فوجدناك كذوباً⁽¹⁾.

ما سبب توبتك؟:

قال يوسف بن الحسين الرازي: حضرت ذا النون، فقيل له: يا أبا الفيض، ما كان سبب توبتك؟ قال: نمت في الصحراء، ففتحت عيني فإذا قنبرة عمياء سقطت من وكر، فانشقت الأرض، فخرج منها سكرجتان ذهب وفضة، في إحداهما سمسم، وفي الأخرى ماء، فأكلت وشربت. فقلت: حسبي، فتبت ولزمت الباب إلى أن قبلني.

وكان يفتي ويعاشر الفتيان:

قال حاتم الأصم: كان شقيق بن إبراهيم موسراً، وكان يفتي ويعاشر الفتيان، وكان علي بن عيسى بن ماهان أمير بلخ، وكان يحب كلاب الصيد، ففقد كلباً من كلابه، فسعى برجل أنه عنده، وكان الرجل في جوار شقيق، فطلب الرجل، فهرب... فدخل دار شقيق مستجيراً، فمضى شقيق إلى الأمير، وقال: خلوا سبيله، فإن الكلب عنيد أردت إليكم إلى ثلاثة أيام. فخلوا سبيله، وانصرف شقيق مهتما لما صنع. فلما كان اليوم الثالث كان رجل من أصدقاء شقيق غائباً من بلخ فرجع إليها، فوجد في الطريق كلباً عليه قلادة، فأخذه، وقال: أهديه إلى شقيق، فإنه يشتغل بالتفتي. فحمله إليه، فنظر شقيق فإذا هو كل الأمر، فسرَّ به وحمله إلى الأمير وتخلَّص من الضمان فرزقه الله الانتباه، وتاب مما كان فيه. وسلك طريق الزهد.

فما حقيقتها؟!:

قال الجنيد بن محمد دخلت يوماً على سري السقطي فرأيت عليه هما فقلت أيها الشيخ أرى عليك هما فقال الساعة دق على داق الباب فقلت أدخل فدخل على شاب في حدود الأرادة فسألني عن معنى التوبة فأخبرته وسألني عن شرط التوبة فأنبأته فقال هذا معنى التوبة وهذا شرطها فما حقيقتها فقلت حقيقة التوبة عندكم أن لا تنسى ما من أجله كانت التوبة فقال ليس هو كذلك عندنا فقلت له فما حقيقة التوبة عندكم فقال حقيقة التوبة ألا

(1) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، 495/1.

تذكر ما من أجله كانت التوبة وأنا أفكر في كلامه قال الجنيد فقلت ما أحسن ما قال قال فقال لي يا جنيد وما معنى هذا الكلام فقال يا أستاذ إذا كنت معك في حال الجفاء ونقلتني من حال الجفاء إلى حال الصفاء فذكرني للجفاء في حال الصفاء غفلة قال ودخلت عليه يوما آخر فرأيت عليه هما فقلت أيها الشيخ أراك مشغول القلب فقال أمس كنت في الجامع فوقف على شاب وقال لي أيها الشيخ يعلم العبد أن الله تعالى قد قبله فقلت لا يعلم فقال بلى يعلم وقال لي ثانيا بلى يعلم فقلت له فمن أين يعلم قال إذا رأيت الله عز وجل قد عصمني من كل معصية ووفقني لكل طاعة علمت أن الله تبارك وتعالى قد قبلني ⁽¹⁾.

* * *

مواقف حسن الخاتمة

مواقف عربية

مواقف حسن الخاتمة

إن نصيب الإنسان من الدنيا عمره، فإن أحسن استغلاله فيما ينفعه في دار القرار فقد ربحت تجارته، وإن أساء استغلاله في المعاصي والسيئات حتى لقي الله على تلك الخاتمة السيئة فهو من الخاسرين، وكم حسرة تحت التراب، والعاقل من حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله وخاف من ذنوبه قبل أن تكون سبباً في هلاكه، قال ابن مسعود: المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه⁽¹⁾.

وكم شخص أصر على صغيرة فألفها وهانت عليه ولم يفكر يوماً في عظمة من عصاه فكانت سبباً في سوء خاتمته، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: إنكم تعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا نعدّها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات⁽²⁾.

وقد نبه الله في كتابه جميع المؤمنين إلى أهمية حسن الخاتمة، فقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

وقال تعالى: {وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩].

فالأمر بالتقوى والعبادة مستمر حتى الموت لتحصل الخاتمة الحسنة وقد بين ﷺ أن بعض الناس يجتهد في الطاعات ويبتعد عن المعاصي مدة طويلة من عمره ولكن قبيل وفاته يقترف السيئات والمعاصي مما يكون سبباً في أن يختم له بخاتمة السوء، قال ﷺ: "وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها"⁽³⁾.

وعن عائشة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ

(1) البخاري 88/11، 89 ومسلم أيضاً."

(2) البخاري 283/11."

(3) البخاري 417/11 ومسلم برقم: 2643."

وَأَنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ—(1).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخْتَمَ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ الزَّمَنَ الطَّوِيلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، ثُمَّ يُخْتَمَ لَهُ عَمَلُهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ—(2).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ وَأَنَّهُ لَمَكْتُوبٌ فِي الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا كَانَ قَبْلَ مَوْتِهِ تَحَوَّلَ فَعَمِلَ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمَاتَ فَدَخَلَهَا—(3).

وورد في حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رجلاً من المسلمين في إحدى المعارك مع رسول الله ﷺ أبلى بلاءً شديداً فأعجب الصحابة ذلك وقالوا: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ : "أما إنه من أهل النار-فقال بعض الصحابة: أينما من أهل الجنة إن كان هذا من أهل النار، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه سأنظر ماذا يفعل فتبعه، قال فجرح الرجل جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه فرجع الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله، قال: "وما ذاك؟-قال: الرجل الذي ذكرت أنفاً أنه من أهل النار فأعظم الناس ذلك فقلت أنا لكم به فخرجت في طلبه حتى جرح جرحاً شديداً فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: "إن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من

(1) ابن حبان " 347 "، تعليق الألباني صحيح.

(2) مسلم " 2651 " باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، واللفظ له، أحمد " 10291 "، تعليق شعيب الأرناؤوط "إسناده صحيح على شرط مسلم".

(3) أحمد " 24806 "، تعليق شعيب الأرناؤوط "إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح".

أهل الجنة-وفي بعض الروايات زيادة: "وإنما الأعمال بالخواتيم-⁽¹⁾.

وقد وصف الله - سبحانه - عباده المؤمنين بأنهم جمعوا بين شدة الخوف من الله مع الإحسان في العمل فقال: {إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} (٥٧) وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١) [المؤمنون: ٥٧ - ٦١]. وقد كانت هذه حالة الصحابة رضي الله عنه.

وقد روى أحمد عن أبي بكر الصديق أنه قال: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن. وكان رضي الله عنه يمسك بلسانه ويقول: هذا الذي أوردني الموارد.

وكان علي بن أبي طالب يشتد خوفه من اثنتين: طول الأمل واتباع الهوى قال: فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وكان يقول: ألا وإن الدنيا قد ولت مدبرة والآخرة قد أسرعت مقبلة ولكل واحدة منها بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حساب ولا عمل.

وقد كان موت الفجأة مذموماً في الإسلام لأنه يباغت صاحبه ولا يمهله فربما كان على معصية فيختم له بالخاتمة السيئة.

وقد كان السلف الصالح يخافون من سوء الخاتمة خوفاً شديداً، قال سهل التستري: خوف الصديقين من سوء الخاتمة عند كل خطرة وعند كل حركة وهم الذين وصفهم الله - تعالى - إذ قال: {وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ} [المؤمنون: ٦٠]. وينبغي أن يكون الخوف من سوء الخاتمة ماثلاً أمام عين العبد في كل لحظة، لأن الخوف باعث على العمل وقد قال ﷺ: "من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة-⁽²⁾.

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) الترمذي برقم 2452 ".

لكن إذا قاربت وفاة الشخص وأشرف على الموت فينبغي له حينئذ أن يغلب جانب الرجاء وأن يشترك إلى لقاء الله فإن من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه. قال ﷺ: "يموتن أحدهم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل".⁽¹⁾

بشائر تدل على حسن الخاتمة:

نبه النبي ﷺ على بشائر تدل الخاتمة إذا كانت وفاة العبد مع واحدة منها كان ذلك فألاً طيباً وبشارة حسنة منها:

نطقه بكلمة التوحيد عند الموت فقد روى الحاكم عن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة".⁽²⁾

- أن يموت شهيداً من أجل إعلاء كلمة الله قال - تعالى -: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} ^(١٣٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} ^(١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ} ^(١٧١) [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].

- أن يموت غازياً في سبيل الله، أو محرماً بحج، قال ﷺ: "من قتل في سبيل الله فهو شهيد ومن مات في سبيل الله فهو شهيد".⁽³⁾

وقال ﷺ في المحرم الذي وقَّعته ناقته: "اغسلوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً".⁽⁴⁾

- أن يكون آخر عمله طاعة الله فقد روى حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له به دخل الجنة".⁽⁵⁾

(1) أبو داود 3116 والحاكم 351/1 وصححه الحاكم ووافقه الذهبي "

(2) مسلم برقم 2877 "

(3) رواه مسلم وأحمد.

(4) مسلم برقم 1206 "

(5) رواه أحمد 391/5 "

- الموت في سبيل الدفاع عن الخمس التي حفظتها الشريعة وهي : الدين ، والنفس ، والمال ، والعرض ، والعقل. عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: "من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قتل دون أهله فهو شهيد ومن قتل دون دينه فهو شهيد ومن قتل دون دمه فهو شهيد".⁽¹⁾
- أن يموت صابراً محتسباً بسبب أحد الأمراض الوبائية وقد نبه النبي ﷺ إلى بعضها مثل الطاعون: روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: "الطاعون شهادة لكل مسلم".⁽²⁾
- و السبل: روى راشد بن حبيش قال، قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم: "قتل المسلم شهادة والطاعون شهادة، والمرأة يقتلها ولدها جمعاء شهادة والسبل شهادة"⁽³⁾، وداء البطن—، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: "ومن مات في البطن فهو شهيد".⁽⁴⁾
- الوسائل التي جعلها الله سبباً في حسن الخاتمة:**
- تقوى الله في السر والعلن والتمسك بما جاء به النبي ﷺ فهو سبيل النجاة، قال - تعالى -: {يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]. وأن يحذر العبد من الذنوب أشد الحذر فإن الكبائر موبقات وإن الصغائر مع الإصرار تتحول إلى كبائر وكثرة الصغائر مع عدم التوبة والاستغفار ران على القلب. قال ﷺ: "إياكم ومحقرات الذنوب كقوم نزلوا في بطن واد فجاء ذا بعود وجاء ذا بعود حتى أنضجوا خبزتهم وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه".⁽⁵⁾

(1) رواه أبو داود برقم 4772 والترمذي برقم 1418 و 1421 ."

(2) رواه أبو داود برقم 4772 والترمذي برقم 1418 و 1421 ."

(3) رواه أحمد 289/3 ."

(4) رواه مسلم برقم 1915 ."

(5) رواه أحمد 331/5 ."

- المداومة على ذكر الله فمن داوم على ذكر الله وختم به جميع أعماله، وكان آخر ما يقول من الدنيا لا إله إلا الله نال بشارة النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة". (1)

وروى سعيد بن منصور عن الحسن قال: سئل النبي ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: "أن تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله". (2)

ورحم الله الحسن البصري حين قال: "المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن؛ كيف يأمن المؤمن وما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء ثبتته وإن شاء قلبه كما صح في الخبر؛ ولهذا كان ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يكثر من قول: "اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك؛ اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك".

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "فالخواتيم ميراث السوابق، وكل ذلك سبق في الكتاب السابق، ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق.

وقد قيل إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم، يقولون: بماذا يختم لنا؟ وقلوب المقربين معلقة بالسوابق، يقولون: ماذا سبق لنا؟

ويحكي أن بعض الصحابة خاف عند موته، فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله تعالى قبض خلقه قبضتين — فقال: "هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار، ولا أدري في أي القبضتين كنت".

ولكن كيف رأمن سوء الخاتمة وقد ختم بها لبعض من بايع الرسول ﷺ وجاهد في سبيل الله وأبلى في الجهاد؟ فذو الخوصرة التميمي وهو الحرقوص السعدي، قال عنه ابن الأثير في

(1) أبو داود 3116 والحاكم 351/1 وصححه الحاكم ووافقه الذهبي ."

(2) المغني لابن قدامة 450/2 ."

”أُسَدُ الغابة في تمييز الصحابة“: (من الصحابة، ذكره الطبراني وقال: إن الهرمزان الفارسي، كفر ومنع ما قُتِلَ، واستعان بالأكراد، وكثر جمعه، فكتب عتبة بن غزوان إلى عمر رضي الله عنه بذلك، فكتب إليه عمر يأمره بقصده، وأمر المسلمين بحرق قوص بن زهير وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ وأمره بالقتال، فاقتتل المسلمون والهرمزان، فانهزم الهرمزان، وفتح الحرقوص سوق الأهواز ونزل بها، وله أثر كبير في قتال الهرمزان؛ وبقي حرقوص إلى أيام علي رضي الله عنه، وكان مع الخوارج لما قاتلهم علي، فقتل حرقوص يومئذ سنة سبع وثلاثين. هذا الرجل خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ولذلك ختم له بسوء، لما سبق له في الكتاب الأول، فهو الذي: ... بال في مسجد رسول الله ﷺ .

... وهو الرادّ على الرسول ﷺ قوله وهو يقسم: اعدل؛ فقال رسول الله ﷺ: “ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل؟—.

... وهو الذي خاصم الزبير في شراج الحرة، وقال: إن كان ابن عمك؛ فأمر النبي ﷺ الزبير باستيفاء حقه.

... وهو الذي خرج على عليّ فيمن خرج، وفجر، وقاتله قتالاً شديداً.

... وهو من القوم الذين قال فيهم الرسول ﷺ: “ينكر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وقيامه إلى قيامهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية—، وفي رواية: “ثم لا يعودون—.

... وهو الذي قتله أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، واستبشر عندما وجده بين القتلى مع أهل النهروان.

هذه الفعال هي التي أوردت هذا الرجل موارد الهلاك، وجعلت ربنا سبحانه وتعالى يحكم عليه بما ختم له به، وما ربك بظلام للعبيد.

من قصص السلف في حسن الخاتمة:

فمجاهد بن جبر رضي الله عنه مات وهو ساجد.

ولما احتضر حذيفة رضي الله عنه قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح إلى النار، لا أفلح من ندم، مرحباً بالموت حبيب جاء على فاقة

وكذلك بلال رضي الله عنه، لما احتضر كان يقول: غداً نلقى الأحبة، محمداً وحزبه؛ فلما بكت زوجته وقالت: وابلا لاه! واحزنناه! قال لها: وفرحاه! وسروراه.

وخيثمة بن عبد الرحمن، دخلت عليه امرأته وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيكِ؟! الموت لأبد منه.

فقالت: الرجال بعدك عليّ حرام، فقال: ما كل هذا أريد منك - ما كنت أريد منك كل هذا الشيء - إنما كنت أخاف رجلاً واحداً، وهو أخي فلان - حيث كان له أخ، يقول: أخشى أن يتزوجك بعدي، وكان رجلاً فاسداً يتناول الخمر - فكرهت أن يشرب في بيتي الشراب، بعد إذ كان يتلى فيه القرآن فهو يقول: بعد أن كنت أختتم القرآن في كل ثلاثة أيام مرة، يشرب أخي الخمر في بيتي: هذا الذي كنت أخشاه.

ومالك بن دينار لما حضره الموت قال: لولا أنني أكره أن أصنع شيئاً لم يصنعه أحد من قبلي من الأنبياء والصالحين؛ لأوصيت أهلي إذا مت أن يقيّدوني ويجمعوا يديّ إلى عنقي، فينطلقوا بي على تلك الحال، فإني عبد أبق من مولاه يقول: لا أريد أن ابتدع في الدين وإلا أنا أتمنى أن تربط يدي إلى عنقي ويفعلون بي فعلهم بالأسير العبد الذي هرب من مواليه فأمسكوا به؛ لعل الله عز وجل أن يراني على تلك الحالة فيرحمني.

وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: اخرجوا فلا يبقى عندي أحد، فخرج من كان عنده وجلسوا عند الباب يستمعون، فسمعه يقول: مرحباً بهذه الوجوه، ليست بوجوه إنس ولا جن، ثم قال: { تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } [القصص: ٨٣]، ثم مات رحمه الله.

و آدم بن أبي إياس ختم القرآن وهو مسجى على سريره ثم قال: ”يا رب، بحبي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع، كنت أؤملك لهذا اليوم، ثم قال: لا إله إلا الله ثم لفظ روحه.”

والإمام أحمد قال لولده عبد الله: ”جنني بالحديث عن طائوس، أنه كان يكره الأنين - هات الحديث - فجاء ابنه وقرأ عليه الحديث عن طائوس: أنه

كان يكره الأنين - يكره أن المريض يئن - فقرأه عليه فلم يئن الإمام أحمد إلا في الليلة التي توفي فيها.

يقول ابنه عبد الله: كان يغمى عليه ثم يفيق، فإذا أغمي عليه فتح عينيه، ثم قال ببديهة هكذا: لا بعدُ بعدُ، قال: ففي المرة الثالثة قلت: يا أبه ما هذا، إنني أراك تحرك يدك وتقول: لا بعدُ بعدُ، قد لهجت بهذا الكلام ولا أدري له معنى، فقال الإمام أحمد: إبليس - لعنه الله - قائم بحذائي عاض على أنامله، يقول: يا أحمد فتنني يا أحمد، فتنني، فتت علي فأقول له: لا بعدُ بعدُ حتى أموت " يعني ما دام الروح في الجسد، فلا زال هناك خوف من كيد الشيطان.

ولما احتضر أبو الوقت السجزي رحمه الله، أسنده بعض تلاميذه إلى صدره، فقال: { قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ } [يس: ٢٦ - ٢٧].

ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة قال: " يادنيا ما أطيبك، إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لحقير، وإن كنا منك لفي غرور " ثم أنشأ يقول: إن تناقش يكن نقاشك يا رب عذاباً لا طوق لي بالعذاب أو تجاوز فأنت رب صفوح عن مسيء ذنوبه كالتراب.

ومحمد بن واسع رحمه الله، كان عنده قوم جلوس وقوم قيام، فقال: ما يغني عني هؤلاء إذا أخذ بناصيتي وقدمي وألقيت في النار، ثم تلا قول الله عز وجل: {يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسَمِهِمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾} [الرحمن: ٤١].

أوتروا لي قوسي:

وقيل إن إبراهيم غزا في البحر مع أصحابه، فاختلف في الليلة التي مات فيها إلى الخلاء خمساً وعشرين مرة، كل مرة يجدد الوضوء، فلما أحسن بالموت قال: أوتروا لي قوسي، وقبض على قوسه، فتوفي وهو في يده، فدفن في جزيرة في البحر في بلاد الروم⁽¹⁾.

(1) الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 51/10.

لا حتى أموت:

عن صالح بن أحمد بن حنبل قال: لما حضرت أبي الوفاة فجلست عنده والخرقة بيدي أشد بها لحبيبه، قال: فجعل يغرق ثم يفيق ويفتح عينيه ويقول: بيده هكذا لا بعد لا بعد لا بعد، ففعل هذا مرة وثانية فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبة إيش هذا الذي لهجت به في هذا الوقت؟! فقال: يا بني أما تدري؟! قلت: لا، فقال: إبليس لعنه الله قائم بحذائي عاض على أنامله يقول: يا أحمد قنّني! فأقول: لا حتى أموت.

كيف أصبحت؟:

وحدث المزني وهو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله جل ذكره وارداً، ولا والله ما أدري روعي تصير إلى الجنة أو إلى النار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول:

فلما قسا قلبي وضافت مذاهبي	::	
تعاضمني ذنبي فلما قرنته	:	
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم	::	جعلت رجائي نحو عفوك سلماً
تزل	:	بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
فلولاك لم يقدر بإبليس عابد	::	تجود وتعفو منة وتكرماً
	:	فكيف وقد أغوى صفيك أدماء؟
	::	
	:	

هذه نعم الله:

قال أبو بكر العطار يقول حضرت الجنيد أبا القاسم عند الموت في جماعة من أصحابنا قال وكان قاعدا يصلي ويثني رجله إذا أراد أن يسجد فلم يزل كذلك حتى خرجت الروح من رجله فتقلت عليه حركتها فمد رجله فراه بعض أصدقائه ممن حضر ذلك الوقت يقال له البسامي وكانت رجلاً أبي القاسم تورمتا فقال ما هذا يا أبا القاسم قال هذه نعم الله أكبر فلما فرغ من صلاته قال له أبو محمد الجريري يا أبا القاسم لو اضطجعت فقال يا أبا محمد هذا وقت منة الله أكبر فلم يزل ذلك حاله حتى مات رحمه الله قال الشيخ كان الجنيد رحمه الله ممن أحكم علم الشريعة فكان عنده اقتباس آثار الزريعة

وقبوله المدرجة البديعة وكان القيام بحقائق الآثار يدفعه عن الرواية والآثار
(1)

ارفق بنفسك!:

وقال أبو محمد الجريري: ” كنت واقفاً علي رأس الجنيد وقت وفاته -
وكان يوم جمعة - وهو يقرأ، فقلت: ” ارفق بنفسك! ” فقال: ” ما رأيت
أحداً أحوج إليه مني في هذا الوقت، هو ذا تطوي صحتي ”.

اعذرنني! فإني كنت في وردي:

وقال ابن عطاء: ” دخلت عليه، وهو في النزع، فسلمت عليه، فلم
يرد، ثم رد بعد ساعة، وقال: ” اعذرنني! فإني كنت في وردي ”، ثم حول
وجهه إلي القبلة ومات ”.

* * *

آثار المعاصي والذنوب

مواقف عربية

آثار المعاصي والذنوب

المعصية لغة: الخروج عن الطاعة ومخالفة الأمر.

واصطلاحاً: ما يثاب على تركه ويعاقب على فعله، ويرادفها:

المحذور والحرام والذنب، وإذا كانت المعصية عبارة عن مخالفة أمر الله وطاعته مما يوجب سخط الله تعالى ويتوجب العقاب فاعلم أنها تنتج عن مجموعة صفات في الإنسان كل منها يتعلق به أنواع من المعاصي تختلف عن الأنواع الأخرى وهذه الصفات هي:

- **صفات ربوبية:** ومنها يحدث الكبر والفخر، وحب المدح والثناء، والعز، وطلب الاستعلاء، ونحو ذلك، وهذه ذنوب مهلكات، وبعض الناس يغفل عنها فلا يعدها ذنوباً.

- **صفات شيطانية:** ومنها يتشعب الحسد، والبغى، والحيل، والخداع، والمكر والغش، والنفاق، والأمر بالفساد، ونحو ذلك.

- **صفات بهيمية:** ومنها يتشعب الشر، والحرص على قضاء شهوات البطن والفرج، فيتشعب من ذلك الزنا، واللواط، والسرقعة، وأخذ الحطام لأجل الشهوات.

- **صفات سبعية:** ومنها يتشعب الغضب، والحقد، والتهجم على الناس بالقتل والضرب، وأخذ الأموال، وهذه الصفات لها تدرج في الفطرة.

فالصفة البهيمية هي التي تغلب أولاً، ثم تتلوها الصفة السبعية ثانياً، فإذا اجتمعت هاتان استعملت العقل في الصفات الشيطانية من المكر والخداع، ثم تغلب الصفات الربوبية، فهذه أمهات المعاصي ومنابعها، ثم تنفجر المعاصي من هذه المنابع إلى الجوارح، فبعضها في القلب كالكفر، والبدة والنفاق وإضرار السوء، وبعضها في العين، وبعضها في السمع، وبعضها في اللسان، وبعضها في البطن والفرج، وبعضها في اليدين والرجلين، وبعضها في جميع البدن، وهذا كله واضح لا يحتاج إلى تفصيل.

وقد اختلف الفقهاء في تصنيف الذنوب والمعاصي على ثلاثة أوجه:

الأول: أنها تنقسم إلى صغائر وكبائر، وهو المشهور بين الفقهاء، ويساعدهم إطلاقات الكتاب والسنة، لقوله تعالى: {وَكُرْهُ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ} [الحجرات: ٧]، فجعل الفسوق وهو الكبائر تلى رتبة الكفر، وجعل الصغائر تلى رتبة الكبائر وقد خصص النبي ﷺ باسم الكبائر.

الثاني: أن الذنوب كلها قسم واحد وهو الكبائر، وهو طريقة جمع عند الأصوليين منهم الأستاذ أبو إسحاق، ونفى الصغائر، وجرى عليه إمام الحرمين في الإرشاد، وابن فورك في كتابه "مشكل القرآن" فقال: المعاصي عندنا كبائر، وإنما يقال لبعضها: صغيرة بالنسبة إلى ما هو أكبر منها كما يقال: الزنا صغيرة بالنسبة إلى الكفر، والقبلة المحرمة صغيرة بالنسبة إلى الزنا، وكلها كبائر.

الثالث: أن المعاصي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- **كبيرة:** كقتل النفس بغير حق.

- **فاحشة:** قتل ذا رحم.

- **صغيرة:** سائر الذنوب كالخدشة والضرب مرة أو مرتين.

ويظهر من هذه الأقوال أن الخلاف لفظي، فإن رتبة الكبائر تتفاوت قطعاً واختلف العلماء في تعريف الكبيرة اختلافاً كبيراً، كذلك اختلفوا في حصرها وعدد أنواعها. لكن الصحيح كما قال الواحدى في البسيط: إنه ليس للكبائر حد يعرفه العباد، وتتميز به عن الصغائر تمييزاً إشارة، ولو عرف ذلك لكانت الصغائر مباحة، ولكن الله تعالى أخفى ذلك عن العباد ليجتهد كل واحد في اجتناب ما نهى عنه، رجاء أن يكون مجتنباً للكبائر، ونظيره إخفاء الصلاة الوسطى في الصلوات، وليلة القدر في رمضان. هل الإصرار على الصغائر يجعلها في منزلة الكبائر أم لا؟ نجد عند الأصوليين أن الإصرار له معنيان:

أحدهما: العزم على فعل المعصية بعد الفراغ منها.

والثاني: المداومة على فعل الصغائر.

وحكم الإصرار بالمعنى الأول حكم من كررها فعلا فيتحمل بذلك
إثما، وحكم الإصرار بالمعنى الثانى أنه إن كان على نوع واحد من
الصغائر غفرت بكثرة الطاعات، وإن كان الإصرار على أنواع متعددة لا
تغفر بكثرة الطاعات بل لابد من التوبة عنها حتى تغفر.

أضرار المعاصي:

قال ابن القيم رحمه الله: ممّا ينبغي أن يعلم: أنّ الذّنوب والمعاصي
تضرّ، ولا بدّ أنّ ضررها في القلب كضرر السموم في الأبدان، على
اختلاف درجاتها في الضرر. وهل في الدّنيا والآخرة شرّ وداٍ إلاّ بسبب
الذنوب والمعاصي؟

فما الذي أخرج الأبوين من الجنّة، دار اللذّة والنّعمة والبهجة والسّرور
إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السّماء وطرده ولعنه ومسح ظاهره
وباطنه فجعل صورته أقبح صورة وأشنعها، وباطنه أقبح من صورته
وأشنع، وبذلّ بالقرب بعدا، وبالرحمة لعنة، وبالجمال قبحا، وبالجنّة نارا
تلظّى، وبالإيمان كفرا؟

وما الذي أغرق أهل الأرض كلّهم حتّى علا الماء فوق رؤوس
الجبّال؟ وما الذي سلّط الرّيح على قوم عاد حتّى ألقتهم موتى على وجه
الأرض كأنّهم أعجاز نخل خاوية، ودمّرت ما مرّت عليه من ديارهم
وحروثهم وزروعهم ودوابّهم حتّى صاروا عبرة للأمم إلى يوم القيامة؟
وما الذي أرسل على قوم ثمود الصّيحة حتّى قطعت قلوبهم في
أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟

وما الذي رفع اللّوطيّة حتّى سمعت الملائكة نبيح كلابهم، ثمّ قلبها
عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم جميعا؟

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحب العذاب كالظّلّل، فلمّا صار
فوق رؤوسهم أمطر عليهم نارا تلظّى؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثمّ نقلت أرواحهم إلى جهنّم،
والأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟.

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟
وما الذي أهلك القرون من بعد نوح بأنواع العقوبات ودمرها تدميراً؟
وما الذي أهلك قوم صاحب يس بالصيحة حتى خمدوا عن آخرهم؟
وما الذي بعث على بني إسرائيل قوماً أولي بأس شديد، فجاسوا خلال
الديار وقتلوا الرجال، وسبوا الذرية والنساء، وأحرقوا الديار، ونهبوا
الأموال، ثم بعثهم عليهم مرة ثانية فأهلكوا ما قدروا عليه وتبرؤا ما علوا
تنتبيرا؟.

وقال الله تعالى: {وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسُ لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّيْهَا وَفُومَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصِلَهَا قَالَ
أَسْتَبْدِلُوكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا
سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا
يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ} [البقرة: ٦١].

وقال الله تعالى: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ
خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} ١١٠ {لَنْ يَضُرَّوكُمْ إِلَّا
أَذًى وَإِنْ يَقْتُلُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَذْدَارُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ} ١١١ {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا
ثَقَفُوا إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبِلَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنْ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ
الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ
بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} ١١٢ { [آل عمران: ١١٠ - ١١٢].

وقال الله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ
بِأَذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا
أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ
ثُمَّ صَرَّفَكُمُ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ} ١٥٢ { [آل عمران: ١٥٢].

وقال الله تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ
دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [المائدة: ٧٨].

وقال الله تعالى: { وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (٩٠) ءَأَكْفُرُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ (٩٢) { [يونس: ٩٠ - ٩٢].

وقال الله تعالى: { وَتِلْكَ ءَادَاءُ جَحْدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (٥٩) وَاتَّبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ إِلَّا إِنْ ءَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَٰدِي قَوْمٍ هُوَ (٦٠) { [هود: ٥٩ - ٦٠].

وقال الله تعالى: { فَقُلْنَا يَتَّخِذُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (١١٧) إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى (١١٩) فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءُ تُهْمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى ءَادَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) { [طه: ١١٧ - ١٢١].

وقال الله تعالى: { وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ، وَالْمُؤْتَفِكَتْ بِالْحَاطَةِ (٩) فَعَصَا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (١٠) { [الحاقة: ٩ - ١٠].

وقال الله تعالى: { إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦) { [المزمل: ١٥ - ١٦].

وقال الله تعالى: { هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقَدَسِ طُوًى (١٦) أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبُ (١٨) وَأَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَنْ يَخْشَى (٢٦) { [النازعات: ١٥ - ٢٦].

وقال الله تعالى: { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا (٤٢) { [النساء: ٤١ - ٤٢].

وقال الله تعالى: { وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣) قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَأَطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنَّي أُمِرْتُ أَنْ

أَكُوتَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَتْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ { [الأنعام: ١٣ - ١٥].

وقال الله تعالى: { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بُرْهَانًا أَوْ بُدِّلْهُ قُلْ مَا يُكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَائِي بِنَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَىٰ إِيَّايَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ } [يونس: ١٣ - ١٥].

وقال الله تعالى: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُمْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا } [الأحزاب: ٣٦].

وصح عن النبي ﷺ أنه قال: "إن العبد ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه - (1)

ويقول النبي ﷺ: "إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معاصيه فإنما ذلك منه استدراج - (2)

وعن عائشة رضي الله عنه قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عائشة! إياك ومحقرات الأعمال فإن لها من الله طالبا - (3)

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: "لو غفر لكم ما تأتون (4) إلى البهائم لغفر لكم (5) كثيرا - (6)

(1) سنن ابن ماجه المقدمة (90)، مسند أحمد بن حنبل (282/5).

(2) مسند أحمد بن حنبل (145/4).

(3) ابن ماجه (4243) باب ذكر الذنوب، تعليق الألباني "صحيح"، ابن حبان (5542) تعليق شعيب الأرناؤوط "إسناده صحيح على شرط البخاري".

(4) ما تأتون البهائم: أي: من نحو ضرب وإجهاد وتحميل فوق طاقة.

(5) لغفر لكم كثير: أي: لغفر لكم شيء عظيم من الإثم.

(6) أحمد (27526)، تعليق الألباني "حسن"، صحيح الجامع (5274)، الترغيب والترهيب

(2476)، الصحيحة (514).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: “إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن واد، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى حملوا ما أنضجوا به خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يأخذ بها صاحبها تهلكه-⁽¹⁾”.

عن أرطاة بن المنذر عن أبي عامر الألهاني عن ثوبان عن النبي ﷺ أنه قال: “لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورا- قال ثوبان يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم قال: “أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها-⁽²⁾”.

و عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: “إِذَا ظَهَرَ السُّوءُ فِي الْأَرْضِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَسَهِ بِأَهْلِ الْأَرْضِ—، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ صَالِحُونَ؟ قَالَ: “نَعَمْ، وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ صَالِحُونَ، يُصِيبُهُمْ مَا أَصَابَ النَّاسَ، ثُمَّ يَرْجِعُونَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ-⁽³⁾”.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه “لا تصحب الفجار لتعلم من فجورهم، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين - ولا أمين إلا من خشي الله - وتخشع عند القبور، وذل عند الطاعة، واستعصم عند المعصية، واستشر الذين يخشون الله.

وعن عمر رضي الله عنه قال: لي أهل مكة اتقوا الله في حرمكم هذا: أتدرون من كان ساكن حرمكم هذا من قبلكم؟ كانوا فيه بنو فلان.

(1) المعجم الكبير (5872)، واللفظ له، أحمد (3818)، تعليق الألباني ” صحيح ”، صحيح الجامع (2686)، الصحيحة (389)، (3102).

(2) أخرجه ابن ماجه (1418/2، رقم 4245)، قال البوصيري (246/4): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. والرويانى.

(425/1، رقم 651). وأخرجه أيضاً: الطبرانى في الأوسط (46/5، رقم 4632)، وفى الصغير (396/1، رقم 662)، والديلمى (131/5، رقم 7715).

(3) أخرجه أحمد (304/6، رقم 26638)، والطبرانى (325/23، رقم 747). قال الهيثمى (268/7): رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

فأحلّوا حرمة فهلّكوا، وبنو فلان فأحلّوا حرمة فهلّكوا، حتّى عدّ ما شاء الله، ثمّ قال: والله لأنّ أعمل عشر خطايا بغيره أحبّ إليّ من أعمل واحدة بمكّة.

وقال عمر رضي الله عنه يوماً لأصحاب النّبي ﷺ: "فيم ترون هذه الآية نزلت: { أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ } [البقرة: ٢٦٦]— قالوا: الله أعلم. فغضب عمر. فقال: قولوا نعلم أو لا نعلم. فقال ابن عبّاس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين. قال عمر: يا بن أخي قل ولا تحقر نفسك.

قال ابن عبّاس: ضربت مثلاً لعمل. قال عمر: أيّ عمل؟ قال ابن عبّاس: لعمل. قال عمر: لرجل غنيّ يعمل بطاعة الله عز وجل ثمّ بعث الله له الشّياطين فعمل بالمعاصي حتّى أغرق أعماله.

عن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال: توشك القرى أن تخرب وهي عامرة. قيل: وكيف تخرب وهي عامرة؟ قال: إذا علا فجّارها أبرارها، وساد القبيلة منافقوها.

قال عمر بن الخطّاب رضي الله عنه لفضيل بن زيد الرّقاشيّ قال: لا يلهيتك النّاس عن ذات نفسك، فإنّ الأمر يخلص إليك دونهم، ولا تقطع النّهار بكيت وكيت؛ فإنّه محفوظ عليك ما قلته، ولم تر شيئاً أحسن طلباً، ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديثه لذنوب قديم.

عن عائشة رضي الله عنه قالت: أقلّوا الذّنوب فإنّكم لن تلقوا الله بشيء أفضل من قلّة الذّنوب.

قال رجل لابن عبّاس رضي الله عنه: رأيت رجلاً كثير الذّنوب كثير العمل أو رجلاً قليل الذّنوب قليل العمل؟ قال ما أعدل بالسّلامة شيئاً.

قال أبو أيّوب الأنصاريّ رضي الله عنه إنّ الرجل ليعمل الحسنة حتّى يأتي الله وقد حظر به، وإنّ الرجل ليعمل السيّئة فيفرق منها حتّى يأتي الله آمناً.

كتب أبو الدّرداء إلى سلّمة بن مخلد: أمّا بعد، فإنّ العبد إذا عمل بطاعة الله أحبّه الله، وإذا أحبّه الله حبّبه إلى خلفه، وإذا عمل بمعصية الله أبغضه الله، فإذا أبغضه أبغضه إلى خلقه.

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: ليحذر امرؤ أن تلغنه قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر، ثم قال: تدري ممّ هذا؟ قلت: لا. قال: إنّ العبد يخلو بمعاصي الله فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر. قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ} [آل عمران: ١٠٢]، قال: أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إنّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنّ الفاجر يرى ذنوبه كذباب مرّ على أنفه، فقال به هكذا.

عن أبي الشعثاء رضي الله عنه قال: كنّا قعودا في المسجد مع أبي هريرة فأذن المؤذن، فقام رجل من المسجد يمشي. فأتبعه أبو هريرة بصره حتّى خرج من المسجد. فقال أبو هريرة: أمّا هذا فقد عصى أبا القاسم عليه السلام.

عن سعيد بن المسيّب رضي الله عنه قال: كتب إليّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله: أن ضع أمر أخيك على أحسنه ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنّ بكلمة خرجت من امرئ مسلم شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً، ومن عرّض نفسه للتّهم فلا يلومنّ إلاّ نفسه، ومن كتم سرّه كانت الخيرة في يده، وما كافيت من عصى الله تعالى فيك بمثل أن تطيع الله تعالى فيه.

قال كعب - رحمه الله -: إنّما تزلزل الأرض إذا عمل فيها بالمعاصي فترعد فرقا من الرّبّ جلّ جلاله أن يطّلع عليها.

قال الحسن البصري - رحمه الله -: إنّ الرّجل يذنب الذّنوب فما ينساه وما يزال كئيها حتّى يدخل الجنّة.

وقال أيضا: إنّ المؤمن لا يصبح إلاّ خائفا ولا يصلحه إلاّ ذاك، لأنّه بين ذنبين؛ ذنب مضى لا يدري كيف يصنع الله فيه وأجل أو قال آخر لا يدري ما كتب عليه فيه.

وقال أيضا: اعملوا لله بالطاعات، واجتهدوا فيها، وخافوا أن تردّ عليكم. إنّ المؤمن جمع إيماناً وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمناً.

سئل الحسن البصريّ - رحمه الله -:

ما برّ الوالدين؟ قال: أن تبذل لهما ما ملكت، وأن تطيعهما فيما أمراك به إلا أن يكون معصية.

قال الإمام عليّ زين العابدين:

ليس الغريب غريب الشّام	::	إنّ الغريب غريب اللّحد والكفن
واليمين	:	على المقيمين في الأوطان
إنّ الغريب له حقّ لغريبته	::	والسكن
لا تنهرنّ غريباً حال غريبته	:	الذّهر ينهره بالذلّ والمحن
سفري بعيد وزادي لن يبلّغني	::	وقوّتي ضعفت والموت يطلبني
ولي بقايا ذنوب لست أعلمها	:	الله يعلمها في السرّ والعلن
ما أحلم الله عني حيث أمهلني	::	وقد تماديت في ذنبي ويسترنني
	:	
	::	
	:	

وقال أيضا:

يا نفس كفي عن العصيان	::	فعلا جميلا لعلّ الله يرحمني
واكتسبي	:	عسى تجازين بعد الموت
يا نفس ويحك توبي واعلمي	::	بالحسن
حسنا	:	

عن جبير بن نفير قال: لمّا فتحت قبرص فرّق بين أهلها، فبكى بعضهم إلى بعض فرأيت أبا الدرداء جالسا وحده يبكي فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله؟

فقال: ويحك يا جبير. ما أهون الخلق على الله إذا أضاعوا أمره. بينما هي أمة قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى.

قال سفيان: من أذنب ذنبا فعلم أنّ الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله له ذنبه.

وذكر عن مالك بن دينار قال: قرأت في الحكمة: يقول الله عز وجل: "أنا الله مالك الملوك. قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبّ الملوك، ولكن توبوا إليّ أعطفهم عليكم—".

قال عبد الله بن المبارك - رحمه الله -

أيضمن لي فتي ترك المعاصي
أطاع الله قوم فاستراحوا
وأرهنه الكفالة بالخلاص
ولم يتجرّعوا غصص المعاصي

عن عبد الله بن المبارك، في ذكر شروط التوبة، قال: الندم، والعزم على عدم العود، وردّ المظلمة وأداء ما ضيّع من الفرائض، وأن يعتمد إلى البدن الذي رباه بالسّحت فيذيبه بالهمّ والحزن حتّى ينشأ له لحمًا طيبًا، وأن يذيق نفسه ألم الطاعة، كما أذاقها لذة المعصية.

عن عروة بن عامر - رحمه الله - قال:

المؤمن تعرض عليه ذنوبه يوم القيامة فيمرّ بالذنّب من ذنوبه يقول:
أما إني كنت منك مشفقًا فيغفر له.

قال طلق بن حبيب: التّقوى: العمل بطاعة الله رجاء رحمة الله، على نور من الله، والتّقوى ترك معاصي الله، مخافة عقاب الله، على نور من الله.

قال مالك - رحمه الله -: دخل عمر بن عبد العزيز على فاطمة امرأته فطرح عليها خلق ساج عليه، ثمّ ضرب على فخذاها فقال: يا فاطمة لنحن ليالي دابق أنعم منّا اليوم، فذكرها ما كانت نسيته من عيشها، فضربت يده ضربة فيها عنف فنحّتها عنها وقالت: لعمرى لأنت اليوم أقدر منك يومئذ، فقام وهو يقول بصوت حزين: يا فاطمة إني أخاف إن عصيت ربّي عذاب يوم عظيم. فبكت فاطمة وقالت: اللهمّ أعذه من النّار.

عن الفضيل بن عياض قال: أوحى الله إلى بعض الأنبياء: إذا عصاني من يعرفني سلّطت عليه من لا يعرفني.

قال ابن السمّاك الواعظ:

يا مدمن الذّنب أما تستحي
أغرّك من ربّك إمهاله

والله في الخلوة ثانيكا؟
وستره طول مساويكا؟

قال أبو عمران السّلميّ منشدا:

وإنّي لآتي الذّنب أعرف قدره
لئن عظم الناس الذّنوب فإنّها

وأعلم أنّ الله يعفو ويغفر
وإن عظمت في رحمة الله تصغر

عن العباس العمّي - رحمه الله - قال: "بلغني أنّ داود عليه السلام قال:
سبحانك تعاليت فوق عرشك، وجعلت خشيتك على من في السّماوات
والأرض، فأقرب خلقك إليك أشدّهم لك خشية، وما علم من لم يخشك، وما
حكمة من لم يطع أمرك؟".

قال الشّافعيّ - رحمه الله -:

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه
لو كان حبّك صادقا لأطعته

هذا وربّي في القياس بديع
إنّ المحبّ لمن يحبّ مطيع

قال محمود الورّاق:

هذا الدّليل لمن أرا وأراد
عزّا لم توطّ

ومهابة من غير سل
فليعتصم بدخوله

دغنى يدوم بغير مال
ده العشائر بالقتال

طان وجاها في الرّجال
في عزّ طاعة ذي الجلال

وخروجه من ذلة العاصي له في كل حال
قال إبراهيم الألبيري:

وَنَفْسِكَ ذِمَّ لَا تَذْمَمُ سِوَاهَا	::	لَعِيبُ فَهِيَ أَجْدَرُ مِنْ ذِمَّتَا
فَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّقْنِيدِ مِنِّي	:	وَلَوْ كُنْتَ اللَّيِّبُ لَمَا نَطَقْنَا
وَلَوْ بَكَتِ الدُّمَاءُ عَيْنَاكَ خَوْفًا	::	لَذَنْبُكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمْنَتَا
وَمَنْ لَكَ بِالْأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ	:	أَمَرْتُ فَمَا انْتَمَرْتُ وَلَا أَطَعْتُ
ثَقُلْتُ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتُ تَخْشَى	::	لَجَهْلِكَ أَنْ تَخَفَ إِذَا وَزَنْتَا

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: لفظ المعصية والفسوق والكفر إذا أطلقت
المعصية لله ورسوله دخل فيها الكفر والفسوق كقوله: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا} [الجن: ٢٣]، وقال تعالى: {وَتِلْكَ عَادٌ
جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} [هود: ٥٩].
قال جمال الدين الصرصري:

أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي كَسَبَ الذُّنُوبَا	::	وَصَدَّتْهُ الْأَمَانِي أَنْ يَتُوبَا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي أَضْحَى حَزِينَا	:	عَلَى زَلَّاتِهِ قَلَقًا كُنِينَا
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي سَطَرَتْ عَلَيْهِ	::	صَحَائِفُ لَمْ يَخْفُ فِيهَا الرَّقِيبَا
أَنَا الْعَبْدُ الْمَسِيءُ عَصَيْتُ سِرًّا	:	فَمَالِي الْآنَ لَا أَبْدِي النَّحِيبَا

قال ابن القيم - رحمه الله - من أعجب الأشياء أن تعرفه ثم لا تحبه،
وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عنه الإجابة. وأن تعرف قدر الربح في معاملته
ثم تعامل غيره. وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له. وأن تذوق ألم
الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأُنس بطاعته. وأن تذوق عصرة القلب
عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر
بذكره ومناجاته. وأن تذوق العذاب عند تعلّق القلب بغيره، ولا تهرب منه
إلى نعيم الإقبال عليه والإنابة إليه.

وقال - رحمه الله - مثال تولد الطاعة ونموها وتزايدها كمثل نواة غرستها فصارت شجرة ثم أثمرت فأكلت ثمرها وغرست نواها، فكلما أثمر منها شيء جنبت ثمره وغرست نواه وكذلك تداعي المعاصي، فليتدبر اللبيب هذا المثال.

قال الحافظ ابن كثير - رحمه الله:

قد ذكر غير واحد أنّ عروة بن الزبير لما خرج من المدينة متوجّها إلى دمشق ليجتمع بالوليد، وقعت الأكلة في رجله في واد قرب المدينة كان مبدؤها هناك، فظنّ أنّها لا يكون منها ما كان، فذهب في وجهه ذلك، فما وصل إلى دمشق إلّا وهي قد أكلت نصف ساقه، فدخل على الوليد فجمع له الأطباء العارفين بذلك، فاجتمعوا على أنّه إن لم يقطعها وإلّا أكلت رجله كلّها إلى وركه، وربّما ترقّت إلى الجسد فأكلته، فطابت نفسه بنشرها، وقالوا: ألا نسقيك مرقدًا حتّى يذهب عقلك منه فلا تحسّ بألم النّشر؟ فقال: لا والله ما كنت أظنّ أحدا يشرب شرابا أو يأكل شيئًا يذهب عقله، ولكن إن كنتم لا بدّ فاعلين فافعلوا ذلك وأنا في الصّلاة، فإنّي لا أحسّ بذلك، ولا أشعر به. قال: فنشروا رجله من فوق الأكلة من المكان الحيّ، احتياطا أنّه لا يبقى منها شيء، وهو قائم يصليّ، فما تصوّر ولا اختلج، فلمّا انصرف من الصّلاة عزّاه الوليد في رجله، فقال: اللهمّ لك الحمد، كان لي أطراف أربعة فأخذت واحدا فلئن كنت قد أخذت فقد أبقيت وإن كنت قد أبلّيت فلما لما عافيت، فلك الحمد على ما أخذت وعلى ما عافيت، فلمّا قضى حاجته من دمشق رجع إلى المدينة، فبلغه أنّ بعض النّاس قال: إنّما أصابه ذلك بذنب عظيم أحدثه، فأنشد عروة في ذلك، والأبيات لمعن بن أوس:

ولا حملتني نحو فاحشة رجلي	::	
ولا دلّني رأيي عليها ولا عقلي	:	
من الأمر لا يمشي إلى مثله	::	لعمرك ما أهويت كفى لريبة
مثلي	:	ولا قادني سمعي ولا بصري لها
وأوتر ضيفي ما أقام علي أهلي	::	ولست بماش ما حييت لمنكر
من الدهر إلّا قد أصابت فتى	:	ولا مؤثر نفسي على ذي قرابة
مثلي	::	وأعلم أنّي لم تصبني مصيبة
	:	
	::	

قال الأمير الصنعاني:

القلب أعلم يا عدول بدائه
والذنب أولى ما بكاه أخو التقى
فومن أحب لأعصين عواذلي
من ذا يلوم أخا الذنوب إذا بكى

ما غير داء الذنب من أدوائه
وأحق منك بجفنه وبمائه
قسما به في أرضه وسمائه
إن الملامة فيه من أعدائه

قال الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها
وحطها بطاعة رب العباد
وإياك والظلم مهما استطعت
وسافر بقلبك بين الوري

فإن الذنوب تزيل النعم
فرب العباد سريع النقم
فظلم العباد شديد الوخم
لتبصر آثار من قد ظلم

وقال شاعر آخر:

اعتبر يأيها المغرور بالعمر المديد

أنا شداد بن عاد
وأخو القوة والبا
دان أهل الأرض طرا
وملكت الشرق والغر
فأتى هود وكنا
فدعانا لو قبلنا
فعصينا ونادى
فأنتنا صيحة ته
فمضينا كزروع

صاحب الحصن المشيد
ساء والملك الحشيد
لي من خوف وعيدي
ب بسلطان شديد
في ظلال قبل هود
هـ إلى الأمر الرشيد
ما لكم هل من محيد؟
وي من الأفق البعيد
وسط بيداء حصيد

::
:

وقال آخر:

ويورثها الذلّ إيمانها
وخير لنفسك عصيانها

::
:
:
:

رأيت الذنوب تميت القلوب
وترك الذنوب حياة القلوب

وقال آخر:

وكبيرها فهو التقى
ض الشؤك يحذر ما يرى
إن الجبال من الحصى

::
:
:
:
:
:

خلّ الذنوب صغيرها
واصنع كماش فوق أر
لا تحقرن من الذنوب صغيرة

وقال آخر:

قد رجوتك يا ذا المنّ تغفرها
إذ كنت يا أُملي في الأرض
تسترها

::
:
:
:
:

أذنبت كلّ ذنوب لست أنكرها
أرجوك تغفرها في الحشر يا
سندي

وقال آخر:

وتجمع في لوح حفيظ وتكتب
وأنت على الدنيا حريص معذب
وتسعى حثيثا في المعاصي
وتذنب
أما أنت من بعد السلامة تعطب

::
:
:
:
:
:
:
:
:

ذنوبك يا مغرور تحصي
وتحسب
وقلبك في سهو ولهو وغفلة
تباهي بجمع المال من غير حلّه
أما تذكر الموت المفاجيك في غد

من مضار المعاصي:

- حرمان العلم، فإنّ العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفأ ذلك النور.
- حرمان الرزق، فكما أنّ التقوى مجلبة للرزق، فترك التقوى مجلبة للفقر.
- حرمان الطاعة، فلو لم يكن للذنوب عقوبة إلا أن يصدّ عن الطاعة لكان في ذلك كفاية من الحرمان.
- أنّ المعاصي توهن القلب والبدن.
- أنّ المعاصي تقصّر العمر، وتمحق البركة.
- أنّ المعاصي تزرع أمثالها، ويولّد بعضها بعضا.
- أنّ الذنوب تضعف القلب عن إرادته، فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة شيئا فشيئا إلى أن تنسلخ من القلب إرادة التوبة بالكلية.
- أنّ كلّ معصية من المعاصي فهي ميراث عن أمة من الأمم التي أهلكها الله عز وجل.
- أنّ المعصية سبب لهوان العبد على ربه.
- أنّ غير المذنب من الناس والدوابّ يعود عليه شؤم ذنبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم.
- أنّ العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتّى يهون عليه ويصغر في قلبه وذلك علامة الهلاك، فإنّ الذنوب كلّما صغر في عين العبد عظم عند الله.
- أنّ المعصية تورث الذلّ، والعزّ كلّ العزّ في طاعة الله.
- أنّ المعاصي تفسد العقل، فإنّ للعقل نورا، والمعصية تطفأ نور العقل، وإذا طفىء نوره ضعف ونقص.
- أنّ الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها فكان من الغافلين، قال الله تعالى: { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين: ١٤].

- أن الذنوب تحدث في الأرض أنواعا من الفساد في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن، قال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [٤١] { [الروم: ٤١].
- ذهاب الحياء الذي هو مادة حياة القلب، وهو أصل كل خير وذهابه ذهاب الخير أجمعه، وقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: “الحياء خير كله - رواه البخاري ومسلم.
- أن الذنوب دليل ضعف إيمان العبد، وجرأته على ارتكاب المعاصي دليل على ظلمة قلبه، وانعدام بصيرته، وحرمانه من توقير ربّه سبحانه وتعالى واستشعار عظمتة.
- أنها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه. وهناك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة.
- أن الذنوب تخرج العبد من دائرة الإحسان وتمنعه ثواب المحسنين، فإن الإحسان إذا باشر القلب منعه من المعاصي.
- أنها تزيل النعم وتحلّ النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب ولا حلّت به نعمة إلا بذنب، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: “ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة—.
- قال تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ} [٣٠] { [الشورى: ٣٠].
- وقوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكْ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الأنفال: ٥٣].

ومن المواقف:

اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فاعف عنا:

وذكر الإمام النووي رحمه الله في كتاب الأذكار عن يحيى القساني عن بعض أهل الكتاب قال: أصاب الناس قحط في عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم، فقال أحدهم: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعفوا عمن ظلمنا، اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فاعف عنا.

وقال الثاني: اللهم إنك أنزلت في توراتك أن نعق أرقاعنا، اللهم إنا أرقاؤك فلأعقتنا. وقال الثالث: اللهم إنك أنزلت في توراتك ألا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا اللهم إنا مساكين وقفنا ببابك فلا ترد دعائنا، فسقوا.

وكان إذا قيل لعيسى عليه السلام: كيف أصبحت؟ يقول: أصبحت لا أملك تقديم ما أرجوا ولا أستطيع دفع ما أحاذر وأصبحت مرتهنا بعملتي والخير كله في يد غيري ولا فقير أفقر مني (أي إلى الله عز وجل صاحب الخير والغنى).

ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا:

قال شقيق بن إبراهيم: مر إبراهيم بن أدهم في أسواق البصرة فاجتمع الناس إليه فقالوا: يا أبا إسحاق إن الله يقول في كتابه: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]، ونحن ندعوه منذ دهر فلا يستجيب لنا، فقال إبراهيم: يا أهل البصرة، ماتت قلوبكم في عشرة أشياء، **أولها**: عرفتم الله ولم تؤدوا حقه: **والثاني**: قرأتم كتاب الله ولم تعملوا به، **والثالث**: ادعيتم حب رسول الله عليه السلام وتركتم سنته، **والرابع**: ادعيتم عداوة الشيطان ووافقتموه، **والخامس**: قلتم نحب الجنة ولم تعملوا لها، **والسادس**: قلتم نخاف النار ورهنتم أنفسكم بها، **والسابع**: قلتم إن الموت حق ولم تستعدوا له، **والثامن**: اشتغلتم بعيوب إخوانكم ونبذتم عيوبكم، **والتاسع**: أكلتم نعمة ربكم ولم تشكروها، **والعاشر**: دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم⁽¹⁾.

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 1 / 45.

اضرب رأساً طالما عصى الله:

قال ابن الجوزي: كان إبراهيم بن أدهم يحفظ البساتين، فجاءه يوماً جندي يطلب منه شيئاً من الفاكهة، فأبى فضربه على رأسه بسوط، فطأطأ إبراهيم له رأسه وقال: اضرب رأساً طالما عصى الله فعرفه الجندي وأخذ في الاعتذار إليه فقال إبراهيم: الرأس الذي يليق له الاعتذار تركته ببلخ (1).

ومنه يكون الفرح، والمرح والضحك: لو أن للذنوب ريحاً ما جلس إلي منكم أحد:

قال المروزي: قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: ما أكثر الداعين لك! فتغرغرت عيناه وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً، وقال: قال محمد بن واسع: لو أن للذنوب ريحاً ما جلس إلي منكم أحد.

ولعنتي تبلغ السابع من الولد:

قال ابن القيم: ذكر الإمام أحمد عن وهب: أن الرب تبارك وتعالى قال في بعض ما يقول لبني إسرائيل: ”إني إذا أطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت وإذا غضبت لعنت ولعنتي تبلغ السابع من الولد“.

فلا تطفئه بالمعصية:

قال مالك بن أنس للإمام الشافعي إن الله عز وجل قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بالمعصية.

اتق الله واجتنب المعاصي:

وقال الشافعي لما رحلت إلى مالك فسمع كلامي نظر إلي ساعة وكانت لمالك فراسة فقال ما اسمك قلت محمد قال يا محمد اتق الله واجتنب المعاصي فإنه سيكون لك شأن فقلت نعم وكرامة فقال إذا كان غدا تجيء ويجيء من يقرأ لك الموطأ فقلت إني أقرأه ظاهراً فغدوت إليه وابتدأت

(1) بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى 1418 هـ - 1998 م، 1 / 8، 123، 2 / 162، 164.

فكلما تهيبت مالكا وأردت ان أقطع أعجبه قراءتي وأغراني بقول زد يا فتى حتى قرأته عليه في أيام يسيرة ثم أقمت بالمدينة إلى أن توفي مالك رضي الله عنه ثم ذكر خروجه إلى اليمن.

عن إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قال: من ضبط بطنه ضبط دينه ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان، والشبع يميئ القلب، ومنه يكون الفرح، والمرح والضحك⁽¹⁾.

فقطعه ومات:

قال: حدثنا الأوزاعي قال: كنا بالساحل فجاء بفحل لينزى على أمه، فأبى. فأدخلوها بيتاً، وألقوا على الباب ستراً، وجللوا بكساء. قال: فلما نزا عليها وفرغ شم ريح أمه. قال: فوضع أسنانه في أصل ذكره فقطعه ومات⁽²⁾.

* * *

(1) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، -1423 هـ - 2002 م، 2 / 90.

(2) ابن الكلبي، أنساب الخيل، 1 / 1.

مواقف المتجهدين

مواقف عربية

مواقف المتجهدين

قيام الليل عبادة رغب فيها رسول الله ﷺ ، وامتدح الله تعالى أهلها ووعدهم الأجر العظيم، وهي أفضل الصلاة بعد صلاة الفريضة.

وقيام الليل سنة مؤكدة، وقربة معظمة في سائر العام، فقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة بالحث عليه، والتوجيه إليه، والترغيب فيه، ببيان عظم شأنه وجزالة الثواب عليه، وأنه شأن أولياء الله، وخاصة من عباده الذين قال الله في مدحهم والثناء عليهم: { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } (٦٢) الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا بُدَّ لِلَّهِ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرٌ هُوَ أَفْزَرُ الْعَظِيمُ } [يونس: ٦٢ - ٦٤].

فقد مدح الله أهل الإيمان والتقوى، بجميل الخصال وجليل الأعمال، ومن أخص ذلك قيام الليل، قال تعالى: { إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِحَاثِنَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ } (١٥) نَتَجَاوَىٰ جُنُوبَهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [السجدة: ١٥ - ١٧]، ووصفهم في موضع آخر، بقوله: { وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا } (٦٤) وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا { [الفرقان: ٦٤ - ٦٥]، إلى أن قال: { أُولَٰئِكَ يَجْزِيكَ الْعُرْفَةُ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا نَجِيَّةً وَسَلَامًا } (٧٥) خَلِّدِينَ فِيهَا حَسَنَتٍ مُّسْتَقَرًّا وَمُقَامًا { [الفرقان: ٧٥ - ٧٦].

وفي ذلك من التنبيه على فضل قيام الليل، وكريم عائدته ما لا يخفى، وأنه من أسباب صرف عذاب جهنم، والفوز بالجنة، وما فيها من النعيم المقيم، وجوار الرب الكريم، جعلنا الله ممن فاز بذلك. قال تعالى: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ } (٥٤) فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِندَ مَلِكٍ مُّقْنَدٍ { [القمر: ٥٤ - ٥٥].

وقد وصف المتقين في سورة الذاريات، بجملة صفات - منها قيام الليل ، فازوا بها بفسيح الجنات، فقال سبحانه: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ } (١٥) ءَاخِذِينَ مَا ءَانَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ {

فصلاة الليل لها شأن عظيم في تثبيت الإيمان، والإعانة على جليل الأعمال، وما فيه صلاح الأحوال والمآل قال تعالى: {يَتَأْتِيهَا الْمُرْمَلُ ①} فِرَّ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ② يَصْفَهُ ③ أَوْ أَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ④ أَوْ زِدَ عَلَيْهِ وَرَبُّكَ الْقَرُّءَانُ تَرْتِيلًا ⑤ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ⑥ إِنَّا نَاشِئَةُ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ⑦} [المزمل: ١ - ٦].
وقال الحبيب محمد ﷺ قال: “أفضل الصلاة بعد المكتوبة - يعني الفريضة - صلاة الليل- (1).

وفي حديث عمرو بن عبسة قال ﷺ: “أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن- (2).

ولأبي داود عنه رضي الله عنه قال: أي الليل أسمع - يعني أخرى بإجابة الدعاء - قال ﷺ: “جوف الليل الآخر فصل ما شئت، فإن الصلاة فيه مشهودة مكتوبة- (3).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: “ينزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر. فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟! من يسألني فأعطيه؟! من يستغفرني فأغفر له؟- (4).

وفي صحيح مسلم، عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(1) رواه مسلم في الصحيح عن زهير بن حرب عن جرير وخالفهم في إسناده عبيد الله بن عمرو الرقي فرواه 8197\ والبيهقي في سننه الكبرى ج 4/ ص 291 حديث رقم: 8206.

(2) أخرجه الترمذی (569/5، رقم 3579)، وقال: حسن صحيح غريب. والحاكم (453/1، رقم 1162) وقال: صحيح على شرط مسلم. وأخرجه أيضاً: ابن خزيمة (182/2، رقم 1147)، والبيهقي (4/3، رقم 4439). قال المناوي (69/2): قال الحاكم على شرط مسلم، وأقره الذهبي، وصححه الترمذی والبيغوى.

(3) أخرجه أبو داود في سننه ج 2/ ص 25 حديث رقم: 1277، قال الألباني: صحيح.

(4) أخرجه مالك (214/1، رقم 498)، والبخاري (384/1، رقم 1094)، ومسلم (521/1، رقم 758). وأخرجه أيضاً: أحمد (487/2، رقم 10318)، وأبو داود (34/2، رقم 1315).

من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم، يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه، وهي كل ليلة⁽¹⁾

وفي صحيح البخاري عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من تعار من الليل - يعني استيقظ يلهج بذكر الله - فقال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير. الحمد لله، وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي، أو دعا، استجيب له. فإن توضأ وصلى قبلت صلاته—.

وأخرج الإمام أحمد، وغيره عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن في الجنة غرفاً، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنهما من ظاهرها، أعدها الله لمن ألان الكلام، وأطعم الطعام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام—.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله عز وجل: أعددت لعبادي الصالحين، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر—.

قال أبو هريرة أقرؤوا إن شئتم: { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [السجدة: ١٧].

وجاء في السنة الصحيحة، ما يفيد أن قيام الليل من أسباب النجاة من الفتن، والسلامة من دخول النار. ففي البخاري وغيره عن أم سلمة رضي الله عنه أن النبي ﷺ استيقظ ليلة فقال: "سبحان الله، ماذا أنزل الليلة من الفتنة؟! ماذا أنزل الليلة من الخزان؟! من يوقظ صواحب الحجرات؟! - وفي ذلك تنبيه على أثر الصلاة بالليل في الوقاية من الفتن.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ أنه قال: "عليكم بقيام الليل فإنه دأب⁽²⁾ الصالحين قبلكم، وهو فُرْبَةٌ إلى ربكم، ومكفرة

(1) أخرجه أحمد 348/3 (14805) و"مسلم" 175/2.

(2) دأب الصالحين: الدأب هو: العادة والشأن.

لِلسَّيِّئَاتِ وَمَنْهَاةً لِلْإِثْمِ—(1).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَجْتَهَدَ لِأَحَدٍ فِي الدُّعَاءِ قَالَ: "جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ صَلَاةَ قَوْمٍ أَبْرَارٍ، يَقُومُونَ اللَّيْلَ وَيَصُومُونَ النَّهَارَ، لَيْسُوا بِأَثَمَةٍ وَلَا فُجَّارٍ"-(2).

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "شَرَفَ الْمُؤْمِنُ صَلَاتُهُ بِاللَّيْلِ وَعِزُّهُ اسْتِغَاوُهُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ"-(3).

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: إن الرجل ليصلي بالليل، فيجعل الله في وجهه نورا يحبه عليه كل مسلم، فيراه من لم يره قط فيقول: إن لأحب هذا الرجل!!.

وقيل للحسن البصري رحمه الله: ما بال المتجهدين بالليل من أحسن الناس وجوها؟ فقال لأنهم خلو بالرحمن فألبسهم من نوره.

و صلى سيد التابعين سعيد بن المسيب - رحمه الله - الفجر خمسين سنة بوضوء العشاء وكان يسرد الصوم.

وكان شريح بن هانئ رحمه الله يقول: ما فقد رجل شيئاً أهون عليه من نعسة تركها!!! (أي لأجل قيام الليل).

و قال ثابت البناني رحمه الله: لا يسمى عابد أبداً عابداً، وإن كان فيه كل خصلة خير حتى تكون فيه هاتان الخصلتان: الصوم والصلاة، لأنهما من لحمه ودمه!!

وقال طاووس بن كيسان رحمه الله: ألا رجل يقوم بعشر آيات من الليل، فيصبح وقد كتبت له مائة حسنة أو أكثر من ذلك.

و قال سليمان بن طرخان رحمه الله: إن العين إذا عودتها النوم اعتادت، وإذا عودتها السهر اعتادت.

(1) الترمذي " 3549 " باب في دعاء النبي ﷺ، تعليق الألباني " حسن صحيح.

(2) مسند عبد بن حميد " 1360 "، تعليق الألباني " صحيح "، صحيح الجامع " 3097 "، الصحيحة " 1810 ".

(3) تاريخ دمشق لابن عساكر " 81 / 23 "، الضعفاء الكبير للعقيلي " 3 / 31 "، تعليق الألباني " حسن "، صحيح الجامع " 3710 "، الصحيحة " 1903 ".

قال يزيد بن أبان الرقاشي رحمه الله: إذا نمت فاستيقظت ثم عدت في النوم فلا أنام الله عيني.

أخذ الفضيل بن عياض رحمه الله بيد الحسين بن زياد رحم الله، فقال له: يا حسين: ينزل الله تعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول الرب: كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني؟! أليس كل حبيب يخلو بحبيبه؟! ها أنا ذا مطلع على أحبائي إذا جنهم الليل،.....، غداً أقر عيون أحبائي في جناتي.

قال ابن الجوزي رحمه: لما امتلأت أسماع المتجهدين بمعاتبة " كذب من ادعى محبتي فإذا جنه الليل نام عني " حلفت أجفانهم على جفاء النوم.

قال محمد بن المنكدر رحمه الله: كابدت نفسي أربعين عاماً (أي جاهدتها وأكرهتها على الطاعات) حتى استقامت لي!!

كان ثابت البناني يقول كابدت نفسي على القيام عشرين سنة!! وتلذذت به عشرين سنة.

كان أحد الصالحين يصلي حتى تتورم قدماه فيضربها ويقول يا أمارة بالسوء ما خلقت إلا للعبادة.

كان العبد الصالح عبد العزيز بن أبي رواد رحمه الله يُفرش له فراشه لينام عليه بالليل، فكان يضع يده على الفراش فيتحسسها ثم يقول: ما أليّنك!! ولكن فراش الجنة أليّن منك!! ثم يقوم إلى صلاته.

قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم مكبل، كبلتك خطيئتك.

قال معمر: صلى إلى جنبي سليمان التيمي رحمه الله بعد العشاء الآخرة فسمعتة يقرأ في صلاته: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المك: ١]، حتى أتى على هذه الآية {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [المك: ٢٧]، فجعل يرددّها حتى خف أهل المسجد وانصرفوا، ثم خرجت إلى بيتي، فما رجعت إلى المسجد لأؤذن الفجر فإذا سليمان التيمي في مكانه كما تركته البارحة!! وهو واقف يردد هذه الآية لم يجاوزها {فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيَّتَ وَجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [المك: ٢٧].

قالت امرأة مسروق بن الأجدع: والله ما كان مسروق يصبح من ليلة من الليالي إلا وساقاه منتفختان من طول القيام!!....، وكان رحمه الله إذا طال عليه الليل وتعب صلى جالساً ولا يترك الصلاة، وكان إذا فرغ من صلاته يزحف (أي إلى فراشه) كما يزحف البعير!!

قال مخلد بن الحسين: ما انتبه من الليل إلا أصبت إبراهيم بن أدهم رحمه الله يذكر الله ويصلي إلا أغتم لذلك، ثم أتعزى بهذه الآية { ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ } [الجمعة: ٤].

قال أبو حازم رحمه الله: لقد أدركنا أقواماً كانوا في العبادة على حد لا يقبل الزيادة!!

قال أبو سليمان الدارني رحمه الله: ربما أقوم خمس ليال متوالية بآية واحدة، أرددها وأطالب نفسي بالعمل بما فيها!! ولولا أن الله تعالى يمن علي بالغفلة لما تعديت تلك الآية طول عمري، لأن لي في كل تدبر علماً جديداً، والقرآن لا تنتضي عجائبه!!

و كان السري السقطي رحمه الله إذا جن عليه الليل وقام يصلي دافع البكاء أول الليل، ثم دافع ثم دافع، فإذا غلبه الأمر أخذ في البكاء والنحيب. و قال رجل لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: إني لا أقدر على قيام الليل فصف لي دواء!! فقال: لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه في الليل، فإن وقوفك بين يديه في الليل من أعظم الشرف، والعاصي لا يستحق ذلك الشرف.

و قال سفيان الثوري رحمه الله: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بسبب ذنب أذنبته.

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله: يا أبا سعيد: إني أبيت معافى وأحب قيام الليل، وأعد طهوري فما بالي لا أقوم!! فقال الحسن: ذنوبك قيدتك!!

و قال رجل للحسن البصري: أعياني قيام الليل!! فقال: قيدتك خطاياك.

و قال ابن عمر رضي الله عنه : أول ما ينقص من العبادة: التهجّد

بالليل، ورفع الصوت فيها بالقراءة.

و قال عطاء الخرساني رحمه الله: إن الرجل إذا قام من الليل متهجداً أبح فرحاً يجد لذلك فرحاً في قلبه، وإذا غلبته عينه فنام عن حزبه (أي عن قيام الليل) أصبح حزيناً منكسر القلب، كأنه قد فقد شيئاً، وقد فقد أعظم الأمور له نفعا (أي قيام الليل).

و رأى معقل بن حبيب رحمه الله: قوماً يأكلون كثيراً فقال: ما نرى أصحابنا يريدون أن يصلوا الليلة.

و قال مسعر بن كدام رحمه الله حاثاً على عدم الإكثار من الأكل:

وجدت الجوع يطرده رغيـف	:	وملء الكف من ماء الفرات
وقل الطعم عون للمصلي	:	وكثر الطعم عون للسبات
	:	

و كان العبد الصالح علي بن بكار رحمه الله تفرش له جاريته فراشه فيلمسه بيده ويقول: والله إنك لطيب!! والله إنك لبارد!! والله لا علوتك ليلتي (أي لا تمت عليك هذه الليلة) ثم يقوم يصلي إلى الفجر!!

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: أدركت أقواماً يستحيون من الله في سواد هذا الليل من طول الهجعة!! إنما هو على الجنب، فإذا تحرك (أي أفاق من نومه) قال: ليس هذا لك!! قومي خذي حظك من الآخرة!! وقال هشام الدستوائي رحمه الله: إن لله عبادة يدفعون النوم مخافة أن يموتوا في منامهم.

ومن المواقف:

أيها السبع اطلب رزقك في مكان آخر!!:

وعن جعفر بن زيد رحمه الله قال: خرجنا غزاة إلى " كابل " وفي الجيش " صلة بين أيثم العدوي " رحمه، قال: فترك الناس بعد العتمة (أي بعد العشاء) ثم اضطجع فالتمس غفلة الناس، حتى إذا نام الجيش كله وثب صلة فدخل غيضة وهي الشجر الكثيف الملتف على بعضه، فدخلت في أثره، فتوضأ ثم قام يصلي فافتتح الصلاة، وبينما هو يصلي إذا جاء

أسد عظيم فدنا منه وهو يصلي!! ففزعت من زئير الأسد فصعدت إلى شجرة قريبة، أما صلة فوالله ما التفت إلى الأسد!! ولا خاف من زئيره ولا بالي به!! ثم سجد صلة فاقترب الأسد منه فقلت: الآن يفترسه!! فأخذ الأسد يدور حوله ولم يصبه بأي سوء، ثم لما فرغ صلة من صلاته وسلم، التفت إلى الأسد وقال: أيها السبع اطلب رزقك في مكان آخر!! فولى الأسد وله زئير تتصدع منه الجبال!! فما زال صلة يصلي حتى إذا قرب الفجر!! جلس فحمد محامد لم أسمع بمثلها إلا ما شاء الله، ثم قال: الله إني أسألك أن تجبرني من النار، أو مثلي يجترئ أن يسألك الجنة!!! ثم رجع رحمه الله إلى فراشه (أي ليوهم الجيش أنه ظل طوال الليل نائماً) فأصبح وكأنه بات على الحشايا (وهي الفرش الوثيرة الناعمة والمراد هنا أنه كان في غاية النشاط والحيوية) ورجعت إلى فراشي فأصبحت وبني من الكسل والخمول شيء الله به عليم.

إن لأستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه!!:

وكان العبد الصالح عمرو بن عتبة بن فرقد رحمه الله يخرج للغزو في سبيل الله، فإذا جاء الليل صف قدميه يناجي ربه ويكي بين يديه، كان أهل الجيش الذين خرج معهم عمرو لا يكلفون أحداً من الجيش بالحراسة؛ لأن عمرو قد كفاهم ذلك بصلاته طوال الليل، وذات ليلة وبينما عمرو بن عتبة رحمه الله يصلي من الليل والجيش نائم، إذ سمعوا زئير أسد مفزع، فهربوا وبقي عمرو في مكانه يصلي وما قطع صلاته!! ولا التفت فيها!! فلما انصرف الأسد ذاهباً عنهم رجعوا لعمرو فقالوا له: أما خفت الأسد وأنت تصلي؟! فقال: إن لأستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه!!
و قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: أفضل الأعمال ما أكرهت إليه النفوس.

فاتني حزبي البارحة!!:

قال أبو جعفر البقال: دخلت على أحمد بن يحيى رحمه الله، فرأيت يكي بكاء كثيراً ما يكاد يتمالك نفسه!! فقلت له: أخبرني ما حالك؟! فأراد أن يكتمني فلم أدعه، فقال لي: فاتني حزبي البارحة!! ولا أحسب ذلك إلا لأمر أحدثته، فعوقبت بمنع حزبي!! ثم أخذ يكي!! فأشفقت عليه وأحببت

أن أسهل عليه، فقلت له: ما أعجب أمرك!! لم ترض عن الله تعالى في نومة نومك إياها، حتى قعدت تبكي!! فقال لي: دع عنك هذا يا أبا جعفر!! فما احسب ذلك إلا من أمر أحدثته!! ثم غلب عليه البكاء!! فلما رأيته لا يقبل مني انصرفت وتركته.

ألا تقوم تصلي:

وعن أبي غالب قال: كان ابن عمر رضي الله عنه ينزل علينا بمكة، وكان يتعهد من الليل، فقال لي ذات ليلة قبل الصبح: يا أبا غالب: ألا تقوم تصلي ولو تقرأ بثلاث القرآن، فقلت: يا أبا عبد الرحمن قد دنا الصبح فكيف اقرأ بثلاث القرآن؟! فقال إن سورة الإخلاص { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ { [الإخلاص: ١]، تعدل ثلث القرآن.

صلوا ما دمتم شبابا!!:

و قال محمد بن يوسف: كان سفيان الثوري رحمه الله يقيمنا في الليل ويقول: قوموا يا شباب!! صلوا ما دمتم شبابا!! إذا لم تصلوا اليوم فمتى؟!!

من أثر دموع الشيخ في سجوده:

ودخلت إحدى النساء على زوجة الإمام الأوزاعي رحمه الله فرأت تلك المرأة بللاً في موضع سجود الأوزاعي، فقالت لزوجة الأوزاعي: ثكلتك أمك!! أراك غفلت عن بعض الصبيان حتى بال في مسجد الشيخ (أي مكان صلاته بالليل) فقالت لها زوجة الأوزاعي: ويحك هذا يُصبح كل ليلة!! من أثر دموع الشيخ في سجوده.

يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل!!:

قال أبو يزيد المعنى: كان سفيان الثوري رحمه الله إذا أصبح مدّ رجليه إلى الحائط ورأسه إلى الأرض كي يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل!!

حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالا!!:

كان أبو مسلم الخولاني رحمه الله يصلي من الليل فإذا أصابه فتور أو كسل قال لنفسه: أیظن أصحاب محمد ﷺ أن يسبقونا عليه، والله

لأزاحمهم عليه، حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً!! ثم يصلي إلى الفجر.

ثم يقوم يصلي إلى الفجر:

وكان شداد بن أوس رضي الله عنه إذا دخل على فراشه يتقلب عليه بمنزلة القمح في المقلاة على النار!! ويقول اللهم إن النار قد أذهبت عني النوم!! ثم يقوم يصلي إلى الفجر.

ما شُبعَت من القرآن والصلاة:

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: إني لأستقبل الليل من أوله فيهلوني طوله فأفتح القرآن فأصبح وما قضيت نهمتي (أي ما شُبعَت من القرآن والصلاة).

ولما احتضر العبد الصالح أبو الشعثاء رحمه الله بكى فقيل له: ما يبكيك!! فقال: إني لم أشتف من قيام الليل!!

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: كان يقال: من أخلاق الأنبياء والأصفياء الأخيار الطاهرة قلوبهم، خلائق ثلاثة: الحلم والإنابة وحظ من قيام الليل.

وكان ثابت البناني رحمه الله يصلي قائماً حتى يتعب، فإذا تعب صلى وهو جالس.

وقال السري السقطي رحمه الله: رأيت الفوائد ترد في ظلم الليل. و كان بعض الصالحين يقف على بعض الشباب العباد إذا وضع طعامهم، ويقول لهم: لا تأكلوا كثيراً، فتشربوا كثيراً، فتناموا كثيراً، فتخسروا كثيراً!!

وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار:

قال محمد بن إبراهيم رأيت الجنيد في النوم فقلت ما فعل الله بك قال طاحت تلك الإشارات وغابت تلك العبارات وفنيت تلك العلوم ونفدت تلك الرسوم وما نفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في الأسحار⁽¹⁾.

(1) الرسالة القشيرية، ص 18، حلية الأولياء، 10/ 257.

أنتام وأنا أُرَبِّي لك في الخدود منذ خمسمائة عام؟!:

وروى عن سليمان الداراني انه قال: ” نمت ليلة عن وردي، فإذا حورية تقول لي: أنتام وأنا أُرَبِّي لك في الخدود منذ خمسمائة عام؟! ”.

ولا أحب أن أفسد عليك نومك:

يقول محمد بن أبي حاتم: كان أبو عبد الله البخاري يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة وكان لا يوقظني في كل ما يقوم فقلت أراك تحمل على نفسك ولم توقظني قال أنت شاب ولا أحب أن أفسد عليك نومك.

ولم لا أبكي؟!:

وقيل: ” دخل رجل علي سليمان الداراني يوما وهو يبكي، فقلت له: ” ما يبكيك؟! ”، فقال: ” يا أحمد!، ولم لا أبكي؟!، إذا جن الليل، ونامت العيون، وخلا كل حبيب بحبيبه، افترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم على خدودهم، وقطرت على محاريبهم، أشرف الجليل سبحانه فنادى: يا جبريل! بعيني من تلذذ بكلامي، واستراح إلى ذكرى، وأنى لمطلع عليهم في خلواتهم، أسمع أنينهم وأرى بكاءهم، فلم لا تتادي فيهم، يا جبريل: ما هذا البكاء؟!، هل رأيتم حبيبا يعذب أحباءه؟ أم كيف يجمل بي أن أعذب قوما إذا جنهم الليل تعلقوا بي؟! فبي حلفت!، إذا وردوا علي القيامة لا كشفن عن وجهي الكريم، حتى ينظروا إلى، وانظر اليهم!

فإني أحب أن أرزق وقتاً من الليل:

وقال داود الطائي: ما حسدت أحداً على شيء إلا أن يكون رجلاً يقوم الليل؛ فإنني أحب أن أرزق وقتاً من الليل. قال أبو خالد: وبلغني أنه كان لا ينام الليل، ” إذا غلبته عيناه احتبى قاعداً ”؛ ومكث عشرين سنة لا يرفع رأسه إلى السماء.

يا رب أرني رفيقي في الجنة:

قال إبراهيم بن أدهم يا رب أرني رفيقي في الجنة فقل له في منامه

إنها امرأة سوداء اسمها سلامة في مكان كذا ترعى الغنم فهي زوجتك في الجنة فلما سار إليها سلم عليها قالت وعليك السلام يا إبراهيم قال من أخبرك أني إبراهيم قالت: النبي ﷺ أخبرك أني زوجتك في الجنة فقال يا سلامة عظيمي قال عليك بقيام الليل فإنه يوصل العبد إلى ربه وإن كنت تدعي محبته فالنوم عليك حرام⁽¹⁾.

* * *

مواقف الأمرون بالمعروف
والنهون عن المنكر

مواقف عربية

مواقف الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر
المعروف في اللغة، يدور معناه غالباً على ما تعارف عليه الناس
وعلموه ولم ينكروه، والمنكر في اللغة، يدور معناه غالباً على ما جهله
الناس واستنكروه وجحدوه.

قال في القاموس: عرفه يعرفه معرفة وعرفاناً وعرفه بالكسر،
وعِرْفَانَا بكسرتين مشددة الفاء، علمه، والمعروف ضد المنكر⁽¹⁾.
والنُّكْر بالضم وبضمتين، المنكر كالنكراء، والأمر الشديد، والنكرة
خلاف المعرفة، وتناكر تجاهل، والقوم تعادوا، ونكر فلان الأمر كفرح
نكراً - محركة -، ونُكْرًا ونُكُورًا بضمها، ونكيرًا، وأنكره واستنكره
وتناكره جهله، والمنكر ضد المعروف اهـ⁽²⁾.

وقال في لسان العرب: عرف العرفان العلم... والمعروف ضد المنكر،
والعُرف ضد النكر، يقال: أولاه عرفاً أي معرفاً، والمعروف والعارفة
خلاف النكر، والمعرف كالعرف، وقوله تعالى: {وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا
مَعْرُوفًا} [لقمان: ١٥].

أي مصاحباً معرفاً⁽³⁾ والإنكار: الجحود، وقوله: {إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ
لَصَوْتُ الْحَمِيرِ} [لقمان: ١٩]. أي أقبح الأصوات، والنُّكْر، والنُّكْر: الأمر
الشديد، والمنكر من الأمر خلاف المعروف، وقد تكرر في الحديث الإنكار
والمنكر وهو ضد المعروف، وكل ما قبحه الشرع وحرمه وكرهه فهو
منكر، والنكر والنُّكْرَاء - ممدود -: المنكر، وفي التنزيل العزيز: {لَقَدْ جِئْتَ
شَيْئًا نُكْرًا} [الكهف: ٧٤].

ونكر الأمر نكيرًا، وأنكره إنكارًا ونُكْرًا، جهله عن كراع، وفي
التنزيل العزيز: {وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً} [هود: ٧٠]⁽⁴⁾..
وقال في المعجم الوسيط: العُرفُ: المعروف، وهو خلاف النكر، وما

(1) انظر، 3 / 178 - 179.

(2) انظر، 2 / 153 - 154.

(3) انظر، 9 / 236 - 239.

(4) انظر، 5 / 233 - 234.

تعارف عليه الناس في عاداتهم ومعاملاتهم⁽¹⁾.

نَكَرَ فلان نَكَراً ونَكَراً، فطن وجاد رأيه.. والشيء جهله،
وفي التنزيل العزيز: { فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ } [هود: ٧٠]،
ونَكَرَ الأمر نَكَراً، صعب واشتدَّ وصار منكراً، وأنكر الشيء جهله، وفي
التنزيل العزيز: { فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ } [يوسف: ٥٨]،
وحقه جده، وفي التنزيل العزيز: { يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا }
[النحل: ٨٣]⁽²⁾.

بيان معنى المعروف والمنكر شرعاً:

المعروف في الشرع: كل ما يعرفه الشرع ويأمر به ويمدحه ويثني على
أهله، ويدخل في ذلك جميع الطاعات، وفي مقدمتها توحيد الله عز وجل
والإيمان به.

والمنكر في الشرع: كل ما ينكره الشرع وينهى عنه ويذمه ويذم أهله،
ويدخل في ذلك جميع المعاصي والبدع، وفي مقدمتها الشرك بالله عز
وجل وإنكار وحدانيته أو ربوبيته أو أسمائه أو صفاته.

وعبارات المفسرين في تفسير المعروف والمنكر - لا تتجاوز ذلك.

ف قيل: المعروف: كل قول حسن وفعل جميل وخلق كامل للقريب والبعيد.

وقيل: المعروف: الخير كله، والمنكر: جميع الشر.

وقيل: المعروف: ما عرف حسنه شرعاً وعقلاً، والمنكر: ما عرف
قبحه شرعاً وعقلاً.

وقيل: المعروف: الإحسان والطاعة، وكل ما عرف في الشرع والعقل
حسنه⁽³⁾.

وقيل: المعروف: طاعة الله وما يعرفه الشرع وأعمال البر كلها.

(1) انظر، 2 / 601.

(2) انظر، 2 / 960.

(3) انظر تفسير ابن سعد، 1 / 194 - 196، 2 / 77، 3 / 65 - 66.

وقيل: المعروف: الإيمان، والمنكر الشرك، وقيل: المعروف السنة، والمنكر البدعة⁽¹⁾.

وقيل: المعروف: خلع الأنداد ومكارم الأخلاق وصلة الأرحام، والمنكر عبادة الأصنام وقطع الأرحام، وقيل المعروف: الطاعات والفضائل أجمع.

وقيل: العرف: صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

وقيل: المعروف: عبادة الله وتوحيده وكل ما أتبع ذلك، والمنكر: عبادة الأوثان وكل ما أتبع ذلك⁽²⁾ وهذه الأقوال كلها حق ولا تنافي بينها. وقال ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث:

(عرف) قد تكرر ذكر - المعروف - في الحديث، وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما ندب إليه الشرع، ونهى عنه، من المحسِّنات والمقْبَحَات، وهو من الصفات الغالبة، أي أمر معروف بين الناس، إذا رأوه لا ينكرونه، والمعروف النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس، والمنكر ضد ذلك جميعه اهـ⁽³⁾.

وقال: وقد تكرر ذكر - الإنكار والمنكر - في الحديث، وهو ضد المعروف، وكل ما قَبَّحه الشرع وحرَّمه وكرهه فهو منكر، يقال: أنكر الشيء ينكره إنكارًا فهو مُنْكَرٌ، ونَكَرَهُ يَنْكُرُهُ نُكْرًا فهو منكور، واستنكره فهو مستنكر، والنكير الإنكار، والإنكار الجحود، اهـ⁽⁴⁾.

(1) انظر تفسير البغوي، 2 / 580، 4 / 249.

(2) انظر تفسير القرطبي 9 / 344 و 8 / 203، و 14 / 8.

(3) انظر: 3 / 216.

(4) انظر: 5 / 115.

عظم شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل عظيم من أكد الأصول الإسلامية وأوجبها وألزمها، حتى ألحقه بعض العلماء بالأركان التي لا يقوم بناء الإسلام إلا عليها، وإنما أرسلت الرسل وأنزلت الكتب للأمر بالمعروف الذي رأسه وأصله التوحيد، وللنهي عن المنكر الذي رأسه وأصله الشرك والعمل لغير الله، وشرع الجهاد لأجل ذلك، وإن كان الجهاد قدراً زائداً على مجرد الأمر والنهي.

إذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتوقف قيام الدين، فلولا ما قام الإسلام، ولا ظهر دين الله، ولا علت كلمته، ويتوقف أيضاً قيام الدولة الإسلامية واستقامتها وصلاحها على القيام به، كما أن صلاح العباد متوقف على القيام به.

وبيان ذلك: أن جماع الدين وجميع الولايات هو أمر ونهي، والأمر الذي بعث الله به رسوله هو الأمر بالمعروف، والنهي الذي بعث الله به رسوله

هو النهي عن المنكر، وبهذا نعت الله النبي والمؤمنين فقال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } [التوبة: ٧١]، وجميع الولايات - كولاية الحكم، وولاية الحرب، وولاية المال، وولاية الحسبة، وغيرها، إنما مقصودها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وولي الأمر إنما نُصِّبَ ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا هو مقصود الولاية، ولهذا يجب على كل ولي أمر أن يستعين بأهل الصدق والعدل، فإن تعذر ذلك استعان بالأمتل فالأمتل.

بل إن صلاح العباد جميعهم يكون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ إن صلاح العباد ومعائشهم في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس كما قال تعالى: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ } [آل عمران: ١١٠]، ولا يرى تركه والمداهنة فيه إلا من أضاع حظه ونصيبه من العلم والإيمان،

فما أجلّ هذا الأصل وما أعظمه وأخطر شأنه في الإسلام؟⁽¹⁾

والعلماء عليهم واجب عظيم ومسؤولية خطيرة، فإن عليهم أمر الناس وإرشادهم إلى الخير، ونهيهم وتحذيرهم من الشر، وعليهم نصيحتهم وترغيبهم في الخير، وترهيبهم من الشر، وعليهم أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئاً، فإن الله تعالى لما ذم اليهود على حرصهم ومبادرتهم بالإثم والعدوان، وأكلهم الحرام في قوله تعالى: { وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتِ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [المائدة: ٦٢]، بين واجب العلماء وحضهم على القيام به، وهو نهيهم للناس عن المعاصي والآثام التي تصدر منهم، ليزول ما عندهم من الجهل وتقوم عليهم الحجة، فقال تعالى: { لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّحْتِ } [المائدة: ٦٣]، أي هلا ينهاهم العلماء المتصدون لنفع الناس الذين من الله عليهم بالعلم والحكمة عما وقعوا فيه من الإثم وأكل الحرام.

وقد وبّخ الله العلماء في تركهم واجب النهي عن المنكر والأمر بالمعروف فقال تعالى في الآية السالفة الذكر: { لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ } [المائدة: ٦٣].

كما أخذ الله الميثاق على أهل العلم أن يبينوا للناس ما أنزل إليهم من ربهم، وحذرهم من الكتمان وتوعدهم عليه فقال تعالى: { وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ } [آل عمران: ١٨٧]، وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ } [البقرة: ١٥٩]، { إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ } [البقرة: ١٦٠]، وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ مِمَّا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } [البقرة: ١٧٤]، { أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ }

(1) انظر مجموع الفتاوى للشيخ الإسلام ابن تيمية، 28 / 75 - 67 وص 306، وانظر الدرر السنية في الأجوبة النجدية، 7 / 33 - 34.

عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ [البقرة: ١٧٥]، وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ أَلْجَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلَجَامٍ مِنْ نَارٍ- (١)".

وهذا الوعيد الشديد لما ينشأ عن ترك هذا الواجب العظيم - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - من الفساد والشر، إذ كيف يصلح الناس، وكيف ينزجر الناس عن المعاصي، وكيف تعظم المعصية في قلوب الجاهلين، وكيف يقفون عند الحدود، وكيف يتورعون عن الشبهات، والعلماء يرونها فلا ينكرونها؟!!

فما أعظم واجب العلماء؟ وما أشد خطر تقصيرهم في القيام به (٢).

قال الإمام أحمد - رحمه الله - في رسالة الصلاة ما نصه: (فرحم الله رجلاً رأى أخاه يسبق الإمام، فيركع أو يسجد معه، أو يصلي وحده فيسيء في صلاته، فينصحه ويأمره وينهاه، ولم يسكت عنه، فإن نصيحته واجبة عليه لازمة له، وسكوته عنه إثم ووزر، وإن الشيطان يريد أن تسكتوا عن الكلام فيما أمركم الله به، وأن تدعوا التعاون على البر والتقوى الذي أوصاكم الله به، والنصيحة التي عليكم بعضها لبعض، لتكونوا ماثومين مأزورين، وأن يضمحل الدين ويذهب، وأن لا تحيوا سنة ولا تميتوا بدعة، فأطيعوا الله بما أمركم به من التناصح والتعاون على البر والتقوى، ولا تطيعوا الشيطان؛ فإن الشيطان لكم عدو مبين، بذلك أخبركم الله عز وجل فقال تعالى: { إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا } [فاطر: ٦]، وقال تعالى: { يَبْنِيْءَ آدَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ } [الأعراف: ٢٧]. واعلموا أنه ما جاء النقص إلا من المنسوبين إلى الفضل، المكبرين في الجماعات فيمن بالشرق والمغرب من أهل الإسلام؛ لسكوت أهل العلم والفقه والبصر عنهم، وتركهم ما لزمهم من النصيحة، والتعليم،

(1) ابن ماجه: المقدمة (264). الحديث رواه أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحاكم عن أبي هريرة، وعلم عليه السيوطي بالصحة، العجلوني، كشف الخفاء، 352 / 2 مطبعة الفنون - حلب.

(2) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 315 / 2، طبعة الحكومة المجموع فيها تفسيري ابن كثير والبعثي، وانظر أيضا تفسير الشيخ عبد الرحمن السعدي 148 / 2.

والأدب، والأمر، والنهي، والإنكار، والتغيير، فلم يروا أمراً ولا ناهياً، ولا ناصحاً، ولا مؤدباً، ولا معلماً، ولا منكرًا ولا مغييرًا، إلا ما شاء الله، فجرى أهل الجهالة على المسابقة للإمام، وجرى معهم كثير ممن ينسب إلى العلم والفقه والبصر والنظر استخفافاً منهم بالصلاة.

والعجب كل العجب من اقتداء أهل العلم بأهل الجهل ومجراهم معهم في المسابقة للإمام في الركوع والسجود، والرفع والخفض، وفعله معهم، وتركهم ما حملوا وسمعوا من الفقهاء والعلماء، وإنما الحق الواجب على العلماء أن يعلموا الجاهل وينصحوه، ويأخذوا على يده، فهم فيما تركوا آثمون عصاة خائنون، لجريلانهم معهم في ذلك وفي كثير من مساوئهم: من الغش والنميمة، ومَحَقَرَةُ الفقراء والمستضعفين، وغير ذلك من المعاصي مما يكثر تعداده، وجاء الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: “وَيْلٌ لِلْعَالَمِ مِنَ الْجَاهِلِ حَيْثُ لَا يُعَلِّمُهُ-فتعليم الجاهل واجب على العالم، لازم له؛ لأنه لا يكون الويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه من تطوع، لأن الله لا يؤاخذ على ترك التطوع، وإنما يؤاخذ على ترك الفرائض. اهـ (1).

مسألة:

الأصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه فرض كفاية ولكنه يصير فرض عين في حالتين:

الأولى: أن لا يعلم به إلا هو. **الثانية:** أن لا يتمكن من إزالته إلا هو. قال أبو زكريا النووي - رحمه الله - في شرح صحيح مسلم: ” وقد يتعين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يعني يصير فرض عين، كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو، وكمن يرى زوجته أو غلامه أو ولده على منكر أو تقصير في المعروف ” (2).

(1) انظر رسالة الصلاة للإمام أحمد ص 110 - 111، مطبعة الإمام ومعها رسالتان.

(2) مسألة: شَرَطُ سقوط الحرج عن الباقيين، إذا قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من يكفي هو أن يكون سكوته لعلمه أن هذا الواجب قد قام به من يكفي.

قال ابن النحاس في كتابه ” تنبيه الغافلين ص 15 - 16 ”: ” واعلم أن مقتضى فرض

الكفاية، أنه إذا قام به البعض حاز الأجر الجزيل من الله تعالى، وسقط الحرج عن

الباقيين، ولكن يشترط في سقوط الحرج هنا أن يكون الساكت عن الأمر والنهي إنما

سكت لعلمه بقيام من قام عنه بالغرض، فإن سكت ولم يعلم بقيامه، فالظاهر - والله أعلم -

فائدة:

القائم والمؤدي لفرض الكفاية، له ميزة على القائم بفرض العين، تلك هي أن القائم بفرض العين أسقط الحرج عن نفسه فقط، والقائم بفرض الكفاية أسقط الحرج عن نفسه وعن المسلمين وفرض العين إذا ترك. وقد قال اختص هو بالإثم، وفرض الكفاية إذا ترك أثم الجميع.

قال ابن النحاس⁽¹⁾ وقد قال النووي - رحمه الله - في "زوايد الروضة": "للقائم بفرض الكفاية مزية على القائم بفرض العين، من حيث إنه أسقط الحرج عن نفسه وعن المسلمين

وقد قال إمام الحرمين - رحمه الله - في "الغياث": "والذي أراه أن القيام بفرض الكفاية أفضل من فرض العين؛ لأنه لو ترك المتعين لاختص هو بالإثم، ولو فعله اختص بسقوط الفرض، وفرض الكفاية لو ترك أثم الجميع، ولو فعله سقط الحرج عن الجميع، ففاعله ساع في صيانة الأمة عن الإثم، ولا يشك في رجحان من حل محل المسلمين أجمعين في القيام بمهمة من مهمات الدين والله أعلم" اهـ⁽²⁾.

ومن المواقف:

رأيت رب العزة في المنام:

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: رأيت رب العزة في المنام، فقال لي: يا عبد الرحمن أنت الذي تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر. قلت: بفضلك يا رب. ثم قلت: يا رب أمتني على الإسلام. فقال عز وجل: وعلى السنة أيضاً. وتوفي رحمه الله، في شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائة، وكان سبب موته أنه دخل حمام بيروت، وكان لصاحب الحمام شغل، فأغلق الباب عليه، وذهب ثم جاء وفتح الباب، فوجده ميتاً قد وضع يده اليمنى تحت

أنه لا يسقط عنه الحرج؛ لأنه أقدم على ترك واجب عمداً، كما لو أقدم على الفطر في رمضان؛ طائفاً منه النهار باقٍ وكان ليلاً، أو جامع طائفاً أن الفجر قد طلع وكان ليلاً، فإنه يَأْثَمُ بذلك. اهـ.

(1) تنبيه الغافلين، ص 17 - 18.

(2) عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ص 5 - 9، سليمان بن عبد الرحمن الحقيقل، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء الكتاب والسنة، ص 17.

خده، وهو مستقبل القبلة. وقيل: إن امرأته فعلت ذلك به ولم تكن عامدة لذلك
(1)

إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا:

قال عبد الله بن داود: كتب رجل كتاباً على لسان أبي حنيفة إلى والي
جرجان فوصله بأربعة آلاف درهم، فقيل لأبي حنيفة فقال: إن كان ذاك
مما ينفعكم فافعلوا. كان أبو حنيفة يقول: ما صليت صلاة إلا وأنا أستغفر
الله من تركي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وكان أبو حنيفة يقول:
ابن أبي ليلى استحل مني ما لا أستحل من سنور.

* * *

(1) كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن
بسج، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية 1424 هـ - 2003 م،
1 / 198، 270.

الصلاة والسلام علي
الحبيب محمد صلى الله عليه

مواقف عربية

الصلاة والسلام على الحبيب محمد ﷺ

قال تعالى: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [الأحزاب: ٥٦]، فالصلاة من العبد دعاء ومن الملائكة دعاء واستغفار، ومن الله رحمة، وبه سميت الصلاة لما فيها من الدعاء والاستغفار.

وفي الحديث: "التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ .." قال أبو بكر: الصَّلوات معناها التَّرحُّم.

وقوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ } [الأحزاب: ٥٦]، أي يترحمون.

وتكون الصلاة بمعنى الدعاء: وفي الحديث قوله ﷺ: "إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب، فإن كان مفطرا فليطعم، وإن كان صائما فليصل" (1).

فليصل: يعني فليدع لأرباب الطعام بالبركة والخير. ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: "من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة عشرا —. وكل داع فهو مصل."

وأما قولنا: اللهم صل على محمد، فمعناه عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أمته، وتضعيف أجره ومثوبته.

وقيل: المعنى لما أمرنا الله سبحانه بالصلاة عليه ﷺ ولما نبغ قدر الواجب من ذلك أحلناه على الله، اللهم صل أنت على محمد، لأنك أعلم بما يليق به.

وهذا الدعاء قد اختلف فيه هل يجوز إطلاقه على غير النبي صلى الله عليه وسلم، أو لا؟ والصحيح أنه خالص له، ولا يقال لغيره.

(1) معنى فليصل: أي فليدعو لصاحب الطعام. والحديث أخرجه مسلم (1150)، والترمذي (780) وصححه الألباني صحيح الألباني (626). وعند مسلم بلفظ إذا دعي أحدكم إلى طعام وهو صائم فليقل إنني صائم — - مسلم (1150).

وقال الخطابي: الصلاة التي بمعنى التعظيم والتكريم لا تقال لغيره، والتي بمعنى الدعاء والتبريك تقال لغيره. ومنه: “اللهم صلّ على آل أبي أوفى ” أي ترخّم وبارك.

وعن أبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه قال: أتانا رسول الله ﷺ ونحن في مجلس سعد بن عبادة رضي الله عنه فقال له بشير بن سعد رضي الله عنه قد أمرنا الله أن نصلي عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: “قولوا: اللهم صلّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، والسلام كما قد علمتم-⁽¹⁾. وزاد ابن خزيمة فيه: “فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا... ” الحديث.

2 - عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: أقبل رجل⁽²⁾. حتّى جلس بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله أمّا السلام عليك فقد عرفناه، فكيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا صلى الله عليك؟ قال: فصمت رسول الله ﷺ حتّى أحببنا أن الرجل لم يسأله. ثم قال: “إذا أنتم صليتم عليّ فقولوا: “اللهم صلّ على محمد النبي الأمي، وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم-⁽³⁾.”

و عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هديّة؟ خرج علينا رسول الله ﷺ فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: “قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد-⁽⁴⁾.”

(1) أحمد (274 / 5)، ومسلم (405)، والنسائي (45 / 3 ، 46)، والترمذي (3220)، وقال حديث حسن صحيح. وأبو داود (980 ، 981)، ومالك في الموطأ — (165 ، 166).

(2) هو بشير بن سعد.

(3) أحمد في المسند ” (4 / 119). والحاكم في المستدرک ” (1 / 268) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وهو عند ابن خزيمة في صحيحه.

(4) البخاري - الفتح (1 / 6357)، ومسلم (406) واللفظ له، وفي لفظ آخر عند البخاري الفتح (61 / 3370) من طريق عبد الله ابن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عبد

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: "قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم".⁽¹⁾

وعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله كيف الصلاة عليك؟ قال: قل: "اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد—".

وفي لفظ آخر عند النسائي أن رجلاً أتى نبي الله ﷺ فقال: كيف نصلي عليك يا نبي الله؟ قال: "قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، إنك حميد مجيد".⁽²⁾

فضائل الصلاة على رسول الله ﷺ :
- صلاة بصلوات:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا".⁽³⁾

الرحمن بن أبي ليلي قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟ سمعتها من النبي ﷺ، فقلت: بلى، فاهدها لي، فقال: سألتنا رسول الله ﷺ، فقلنا: يا رسول الله! كيف الصلاة عليكم أهل البيت؟ فإن الله قد علمنا كيف نسلم. قال: "قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد وقد جمع هذا الحديث بين إبراهيم وآله في الصلاة والبركة، وهو على خلاف ما جزم به المؤلف من أن أكثر الأحاديث الصحاح والحسان، مصرحة بذكر النبي صلى الله عليه وسلم وبذكر آله، أما في حق المشبه به وهو إبراهيم وآله، فإنما جاءت بذكر آل إبراهيم فقط دون ذكر إبراهيم أو بذكره فقط دون ذكر آله، ولم يجرى حديث صحيح فيه لفظ إبراهيم وآل إبراهيم وهو سهو منه رحمه الله، ويتفصيل أكثر. انظر فتح الباري (11/158 - 159).

(1) البخاري - الفتح (11/6358)، والنسائي (3/49)، وابن ماجه (903).

(2) أحمد في المسند " (1/126)، والنسائي (3/48) وإسناده حسن.

(3) رواه مسلم برقم (408).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من ذكرت عنده فليصل عليّ، ومن صلى عليّ مرة صلى الله عليه عشرا".⁽¹⁾

وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: "ما من عبد يصلي عليّ إلا صلت عليه الملائكة ما دام يصلي عليّ، فليقلّ العبد من ذلك أو ليكثر".⁽²⁾

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: "من صلى علي رسول الله ﷺ صلاة صلى الله عليه وملائكته سبعين صلاة فليقلّ من ذلك أو ليكثر".⁽³⁾

- رفع للدرجات وخطّ للسّيئات:

فعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً طيّب النفس يرى في وجهه البشر. قالوا: يا رسول الله: أصبحت اليوم طيّب النفس يرى في وجهك البشر. قال: "أجل، أتاني آت من عند ربّي عز وجل، فقال: من صلى عليك من أمّتك صلاة، كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وردّ عليه مثلها".⁽⁴⁾

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وخطّ

(1) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة " (ص 60)، وابن السني (283)، والبخاري في الأدب المفرد (643)، وقال النووي رحمه الله: إسناده جيّد. انظر كتاب "الأذكار" له (ص 145). وقال ابن القيم رحمه الله: إسناده صحيح، انظر "جلاء الأفهام" (ص 295).
(2) رواه الإمام أحمد في المسند (3/ 445)، وابن ماجه برقم (907). وإسماعيل القاضي في "فضل الصلاة على النبي ﷺ" (ص 925) وحسنه الألباني لشواهده، انظر صحيح الجامع برقم (5620)، وكذا تعليقه على كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ " (ص 25).

(3) رواه الإمام أحمد في المسند (2/ 172)، قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد وإسناده حسن، انظر مجمع الزوائد (10/ 160)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح، انظر تخريجه على المسند برقم (6754).

(4) رواه الإمام أحمد في المسند (4/ 29)، وصححه الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير برقم (57).

عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات⁽¹⁾.

- كفاية الهموم ومغفرة الذنوب:

عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: "كان رسول الله ﷺ، إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: "يا أيها الناس، اذكروا الله، جاءت الرّاجفة تتبعها الرّادفة، جاء الموت بما فيه، جاء الموت بما فيه — قال أبي: قلت: يا رسول الله إنّي أكثر الصّلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي⁽²⁾؟ فقال: "ما شئت — قال: قلت: الرّبع؟ قال: "ما شئت، فإن زدت فهو خير لك — قال: قلت: النّصف؟ قال: "ما شئت، فإن زدت فهو خير لك — قال: قلت: قال: قلت: قال: "ما شئت، فإن زدت فهو خير لك — قال: قلت: أجمع لك صلاتي كلّها؟ قال: "إذا تكفّى همّك ويغفر لك ذنبك⁽³⁾."

- سبب لنيل شفاعته ﷺ :

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنّه سمع النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلّوا عليّ فإنّه من صلّى عليّ صلاة صلّى الله عليه بها عشرا، ثم سلّوا الله لي الوسيلة فإنّها منزلة في الجنّة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلّت له الشّفاعَة⁽⁴⁾."

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من صلّى عليّ حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا، أدركته

(1) رواه الإمام أحمد في مسنده (3 / 102)، والنسائي (3 / 50) واللفظ له، وصححه

الألباني، انظر صحيح الجامع برقم (6235).

(2) صلاتي: قال المنذري: معناه أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك، انظر

الترغيب والترهيب (2 / 501).

(3) رواه الترمذي برقم (2457) وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه الإمام أحمد في

مسنده (5 / 136)، ورواه الحاكم في المستدرک (2 / 421) وقال: هذا حديث صحيح

الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. ورواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه فضل

الصلاة على النبي ﷺ " (ص 29، 30). قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد وإسناده جيد،

انظر مجمع الزوائد (10 / 160).

(4) رواه مسلم برقم (384).

شفاعتي يوم القيامة⁽¹⁾.

وعن رويفع بن ثابت رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: “من صَلَّى على محمد وقال: اللَّهُمَّ أَنْزِلْهُ الْمَقْعَدَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي⁽²⁾.”

- سبب لعرض اسم المصلي على رسول الله ﷺ :

فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: “أكثرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ، فَإِنَّ اللَّهَ وَكَّلَ بِي مُلْكَاً عِنْدَ قَبْرِي، فَإِذَا صَلَّى عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي، قَالَ لِي ذَلِكَ الْمَلِكُ، يَا مُحَمَّدُ إِنَّ فُلَاناً بَنَ فُلَاناً صَلَّى عَلَيْكَ السَّاعَةَ -⁽³⁾

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: “إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُلْكَاً أَعْطَاهُ سَمْعَ الْعِبَادِ، فَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَصَلِّي عَلَيَّ إِلَّا أَبْلَغْنِيهَا، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يَصَلِّيَ عَلَيَّ عَبْدٌ صَلَاةً إِلَّا صَلَّيَ عَلَيْهِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا⁽⁴⁾.”

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: “إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يَبْلُغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ⁽⁵⁾.”

(1) قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين وإسناد أحدهما جيّد ورجاله وثقوا. انظر مجمع الزوائد (10/ 120). وأيضاً حسن الحديث الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير برقم (6233).

(2) رواه الإمام أحمد في المسند (4/ 108)، وقال الحافظ الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وأسانيدهم حسنة، انظر مجمع الزوائد (10/ 163).

(3) رواه الديلمي في مسند الفردوس (1/ 93)، وحسنه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (1530)، وصحيح الجامع الصغير برقم (1218).

(4) رواه الطبراني والبزار، وحسنه الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (1530)، وأيضاً صحيح الجامع الصغير برقم (2172).

(5) رواه الإمام أحمد في المسند (1/ 387، 441، 452). والنسائي (3/ 43)، والدارمي برقم (2777)، والحاكم في المستدرک (2/ 421) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وإسماعيل بن إسحاق القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ ” (ص 34)، وأيضاً صححه الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير برقم (2170).

- طهرة من لغو المجلس:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبي ﷺ، إلا قاموا عن أنتن من جيفة".⁽¹⁾

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: "ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم إلا كان عليهم ترة"⁽²⁾ فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم.⁽³⁾

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما قعد قوم مقعدا لا يذكرون الله عز وجل ويصلون على النبي ﷺ، إلا كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب".⁽⁴⁾

- سبب في إجابة الدعاء:

عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "كل دعاء محجوب حتى يصل على النبي ﷺ".⁽⁵⁾

(1) رواه أبو داود الطيالسي (1756)، والبيهقي في شعب الإيمان، والضياء المقدسي في المختارة والنسائي في عمل اليوم والليلة (ص 411) بلفظ: "ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا عن غير صلاة على النبي ﷺ إلا تفرقوا على أنتن من ريح الجيفة". قال ابن القيم رحمه الله: قال أبو عبد الله المقدسي (الضياء): هذا عندي على شرط مسلم. راجع جلاء الأفهام (ص 78) وأيضا صحيح الحديث الألباني، انظر صحيح الجامع الصغير برقم (5382).

(2) ترة: نقص وتبعة وحسرة، انظر النهاية لابن الأثير (1/ 189).

(3) رواه الإمام أحمد في المسند (2/ 446، 452، 481، 484، 495)، والترمذي برقم (3380) وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم في المستدرک (1/ 496)، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص 51)، وصحح الحديث أيضا الألباني، انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (74)، وعبد القادر الأرناؤوط، انظر تعليقه على كتاب جامع الأصول " (4/ 472).

(4) رواه الإمام أحمد في المسند (2/ 463) وابن حبان (2322) كما في موارد الظمان. والحاكم (1/ 492)، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ " (ص 52، 53)، وقال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد (10/ 79) وأيضا صححه الألباني، انظر السلسلة الصحيحة برقم (76)، وصحيح الجامع الصغير برقم (7500).

(5) ذكره الهيثمي في المجمع وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات وحسنه

- انتفاء الوصف بالبخل والجفاء:

عن الحسين بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "البخل من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ" (1).

وعن أبي ذرّ رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ ، قال: "إنّ أبخل الناس من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ" (2).

وعن الحسن البصري - رحمه الله - قال: قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم: "بحسب امرئ من البخل أن أذكر عنده فلا يصلّي عليّ" (3).

وعن قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من الجفاء (4) أن أذكر عند رجل فلا يصلّي عليّ" (5).

الألباني، انظر صحيح الجامع (4299).

(1) رواه الترمذي برقم (1456) وقال: حديث حسن صحيح غريب. والنسائي في عمل اليوم والليلة " (55، 56)، ورواه الإمام أحمد في المسند (201 / 1)، وابن حبان (2388) موارد، والحاكم في المستدرک (549 / 1) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(2) رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه " فضل الصلاة على النبي ﷺ " (ص 43). وصححه الألباني بشواهد، انظر حاشيته على الكتاب المذكور (ص 43).

(3) رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه فضل الصلاة على النبي ﷺ " (ص 43). وقال مخرج الكتاب الألباني: إسناده مرسل صحيح.

(4) قال الحافظ السخاوي: قوله " من الجفاء " هو يفتح الجيم والمد وهو ترك البر والصلة ويطلق أيضا على غلط الطبع، انظر كتاب " القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع "،

(ص 146).

(5) قال ابن القيم رحمه الله: " لو تركنا وهذا المرسل وحده لم نحتج به، ولكن له أصول وشواهد قد تقدمت من تسمية تارك الصلاة عليه عند ذكره بخيلا وشحيا، والدعاء عليه بالرغم. وهذا من موجبات جفائه، انظر كتابه " جلاء الأفهام " (ص 321)، وقال السخاوي - بعد أن أورد الحديث - : أخرجه النميري هكذا من وجهين من طريق عبد الرزاق وهو في " جامع " ورواته ثقات، انظر كتابه " القول البديع " (ص 146).

- دليل إلى الجنة:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من نسي (1) الصلاة عليّ خطيء طريق الجنة". (2)

وعن أبي جعفر محمد بن علي الباقر - رحمه الله - قال: قال رسول الله ﷺ: "من ذكرت عنده فلم يصل عليّ فقد خطيء طريق الجنة". (3)

الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ:

الأولى: امتثال أمر الله سبحانه وتعالى.

الثانية: موافقته سبحانه في الصلاة عليه ﷺ ، وإن اختلفت الصلاتان.

الثالثة: موافقة ملائكته فيها.

الرابعة: حصول عشر صلوات من الله على المصلي مرة.

الخامسة: أنّه يرفع له عشر درجات.

السادسة: أنّه يكتب له عشر حسنات.

السابعة: أنّه يمحي عنه عشر سيئات.

الثامنة: أنّه يرجى إجابة دعائه إذا قدمها أمامه، فهي تصاعد الدعاء

إلى عند ربّ العالمين.

(1) من نسي الصلاة عليّ: قال العلامة المناوي قال في الإتحاف: المراد بالنسيان هنا: الترك، نظير قوله تعالى في توبيخ الفاجر: {أَنْتَكَاءِ إِنْتُنَا فَنَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيْكَ} [طه: ١٢٦] أي: تركت آياتنا فجزاؤك أنك تترك من الرحمة وتوضع في العذاب، وليس المراد بالنسيان هنا: الذهول، لأن الناسي - أي: الذي ذهل من حفظه - غير مكلف أي ليس بمؤاخذ. انظر كتابه "فيض القدير" (6/ 129) بتصرف يسير.

(2) رواه ابن ماجه في سننه برقم (908)، قال الحافظ ابن حجر عن هذا الحديث: أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس والبيهقي في "الشعب" من حديث أبي هريرة. وابن أبي حاتم من حديث جابر. والطبراني من حديث حسن بن علي. وهذه الطرق يشد بعضها بعضها، انظر فتح الباري (11/ 172). كما قوى الحديث لشواهد أيضا ابن الملقن. انظر "فيض القدير" (6/ 232).

(3) رواه إسماعيل بن إسحاق القاضي في كتابه "فضل الصلاة على النبي ﷺ" (ص 46) من عدة أوجه. قال الحافظ بن كثير: هذا مرسل جيد يتقوى بالذي قبله. أ. هـ. يعني حديث ابن عباس عند ابن ماجه، انظر تفسير ابن كثير (3/ 520).

التاسعة: أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها بسؤال الوسيلة له، أو أفردها.

العاشرة: أنها سبب لغفران الذنوب.

الحادية عشرة: أنها سبب لكفاية الله العبد ما أهمه.

الثانية عشرة: أنها سبب لقرب العبد منه ﷺ يوم القيامة.

الثالثة عشرة: أنها تقوم مقام الصدقة لذي العسرة.

الرابعة عشرة: أنها سبب لقضاء الحوائج.

الخامسة عشرة: أنها سبب لصلاة الله على المصلي وصلاة ملائكته عليه.

السادسة عشرة: أنها زكاة للمصلي وطهارة له.

السابعة عشرة: أنها سبب لتبشير العبد بالجنة قبل موته.

الثامنة عشرة: أنها سبب للنجاة من أهوال يوم القيامة.

التاسعة عشرة: أنها سبب لرد النبي ﷺ الصلاة والسلام على المصلي والمسلم عليه.

العشرون: أنها سبب لتذكّر العبد ما نسيه كما تقدّم.

الحادية والعشرون: أنها سبب لطيب المجلس، وألا يعود حسرة على أهله يوم القيامة.

الثانية والعشرون: أنها سبب لنفي الفقر كما تقدّم.

الثالثة والعشرون: أنها تنفي عن العبد اسم البخل إذا صلى عليه عند ذكره ﷺ .

الرابعة والعشرون: أنها ترمي صاحبها على طريق الجنة وتخطئ بتركها عن طريقها.

الخامسة والعشرون: أنها تنجي من نتن المجلس الذي لا يذكر فيه

الله ورسوله ويحمد ويثنى عليه فيه، ويصلي على رسوله ﷺ .

السادسة والعشرون: أنّها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله والصلاة على رسوله.

السابعة والعشرون: أنّها سبب لوفور نور العبد على الصراط.

الثامنة والعشرون: أنّه يخرج بها العبد عن الجفاء.

التاسعة والعشرون: أنّها سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه بين أهل السماء والأرض، لأنّ المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرّمه ويشرفه، والجزاء من جنس العمل، فلا بدّ أن يحصل للمصلي نوع من ذلك.

الثلاثون: أنّها سبب للبركة في ذات المصلي وعمله وعمره وأسباب مصالحه، لأنّ المصلي داع ربّه أن يبارك عليه وعلى آله، وهذا الدعاء مستجاب، والجزاء من جنسه.

الحادية والثلاثون: أنّها سبب لنيل رحمة الله له، لأنّ الرحمة إمّا بمعنى الصلاة كما قاله طائفة، وإمّا من لوازمها وموجباتها على القول الصحيح، فلا بدّ للمصلي عليه من رحمة تناله.

الثانية والثلاثون: أنّها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان الذي لا يتمّ إلاّ به، لأنّ العبد كلّما أكثر من ذكر المحبوب واستحضاره في قلبه واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له وتزايد شوقه إليه، واستولى على جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضاره وإحضار محاسنه بقلبه، نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقرّ لعين المحبّ من رؤية محبوبه، ولا أقرّ لقلبه من ذكره وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه، جرى لسانه بمدحه والثناء عليه، وذكر محاسنه، وتكون زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحبّ ونقصانه في قلبه، والحسّ شاهد بذلك.

الثالثة والثلاثون: أنّ الصلاة عليه ﷺ سبب لمحبه للعبد، فإنّها إذا كانت سببا لزيادة محبة المصلي عليه له، فكذلك هي سبب لمحبه هو للمصلي عليه ﷺ.

الرابعة والثلاثون: أنَّها سبب لهداية العبد وحياة قلبه، فإنَّه كلَّما أكثر الصَّلَاة عليه ﷺ وذكره، استولت محبَّته على قلبه، حتَّى لا يبقى في قلبه معارضة لشيء من أوامره، ولا شكَّ في شيء ممَّا جاء به، بل يصير ما جاء به مكتوباً مسطوراً في قلبه، لا زال يقرؤه على تعاقب أحواله، ويقتبس الهدى والفلاح وأنواع العلوم منه، وكلَّما ازداد في ذلك بصيرة وقوَّة معرفة، ازدادت صلاته عليه ﷺ .

الخامسة والثلاثون: أنَّها سبب لعرض اسم المصلِّي عليه صلى الله عليه وسلم وذكره عنده.

السادسة والثلاثون: أنَّها سبب لتثبيت القدم على الصِّراط، والجواز عليه، لحديث عبد الرَّحمن بن سمرة الَّذي رواه عنه سعيد بن المسيَّب في رؤيا النَّبِيِّ ﷺ وفيه: “ورأيت رجلاً من أمتي يزحف على الصِّراط ويحبو أحياناً ويتعلَّق أحياناً، فجاءته صلاته عليَّ فأقامته على قدميه وأنقذته - (1)

السابعة والثلاثون: أنَّ الصَّلَاة عليه ﷺ أداء لأقلِّ القليل من حقِّه، مع أنَّ الَّذي يستحقُّه لا يحصى علماً ولا قدرة، ولا إرادة، ولكنَّ الله سبحانه لكرمه رضي من عباده باليسير من شكره وأداء حقِّه.

الثامنة والثلاثون: أنَّها متضمَّنة لذكر الله تعالى وشكره، ومعرفة إنعامه على عبده بإرساله، فالمصلِّي عليه ﷺ قد تضمَّنت صلاته عليه ذكر الله وذكر رسوله، وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله كما عرَّفنا ربَّنَا وأسماءه وصفاته، وهدانا الله بها إلى طريق مرضاته، وعرَّفنا جلَّ جلاله ما لنا بعد الوصول إليه، والقُدوم عليه، فهي متضمَّنة لكلِّ الإيمان، بل هي متضمَّنة للإقرار بوجوب الرِّبِّ المدعوِّ وعلمه وسمعه وقدرته وإرادته وحياته وكلامه، وإرسال رسوله، وتصديقه في أخباره كلِّها، وكمال محبَّته، ولا ريب أنَّ هذه هي أصول الإيمان، فالصَّلَاة عليه ﷺ متضمَّنة لعلم العبد ذلك، وتصديقه به، ومحبَّته له، فكانت من أفضل

(1) رواه أبو موسى المديني وبنى عليه كتابه التَّرهيب والترهيب — وقال: هذا حديث حسن جداً، وانظر جلاء الأفهام (ص 368).

الأعمال.

التاسعة والثلاثون: أن الصلاة عليه ﷺ من العبد هي دعاء، ودعاء العبد وسؤاله من ربه نوعان:

أحدهما: سؤاله حوائجه ومهمّاته وما ينوبه في الليل والنهار، فهذا دعاء وسؤال، وإيثار لمحبوب العبد ومطلوبه.

والثاني: سؤاله أن يثني على خليله وحبيبه، ويزيد في تشريفه وتكريمه وإيثاره ذكره، ورفعته، ولا ريب أن الله تعالى يحب ذلك ورسوله يحبه، فالمصلي عليه ﷺ قد صرف سؤاله ورغبته وطلبه إلى محاب الله ورسوله، وأثر ذلك على طلبه حوائجه ومحابّه هو، بل كان هذا المطلوب من أحب الأمور إليه وأثرها عنده، فقد أثر ما يحبه الله ورسوله على ما يحبه هو، فقد أثر الله ومحابّه على ما سواه، والجزاء من جنس العمل. فمن أثر الله على غيره، أثر الله على غيره.

ومن المواقف:

هذه مشية الخدام في دار السلام:

سمعنا أبا يحيى زكريا بن يحيى السمسار يقول رأيت أحمد بن حنبل في المنام وعلى رأسه تاج مرصع بالجواهر وفي رجله نعلان من ذهب وهو يخطر بهما قال قلت أبا عبد الله ماذا فعل الله بك قال غفر لي وأدناني من نفسه وتوجني بيده هذا التاج وقال هذا بقولك القرآن كلام الله غير مخلوق قال قلت فما هذه الخطرة التي لم أعرفها لك في دار الدنيا قال هذه مشية الخدام في دار السلام⁽¹⁾.

قال الحسن بن محمد: رأيت أحمد بن حنبل رضي الله عنه في النوم فقال يا أبا علي لو رأيت صلاتنا على النبي ﷺ في الكتب كيف تزهو بين يدينا؟ ولذا قال سفيان الثوري: لو لم يكن لصاحب الحديث فائدة إلا الصلاة على رسول الله ﷺ فإنه يصلي عليه ما دام اسمه في ذلك الكتاب ﷺ. وقال عبد الله بن عبد الحكم: رأيت الشافعي رضي الله عنه في النوم فقلت ما فعل الله

(1) أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، معجم السفر، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، المكتبة التجارية - مكة المكرمة، ص 48.

بك؟ فقال رحمني وغفر لي وزفني إلى الجنة كما تزف العروس، ونثر علي كما ينثر على العروس، فقلت بماذا بلغت هذه الحالة؟ فقال لي قائل: بقولك في (كتاب الرسالة) من الصلاة على النبي ﷺ، قلت فكيف ذلك؟ قال: وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون فلما أصبحت نظرت إلى الرسالة فوجدت الأمر كما رأيت صلى الله عليه وسلم. وذكر في جلاء الأفهام من هذا أشياء كثيرة. وفي حديث ابن عباس مرفوعاً: "جاءني جبريل عليه السلام فقال إنه من ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله وأسحقه، فقلت آمين-رواه الترمذي وحسنه. ومن حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه مرفوعاً: "أن جبريل عرض لي فقال بعد من ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمي-رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد، والترمذي وحسنه عن أبي هريرة مرفوعاً: "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي- وعن الحسين بن علي رضوان الله عليهما عن النبي ﷺ قال: "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي-رواه النسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه والترمذي وزاد في سنده علي بن أبي طالب وقال حديث حسن صحيح غريب. وما أحسن قول الإمام الصرصري في ذلك: من لم يصل عليه إن ذكر اسمه فهو البخيل وزده وصف جبان وإذا الفتى في العمر صلى مرة في سائر الأقطار والبلدان صلى عليه الله عشرا فليزد عبد ولا يجنح إلى نقصان وأخرج النسائي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله عز وجل وصلاة على النبي ﷺ إلا قاموا عن أنتن من جيفة-ورواه أبو داود الطيالسي إلا أنه قال: "إلا قاموا عن أنتن جيفة-قال الإمام أبو عبد الله المقدسي: هذا على شرط مسلم (1).

* * *

(1) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية، 1423 هـ - 2002 م، ص18.

مواقف المتألمين

مواقف عربية

مواقف المبتلين

إن جوهر العلاقة بين النفس الإنسانية والحياة الدنيا هي علاقة ابتلاء وتمحيص وفتنة، وسنشير بإيجاز لمعنى كل من النفس والابتلاء والفتنة تمهيدا للحديث عن مظاهر هذا الابتلاء وأنواعه ونتائجه.

ولفظ "الابتلاء" مأخوذ من مادة (ب ل و) التي تدل على نوع من الاختبار من ذلك قولهم: بلي الإنسان وابتلاه الله أي اختبره، قال الشاعر:

بليت وفقدان الحبيب بليّة وكم من كريم يبتلى ثم يصبر

ويكون البلاء بالخير والشر، والله عز وجل يبلي العبد بلاء حسنا وبلاء سيئا، وذلك راجع إلى معنى الاختبار لأنه بذلك يختبر صبره وشكره، وبلوته تأتي أيضا بمعنى جزيته (1)، وتأتي كذلك بمعنى استخبرته، يقال:

بلوته فأبلاني أي استخبرته فأخبرني، والاسم من الابتلاء: البلوى والبلية والبلاء والجمع من ذلك: بلايا، وفي الحديث: "اللهم لا تبلنا إلا بالتي هي أحسن" ويقال: أبلاه الله بلاء حسنا إذا صنع به صنعا جميلا، وقال ابن قتيبة:

يقال: من الخير أبليته ومن الشر بلوته، وعقب على ذلك الرأي ابن منظور فقال: والمعروف (في اللغة) أن الابتلاء يكون بالخير وبالشر معا من غير فرق بين فعليهما ومن ذلك قوله تعالى: { وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } [الأنبياء: ٣٥].

وقال ابن بري: يأتي الابتلاء أيضا بمعنى الإنعام كما في قوله - عز من قائل -: { وَءَايَيْنَاهُم مِّنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَكُوْا مُيْتَسِرِينَ } [الدخان: ٣٣]. أي إنعام بين، وقال تعالى في قصة سليمان عندما سخر له من يأتية بعرش بلقيس في طرفه عين: { قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ } [النمل: ٤٠]، وفي الحديث: "من أبلي فذكر فقد شكر" قال ابن الأثير: الإبلاء "هنا-هو

الإنعام والإحسان⁽¹⁾.

واصطلاحاً: الابتلاء: التكليف في الأمر الشاق، ويكون في الخير والشر معاً، ولكنهم (عادة ما) يقولون: في الخير أبلّيته إبلاء وفي الشر: بلوته بلاء.

وقال المناوي: البلاء كالبلية: الامتحان، وسمي الغم بلاء لأنه يبلي الجسد.

وقال ماجد كيلاني: الابتلاء هو اختبار مدلول العبادة بمظاهرها الدينية والاجتماعية والكونية وهو المظهر العملي لعلاقة العبودية بين الله عز وجل والإنسان.

هذا ويرتبط مفهوم الابتلاء بمفهوم آخر يتعلق به تعلقاً شديداً وقد يرادفه أحياناً، ألا وهو مفهوم الفتنة، وسنعرض لهذا بإيجاز - فيما يلي.

وقال تعالى: { تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }^(١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ }^(٢) [الملك: ١ - ٢].

إن الابتلاء سنة ثابتة في حياة البشر لا يستطيعون الخروج منها، وللابتلاء صور ومظاهر وقوانين وسنن تفصيلية لسنة الابتلاء الأصلية والأساسية ومن تلك السنن:

سنة التداول: بمعنى أن الله تعالى يداول أحوال الناس من شدة إلى رخاء ومن رخاء إلى شدة، ومن نصر إلى هزيمة، ومن هزيمة إلى نصر، ومن يسر إلى عسر، ومن عسر إلى يسر إلى غير ذلك من مظاهر تقلبات الأحوال وتغيير المواقف وتداول المواقع، حتى تظهر بذلك مواقف الناس، وتتكشف بواطن ما في صدورهم وفي هذه السنة يقول الله عز وجل: { وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُنَادِ بِهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ } [آل عمران: ١٤٠].

وإن كانت هذه الآية الكريمة نزلت في أعقاب غزوة أحد، ليتبين للمؤمنين سنة الله عز وجل في النصر والهزيمة، وإن كانت العاقبة

(1) النهاية لابن الأثير 1/ 155.

والمحصلة النهائية للمؤمنين، والنصر موعود لهم، ولكن هناك حكمة تقتضي أن يذوق المؤمنون طعم الهزيمة.

ومداولة الأحوال لا يقتصر على تعاقب النصر والهزيمة فإن اختلاف الأحوال لا يقتصر على تعاقب النصر والهزيمة فإن اختلاف الأحوال والظروف التي يمر بها الإنسان تدخل في إطار هذه السنة، ولهذا قال بعض المفسرين أن معنى نداولها بين الناس: من فرح وغم وصحة وسقم وغنى وفقر إلى غير ذلك.

ثم إن وعد الله للمؤمنين بالنصر لا يعني أن الأمر سيجري وفق أهوائهم وأن الثمرة ستأتي على ما يشتهون، كلا. بل إن حكمة الله تقتضي بأن تتربى النفوس المؤمنة على تحمل نتائج الأخطاء، وأن تتعلم بأن المعصية تبعدهم عن رحمة الله وتوفيقه وعونه، فليس من الصدفة أو المجازفة ما يحصل في حياة البشر من تغييرات في أحوالهم، فإن وراء ذلك إرادة ومشينة إلهية ذات حكمة بالغة على الإنسان أن يعرفها ويفقهها.

ومن سنن الابتلاء سنة التدافع بين الحق والباطل فإن الله أراد لهذه الحياة أن تكون مسرحاً للصراع بين أنصار الحق والباطل، بين قوى الخير وقوى الشر، قال تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْخَيْرِ وَالْخَيْرِ فَتَنَةٍ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ } [الأنبياء: ٣٥]، وقال: { وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا } [الفرقان: ٢٠]. فالتدافع بين أهل الحق وأهل الباطل سنة حتمية لا بد منها، فلا يتصور أن يعيش الحق والباطل في سلم دون صراع ومن دون غلبة أحدهما على الآخر، إلا لعلة كضعف أصحابهما أو جهلهما بمعاني الحق والباطل ومقتضيات ولوازم هذه المعاني أو ضعف تأثير هذه المعاني فيهم، ولقد ضرب الله مثلاً لهذه الحقيقة حقيقة الحق الثابت والباطل الزاهق في قوله سبحانه: { أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ } [الرعد: ١٧].

ذلك مثل الحق والباطل في هذه الحياة، فالباطل يطفو ويعلو وينتفخ ويبدو رابياً طافياً ولكنه زبد أو خبث، ما يلبث أن ينتهي ويذهب جفاء مطروحاً لا حقيقة له ولا تماسك فيه، والحق هادئاً ساكناً، وربما يحسبه بعضهم قد انزوى أو غار أو ضاع أو مات، ولكنه هو الباقي في الأرض كالماء الزلال والمعدن الصافي ينفع الناس: {كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ} [الرعد: ١٧]، لقد مضت سنة الله في تدافع الحق والباطل أن الغلبة للحق وأهله، وأن الاندحار والمحق للباطل وأهله كما قال تعالى: {وَيَمَحُّ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُخَيِّقُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الشورى: ٢٤]، غير أن للنصر عوامل وأسباباً، وانتصار الله للحق وأهله لا يأتي إلا بجهد وتعب، وقد يصيب المؤمنين كثير من الأذى. والنصر إنما يتحقق في واقع الناس إذا هيا الله في أنفسهم عوامل النصر التي أرشد إليها الإسلام وأمر بها الله ورسوله وأبعدوا عن أنفسهم عوامل الفشل ومعوقات النصر.

ومن أهم عوامل النصر: الإيمان، فقد وعد الله أهل الإيمان بالنصر والتأييد كما قال: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: ٤٧]. وقال: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ} [غافر: ٥١].

حكمة الله عز وجل في الابتلاء:

من أسماء الله عز وجل " الحكيم " ولهذا الاسم كما لغيره من الأسماء الحسنی آثار في الخلق تترتب عليه، ومن مقتضى ذلك أن تكون أفعاله - سبحانه وتعالى -، وما يجري به قضاؤه وقدره لا يخلو من الحكمة، علمها من علمها وجهلها من جهلها، وسنحاول هنا أن نتأمل بعض - وليس كل - أسرار الابتلاء بأنواعه المختلفة.

أولاً: حكمة الابتلاء بالضراء أو الشر:

للابتلاء بالضراء أو الشر حكم عديدة نشير إلى أهمها فيما يلي:

أ - تقوية الإيمان بالقضاء والقدر:

يقول الشيخ محمد بن عثيمين: على الإنسان أن يؤمن بقضاء الله وقدره، قال تعالى: { أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ

ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ [الحج: ٧٠]، {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾} [الحديد: ٢٢].

وعلى المسلمين أن يؤمنوا بمشيئة الله في عموم ملكه فإنه ما من شيء في السماوات أو في الأرض إلا وهو ملك لله عز وجل: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٣٠﴾} [المائدة: ١٢٠]، وما من شيء في ملكه إلا وهو بمشيئته وإرادته فبيده الملك، وبيده مقاليد السماوات والأرض، ما من شيء يحدث من رخاء وشدة، وخوف وأمن، وصحة ومرض، وقلة وكثرة، إلا بمشيئته سبحانه وتعالى. هو سبحانه خالق الإنسان ومدبره، فلإنسان عزيمة وإرادة، وله قدرة وعمل، والذي أودع فيه تلك العزيمة وخلق فيه القدرة هو الله عز وجل ولو شاء لسلبه الفكر فضاعت إرادته، ولو شاء لسلبه القدرة فما استطاع العمل.

إن الإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة لا يتم الإيمان إلا به، لكنه ليس حجة للإنسان على فعل معاصي الله أو التهاون بما أوجب الله، وجه ذلك أن الله أعطاك عقلاً تتمكن به من الإرادة، وأعطاك قدرة تتمكن بها من العمل فلذلك إذا سلب عقل الإنسان لم يعاقب على معصية، ولا ترك واجب، وإذا سلب قدرته على الواجب لم يؤاخذ بتركه.

إن الاحتجاج بالقدر على المعاصي أو ترك الواجبات حجة داحضة باطلة أبطلها الله في كتابه ويبطلها العقل والواقع.

أبطلها الله في كتابه فقال تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥].

ب - الابتلاء جسر يوصل إلى أكمل الغايات:

يقول ابن القيم - رحمه الله -: إذا تأملت حكمته سبحانه فيما ابتلى به عباده وصفوته وجدت أنه ساقهم به إلى أجل الغايات وأكمل النهايات التي لم يكونوا يعبرون إليها إلا على جسر من الابتلاء والامتحان، وكان ذلك الجسر لكماله كالجسر الذي لا سبيل إلى عبورهم إلى الجنة إلا عليه، وكان ذلك الابتلاء والامتحان عين المنهج في حقهم والكرامة، فصورته صورة

ابتلاء وامتحان وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله من نعمة جسيمة ومنة عظيمة تجنى من قطوف الابتلاء والامتحان، فتأمل حال أبينا آدم عليه السلام وما آلت إليه محنته من الاصطفاء والاجتباء والتوبة والهداية ورفعة المنزل، ولولا تلك المحنة التي جرت عليه وهي إخراجة من الجنة وتوابع ذلك لما وصل إلى ما وصل إليه.

ج - الابتلاء وسيلة للتمكين في الأرض:

قيل للشافعي - رحمه الله - يا أبا عبد الله، أيهما أفضل للرجل أن يمكّن أو يبنتلى؟ (أي بالضراء)، فقال الشافعي: لا يمكّن حتى يبنتلى، فإن الله تعالى ابتلى نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدا - صلوات الله عليهم أجمعين - فلما صبروا (على الابتلاء) مكّنهم.

د - تمحيص المؤمن وتخليصه من الشوائب المنافية للإيمان:

إن المصائب التي تصيب الناس في أنفسهم أو في أرزاقهم، أو غير ذلك مما يتصل بهم مما يسرهم الكمال فيه ويؤلمهم النقص منه، تكمن حكمتها

في التمحيص الناتج عن هذا الابتلاء والامتحان، يقول الله تبارك وتعالى :
{إِنْ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الْآيَاتُ نُذَاوُلَهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (١٤٠)
{وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ } [آل عمران: ١٤٠ - ١٤٢].

فالبلايا والمحن محك يكشف عما في القلوب وتظهر به مكنونات الصدور، ينتقي بها الزيف والرياء، وتتكشف الحقيقة بكل جلاء.. تطهير لا يبقى معه زيف ولا دخل، وتصحيح لا يبقى فيه غبش ولا خلل، إن الشدائد والنوازل تستجيش مكنون القوى وكوامن الطاقات. وتنتفتح بها في القلوب منافذ ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا حين تعرض للابتلاء، وعند الحوادث يتميز الغبش من الصفاء والهلع من الصبر، والثقة من القنوط. فالابتلاء قد يقتضي في بعض أشكاله أن يكون بالمصيبة وبما تكره النفوس، وتحمل المؤمن مصائب الامتحان الإلهي بصبر وصدق مع الله

ورضا بقضائه وقدره؛ هو من أفضل أعماله الصالحة، التي يكتب الله له بها أجرا عظيما وثوابا جزيلا. قال الله تعالى: { مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ } [التوبة: ١٢٠ - ١٢١]، إن هذه الضراء ليست هي خاتمة المطاف، وسرعان ما تنتشع وتزول، يقول الله تعالى: { فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ } [الشرح: ٥ - ٦]. فهذه مصائب امتحان، وهي في سبيل الله، وتحملها والصبر عليها من صالحات الأعمال.

هـ - الردع والتحذير من الغرور:

إن العقوبة العاجلة على ما اقترفه الإنسان أو الجماعة أو الأمة من معاص تقتضي حكمة المولى عز وجل أن تعجل عقوبتها حيث إن فيها ردعا وتحذيرا وعبرة، لهم ولغيرهم من الأفراد والجماعات، وقد أشارت إلى ذلك الآية الكريمة: { كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [الأعراف: ١٦٣]. وقوله عز من قائل: { وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَيْسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ } [الأعراف: ١٦٥]، وقال سبحانه: { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظَرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿١١﴾ } [الأنعام: ١١].

و - الرحمة بالعصاة والتخفيف عنهم يوم القيامة:

من حكمة الابتلاء بالعقوبة أن يجعل الله للمذنب عقوبته فتأتيه في الدنيا تخفيفا عنه يوم القيامة، يقول الله عز وجل: { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ } [الشورى: ٣٠]. قال علي رضي الله عنه: هذه أرجى آية في كتاب الله عز وجل، وإذا كان يكفر عني بالمصائب ويعفو عن كثير فما يبقى بعد كفارته وعفوه!! وقد روي عنه مرفوعا قوله رضي الله عنه: "ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله حدثنا بها النبي ﷺ: { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ

وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ { [الشورى: ٣٠]، يا علي، ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم، والله أكرم من أن يثني عليكم العقوبة في الآخرة، وما عفا عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعاقب به بعد عفوهِ. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أراد الله بعبد الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد بعبد الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة" (1).

وقال ابن عون: إن محمد بن سيرين لما ركب الدّين اغتم لذلك، فقال: إني لأعرف هذا الغم، هذا بذنب أصبته منذ أربعين سنة. وقال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره له إلا بها، أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلا بها.

ز - إقامة حجة العدل على العباد:

يقول ابن القيم - رحمه الله -: "ومنها (أي من الحكم في الابتلاء بالضراء) إقامة حجة عدله عز وجل على عبده ليعلم هذا العبد أن لله عليه الحجة البالغة، فإذا أصابه من المكروه شيء فلا يقول: من أين هذا؟ ولا من أين أتيت؟ ولا بأي ذنب أصبت؟ وما نزل بلاء قط إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة.

ومن المواقف:

الإمام البويطي: قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم!:

هو العلامة، سيد الفقهاء، يوسف أبو يعقوب بن يحيى المصري البويطي صاحب الشافعي ولازمه مدة وفاق الأقران، وكان إماماً في العلم قدوة في العمل زاهداً ربانياً متهجداً، دائم الذكر.. سعى به أصحاب ابن أبي دؤاد حتى كتب فيه ابن أبي دؤاد إلى والي مصر فامتحنه أي في محنة خلق القرآن فلم يجب، وكان الوالي حسن الرأي فيه، فقال له: قل فيما بيني وبينك، قال: إنه يقتدى بي مئة

ألف، ولا يدرون المعنى!! فأمر به أن يحمل إلى بغداد.

قال الربيع بن سليمان: رأيته على بغل في عنقه غلٌّ، وفي رجليه قيدٌ

(1) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، انظر سنن الترمذي، حديث رقم (2507).

وبينه وبين الغل سلسلة فيها لَبَنَةٌ طوبة وزنها أربعون رطلاً، وهو يقول: "إنما خلق الله الخلق-بكن" فإذا كانت مخلوقة فكأن مخلوقاً خُلق بمخلوق.. ولئن دخلت عليه لأصْدَقْتَهُ يعني الوثائق ولأموتن في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم—.

وتوفي رحمه الله في قيده مسجوناً بالعراق في سنة إحدى وثلاثين ومئتين من الهجرة.

الإمام نعيم بن حماد: إني مخاصم:

هو العلامة صاحب التصانيف، وكان شديداً في الرد على الجهمية حُمِلَ إلى العراق في إبان تلك الغيمة مع البويطي مقيدين..

وكان يقول: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس في ما وصف الله به نفسه ورسوله تشبيه—.

قال ابن يونس: حُمِلَ على القول بتلك الفرية فامتنع أن يجيب فسجن ومات في سجنه سنة تسع وعشرين ومئتين، وجر بأقياده، فألقي في حفرة، ولم يكفن ولم يصل على عليه.. وأوصى نعيم بن حماد أن يدفن في قيوده وقال: "إني مخاصم—.

الإمام الخزاعي: إني لأحتسب خطاي إلى هذا الكافر:

هو أبو عبد الله أحمد بن نصر الخزاعي، كان أماراً بالمعروف، قوالاً بالحق من أكابر العلماء العاملين، ومن أهل العلم والديانة.

حمل من بغداد إلى سامراء مقيداً، وجلس له الوثائق فقال له: "ما تقول في القرآن؟- قال: "كلام الله—، قال: "أفمخلوق هو؟- قال: "كلام الله - قال: "فترى ربك يوم القيامة؟- قال: "كذا جاءت الرواية- قال: "ويحك يُرى كما يُرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان، ويحصره ناظر؟ أنا كفرت بمن هذه صفته...—، ما تقولون فيه؟

فقال قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدم، ووافقه فقهاء، قال الوثائق: ما أراه إلا مؤدياً لكفره قائماً بما يعتقد، ودعا بالسيف وقام. وقال: إني لأحتسب خطاي إلى هذا الكافر.. فضرب عنقه بعد أن مدوا له رأسه بحبل وهو مقيد.

قال الحسن بن محمد الحربي: سمعت جعفر الصائغ يقول: رأيت أحمد بن نصر حين قتل... قال رأسه: لا إله إلا الله والله أعلم.

وغلّق في أذن أحمد بن نصر ورقة فيها: هذا رأس أحمد بن نصر دعاه

الإمام إلى القول بخلق القرآن ونفي التشبيه فأبى إلا المعاندة فجعله الله إلى ناره وبقي رأسه منصوباً ببغداد، والبدن مصلوباً بسامراء وفي رجليه زوج قيود.

محنة الإمام أحمد بن حنبل مع الخلفاء:

كان في بغداد أيام المأمون تيارات ثقافية متضادة: منها ما كان عليه السلف الصالح من أهل السنة والجماعة الممثل في حلقات أهل الحديث والفقهاء وغيرهم ممن يرجعون إلى النصوص الشرعية. ويثبتون لله ما أثبتته لنفسه وما صح عن رسوله ﷺ إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تأويل ولا تعطيل ومن أبرز هؤلاء: الإمام أحمد ومحمد بن نوح وأحمد بن نصر الخزاعي وغيرهم. ومنها تيار المعتزلة القائلين بخلق القرآن وتأويل آيات الصفات وغير ذلك مما هو معروف من مذهبهم: كالقول بالعدل والتوحيد والوعد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان الرشيد يقاوم القول بخلق القرآن فلم يجرؤ أحد عليه مدة حياته كما روي عن محمد بن نوح قال: سمعت هارون الرشيد يقول: بلغني أن بشرا المريسي زعم أن القرآن مخلوق، علي إن أظفرنني الله به لأقتلنه قتلة ما قتلها أحد قط، فلما مات الرشيد وتولى الأمين أراد المعتزلة حمله على ذلك فأبى.

فلما تولى المأمون الخلافة، وكان يميل إلى المعتزلة ويقربهم وكان أستاذه أبو الهذيل العلاف من زعماء المعتزلة وكذلك قاضيه أحمد بن أبي دؤاد فأشار عليه ابن أبي دؤاد بإظهار القول بخلق القرآن، فأظهر القول بذلك عام 212 هـ. فكان المأمون يناظر من يغشى مجلسه في ذلك ولكنه لم يلزم بذلك أحداً بل ترك الناس أحراراً فيما يذهبون إليه، فلما كان 218 هـ رأى

المأمون حمل الناس وخصوصا العلماء والقضاة والمفتين على القول بخلق القرآن الكريم؛ وكان المأمون آنذاك في الرقة فأرسل إلى واليه على بغداد إسحاق بن إبراهيم وهو صاحب الشرطة ببغداد أن يجمع من بحضرته من القضاة ويمتحنهم فيما يقولون ويعتقدون في خلق الله القرآن وإحداثه، ويعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين في عمله بمن لا يقول بهذا القول وكان ذلك في ربيع الأول من عام 218 هـ.

فثار العلماء حين سمعوا كتاب المأمون إلى نائبه في بغداد وقال واحد منهم: لقيت ثمانمائة شيخ ونيفا وسبعين فما رأيت أحدا يقول بهذه المقالة - يعني خلق القرآن - وقد حبس وعذب وقتل في هذه المحنة خلائلا يحصون كثرة كما يراه القارئ المتتبع لتلك الحقبة من التاريخ، وصارت هذه المحنة هي الشغل الشاغل للدولة والناس خاصتهم وعامتهم وأصبحت حديث مجالسهم وأنديتهم وحاضرتهم وباديتهم في العراق وغيره وقام الجدل فيها بين العلماء، ووقع امتحان الأمراء للعلماء والقضاة والفقهاء والمحدثين في مصر والشام وفارس وغيرها حتى تناول الإمام البخاري وشيوخه الأجلة الأفاضل: يحيى بن معين وعلي بن المديني ويزيد بن هارون وزهير بن حرب وغيرهم من الأئمة المجمع على جلالته وإمامتهم في حفظ السنة المطهرة وعلومها.

وأرسل المأمون لصاحب الشرطة في بغداد بأن يوافيه بجواب من امتحن منهم فوافاه بجوابهم وإذا هو يتضمن إنكار هذه المقالة والتشنيع على من قال بها فلم يقتنع المأمون بذلك، فبعث إليه بكتاب ثان يأمره فيه بإشخاص سبعة من المحدثين المشهورين في بغداد أو ثمانية وهم:- محمد بن سعد كاتب الواقدي وأبو مسلم ويحيى بن معين وزهير بن حرب وإسماعيل بن داود وإسماعيل بن أبي مسعود وأحمد بن إبراهيم الدورقي. لكي يمتحنهم وفي مقدمتهم أحمد بن حنبل. إلا أن ابن أبي دؤاد حذف اسم الإمام أحمد من القائمة لمعرفته بصلابته وشدته في هذا الأمر.

ثم أمر المأمون بعد ذلك بحمل الإمام أحمد ومحمد بن نوح إليه في طرسوس فحملا إليه بأغلالهما فأما محمد بن نوح فمات في أثناء الطريق قبل أن يصل. وأما الإمام أحمد ومرافقوه فبلغهم وفاة المأمون قبل وصولهم

فعادوا إلى بغداد، وألقي الإمام أحمد في الحبس. ويقال: إن أحمد دعا على المأمون وكانت وفاة المأمون في عام 218.

ثم تولى الخلافة المعتصم، وكان المأمون قد أوصاه بتقريب ابن أبي دؤاد والاستمرار بالقول بخلق القرآن وأخذ الناس بذلك. وكان أحمد في السجن فاستحضره من السجن، وعقد له مجلساً مع ابن أبي دؤاد وغيره؛ وجعلوا يناقشونه في خلق القرآن، وأحمد يستدل عليه بالنصوص الواردة. ويقول لهم: أعطوني دليلاً من كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ، وانفض المجلس ذلك اليوم دون شيء، وأمر المعتصم برده إلى السجن. وفي اليوم التالي أحضر من السجن، وعقد المجلس وكان موقفه رائعاً جليلاً كموقفه في الأمس ورغم المحاولات والمناقشات صمم الإمام أحمد على كلامه، وفشل القوم كفشلهم بالأمس. وانفض الاجتماع، ورد الإمام أحمد إلى السجن، وفي اليوم الثالث أعيد انعقاد المجلس، وأحضر الإمام أحمد من السجن وأعيدت المناقشة. وكان المعتصم عند عقد مجلس المناظرة قد بسط بمجلسه بساطاً، ونصب كرسيًا جلس عليه وازدحم الناس إذ ذاك كازدحامهم أيام الأعياد، وكان مما دار بينهم أن قال للإمام أحمد: ما تقول في القرآن؟ فقال: كلام الله غير مخلوق قال الله تعالى: { وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجَرَهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ } [التوبة: ٦].

قال: هل عندك حجة غير هذا؟ قال: نعم قول الله تعالى: { الرَّحْمَنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ } [الرحمن: ١ - ٢]، ولم يقل خلق القرآن، وقال تعالى: { يَسَّ ۝١ } { وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ۝٢ } [يس: ١ - ٢]، ولم يقل المخلوق، فقال المعتصم: أعيده للحبس وتفرقوا، فلما كان من الغد جلس المعتصم مجلسه ذلك. وقال: هاتوا أحمد بن حنبل فاجتمع الناس، وسمعت لهم ضجة ببغداد فلما جيء به، وقف بين يديه والسيوف قد جردت والرماح قد ركزت والأتراس قد نصبت والسياط قد طرحت.

فسأله المعتصم عما يقول بالقرآن. قال: أقول غير مخلوق، وأستدل بقوله تعالى: { وَلَٰكِنَّ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي } [السجدة: ١٣] الآية، قال: فإن يكن القول من الله تعالى فإن القرآن كلام الله، وأحضر المعتصم له الفقهاء والقضاة فناظروه بحضرته ثلاثة أيام وهو يناظرهم، ويظهر عليهم بالحجج القاطعة

ويقول: أعطوني دليلاً من كتاب الله أو كلام رسوله ﷺ، فقال المعتصم قهرنا أحمد وحلف ليضربنه بالسياط، وأمر الجلادين فأحضروا ولما جيء بالسياط نظر إليها المعتصم فقال: انتوني بغيرها.

قال أبو عبد الله: ثم صيرت بين العقابين ⁽¹⁾. فعلق الإمام أحمد بالعقابين، ورفع حتى صار بينه وبين الأرض مقدار قبضة، قال أحمد: وشدت يداي وجيء بكرسي فوضع له - يعني للمعتصم - وابن أبي دؤاد قائم على رأسه والناس أجمعون قيام ممن حضر، فقال لي إنسان ممن شهدني: خذ بنابي الخشبتيين بيدك، وشد عليهما فلم أفهم ما قال. قال: فتخلعت يداي لما شددت، ولم أمسك الخشبتيين، قال أبو الفضل - يعني ابنه صالحاً - ولم يزل أبي - رحمه الله - يتوجع منهما من الرسغ إلى أن توفي، قال أبو عبد الله فقلت: يا أمير المؤمنين إن رسول الله ﷺ قال: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ألا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث" ⁽²⁾. الحديث. فبم تستحل دمي وأنا لم آت شيئاً من هذا. يا أمير المؤمنين اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل كوقوفي بين يديك، يا أمير المؤمنين راقب الله، فلما رأى المعتصم ثبوت أبي عبد الله وتصميمه لأن فخشي ابن أبي دؤاد من رأفته عليه فقال: يا أمير المؤمنين إن تركته قيل: إنك تركت مذهب المأمون وسخطت قوله، أو أن يقال: غلب خليفتي فهاجبه ذلك، وطلب كرسيًا جلس عليه، وقام ابن أبي دؤاد وأصحابه على رأسه ثم قال للجلادين: تقدموا وجعل أحدهم يتقدم إلى الإمام أحمد فيضربه سوطين ثم ينتحي ثم يتقدم الآخر فيضربه سوطين، والمعتصم يحرضهم على التشديد في الضرب، ثم قام إليه المعتصم وقال له يا أحمد: علام تقتل نفسك إني والله عليك لشفيق فما تقول؟ فيقول أحمد: أعطوني دليلاً من كتاب الله وسنة رسوله حتى أقول به، ثم رجع المعتصم، فجلس فقال للجلاد: تقدم وحرضه على إيجاعه

(1) والعقابان بضم العين خشبتان يوضع بينهما الرجل ليجلد قاله في تاج العروس.

(2) صحيح البخاري الديات (6484)، صحيح مسلم القسامة والمحاربين والقصاص والديات (1676)، سنن الترمذي الديات (1402)، سنن النسائي تحريم الدم (4016)، سنن أبو داود الحدود (4352)، سنن ابن ماجه الحدود (2534)، مسند أحمد بن حنبل (382/1)، سنن الدارمي الحدود (2298).

بالضرب ويقول: شدوا قطع الله أيديكم، قال أحمد: فذهب عقلي عند ذلك فلم أفق إلا وقد أفرج عني ثم جيء بي إلى دار إسحاق ابن إبراهيم فحضرت صلاة الظهر فصليت فقالوا صليت والدم يسيل منك فقلت: قد صلى عمر رضي الله عنه وجرحه يثعب دما وكان ذلك في رمضان سنة 218. ثم نقل أحمد إلى بيته واستقر فيه حيث لم يقو على السير فلما برئت جراحه، وقوي جسمه خرج إلى المسجد، وصار يدرس في المسجد ويملي الحديث حتى مات المعتصم.

فلما ولى الواثق منع الإمام أحمد من الاجتماع بالناس وقال: لا تساكني في بلد أنا فيه فأقام الإمام ببغداد مختفيا لا يخرج إلى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق، وذلك مدة خمس سنوات تقريبا.

فلما تولى المتوكل الخلافة سنة 232 بقيت المحنة قائمة خلال عامين من حكمه ثم رفعت سنة 234 وكانت قد بدأت من السنة الأخيرة من خلافة المأمون وهي سنة 218 وانتهت في السنة الثانية أو الثالثة من خلافة المتوكل سنة 234 حيث أوقف المتوكل أخذ الناس بالمحنة. وأصدر إعلانا عاما في كافة أنحاء الدولة نهى فيه عن القول بخلق القرآن، وتهدد من يخوض في ذلك بالقتل فعم الناس الفرح في كل مكان، وأثنوا على سجايا الخليفة ومآثره ونسوا شروره ورذائله، وسمع الدعاء له من كل جانب، وذكر اسمه مع اسمي الخليفين أبي بكر وعمر وعمر بن عبد العزيز.

وكان المتوكل يكره العلويين، ويسرف في مطاربتهم فجعل المعتزلة يحكيون دسائسهم لدى الخليفة ضد الإمام أحمد، ويتهمونه بالجنوح إلى العلويين، وتتطور المحنة لتأخذ لونا آخر، وتشتد الرقابة على الإمام أحمد وامتدت أعناق أهل الفتنة فاتهموا الإمام أحمد لدى الخليفة أنه يؤوي في بيته أحد العلويين ذوي القدر الخطير ويثور الخليفة فيرسل من فوره إلى بغداد لمفاجأة بيت الإمام أحمد والقبض على العلوي المزعوم، وفي ليلة من الليالي بعد أن نام الناس، وهدأت الحركة وأرخى الليل سدوله على بغداد الهادئة الساكنة سمع أحمد دقا عنيفا على باب داره فقام إلى الباب ففتحه فإذا به أمام رجلين وامرأتين أما الرجلان فهما مظفر حاجب عبد الله بن إسحاق نائب بغداد والآخر ابن الكلبي صاحب البريد. وأما المرأتان فمهمتهما هي

مهمة البوليس النسوي في أيامنا هذه. قال مظفر: يقول لك الأمير: إن أمير المؤمنين كتب إليه أن عندك طلبته العلوي، وقال ابن الكلبي: نعم إنك تؤوي في بيتك علويًا من أعداء أمير المؤمنين وقد جننا لأخذه، فقال الإمام أحمد: إني لا أعرف هذا ولا أرى سوى طاعة أمير المؤمنين في العسر واليسر والمنشط والمكره والأثرة. وسكت الإمام قليلاً سكته ذكر فيها حرمانه من المسجد بدون مسوغ، واستأنف يقول: إني أتأسف عن تأخري عن الصلاة وعن حضور الجمعة ودعوة المسلمين، قال ابن الكلبي: قد أمرني أمير المؤمنين أن أحلفك ما عندك طلبته أفتحلف؟ قال أحمد: إن استحلقتني حلفت فأحلفه ابن الكلبي بالله، فحلف وبالطلاق فحلف. وكان نساء الدار والصبيان قد حضروا، وحضر ابنه صالح فقال ابن الكلبي: أريد أن أفتش منزلك ومنزل ابنك صالح، وقام مظفر وابن الكلبي ففتشا البيت وفتشت المراتان النساء فلم يعثروا على شيء وفتشا بيت صالح، فلم يجدوا شيئاً وفتشت المراتان أماكن الحريم وجاءوا بشمعة فأدلوها في البئر، وانصرفوا بعد أن لم يجدوا شيئاً.

وتولى ابن الكلبي وصف حال الإمام أحمد للمتوكل من احتباسه عن الجمعة والجماعة بدون مسوغ ومن صدق لهجته فيما يكن لأمر المؤمنين من السمع والطاعة في المنشط والمكره ومن براءته مما عزاه إليه خصومه، وأذن الله بانكشاف الغمة فجاءه بعد يومين كتاب من علي بن الجهم أن أمير المؤمنين قد صح عنده براءتك مما قذفت به وكان أهل البدع قد مدوا أعناقهم فالحمد لله الذي لم يشمتهم بك.

وأقبلت الخلافة على الإمام تخطب وده وتطلب الموانسة بقربه والتبرك بدعائه وأخذت الأيام تدبر مولية عن المعتزلة. فمرض ابن أبي دؤاد بالفالج، وجاء بعض أعيان الدولة يتقربون إلى الإمام أحمد بذكر ما نزل بابن أبي دؤاد ويومنون إلى أن كرامة الإمام على الله أوجبت ذلك القصاص فلم يلتفت إليهم الإمام أحمد وصمت ولم يرد، وظهر عليه التبرم بما قالوا.

ومضت الأيام في إدارها على المعتزلة فغضب الخليفة على ابن أبي دؤاد وقبض على أبنائه وصادر أملاكه وأمواله وجواهره، وأخذ ابن أبي

دؤاد إلى بغداد بعد أن أشهد عليه ببيع ضياعه فكان يأتي إلى الإمام أحمد من يحمل إليه تلك الأنباء فيكرم نفسه أن تنزل إلى مستوى السماتة الرخيص بل كان الخليفة نفسه يرسل إليه كأنه يستفتيه فيما يرى من مصير أموال ابن أبي دؤاد فكان يسكت ولا يجيب بشيء وهو موقف جدير أن يلقي على الناس دروسا في عظمة النفس وشدة الإقبال على جلائل الأمور والانصراف عن سفاسفها وتوافها رحم الله الإمام أحمد لقد كان إماما في كل مكرمة.

ثم أرسل إليه الخليفة المتوكل كتابا يقول فيه: قد صح نقاء ساحتك، وقد أحببت أن أنس بقربك وأتبرك بدعائك وقد وجهت إليك بعشرة آلاف درهم معونة على سفرك وفرح آل أحمد بالعافية تقبل مع السعة والجاه، وحل بالدار نشاط وأنس، ودب فيها بعد الوحشة دبب الحركة بمن صار يعشاها من رسل الخليفة وكبار رجال الدولة. قال ابنه صالح: لما جاء كتاب المتوكل بالمال ناداني أبي في جوف الليل فقمتم إليه فإذا به يبكي فلما رأي قال: ما نمت ليلتي هذه سلمت من هؤلاء حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم.

فلما كان الصباح جاء الحسين البزاز والمشايخ فقال: يا صالح جنني بالميزان وبالدرهم ثم أخذ يزن المال ويقول: وجهوا هذا إلى أبناء المهاجرين وهذا إلى أبناء الأنصار وهذا لفلان ليفرق في ناحيته وهذا لفلان وهكذا حتى فرقها كلها فلما فرقها أحس أنه فرق معها كربته وتنفس الصعداء ونفض الكيس ثم تصدق به.

وكان لا بد لأحمد من تلبية أمر الخليفة لا خضوعا لقوة السلطان بل وفاء لحق السمع والطاعة الذي فرضه الإسلام لأولي الأمر في غير معصية، فخرج من بغداد إلى سامراء ومعه يعقوب المعروف بقوصرة وهو الرسول الذي حضر إليه من لدن الخليفة بالمال والخطاب وخرج معه بعض بنيه وكان يعقوب شديد السرور بنجاح مهمته فقد قبل أحمد بن حنبل أن يخرج معه، وكان يدرك مبلغ السرور الذي سيدخل قلب أمير المؤمنين بذلك.

نزل الإمام بسامراء ضيفا على أمير المؤمنين ولم يكن للخليفة من هم بعد أن عرف كل شيء عن أحمد إلا أن يرضيه، وأن لا يحمله علي شيء

يكرهه.

عرف الخليفة أن أحمد لا يقبل ماله فلم يكن له بد من النزول على رغبته واحترام إرادته ولكن لا بد من أن يصله في قرابته فليكن المال لأهله وبنيه دون أن يعلم وتسلم صالح ابنه بأمر الخليفة عشرة آلاف على الفور مكان التي فرقها أبوه ببغداد على أبناء المهاجرين والأنصار وسواهم.

وعرف رجال القصر لهفة الخليفة وشدة إقباله على أحمد وإكباره له فأقبلوا عليه بمثل ما أقبل سيدهم كل يخطب وده ويبتغي إليه المنزلة ويحاول أن يسره بما يستطيع.

أمر الخليفة أن تفرش الدار التي هيئت له بالفرش الوثيرة وأن ترتب له ومن معه من بنيه مائدة شهية واسعة وأمر أن يقطع له ملابس فاخرة: طيلسان وقلنسوة وشارات رسمية من السواد الذي اختارته الدولة العباسية شعارا لها.

ويحضر يحيى بن خالد فيقول: إن الخليفة أمرني أن أصير لك مرتبة في أعلى ويصير ولده المعتز في حرك تؤدبه بما شئت من أدب القرآن وسنة رسول الله ﷺ .

وجاء يحيى في اليوم التالي يدعو أن يركب إلى دار المعتز ويقول في لهجة مهذبة: تركب يا أبا عبد الله فيقول الإمام أحمد: ذاك إليكم وكان يوما مشهودا في القصر ألبسوه هناك الطيلسان وما أمر له به الخليفة من ألوان الثياب والشارات ويقول بعض الخدم: إن الخليفة كان مع أمه مستترين خلف ستار من ستور القصر يرقب في خفاء ما يكون من أحمد، فلما رآه يدخل أخذته خفة وغشيته هزة من الفرح ولمع السرور في عينيه وقال. يا أمه قد أنارت الدار بدخول أحمد.

يقول ابنه صالح: لما عاد أبي من القصر إلى الدار التي أعدت له نزع عنه الثياب التي أنعم بها عليه. وجعل يبكي ويقول: سلمت من هؤلاء منذ ستين سنة حتى إذا كان في آخر عمري بليت بهم، ما أحسبني سلمت من دخولي على هذا الغلام فكيف بالخليفة الذي يجب نصحه من وقت أن تقع

عيني عليه إلى أن أخرج من عنده؟! ثم التفت إلى الملابس وقال لابنه: وجه بهذه الثياب إلى بغداد لتباع وحذار أن يشتري أحد منكم شيئاً منها. أما الفرش الوثيرة الطرية فقد نحى نفسه عنها، وألقى بنفسه على مضرية خشنة له، ونظر إلى حجرة في جانب الدار فأمر أن يحول إلى ركن منها وأن لا يسرج فيها سراج قط، وأما المائدة فقد عافها فلم يدخل بطنه شيء منها وكانت شهية حافلة.

وأخيراً بلغ الضجر بالإمام أحمد كل مبلغ وبرم بكل شيء وزهد في كل شيء ولم يعد أبغض إليه من أن يلقي رجال الخليفة حتى كان يدعم مع بنيه في الدهليز، ويقبل على صلاته ما شاء الله، وكان المرض ينزل به فيراه عافية سابعة لما فيه من عافية احتجابه عنهم. اشتكت عينه مرة فلما برئت ضاق ببرئها وقال لولده صالح: ألا تعجب كانت عيني تشتكي فتمكث حيناً حتى تبرأ ثم هي في هذه المرة تبرأ في سرعة. والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان أيام المعتصم وإنني لأتمنى الموت في هذا، إن هذا فتنة الدنيا وكان ذاك فتنة الدين نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

وأما مرضه ووفاته فإنه مرض تسعة أيام قال ابنه عبد الله: سمعت أبي يقول: استكملت سبعا وسبعين سنة فحم من ليلته وهو محموم يتنفس تنفساً شديداً، وقال صالح: وكنت قد عرفت علته وكنت أمرضه إذا اعتل.

وجاء الفتح بن سهل إلى الباب ليعوده فحجبه وأتى ابن علي بن الجعد فحجبه، وكثر الناس فقال لي: أي شيء ترى؟ قلت: تأذن لهم فيدعون لك قال: أستخير الله تعالى فأذن لهم فجعلوا يدخلون عليه أفواجا، ويسلمون عليه ويرد عليهم بيده، ويسألونه عن حاله، ويدعون له حتى تمتلئ الدار، ثم يخرجون ويدخل فوج آخر، وكثر الناس، وامتأل الشارع، وأغلقت باب الزقاق، وجاء رجل من جيراننا قد خضب فسر به، وقال: إنني لأرى الرجل يجيء شيئاً من السنة فأفرح به فدخل فجعل يدعو له فيقول أبي: ولجميع المسلمين.

وجاء رجل فقال: تلتف لي بالإذن عليه فإنني قد حضرت ضربه يوم الدار، وأريد أن استحلّه. فقلت له، فأمسك فلم أزل به حتى قال: أدخله

فأدخلته فقام بين يديه وجعل يبكي وقال: يا أبا عبد الله أنا كنت ممن حضر ضربك يوم الدار، وقد أتيتك فإن أحببت القصاص فأنا بين يديك وإن رأيت أن تحلني فعلت. قال: على أن لا تعود لمثل ذلك قال: نعم قال: فإني جعلتك في حل فخرج يبكي وبكى من حضر من الناس ثم قال: وجه فاشتر تمرًا وكفر عني كفارة يمين فأخبرته بأني قد فعلت قال: الحمد لله. ثم قال اقرأ علي الوصية فقرأتها فأقرها وكنت أنام إلى جنبه فإذا أراد حاجة حركني فأناوله، وجعل يحرك لسانه ولم يئن إلا في الليلة التي توفي فيها، ولم يزل يصلي قائماً أمسكه فيركع ويسجد وأرفعه في ركوعه ولم يزل عقله ثابتاً.

وتسامع الناس بمرضه وكثروا وسمع السلطان بكثرة الناس فوكل ببابه وباب الزقاق المرابطة وأصحاب الأخبار، ثم أغلق باب الزقاق حتى تعطل بعض الباعة، وحيل بينهم وبين البيع والشراء، وكان الرجل إذا أراد أن يدخل إليه ربما دخل من بعض الدور وربما تسلق، وجاء أصحاب الأخبار فقعدوا على الأبواب وجاءه صاحب ابن طاهر فقال: إن الأمير يقرئك السلام وهو يشتهي أن يراك فقال: هذا مما أكرهه وأمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره، وأصحاب الخير يكتبون بخبره إلى العسكر. والبرد تختلف كل يوم وجاء بنو هاشم فدخلوا عليه وجعلوا يبكون، وجاء قوم من القضاة وغيرهم فلم يؤذن لهم فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين قال: ادعوا لي الصبيان بلسان ثقيل فجعلوا ينضمون إليه وجعل يشمهم ويمسح بيده على رؤوسهم وعينه تدمع فقال له رجل: لا تغتم لهم يا أبا عبد الله فأشار بيده فظننا أن معناه إني لم أرد هذا المعنى. وكان يصلي قاعداً ويصلي وهو مضطجع لا يكاد يفتقر ويرفع يده في إيماء الركوع واشتدت علته يوم الخميس ووضأته فقال: خلل الأصابع، وثقل ليلة الجمعة فلما كان يوم الجمعة الموافق اثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام 241 توفي صدر النهار لساعتين منه فصاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت وامتألت السكك والشوارع وقال صالح: وجه ابن طاهر يعني نائب بغداد بحاجبه مظفر ومعه غلامين معهما مناديل فيها ثياب وطيب فقلت: أقرئ الأمير السلام وقل له: إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه في حياته مما كان يكره، ولا أحب أن أتبعه بعد موته بما كان يكرهه في

حياته.

وقد كانت الجارية غزلت له ثوبا عشاريا قوم بثمانية وعشرين درهما ليقطع منه قميصين فقطعنا له لفافتين وأخذ منه فوران لفافة أخرى فأدرجناه في ثلاث لفائف واشترينا له حنوطا وفرغ من غسله وكفناه، وحضر نحو مائة من بني هاشم ونحن نكفنه، وجعلوا يقبلون جبهته حتى رفعناه على السرير، وقال صالح: وجه الأمير ابن طاهر فقال: من يصلي عليه؟ قلت: أنا، فلما صرت إلى الصحراء إذا ابن طاهر واقف فخطا إلينا خطوات وعزانا ووضع السرير فلما انتظرت هنيهة تقدمت وجعلت أسوي صفوف الناس فجاءني ابن طاهر فقبض هذا على يدي ومحمد بن نصر على يدي وقالوا: الأمير. فمانعتهم فنحيانني وصلى ولم يعلم الناس بذلك فلما كان من الغد علم الناس فجعلوا يجيئون ويصلون على القبر، ومكث الناس ما شاء الله يأتون فيصلون على القبر فكانت الصفوف من الميدان إلى قطرة باب القطيعة سوى ما كان في الأطراف والحواري والسطوح والمواضع المتفرقة، ومن كان في السفن في الماء وقد حزر من حضر جنازته فكانوا سبعمائة ألف وقيل: ثمانمائة ألف وقيل: بلغوا ألف ألف وثلاثمائة ألف، وقيل غير ذلك مما يدل على أنهم جمع غفير وكان رضي الله عنه يقول في حال صحته: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز.

وقد صنف في ترجمته مصنفات مستقلة منها: المناقب لأبي الفرج بن الجوزي في مجلد، ومنها لأبي إسماعيل الأنصاري في مجلدين، ومنها لأبي بكر البيهقي في مجلد، ومنها لأبي زهرة مجلد، ومنها لأحمد الدومي في مجلد، وغير ذلك عدا ما في غضون كتب التاريخ والتراجم من ذكر مناقبه وثناء الناس عليه رحمه الله وسائر أئمة المسلمين وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم⁽¹⁾.

(1) المصادر: - القاضي أبو الحسين بن أبي يعلى: طبقات الحنابلة. - ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب. أبو زهرة: أحمد بن حنبل. الدكتور عبد الله العبد المحسن التركي: أصول مذهب الإمام أحمد.

- عبد الحليم الجندي: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة. أحمد عبد الجواد الدومي: أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا - ولتر م. باتون ترجمة عبد العزيز عبد الحق: أحمد

محنة البخاري:

تعرض البخاري للامتحان والابتلاء، وكثيرا ما تعرض العلماء الصادقون للمحن فصبروا على ما أودوا في سبيل الله، ولقد حسد البعض البخاري لما له من مكانة عند العلماء وطلاب العلم و جماهير المسلمين في كل البلاد الإسلامية، فآثروا حوله الشائعات بأنه يقول بخلق القرآن، ولذلك قصة يرويها أبو أحمد بن عدي فيقول: ذكر لي جماعة من المشايخ أن محمد بن إسماعيل البخاري لما ورد نيسابور اجتمع الناس عليه فحسده بعض من كان في ذلك الوقت من مشايخ نيسابور لما رأوا إقبال الناس إليه واجتماعهم عليه. فقال لأصحاب الحديث: إن محمد بن إسماعيل يقول اللفظ بالقرآن مخلوق فامتنحوه في المجلس فلما حضر الناس مجلس البخاري قام إليه رجل فقال يا أبا عبد الله ما تقول في اللفظ بالقرآن مخلوق هو أم غير مخلوق فأعرض عنه البخاري ولم يجبه، فقال الرجل يا أبا عبد الله فأعاد عليه القول فأعرض عنه، ثم قال في الثالثة فالتفت إليه البخاري وقال القرآن كلام الله غير مخلوق وأفعال العباد مخلوقة والامتحان بدعة فشغب الرجل وشغب الناس وتفرقوا عنه وقعد البخاري في منزله.

وقالوا له بعد ذلك ترجع عن هذا القول حتى نعود إليك قال لا أفعل إلا أن تجيئوا بحجة فيما تقولون أقوى من حجتني وأعجبني من محمد بن إسماعيل ثباته، وكان يقول أما أفعال العباد فمخلوقة فقد حدثنا علي بن عبد الله حدثنا مروان بن معاوية حدثنا أبو مالك عن ربي عن حذيفة قال: قال النبي ﷺ: "إن الله يصنع كل صانع وصنعه—".

وبه قال وسمعت عبيد الله بن سعيد يقول سمعت يحيى بن سعيد يقول ما زلت أسمع أصحابنا يقولون إن أفعال العباد مخلوقة قال البخاري حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصاحف المسطور المكتوب الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بمخلوق

بن حنبل والمحنة.

أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي: الفتح الرباني وشرحه بلوغ الأماني ، ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد. عبد القادر بن أحمد بن بدران: المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل. عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، أحمد بن حنبل، مجلة البحوث الإسلامية -.

قال الله تعالى { بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنَتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } [العنكبوت: ٤٩].

وقال البخاري: القرآن كلام الله غير مخلوق ومن قال مخلوق فهو كافر.

وقال أيضا: من زعم من أهل نيسابور وقومس والري وهمذان وحلوان وبغداد والكوفة والبصرة ومكة والمدينة أني قلت لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب فإني لم أقله إلا أني قلت أفعال العباد مخلوقة.

وقال أحمد بن سلمة: دخلت على البخاري فقلت يا أبا عبد الله هذا رجل مقبول بخراسان خصوصا في هذه المدينة وقد لج في هذا الحديث حتى لا يقدر أحد منا أن يكلمه فيه فما ترى فقبض على لحيته ثم قال: {وَأَفَوْضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ} [غافر: ٤٤]، اللهم إنك تعلم أني لم أرد المقام بنيسابور أشرا ولا بطرا ولا طلبا للرئاسة إنما أبت علي نفسي في الرجوع إلى وطني لغلبة المخالفين وقد قصدني هذا الرجل حسدا لما آتاني الله لا غير ثم قال لي يا أحمد إنني خارج غدا لتتخلصوا من حديثه لأجلي، فأخبرت جماعة أصحابنا فو الله ما شيعه غيري كنت معه حين خرج من البلد وأقام على باب البلد ثلاثة أيام لإصلاح أمره.

وقال محمد بن أبي حاتم أتى رجل عبد الله البخاري فقال يا أبا عبد الله إن فلانا يكفرك فقال: قال النبي ﷺ: "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما - وكان كثير من أصحابه يقولون له إن بعض الناس يقع فيك فيقول: {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء: ٧٦]، ويتلو أيضا: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر: ٤٣]، فقال له عبد المجيد بن إبراهيم كيف لا تدعو الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك ويبهتونك، فقال: قال النبي ﷺ: "صبروا حتى تلقوني على الحوض - وقال ﷺ: "من دعا على ظالمه فقد انتصر -".

محنته مع أمير بخارى:

روى أحمد بن منصور الشيرازي قال سمعت بعض أصحابنا يقول لما قدم أبو عبد الله بخارى نصبت له القباب على فرسخ من البلد واستقبله عامة أهل البلد حتى لم يبق أحد إلا استقبله ونثر عليه الدنانير والدرهم والسكر الكثير فبقي أياما قال فكتب بعد ذلك محمد بن يحيى الذهلي إلى خالد بن أحمد أمير بخارى إن هذا الرجل قد أظهر خلاف السنة فقرأ كتابه على أهل بخارى فقالوا لا نفارقه فأمره الأمير بالخروج من البلد فخرج.

قال أحمد بن منصور فحكى لي بعض أصحابنا عن إبراهيم بن معقل النسفي قال رأيت محمد بن إسماعيل في اليوم الذي أخرج فيه من بخارى فتقدمت إليه فقلت يا أبا عبد الله كيف ترى هذا اليوم من اليوم الذي نثر عليك فيه ما نثر فقال لا أبالي إذا سلم ديني.

وروي عن بكر بن منير بن خلود بن عسكر أنه قال: بعث الأمير خالد ابن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل أن احمل إلي كتاب الجامع والتاريخ وغيرهما لأسمع منك فقال لرسوله أنا لا أذل العلم ولا أحمله إلى أبواب الناس فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضر في مسجدي أو في داري وإن لم يعجبك هذا فإنك سلطان فامنعني من المجلس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة لأنني لا أكتم العلم لقول النبي صلى الله عليه وسلم ” من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار ” فكان سبب الوحشة بينهما هذا.

لعل الله يخلصني بدعائهم:

وقال أبو عمرو المستملى حضرنا مجلس محمد بن يحيى الذهلي فقرأ علينا كتاب البويطي إليه وإذا فيه والذي أسألك أن تعرض حالي على إخواننا أهل الحديث لعل الله يخلصني بدعائهم فإنني في الحديد وقد عجزت عن أداء الفرائض من الطهارة والصلاة فضج الناس بالبكاء والدعاء له. انظر إلى هذا الحبر رحمه الله لم يكن أسفه إلا على أداء الفرائض ولم يتأثر بالقيود ولا بالسجن فرضي الله عنه وجزاه عن صبره خيرا

اللهم إنك تعلم أنني قد أحببت داعيك فمنعوني:

كان أبو يعقوب البويطي إذا سمع المؤذن وهو في السجن يوم الجمعة

اغتسل ولبس ثيابه ومشى حتى يبلغ باب السجن، فيقول له السجان: أين تريد فيقول: أجيب داعي الله، فيقول: ارجع عافاك الله، فيقول أبو يعقوب: اللهم إنك تعلم أنني قد أجبت داعيك فمنعوني ⁽¹⁾.

* * *

أحوال المجاهدين في
سبيل الله

مواقف عربية

أحوال المجاهدين في سبيل الله

الجهاد لغة: مثل المجاهدة مصدر قولهم جاهد يجاهد، وذلك مأخوذ من مادة (ج ه د) التي تدلّ في الأصل على المشقة، ثم يحمل على هذا الأصل ما يقاربه، ومصدر الثلاثي من ذلك قولهم: جهد (بالفتح)، وجهد (بالضم) وكلاهما يعني إمّا: الوسع والطاقة أو التعب والمشقة، ومن ثم يكون الاختلاف بين الفتح والضمّ راجعا إلى اختلاف اللّهجات، فهو بالضمّ لغة أهل الحجاز، وبالفتح في لغة غيرهم، وقال بعض اللّغويين: إنّ الجهد بالفتح المشقة، وبالضمّ الوسع والطاقة، ومن الجهد بمعنى المشقة قولهم جهد دابته وأجهدّها إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها، ومن المشقة أيضا: جهد الرّجل فهو مجهود، يقال أصابهم قحوط من المطر فجهدوا جهدا شديدا، وجهد عيشهم بالكسر أي نكد واشتدّ.

ومن الجهد بمعنى الطاقة قوله عز وجل: {وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ} [التوبة: ٧٩].

أي طاقاتهم، قال ابن منظور: قال الفراء: الجهد في هذه الآية الطاقة، تقول هذا جهدي أي طاقتي، وقرأ جهدهم بالفتح من قولك اجهد جهدا في هذا الأمر أي ابلغ غايتك، ولا يقال اجهد جهدا، وقيل: إذا كان المعنى هو المشقة أو الغاية فالفتح لا غير، وإذا كان الوسع والطاقة فيجوز الفتح والضمّ، ويراد بالجهد في حديث أمّ معبد "شاة خلفها الجهد عن الغنم- الهزال، ومن ذلك قولهم:

جهد الرّجل إذا هزل، قال الجوهري: يقال جهد الرّجل فهو مجهود (من المشقة)، يقال: أصابهم قحوط من المطر فجهدوا جهدا شديدا، وجهد عيشهم (بالكسر) أي نكد واشتدّ.

ومن الجهد (بالضم) ما جاء في حديث الصّدقة: أي الصّدقة أفضل؟ قال: جهد المقلّ أي قدر ما يحتمله حال القليل المال.

والاجتهاد: أخذ النفس ببذل الطاقة وتحمل المشقة، يقال جهدت رأيي وأجهدته: أتعبته بالفكر، وجاهد العدو مجاهدة وجهادا: قاتله، وفي الحديث: "لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية—، الجهاد محاربة الأعداء،

وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول أو فعل، والمراد بالنيّة: إخلاص العمل لله، أي إنّه لم يبق بعد فتح مكّة هجرة؛ لأنّها قد صارت دار إسلام، وإنّما هو الإخلاص في الجهاد وقتال الكفّار، والجهاد (أيضا) المبالغة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللّسان أو ما أطاق من شيء، قال الرّاعب: والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدوّ الظّاهر، ومجاهدة الشّيطان، ومجاهدة النّفس؛ وتدخّل ثلاثتها في قوله تعالى: {وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ} [الحج: ٧٨]، وقال عليه الصّلاة والسّلام: “جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم، والمجاهدة تكون باليد واللسان—، قال ﷺ: “جاهدوا الكفّار بأيديكم وألسنتكم—.

و اصطلاحاً: قال الرّاعب: الجهاد والمجاهدة استفراغ الوسع في مدافعة العدو، وقال الجرجاني: هو الدّعاء إلى الدّين الحقّ، وقد جمع ابن حجر بين هذين النّوعين من الجهاد وأضاف غيرهما فقال: الجهاد بذل الجهد في قتال الكفّار. ويطلق أيضا على مجاهدة النّفس والشّيطان والفساق والكفّار. فأما مجاهدة النّفس، فعلى تعلّم أمور الدّين ثمّ على العمل بها ثمّ على تعلّمها.

وأما مجاهدة الشّيطان، فعلى دفع ما يأتي به من الشّبهات وما يزيّنه من الشّهوات.

وأما مجاهدة الكفّار، فتقع باليد والمال واللسان والقلب.

وأما مجاهدة الفساق، فباليد ثمّ اللّسان، ثمّ القلب.

قال تعالى: {يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ} [البقرة: ١٥٣ - ١٥٤].

قال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [١٣٩] إِنَّ يَمَسُّكُمْ فَرَحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ فَرَحٌ مِّثْلُهُ، وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلَيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذُ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ [١٤٠] وَلَيُمَهِضَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكُفْرَ [١٤١] أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ [١٤٢] وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ

قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ { [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٣].

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾} [آل عمران: ١٥٦ - ١٥٨].

قال تعالى: {فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتُمْ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَأَلَّذِينَ هَاجَرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُودُوا فِي سَبِيلِ وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا دُخْلَنَّهُمْ جَنَّتِ بَحْرَى مِنْ تَحْتِهَا لِأَنَّهُمْ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٦٥﴾} [آل عمران: ١٦٥].

قال تعالى: {فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقَاتِلْ أَوْ يُغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُونُوا بِأَيْدِيكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْ لَا أَخَّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَنَعَ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾} [النساء: ٧٤ - ٧٧].

قال تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾} [التوبة: ٦٠].

قال تعالى: {وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَعَاذَكَ أُولَؤُلَا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ { [التوبة: ٨٦ - ٨٩].

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمْ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾} [التوبة: ١١١].

قال تعالى: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾} [التوبة: ١٢٠].

قال تعالى: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾} [النحل: ١١٠].

قال تعالى: {وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٥٨﴾} [الحج: ٥٨ - ٥٩].

قال تعالى: {أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾} [التوبة: ٤١].

قال تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾} وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٧ - ٧٨﴾} [الحج: ٧٧ - ٧٨].

قال تعالى: {وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِيَّاهُ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾} وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْبَلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنْ أَنْهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٢﴾} وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ

وَيَكُونُ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوَ أَفْلَاحُ عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ { [البقرة: ١٩٠ - ١٩٣].

وقال تعالى: { فَقُنْذِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بِأَسْ الذِّينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسَاوَأَشَدُّ تَنكِيلًا } [النساء: ٨٤].

قال تعالى: { يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَيْ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ } [النساء: ٩٤].

قال تعالى: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٦﴾ } [النساء: ٩٥ - ٩٦].

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "أفضل العمل: الإيمان بالله، والجهاد في سبيله".⁽¹⁾

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أخبرك برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟ قلت: بلى يا رسول الله قال: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد".⁽²⁾

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن زيد بن ثابت أخبره أن رسول الله ﷺ أُملى علي: { لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } [النساء: ٩٥]، قال فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملأها علي. فقال:

يا رسول الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان رجلاً أعمى - فأنزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ فخذ على فخذي. فتقلت على حتى خفت أن ترض فخذي. ثم سرى عنه، فأنزل الله عز وجل: { غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ } [النساء: ٩٥].

(1) البخاري - الفتح 5 (2518) واللفظ له. ومسلم (84).

(2) الترمذي (2616) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله؟ قال: "إن في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفتّح أنهار الجنة". (٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل: أي العمل أفضل؟ فقال: "إيمان بالله ورسوله — قيل: ثم ماذا؟ قال: "الجهاد في سبيل الله — قيل: ثم ماذا؟ قال: "حجّ مبرور". (٣).

عن مجاشع بن مسعود رضي الله عنه قال: انطلقت بأبي معبد إلى النبي ﷺ ليبايعه على الهجرة. قال: "مضت الهجرة لأهلها، أبايعه على الإسلام والجهاد — فلقيت أبا معبد، فسألته فقال: صدق مجاشع". (٤).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تكفل الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي، وإيمان بي، وتصديق برسلي، فهو عليّ ضامن أن أدخله الجنة، أو أرجعه إلى منزله الذي خرج منه بما نال من أجر، أو غنيمة، والذي نفس محمد بيده، ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم. لونه لون دم، وريحه ريح مسك. والذي نفس محمد بيده، لولا أن يشقّ على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا. ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشقّ عليهم أن يتخلّفوا عني، والذي نفس محمد بيده لو ددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل". (٥).

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي

(١) البخاري - الفتوح 6 (2832).

(٢) البخاري - الفتوح 6 (2790).

(٣) البخاري - الفتوح 1 (26) واللفظ له. ومسلم (83) من حديث أبي هريرة و (84) من حديث أبي ذر، و (85) من حديث ابن مسعود.

(٤) البخاري - الفتوح 7 (4307) واللفظ له. ومسلم (1863).

(٥) البخاري - الفتوح 6 (3123) إلى قوله (أو غنيمة) ومسلم 3 (1876).

ﷺ . فقال: يا رسول الله أيّ النَّاس خير؟ قال: “رجل جاهد بنفسه وماله، ورجل في شعب من الشُّعَاب يعبد ربّه ويدع النَّاس من شرّه-⁽¹⁾ .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال: دلّني على عمل يعدل الجهاد. قال: “لا أجده — . قال: “هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر، وتصوم ولا تفطر؟ ” قال: ومن يستطيع ذلك؟ — . قال أبو هريرة: إنّ فرس المجاهد ليستنّ⁽²⁾ في طوله⁽³⁾ فيكتب له حسنات⁽⁴⁾ .

وعن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: “رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتنة-⁽⁵⁾ .

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النّبِيِّ ﷺ قال: “ما أحد يدخل الجنّة يحبّ أن يرجع إلى الدّنيا وله ما على الأرض من شيء إلاّ الشّهيد يتمنّى أن يرجع إلى الدّنيا فيقتل عشر مرّات، لما يرى من الكرامة-⁽⁶⁾ .

وعن عائشة رضي الله عنه: أنّ سعدا قال: اللّهمّ إنّك تعلم أنّه ليس أحد أحبّ إليّ أن أجاهدكم فيك من قوم كذبوا رسولك ﷺ وأخرجوه، اللّهمّ فإني أظنّ أنّك قد وضعت الحرب بيننا وبينهم.

قال مجاهد رحمه الله: قلت لابن عمر:

”الغزو—، قال: “إني أحبّ أن أعينك بطائفة من مالي—، قلت: “أوسع الله عليك—، قال: “إنّ غناك لك، وإني أحبّ أن يكون من

(1) البخاري الفتح 11 (6494) واللفظ له. وله لفظ آخر 6 (2786): أي الناس أفضل؟ فقال: مؤمن يجاهد..— .

(2) استنّ الفرس يستن استنانا: أي عدا لمرحه ونشاطه شوطا أو شوطين ولا راكب على ظهره.

(3) الطول والطيل بالكسر: الحبل الطويل يشد أحد طرفيه في وتد أو غيره والآخر في يد الفرس ليدور فيه ويرعى.

(4) البخاري - الفتح 6 (2785).

(5) الترمذي (1165) وقال: حديث حسن صحيح. وعند البخاري من حديث سهل بن سعد، وعند مسلم (1881) نحوه.

(6) البخاري - الفتح 6 (2817) واللفظ له. وأحمد (103 /3).

مالي في هذا الوجه—، وقال عمر:

”إنّ ناسا يأخذون من هذا المال ليجاهدوا، ثمّ لا يجاهدون فمن فعله فنحن أحقّ بماله حتّى نأخذ منه ما أخذ—.

قال ابن دقيق العيد: ”الجهاد أفضل الأعمال مطلقاً؛ لأنّه وسيلة إلى إعلان الدّين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه؛ ففضيلته بحسب فضيلة ذلك، والله أعلم—.

قال العزّ بن عبد السّلام: ”إذا كانت مشقّة الغبار عاصمة من عذاب النّار فما الظّنّ بمن بذل ماله وغرّر بنفسه في قتال الكفّار—.

وقال نقلا عن بعض أهل العلم: ”إنّ أتمّ الشّرّائع وأكمل النّواميس هو الشّرع الّذي يؤمر فيه بالجهاد.

وقال أيضاً: ”إنّما شرفت النّفقة في سبيل الله؛ لأنّها وسيلة إلى أفضل الأعمال بعد الإيمان، وإذا كانت حسنة الوسيلة بسبع مئة فما الظّنّ بحسنة الجهاد في سبيل الله.

وقال أيضاً: ”إنّما ضمن الله الرّجعة والرّضوان والغفران لمن جاهد في سبيله ابتغاء مرضاته ونصرة دينه، فإنّ الله لا يقبل من الأعمال إلّا ما أريد به وجهه—.

وقال: ”لمّا بذل الشّهداء أنفسهم من أجل الله، أبدلهم الله حياة خيرا من حياتهم الّتي بذلوها وجعلهم جيرانه، يبيتون تحت عرشه ويسرحون من الجنّة حيث شاؤوا، لمّا انقطعت آثارهم من السّروح في الدّنيا.

وقال: ”من سهر في سبيل الله فقد ترك غرضه من النّوم؛ طاعة لله بما يتجشّمه من خوف العدو؛ ولذلك حرّمت عينه على النّار—.

وقال: ”يشرف البذل بشرف المبدول، وأفضل ما بذله الإنسان نفسه وماله، ولمّا كانت الأنفس والأموال مبدولة في الجهاد، جعل الله من بذل نفسه في أعلى رتب الطّائعين وأشرفها لشرف ما بذله، مع محو الكفر ومحقّ أهله وإعزاز الدّين وصون دماء المسلمين.

من فوائد الجهاد في سبيل الله:

- الجهاد من كمال الإيمان وحسن الإسلام.
- هو دليل على حسن الظن بالله وقوة اليقين.
- الجهاد لإعلاء كلمة الله فيه عز الإسلام والمسلمين وقمع الشرك وأعدائه.
- لولا الجهاد لاستفحل الشر وفسدت الأرض.
- فيه تمحيص للقلوب واختبار للنفوس.
- الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون.
- من أسباب التمكن في الأرض.
- الجهاد فيه إرضاء لله وإذلال ودحر للشيطان وأعدائه.
- من أفضل كسب المؤمن غنائم الجهاد.
- جهاد الأعداء والانتصار عليهم فيه شفاء لصدور المؤمنين، وإذهاب لغيظ قلوبهم.
- به ينال العبد أعلى الجنان ويقرب من عرش الرب الرحمن.
- من أسمى معاني الجهاد إعلان العبودية لله عز وجل ودحض ما سواها.
- ليس ثمة عمل يعدل الجهاد في سبيل الله.
- من الضرورة بمكان أن يسأل العبد ربه الشهادة في سبيل الله دائماً.

ومن المواقف:

تجز ذوابتيها للجهاد:

قال العتبي: سبأ الروم نساءً مسلمات فبلغ الخبر الرقة وبها الرشيد ومنصور بن عمار هناك، فقص منصور يحض على الغزو، فإذا خرقة مصرومة مختومة قد طرحت إلى منصور، وإذا كتاب مضموم إلى الصرة فقرأه فإذا فيه: إني امرأة من بيوتات العرب، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات، وبلغني تحضيضك على الغزو، فعمدت إلى أكرم شيء في بدني عليّ، وهما ذوابتي، فجززتهما وصررتهما في هذه الصرة

المختومة، فأنشدك بالله العظيم لما جعلتهما قيد فرس غازٍ في سبيل الله، فعَلَّ الله ينظر إليَّ نظرةً على تلك الحال فيرحمني، فبلغ ذلك الرشيد فبكى ونادى النفير.

تعليق:

قد أتت هذه المرأة بما دلّ على خلوص دينها وصحّة يقينها، وغضبها لرَبِّها، وغيرتها على أهل ملّتها، وامتعاضها عندما بلغها من انتهاك أعداء الله محارمه التي حرّمها، واستخفافهم بحدود الإسلام التي عظّمها، وقصدت بما أتته من جرّها ذؤابتيها التقرب إلى خالقها ورجاء مغفرته لها، والله يحقّق برأفته وسعة رحمته رجاءها، ويغفر لنا ولها، ولم تقصد بما فعلته الأمر الذي حرّم عليها فيؤثّمها، فقد جاء عن النبي ﷺ أنّه لعن الغارفة وهي التي تجرّ ناصيتها عند المصيبة، وإلى الله نرغب في أن يجعلنا ممّن يغضب له ويحام عن دينه ويوالي ويعادي فيه، بتوفيقه⁽¹⁾.

لو قيل لي شيء من هذا:

يروى البخاري فيقول كنت بنيسابور أجلس في الجامع فذهب عمرو بن زرارة وإسحاق بن راهويه إلى يعقوب بن عبد الله والي نيسابور فأخبروه بمكاني فاعتذر إليهم وقال مذهبا إذا رفع إلينا غريب لم نعرفه حبسناه حتى يظهر لنا أمره فقال له بعضهم: بلغني أنه قال لك لا تحسن تصلي فكيف تجلس فقال لو قيل لي شيء من هذا ما كنت أقوم من ذلك المجلس حتى أروي عشرة آلاف حديث في الصلاة خاصة.

أنت الذي يقول إني أحفظ سبعين ألف حديث:

قال أبو جعفر سمعت أبا عمر سليم بن مجاهد يقول كنت عند محمد بن سلام البيهقي فقال لو جئت قبل لرأيت صبيا يحفظ سبعين ألف حديث قال فخرجت في طلبه حتى لحقته قال أنت الذي يقول إني أحفظ سبعين ألف حديث قال نعم وأكثر ولا أجيبك بحديث من الصحابة والتابعين إلا عرفتكم مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ولست أروي حديثا من حديث الصحابة أو

(1) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، 414/1 - 415.

التابعين إلا ولي من ذلك أصل أحفظه حفظا عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

قال محمد بن يعقوب بن الأخرم: سمعت أصحابنا يقولون لما قدم البخاري نيسابور استقبله أربعة آلاف رجل ركبنا على الخيل سوى من ركب بغلا أو حمارا وسوى الرجالة.

فوجدها في سراق الطاغية تقاتل الترك:

وكان حبيب بن مسلمة الفهري رجلا غزا للترك فخرج ذات مرة الى بعض غزواته فقالت له امرأته اين موعذك قال سراق الطاغية او الجنة ان شاء الله تعالى قالت اني لأرجو ان اسبقك الى اي الموضعين كنت به فجاء فوجدها في سراق الطاغية تقاتل الترك (1).

وجميع ملكي لك الفداء:

قال محمد بن أبي حاتم ركبنا يوما إلى الرمي، فجعلنا نرمي وأصاب سهم أبي عبد الله البخاري وتد القنطرة الذي على نهر وراة فانشق الوتد فلما رآه أبو عبد الله نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمي وقال لنا ارجعوا ورجعنا معه إلى المنزل. فقال لي يا أبا جعفر لي إليك حاجة مهمة قالها وهو يتنفس الصعداء، وقال لمن معنا اذهبوا مع أبي جعفر حتى تعينوه على ما سألته فقلت أية حاجة هي. قال لي: تضمن قضاءها؟ قلت نعم على الرأس والعين. قال: ينبغي أن تصير إلى صاحب القنطرة فنقول له إنا قد أخللنا بالوتد فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله أو تأخذ ثمنه وتجعلنا في حل مما كان منا. وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخضر الفريري. فقال لي أبلغ أبا عبد الله السلام وقل له أنت في حل مما كان منك وجميع ملكي لك الفداء وإن قلت نفسي أكون قد كذبت، غير أنني لم أكن أحب أن تحتشمني في وتد أو في ملكي فأبلغته رسالته فتهلل وجهه واستنار وأظهر سرورا وقرأ في ذلك اليوم على الغرباء نحو من خمسمائة حديث وتصدق بثلاثمائة درهم.

(1) أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، 297/1.

كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟:

وقال حاتم: كنا مع شقيق في مصافٍ نحارب الترك في يوم لا ترى إلا رؤوس تطير ورماح تقصف وسيوف تقطع، فقال لي: كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟ تراه مثل ما كنت في الليلة التي زفت إليك امرأتك؟ قال: لا والله، قال: لكنني والله أرى نفسي هذا اليوم مثل ما كنت تلك الليلة، ثم نام بين الصفين، ودرقته تحت رأسه حتى سمعت غطيته.

أحب إليّ من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير:

لما صافى قتيبة بن مسلم للترك، وهاله أمرهم، سأل عن محمد بن واسع، ف قيل: هو ذاك في الميمنة جامع على قوسه، يصبص بأصبعة نحو السماء. قال: تلك الأصبع أحب إليّ من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير، وهذا فهم راسخ من قتيبة بن مسلم الباهلي لأسباب النصر، ألا وهو التوكل على الله تعالى، وتوثيق الصلة به واستلھام النصر منه، ولقد عبأ جيشه وتأكد من حسن إعداده ولكنه بحاجة إلى التأكد مما هو أهم من الإعداد المادي حيث يتجاوز المسلمون بالسلاح المعنوي حدود التكافؤ المادي في القوى بمراحل عديدة ولما كان محمد بن واسع في جيشه سارع إلى السؤال عنه، فلما أخبر بأنه مستغرق في مناجاة الله تعالى ودعائه واطمأن قلبه وارتفع مستوى الأمل بالنصر عنده قال تلك الكلمات الإيمانية الرفيعة: تلك الإصبع أحب إليّ من مئة ألف سيف شهير وشاب طرير. إن قوى الأرض كلها بيد الله تعالى، وإن النظر إلى القوى المادية من حيث العدد والعدد والمواقع، إنما هو حسابات البشر والله قادر على تغيير هذه الموازين في لحظة، وإن من أهم استجلاب نصر الله تعالى دعاء الصالحين، فلذلك استبشر قتيبة خيراً حينما علم باستغراق محمد بن واسع في الدعاء، وهذا الفهم الرفيع من قتيبة رحمه الله يبين لنا سبباً مهماً من أسباب انتصاراته الباهرة، التي ظلت تتولى أكثر من عشر سنوات فبالرغم من كونه بطلاً لا يُشَقُّ له غبار، وقائداً مخططاً يضع للأمور أقرانها، وسياسياً محنكا لا يُخدع، فإنه لم يغتر بكل ذلك بل اعتبر ذلك كله من الأمور الثانوية، ونظر قبل ذلك إلى مدى توثيق الحبل الذي يصل جيشه بالله تعالى فلما عرف بأن محمد بن واسع قد وصل ذلك الحبل بالدعاء وبما سبق ذلك

من شهرته بالإيمان القوي والعمل الصالح حصل له اليقين وزال عنه سبب من أسباب الخوف المتمثل بضعف الصلة بالله تعالى⁽¹⁾.

فإن فاجئنا العدو كان بنا حراك:

وقال بن أبي حاتم ورأيتُه استلقى على قفاه يوماً ونحن بفربر في تصنيفه كتاب التفسير وأتعب نفسه ذلك اليوم في كثرة إخراج الحديث فقلت له إني أراك تقول إني ما أثبت شيئاً بغير علم قط منذ عقلت فما الفائدة في الاستلقاء قال أتعبنا أنفسنا اليوم وهذا ثغر من الثغور خشيت أن يحدث حدث من أمر العد فأحببت أن استريح وأخذ أهبة فإن فاجئنا العدو كان بنا حراك.

فتح عمورية على يد المعتصم سنة 223 هـ:

”في هذه السنة أوقع ملك توفيل بن ميخائيل بأهل سلطته من المسلمين وما والاها ملحمة عظيمة، قتل فيها خلقاً كثيراً من المسلمين، وأسر ما لا يحصون كثرة، وكان من جملة من أسر ألف امرأة من المسلمات ومثل بمن وقع في أسره من المسلمين فقطع آذانهم وأنوفهم وسمل أعينهم - قبحه الله.

ولما بلغ ذلك المعتصم انزعج لذلك جداً وصرخ في قصره بالنفير، ثم نهض من فوره وأمر بتعبئة الجيوش واستدعى القاضي والشهود فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع ثلثه صدقه، وثلثه لولده، وثلثه لمواليه وخرج بالجيش إعانة للمسلمين فوجدوا ملك الروم قد فعل ما فعل وشمر راجعاً إلى بلاده وتفارط ولم يمكن الاستدراك فيه، فقال للأمراء أي بلاد الروم أمنع؟ فقالوا: عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الإسلام وهي عندهم أشرف من القسطنطينية ” فعزم على فتحها.

رب وامتصماه انطلقت	::	ملء أفواه الصبايا اليتيم
صادفت أسماعنا لكنها	:	لم تصادف نخوة المعتصم
	::	
	:	

(1) سير أعلام النبلاء، 121/6، الدولة الأموية عوامل ازدهار وتداعيات الانهيار، 186/3.

تجهّز المعتصم جهازاً لم يجهزه أحد كان قبله من الخلفاء، وأخذ معه آلات الحرب والأحمال والجمال والقرب والدواب والنفط والخيول والبغال شيئاً لم يسمع بمثله، وسار إلى عمورية في جحافل أمثال الجبال وقدم المعتصم إليها صبيحة يوم الجمعة لست خلون من رمضان فدار حولها دورة ثم نزل قريباً منها، وقد تحصّن أهلها تحصيناً شديداً وملؤا أبراجها بالرجال والسلاح، وهي مدينة عظيمة كبيرة جداً ذات سور منيع وأبراج عالية كبار كثيرة، وقسم المعتصم الأبراج بالأمراء فنزل كل أمير تجاه الموضع الذي أقطعه وعينه له، ونزل المعتصم قبالة مكان هناك قد أرشده إليه بعض من كان فيها من المسلمين، وكان قد تنصّر عندهم وتزوج منهم، فلما رأى أمير المؤمنين والمسلمين رجوع إلى الإسلام وخرج إلى الخليفة فأسلم وأعلمه بمكان في السور كان قد هدمه السيل وبنى بناءً ضعيفاً بلا أساس، فنصب المعتصم المجانيق حول عمورية فكان أول موضع انهدم من سورها ذلك الموضع الذي دلهم عليه ذلك الأسير فبادر أهل البلد فسدوه بالخشب الكبار المتلاصقة فألحّ عليها المنجنيق لجعلوا فوقها البرادع ليردوا حرة الحجر فلم تغن شيئاً وانهدم السور من ذلك الجانب وتفسّخ. فكتب نائب البلد إلى ملك الروم يعلمه بذلك، وبعث ذلك مع غلامين من قومهم فلما اجتازوا الجيش في طريقهما أنكر المسلمون أمرهما فسألوهما من أنتما؟ فقالا: من أصحاب فلان لأمر سموه من أمراء المسلمين، فحملا إلى المعتصم فقررهما فإذا معهما كتاب من "مناطس" نائب عمورية إلى ملك الروم يعلمه بما حصل لهم من الحصار، وأنه عازم على الخروج من أبواب البلد بمن معه بغتة على المسلمين ومناجزهم القتال كائناً في ذلك ما كان. فلما وقف المعتصم على ذلك أمر بالغلامين فخلع عليهما، وأن يعطى كل غلام منهما بدرة، فأسلما من فورهما، فأمر الخليفة أن يطاف بهما حول البلد وعليهما الخلع، وأن يوقفا تحت حصن "مناطس" فينثر عليهما الدراهم والخلع، ومعهما الكتاب الذي كتب به مناطس إلى ملك الروم فجعلت الروم تلعنهما وتسبهما، ثم أمر المعتصم عند ذلك بتجديد الحرس والاحتياط والاحتفاظ من خروج الروم بغتة، فضاقت الروم ذرعاً بذلك، وألحّ عليهم المسلمون في الحصار، وقد زاد

المعتصم في المجانيق والدبّابات وغير ذلك من آلات الحرب، ولما رأى المعتصم عمق خندقها وارتفاع سورها، أعمل المجانيق في مقاومة السور وكان قد غنم في الطريق غنماً كثيراً جداً ففرقها في الناس وأمر أن يأكل كل رجل رأساً ويجيء بملء جلده تراباً فيطرحه في الخندق، ففعل الناس ذلك فتسلاوى الخندق بوجه الأرض من كثرة ما طرح فيه من الأغنام ثم أمر بالتراب فوضع فوق ذلك حتى صار طريقاً ممهداً، وأمر بالدبّابات أن توضع فوقه فلم يحوج الله إلى ذلك، وبينما الناس في الجسر المردوم إذ هدم المنجنيق ذلك الموضع المعيب فلما سقط ما بين البرجين سمع الناس هدة عظيمة فظننها من لم يرها أن الروم قد خرجوا على المسلمين بغتة، فبعث المعتصم من نادى في الناس: إنما ذلك سقوط السور ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً لكن لم يكن ما هدم يسع الخيال والرجال إذا دخلوا، وقوى الحصار وقد وكلت الروم بكل برج من أبراج السور أميراً يحفظه، فضعف ذلك الأمير - وندوا - الذي هدمت ناحيته من السور عن مقاومة ما يلقيه من الحصار فذهب إلى مناطس فسأله نجدة فامتنع أحد من الروم أن ينجده وقالوا: لا نترك ما نحن موكلون بحفظه.

قال: وندوا، إن الحرب على وعلى أصحابي، ولم يبق معي أحد إلا جرح، فصيروا أصحابكم على التلّمة يرمون قليلاً وإلا افتضحتم. وذهبت المدينة فأبوا أن يمدوه بأحد.

فلما يئس منهم خرج إلى المعتصم ليجتمع به (ليطلب الأمان على الذرية) فلما وصل إليه أمر المعتصم المسلمين أن يدخلوا البلد من تلك الثغرة التي قد خلت من المقاتلة، فركب المسلمون وتقدموا إلى التلّمة، ولم يقدر الروم على دفع المسلمين بعد أن تكاثروا ودخلوا المدينة قهراً وتتابع المسلمون إليها يكبرون وتفرقت الروم عن أماكنها فجعل المسلمون يقتلونهم في كل مكان حيث وجدوهم وقد حشروهم في كنيسة هائلة ففتحوها قسراً وقتلوا من فيها وأحرقوا عليهم باب الكنيسة فاحترقت فأحرقوا عن آخرهم، ولم يبق فيها موضع محصن سوى المكان الذي فيه النائب وهو مناطس في حصن منيع فركب المعتصم فرسه وجاء حتى وقف بحذاء الحصن الذي فيه ” مناطس ” فناداه المنادي ويحك يا مناطس! هذا أمير المؤمنين واقف

تجاهك فقالوا: ليس بمناطس ها هنا مرتين، فغضب المعتصم من ذلك وولى
فنادى مناطس: هذا مناطس... هذا مناطس، فرجع الخليفة ونصب السلالم
على الحصن وطلع عليه الحسن الرومي فقال له: ويحك انزل على حكم
أمير المؤمنين، فتمنع ثم نزل متقلداً سيفاً فوضع السيف في عنقه ثم جيء به
حتى أوقف بين يدي المعتصم فضربه بالسوط على رأسه ثم أمر به أن
يمشي إلى مضرب الخليفة مهاناً إلى الوطاق الذي فيه الخليفة نازل فأوثق
هناك. وأخذ المسلمون من عمورية أموالاً لا تحد ولا توصف فحملوا منها
ما أمكن حمله، وأمر المعتصم بإحراق ما بقي من ذلك، وإحراق ما هنالك
من المجانيق والدبابات وآلات الحرب لئلا يتقوى بهما الروم على شيء من
حرب المسلمين⁽¹⁾.
وأما اليوم فـ:

ربّ وامعتصماه انطلقت	:	ملء أفواه الصبايا اليتيم
لامست أسماعهم لكنها	:	لم تلامس نخوة المعتصم
أمتي هل لك بين الأمم	:	منبرٌ للسيف أو للقلم
أتلقأك وطرفي حاسرٌ	:	خجلاً من أمسك المنصرم
الأسرائيل تعلقو راية	:	في حمى المهد وظل الحرم
أوما كنت إذا الموت اعتدى	:	موجة من لهبٍ أو من دم
:	:	:
:	:	:
:	:	:

كم من امرأة اليوم تقول: وا معتصماه! وا إسلاماه! في أفغانستان
وفلسطين والفلبين ولا يجيبها مجيب، كم من طفل يقتل! كم من مسجد
يهدم! كم من شعيرة لله عز وجل تسحق! ثم لا مجيب يجيب! بلغت الأمة
من الذلة والمهانة يوم تركت الجهاد وتخلت عن الدين مبلغاً لا يعلمه إلا
الله، يقول عليه الصلاة والسلام: "إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر،
وتركتكم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى تراجعوا دينكم -وبيع

(1) نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، ص336.

العينة منتشرة وهي أن تباع السلعة من الرجل ديناً، ثم يشتريها بثمن أقل قسطاً قسطاً ومقدماً وهذا موجود وفاشٍ، وأخذتم أذناب البقر -تتحول الأمة من أمة جهاد إلى أمة مزارعة، والزراعة ليست حراماً، لكن أبطال الإسلام وشباب لا إله إلا الله وحملة التوحيد يتحولون إلى باعة بطاطس، وخيار وباذنجان وجرجير وخس في الأسواق، ويصبح حمل السلاح لا يطيقه إلا القليل، ويصبح الآلاف من الشباب لا يستطيع أحدهم شحن المسدس والرمي به، ولا يحمل الرشاش، بل أجزم جزمًا لو اعتدي على كثير من البيوت الآن لما استطاع الشباب المدافعة عن بيوتهم، بعضهم لا يملك سلاحاً، عندهم سكاكين للبصل في المطبخ، والسلاح أصبح كيماوي ومزدوج، وبعضهم عنده سلاح لكنه لا يستطيع أن يرمي، ولا يصيب الهدف، وما لديه تدريب قال تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } [الأنفال: ١٠١]، والرسول عليه الصلاة والسلام ربي شبابه على القوة العسكرية وعلى حمل السلاح والأنفة، اسمع إلى أبي تمام يصور معركة المعتصم في عمورية، لما انتهى المعتصم، وعاد إلى بغداد، عاد وعلم النصر فوق رأسه والعلماء يبكون لنصر الله ويفرحون، واستقبلته الأمة ونساء الأمة وأطفال الأمة، لأنهم أثبت عدة لئلا إله إلا الله، وقف أبو تمام يحيي هذا البطل ويقول:

في حده الحد بين الجد واللعب	::	السيف أصدق أنباء من الكتب
نظم من الشعر أو نثر من	::	فتح الفتوح تعالى أن يحيط به
الخطب	::	يا يوم وقعة عمورية انصرفت
عنك الأمنى حفاً معسولة الحلب	::	

ثم قال:

تدبير معتصم بالله منتقم :: لله مرتقب في الله مرتغب

ثم يروي أبو تمام قصة المنجمين الذين أتوا قبل المعركة إلى المعتصم وقالوا: لا تحاربوهم هذا الشهر، قال: ولم؟ قالوا: لأن برج الثور حل علينا، وبرج الثور إذا حل، لا ينتصر المقاتل، قال: أمنت بالله وكفرت بكم، قال: أبو تمام:

أين الرواية أم أين الدراية
تلاسم وأحاديث منمقة
فالنصر في شهب الأرماع لامعة

كم صاغوه من زخرفٍ فيها ومن
كذب
ليست بنفع إذا عدت ولا غرب
بين الخميسين لا في السبعة
الشهب

فالنصر في السيوف وليس في النجوم

إلى أن يقول في آخرها:

لما رأت أختها بالأمس قد خربت :: كان الخراب لها أعدى من
الجرب

إلى أن يقول للخليفة: أنت لست الذي انتصر، بل الله الذي رمى
بك: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال: ١٧].

رمى بك الله جنبيها فهدمها :: ولو رمى بك غير الله لم يصب

إنه تدبير الله وقوته { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ٥١ } يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار { ٥٢ } [غافر: ٥١ - ٥٢]، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نُّصِرُوا اللَّهُ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ٧ } [محمد: ٧]، { إِن يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ١٦٠ } [آل عمران: ١٦٠]، إن يخذلكم بأعمالكم وتصرفاتكم وأكلكم الربا وسكوتكم على المنكرات؛ تبرج النساء، وانتشار المخدرات، وضياح الشباب: { وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ ١٦٠ } [آل عمران: ١٦٠]، من يقدم لكم النصر؟ فهذه أمور عاشها السلف (١).

إذ جاءه سهم فذبحه فآلقاه عني:

قال حاتم الأصم: كنا مع شقيق البلخي ونحن مصافو الترك في يوم لا أرى فيه إلا رؤوساً تندر، وسيوفاً تقطع، ورماحاً تقصف، فقال لي شقيق ونحن بين الصفين: كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟ تراه مثله في الليلة التي زفت إليك امرأتك؟ قلت: لا، والله. قال: لكني والله، أرى نفسي في هذا اليوم مثله في الليلة التي زفت فيها امرأتي. قال: ثم نام بين الصفين

ودرقتة تحت رأسه حتى سمعت غطيطة. قال حاتم: ورأيت رجلاً من أصحابنا في ذلك اليوم يبكي فقلت: مالك؟ قال: قتل أخي. قال: قلت: حبط أجرك، صار إلى الله وإلى رضوانه. قال: فقال لي: اسكت، ما أبكي أسفاً عليه ولا على قتله، ولكني أبكي أسفاً ألا أكون دريت كيف كان صبره لله عند وقوع السيف به. قال حاتم: فأخذني في ذلك اليوم تركي فأضجعتني للذبح فلم يكن قلبي به مشغولاً، كان قلبي بالله مشغولاً أنظر ماذا يأذن الله به في، فبينما هو يطلب السكين من خفه إذ جاءه سهم فذبحه فألقاه عني.

يصارح الحجاج برأيه في أخيه:

قال محمد بن الحسن بن دريد: بلغني أن طاووساً كان يقول: بينا أنا جالس مع الحجاج بمكة إذ مر رجل يلبي حول البيت، فرفع صوته بالتلبية، فقال الحجاج: علي بالرجل، فأتي به، قال: ممن الرجل؟ قال: من المسلمين، فقال: ليس عن هذا سألتك، قال: فعم سألت، قال: عن البلد، قال: من أهل اليمن، قال: كيف تركت محمد بن يوسف؟ قال: تركته عظيماً جسيماً، ركاباً خراجاً ولاجاً، قال: ليس عن هذا سألتك، قال: فعم سألت؟ قال: عن سيرته؟ قال: تركته ظلوماً غشوماً، مطيعاً للمخلوق، عاصياً للخالق، قال: فما الذي حملك علي بهذا فيه، وأنت تعرف مكانه مني؟ قال: أترأه مكانه منك أعز بمكاني من الله عز وجل وأنا قاضي دينه، ووافد بيته، ومصدق نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، فسكت الحجاج فما أحرار جواباً، وقام الرجل فدخل الطواف.

فاتبعته فإذا هو في الملنزم، وهو يقول: اللهم إني أعوذ بك، اللهم فاجعل لي في الكهف إلى جودك، والرضا بضمائك، مندوحةً عن سواك الباخلين، وغنى عما في أيدي المستأثرين، اللهم فرجك القريب، ومعروفك القديم، وعادتك الحسنة، فلما كان عشية عرفة، رأيته واقفاً على الموقف فدنوت منه، فسمعتة يقول: اللهم إن كنت لم تقبل حجي وتعبي ونصبي، فلا تحرمني الأجر على مصيبتني بتركك القبول مني، قال: فلما كان غداة جمع أفاض مع الناس، فسمعتة يقول: يا سوءتاه منك يا رب وإن غفرت. ثم لم أره بعد ذلك⁽¹⁾.

(1) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص 136.

* * *

أحوال الذاكرين الله عز
وجل

مواقف عربية

أحوال الذاكرين الله عز وجل

الذكر هو جلاء القلوب وصقالها، ودواؤها اذا غشيتها اعتلالها وكلما ازداد الذاكر في ذكره استغراقا ازداد المذكور محبة إلى لقاءه واشتياقا، وإذا وطأ في ذكره قلبه للسانه نسي في جنب ذكره كل شيء وحفظ الله عليه كل شيء وكان له عوضا من كل شيء. وبه يزول الوقر عن الاسماع، والبكم عن الألسن، وتنقشع الظلمه عن الأبصار.

زين الله به السنة الذاكرين كما بالنور أبصار الناظرين. والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل، ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقتها صارت الاجساد لها قبور، وعمارة ديارهم التي إذا تعطلت عنه صارت بورا. وهو منزل القوم الذي منه يتزودون وفيه يتجرون وإليه دائما يترددون وهو سلاحهم الذي به يقاتلون قطاع الطرق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الطريق، ودواء أسقامهم الذي متى فاقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيب.

إذا مرضنا تدأويننا بذكركم :: فنترك الذكر أحيانا فننتكس

به يستدفعون الأفات، ويستكشفون الكربات، وتهون عليهم به المصيبات. إذا اضلتهم البلاء فإليه ملجؤهم، وإذا نزلت بهم النوازل فإليه مفزعهم، فهو رياض جنتهم التي فيها يتقلبون، ورؤوس أموال سعادتهم التي بها يتجرون، يدع القلب الحزين ضاحكا مسرورا إلى المذكور بل يدع الذاكر مذكورا.

وفى كل جارحه من الجوارح عبودية مؤقتة والذكر عبودته القلب واللسان، وهى غير مؤقتة، فهاهم يؤمرون بذكر معبودهم ومحبوبهم في كل مكان قياما وقعودا وعلى جنوبهم، فكما أن الجنة قيعان وهو غراسها فكذلك القلوب بور وخراب وهو عمارتها وأساسها.

والذكر باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد

بغفلته.

قال الحسن البصري رحمه الله: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة وفي الذكر وقراءة القرآن فإن وجدتهم... وإلا فاعلموا ان الباب مغلق.

وبالذكر يصرح العبد الشيطان كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان. قال بعض السلف: إذا تمكن الذكر من القلب فإن دنا منه صرعه كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان فيجتمع عليه الشياطين فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسه الإنس⁽¹⁾.

ما عرف قدر جلاله من فتر لحظة عن ذكره.

قال ذو النون: ما طابت الدنيا إلا بذكره ولا طابت الآخرة إلا بعفوه ولا طابت الجنة إلا برويته.

أبدا نفوس الطالبين	:	إلى رياضكم تحن
وكذا القلوب بذكركم	:	بعد المخافة تطمئن
حنت بذكركم ومن	:	يهوى الحبيب ولا يحن
	:	

وفى القلب خلة وفاقة لا يسدها شيء البتة إلا ذكر الله عز وجل ، فإذا صار الذكر شعار القلب بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة واللسان تبعا له، فهذا هو الذكر الذي يسد الخلة وفنى الفاقة، والذكر يجمع المفترق ويفرق المجتمع ويقرب البعيد ويبعد القريب فيجمع ما تفرق على البعد من قلبه وإرادته وهمومه وعزومه، والعذاب كل العذاب في تفرقها وتشتتها عليه، وانفراطها له في اجتماع قلبه وهمه وعزمه وإرادته.

ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم والغموم والأحزان والحسرات على فوت حظوظه ومطالبه.

ويفرق أيضا ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياها وأوزاره.

(1) ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، ج-2، ص 421، 422.

ويفرق ما اجتمع على حربه من جند الشيطان فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية وكلما كان أقوى صلباً لله سبحانه وتعالى وأمثلة تعلقاً به وإرادة له كانت السرية أكثر وأكثرت شوكته بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر. ويقرب إليه الآخرة فلا يزال يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها.

والذكر ينبه القلب من نومه، ويوقظه من سنته، والقلب إذا كان نائماً فاته الأرباح والمتاجر، وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته في نومته شد المئزر وأحيا بقية عمره واستدرك ما فاته، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر فإن الغفلة نوم ثقيل.

والذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شمر إليها السالكون، والذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد ويعدل عتق الرقاب، والحمل على الخيل في سبيل الله ويعدل الضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل، وهو خير الأعمال على الإطلاق قال رسول الله ﷺ: "ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إنفاق الورق والذهب وخير لكم أن تلتقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟- قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "ذكر الله- (1).

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾} [الأحزاب: ٤١ - ٤٢].

يقول سيد قطب: وذكر الله اتصال القلب به والاشتغال بمراقبته وهو ليس مجرد تحريك اللسان وإقامة الصلاة ذكر الله...

وهو يشمل كل صورة يتذكر فيها العبد ربه ويتصل به قلبه سواء جهر بلسانه بهذا الذكر أم لم يجهر والمقصود هو الاتصال المحرك الموحى على أية حال.

وإن القلب ليظل فارغاً أو لاهياً أو حائراً حتى يتصل بالله ويذكره ويأنس به فإذا هو مليء جاد قار يعرف طريقه ويعرف منهجه ويعرف من

أين وإلى أين ينقل خطاه!

ومن هنا يخص القرآن كثيرا وتحض السنة كثيرا على ذكر الله ويربط القرآن بين هذا الذكر وبين الأوقات، والأحوال التي يمر بها الإنسان لتكون الأوقات والأحوال مذكرة بذكر الله ومنبهة على الاتصال به حتى لا يغفل القلب ولا ينسى.

وسبحوه بكرة وأصيلا:

وفي البكرة والأصيل خاصة ما يستجيش القلوب إلى الاتصال بالله مغير الأحوال، ومبديل الظلال وهو باق لا يتغير ولا يتبدل ولا يحول ولا يزول وكل شيء سواه يتغير ويتبدل ويدركه التحول والزوال⁽¹⁾.

وقال تعالى: {وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ} [الكهف: ٢٤].

وقال تعالى في سورة آل عمران في وصف المؤمنين: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} [آل عمران: ١٩١].

عن عيسى عليه السلام انه قال: طوبى لمن كان قلبه تذكرا ونظره عبرا.

قال لقمان الحكيم: إن طول الوحدة ألهم للفكرة، وطول الفكرة دليل على طرق باب الجنة.

وقال وهب بن منبه: ما طالت فكرة امرئ قط إلا فهم ولا فهم امرئ قط إلا علم، ولا علم امرؤ قط إلا عمل.

وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله عز وجل حسن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة.

وقال بعض الحكماء: من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة.

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: يا بن آدم الضعيف، اتق الله حيث ما كنت، وكن في الدنيا ضيفا، واتخذ المساجد بيوتا، وعلم عينيك البكاء، وجسدك الصبر، وقلبك الفكر، ولا تهتم برزق غد.

(1) الظلال، ج 5، ص 2871.

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه بكى يوماً بين أصحابه فسئل عن ذلك؟ فقال: فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضى حتى تكدرها مرارتها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواضع لمن اذكر (1).

قال تعالى لموسى عليه السلام: { أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ ثَيَابَنِي وَلَا نَبِيَّاءَ فِي ذِكْرِي } (٤٢ طه: ٤٢).

وقال تعالى على لسان نبيه موسى: { كُنْ نَسِيحَكْ كَثِيرًا } (٣٣) وَنَذْرُكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَاصِرًا (٣٥) طه: ٣٣ - ٣٥.

وقال تعالى: { يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٤٥) [الأنفال: ٤٥].

وفى الأثر الإلهي: ” إن عبدى - يا عبدى - الذي يذكرنى وهو ملاق قرنه ”.

قال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يستشهد به.

وسمعه يقول: المحبون يفتخرون بذكر من يحبونه في هذه الحال كما قال عنتره:

ولقد ذكرتكَ والرماح كأنها :: أسطوان بنر في لبان الأدهم

وقال الآخر:

ذكرتكَ والخطى يحطر بيننا :: وقد نهلت منا المثقفة السمر

قال آخر:

ولقد ذكرتكَ والرماح شواجر :: نحوى وبيض الهند تقطر من دمي

وهذا كثير في أشعارهم وهو مما يدل على قوة المحبة، فإن ذكر المحب محبوبه في تلك الحال التي لا يهتم المرء فيها غير نفسه يدل على أنه عنده بمنزلة نفسه أو أعز منها⁽¹⁾.

وقال تعالى: { فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ
وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ } [الجمعة: ١٠].

وقال تعالى: { إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّالِمِينَ وَالصَّالِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا } [الأحزاب: ٣٥].

وذكر الله كثيرا: وهو حلقة الاتصال بين نشاط الانسان كله وعقيدته في الله.

واستشعار القلب لله في كل لحظه فلا ينفصل بخاطر ولا حركة عن العروة الوثقى.

وإشراق القلب ببشاشة الذكر الذي يسكب فيه النور والحياة⁽²⁾.

وقال تعالى: { فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ
 آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي
 الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ } [البقرة: ٢٠٠].

وقال تعالى: {أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} {١٦} [الحديد: ١٦].

وقال تعالى: { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ } [الأنفال: ٢].

(1) ابن القيم: مدارج السالكين، ج2، ص427، 428.

(1) سید قطب: فی ضلال القرآن، ج5، ص2863.

إنها الارتعاشة الوجدانية التي تنتاب القلب المؤمن حين يذكر بالله في أمر أو نهى فيغشاه جلاله وتنتفض فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته إلى جانب تقصيره هو وذنبه فينبعث إلى العمل والطاعة.... أو هي كما قالت أم الدراء رضي الله عنه فيما رواه الثوري عن عبد الله بن خيثم عن شهر بن حوشب عن أم الدراء قالت: الوجل في القلب كاحتراق السعفة، أما تجد له قشعريرة؟ قال: بلى. قالت: إذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك، فإن الدعاء يذهب ذلك...

إنها حال ينال القلب منها أمر يحتاج إلى الدعاء ليستريح منها ويقر! وهي الحالة التي يجدها القلب المؤمن حتى يذكر الله في حدود أمر أو نهى فيأتمر معها وينتهى كما يريد الله، وجلا وتقوى لله.

{وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [الأنفال: ٢].

والقلب المؤمن يجد في آيات هذا القرآن ما يزيده إيمانا وما ينتهي به إلى الاطمئنان... إن هذا القرآن يتعامل مع القلب البشري بلا وساطة ولا يحول بينه وبينه شيء إلا الكفر الذي يحجبه عن القلب، ويحجب القلب عنه، فإذا رفع هذا الحجاب بالإيمان وجد القلب حلاوة هذا القرآن ووجد في إيقاعاته المتكررة زيادة في الإيمان تبلغ به إلى الاطمئنان... وكما أن إيقاعات القرآن على القلب المؤمن تزيده إيمانا فإن القلب المؤمن هو الذي يدرك هذه الإيقاعات التي تزيده إيمانا..... لذلك يتكرر في القرآن تقرير هذه الحقيقة في أمثال قوله تعالى ومن ذلك قول أحد الصحابة رضوان الله عليهم: كنا نؤتي الإيمان قبل أن نؤتي القرآن⁽¹⁾.

وقال تعالى: {فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى: {فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وُقُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} [النساء: ١٠٣].

وقال تعالى: {وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِصْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ} [الزخرف: ٣٦].

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج3، ص1475.

وقد قضت مشيئة الله في خلقه الانسان ذلك، واقتضت أنه حين يغفل قلبه عن ذكر الله يجد الشيطان طريقه إليه فيلزمه ويصبح له قرين سوء يوسوس له ويزين له السوء، وهذا الشرط وجوابه هنا في الآية يعبران عن هذه المشيئة الكلية.

ووظيفة قرناء السوء من الشياطين ان يصدوا قرنائهم عن سبيل الله بينما هؤلاء يحسبون أنهم مهتدون:

وقال تعالى: { قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَادْكُرُّ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعُشِيِّ وَالْأَبْكَرِ } [آل عمران: ٤١] (2).
وقال رسول الله ﷺ: “أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شئ وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فإنه روحك في السماء وذكرك في الأرض- (1).

وعن معاذ بن جبل قال: سألت رسول الله ﷺ: أى الأعمال أحب الى الله عز وجل؟ قال: “أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل- (2).

وعن معاذ بن جبل يرفعه أيضا: “ليس تحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله عز وجل فيها- (3).

وعن عائشة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: “ما من ساعة تمر بابن آدم لا يذكر الله تعالى إلا تحسر عليها يوم القيامة- (4).

وعن قيس بن سعد بن عبادة قال: قال رسول الله ﷺ: “ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ لا حول ولا قوة الا بالله- (5).

(1) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج-5، ص3189.

(2) أحمد.

(3) ابن حبان والبخاري.

(4) الطبراني والبيهقي.

(5) البيهقي.

(6) أحمد والترمذي.

وقال رسول الله ﷺ: "أكثرُوا من: لا حول ولا قوة الا بالله فإنها من كنز الجنة".⁽⁶⁾

وقال رسول الله ﷺ: "ألا ادلك على كلمة من تحت العرش من كنز الجنة؟ تقول: لا حول ولا قوة الا بالله فيقول الله: أسلم عبدى واستسلم -"⁽⁷⁾

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم: "لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسرى بى فقال: يا محمد أقرئ امتك منى السلام واخبرهم ان الجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر".⁽⁸⁾

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من قال: سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة".⁽⁹⁾

وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشيء أتشبت به قال: "لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله".⁽¹⁾

وعن أبى هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال: "يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى في نفسه وإن ذكرنى وملا ذكرته في ملا خير منهم".⁽²⁾

وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه ن النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم قال: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحى والميت".⁽³⁾

وعن أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة: فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة،

(7) الطبرانى وابن حبان.

(8) الحاكم.

(1) رواه الترمذى.

(2) الترمذى.

(3) الترمذى.

(4) متفق عليه.

(5) البخارى.

وكل تهيلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة ونهى عن المنكر صدقة وأمر بالمعروف ويجزئ من ذلك ركعتان من الضحى- (4).

وعن سعد ابن أبى وقاص رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله فقال: "أيعجز أحدكم أن يكسب في كل يوم ألف حسنة؟" - "فسأل سائل من جلسائه: كيف يكسب ألف حسنة؟ قال: "يسبح مائة تسيحه فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة- (5).

وعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله أخذ بيده وقال: "يا معاذ والله إنى لأحبك في الله- فقال: "أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك- (6).

وعن رسول الله قال: "من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر- (7).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله فقالوا: ذهب أهل الدثور بالدرجات العلا والنعيم المقيم: يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون. فقال: "ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثلما صنعتم؟- قالوا: بلى يا رسول الله قال: "تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين- قال أبو صالح الراوى عن أبى هريرة لما سئل عن كيفية ذكرهن قال: يقول: سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين- (1).

(6) مسلم.

(7) مسلم.

(1) ابو داود.

(2) مسلم.

(3) متفق عليه.

وزاد مسلم في روايته: فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله فقالوا: سمع إخواننا أهل الأموال بما فعلنا ففعلوا مثله؟ فقال رسول الله: "ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء—".

"والدثور " جمع دثر وهو المال الكثير.

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله فقال: علمني كلاماً أقوله قال: "قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم- قال: هؤلاء لربي فما لي؟ قال: "قل: اللهم اغفر لي وارحمني واهدني وارزقني- (2).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والحمد لله تملأن - أو تملأ ما بين السماوات والأرض- (3).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله قال: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حراز من الشيطان يومه ذلك يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه -وقال: من قال: "سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر- (4).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلي مما طلعت عليه شمس- (1).

(4) مسلم.

(1) مسلم.

(2) متفق عليه.

(3) مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: “كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم”⁽²⁾.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله قال: “أكثرُوا ذكر الله حتى يقولوا مجنون”⁽³⁾.

وعن أم أنس رضي الله عنها أنها قالت: قلت: يا رسول الله أوصني قال: “اهجرى المعاصي فإنها أفضل الجهاد وأكثرى من ذكر الله فإنك لا تأتين الله بشيء أحب من كثرة ذكره”⁽⁴⁾.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله: “لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله كان الذاكر لله أفضل”⁽⁵⁾.

وكان بعض العارفين يقول: لو علم الملوك وأنباء ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف.

وقال آخر: مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها! قيل: ومما أطيب ما فيها؟

قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره.

يا ذا الذي أنس الفؤاد	::	أنت الذي ما إن سواه أريد
تفني الليالي والزمان بأسره	::	وهواك غص في الفؤاد جديد
	:	

وقال بعض العارفين: إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا.
وقال آخر: إنه لتمر بي أوقات أو قول: إن أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب.

يا من يذكرني بعهد أحبتي	::	طاب الحديث بذكرهم ويطيب
أعد الحديث علي من جنباته	:	إن الحديث عن الحبيب حبيب

(4) متفق عليه.

(5) أحمد والحاكم وابن حبان.

(6) الطبراني.

(7) الطبراني.

ملأ الضلوع وقاض عن اجنابها :: قلب إذا ذكر الحبيب يذوب
ما زال يخفق ضارباً بجناحه : ياليت شعري هل تطير قلوب

::
:
:
:
:

قال ابن القيم: فمحنة الله ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه
والطمأنينة إليه ولأرادته بالحب والخوف والرجاء والتوكل، والمعاملة
بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وغزواته، وإرادته هو
جنة الدنيا والنعم الذي لا يشبهه نعيم وهو قرة عين المحبين وحياة
العارفين.

والله ما طلعت شمس ولا غربت :: إلا وجبك مقرون بأنفاسي
ولا جلست إلي قوم أحدثهم :: إلا وأنت حديثي بين جلاسي

::
:
:
:
:

قال الفتح الموصلي: المحب لا يجد مع حب الله للدنيا لذة ولا يغفل عن
ذكر الله طرى عين.

لا لأنني أنساك أكثر ذكراك :: ولكن بذاك يجري لساني
ولله در القائل:

::
:
:
:
:
:

خطرات ذكرى تستثير مودتي :: وأحس منها في الفؤاد ديبياً
لا عضو في إلا وفيه محبة :: فعهدك أعضائي خلقت قلوباً
إذا نسي الناس العهود وأغفلوا :: فعهدك في قلبي وذكرك في فمي

والمحب لله طاهر القلب كثير الذكر متسبب إلى رضوانه بكل سبيل
يقدر عليه من الوسائل والنوافل شوقاً.

ذكرتك لأنني نسيتك لحظه :: وأهون ما في الذكر ذكر لساني

وكان أحد العباد يستشعر حضور الملائكة لمجالس الذكر فيقول حين
يشرح في ذكره: أهلاً بملائكة ربي لا أعدمكم اليوم خيراً خذوا علي

بركة الله.

يقول يحيى بن معاذ الرازي: يا جهول لو سمعت صرير الأقلام في اللوح المحفوظ وهي تكتب اسمك عند ذكرك لمولاك لمت شوقاً إلي مولاك.

والله عز وجل يباهي بالذاكرين ملائكته فعن أبي سعيد الخدري قال: خرج معاوية عل حلقه في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى فقال: الله. ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: الله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: أما إنني أستحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثاً مني وإن رسول الله ﷺ خرج علي حلقه من أصحابه فقال: “ما أجلسكم؟ قالوا جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده علي ما هدانا إليه للإسلام ومن به علينا. قال: “الله ما أجلسكم إلا ذاك - قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال: “أما إن لم أستحلفكم تهمة لكم ولكن أتاني جبريل فأخبرني أن الله تبارك وتعال يباهي بكم الملائكة-⁽¹⁾.

وإن مدمن الذكر يدخل الجن وهو يضحك، فله درها من منزلة ومباهاة الله عز وجل بالذاكرين الملائكة دليل على شرف الذاكر عنده ومحبتة له، وأنفرية علي غيره ومن الأعمال.

يقول ابن القيم: من الذاكرين من يبتدئ بذكر اللسان وإن كان علي غفلة ثم لا يزال فيه حتي يحضر قلبه فيتواطأ علي الذكر، ومنهم من لا يبتدئ علي غفلة بل يسكن حتي يحضر قلبه فيشرع في الذكر بقلبه، فإذا قوي استتبع لسانه فتواطأ جميعاً، والأول: ينقل الذكر من لسانه إلي قلبه والثاني: ينتقل من قلبه إلي لسانه من غير أن يخلو قلبه منه، بل يسكن أولاً حتي يحس بظهور الناطق فيه، فإذا أحس بذلك نطق قلبه ثم انتقل النطق إلي ذكر اللسان ثم يستغرق في ذلك حتي يجد كل شيء منه ذاكرةً. وأفضل الذكر وأنفعه: ما وطأ فيه القلب واللسان وكان من الأذكار النبويه وشهد الذاكر معانيه ومقاصده⁽¹⁾.

(1) مسلم.

(1) ابن القيم: الفوائد، ص 260.

قال رسول الله ﷺ لا يجلس قومٌ مجلساً لا يصلون فيه على رسول الله ﷺ إلا كان عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب⁽²⁾.

ومبنى الدين على قاعدتين: الذكر والشكر قال تعالى: { فَادْكُرُوا اللَّهَ إِذْ كُنْتُمْ وَاشْكُرُوا إِلَيْهِ وَلَا تَكْفُرُوا } [البقرة: ١٥٢].

وقال النبي ﷺ لمعاذ: "والله إني لأحبك فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك—".

وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل ذكر القلبى واللسانى وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونهيه، وذكره بكلامه وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح. وذلك لا يتم إلا بتوحيده فذكره الحقيقى يستلزم ذلك كله، ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه.

وأما الشكر: فهو القيام له بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهرا وباطنا، وهذان الأمران هما جماع الدين فذكره مستلزم لمعرفته، وشكره متضمن لطاعته، وهذان هما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس والسموات والأرض ووضع لأجلها الثواب والعقاب، وأنزل الكتاب وأرسل الرسل وهى الحق الذي به خلقت السموات والأرض وما بينهما. فثبت بما ذكر أن غاية الخلق والأمر أن يذكر وأن يشكر، يذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر. وهو سبحانه ذاكر لمن ذكره شاكر لمن شكره، فذكره سبب لذكره وشكره سبب لزيادته من فضله، فالذكر للقلب واللسان والشكر للقلب محبة وإنابة، واللسان ثناء وحمد وللجوراح طاعة وخدمة⁽³⁾.

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه الا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة—"⁽¹⁾.

(2) النسائى.

(3) ابن القيم: الفوائد، ص 176، 177.

(1) أحمد وأبو داود.

وأى لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح في غفلته عن الله.

وقال بعض العارفين: لو أقبل عبد على الله تعالى كذا وكذا سنة ثم أعرض لحظة لكان ما فاتته أعظم مما حصله.

فعن أم حبيبة زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: "كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر وذكرًا لله عز وجل—"
(2)

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺ قال: "ليس تحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها."⁽³⁾

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: لكل شيء جلاء وإن جلاء القلوب ذكر الله عز وجل.

وذكر البيهقي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: "لكل شيء صقالة وإن صقالة القلوب ذكر الله عز وجل، وما من شيء أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر الله عز وجل - قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل؟ قال: "ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع—".

ولا ريب أن القلب يصدأ النحاس والفضة وغيرها، وجلاؤه بالذكر فإنه يجلوه حتى كالمرأة البيضاء. فإذا ترك صدأ فإذا ذكره جلاه.

وصدأ القلوب بأمرين بالغفلة وبالذنب، وجلاؤه بشيئين: بالاستغفار والذكر، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته كان الصدأ متراكباً على قلبه وصدؤه بحسب غفلته، وإذا صدأ القلب لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هي عليه، فيرى الباطل في صورة الحق والحق في صورة الباطل، لأنه لما تراكم عليه الصدأ اظلم فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هي عليه.

(2) الترمذي.

(3) البيهقي والطبراني.

فاذا تراكم عليه الصداً واسود وركبه الران فسد تصوره وإدراكه، فلا يقبل حقاً ولا ينكر باطلاً. وهذا أعظم عقوبات القلب وأصل ذلك من الغفلة واتباع الهوى فانهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره.

قال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨].

فاذا أراد العبد أن يقتدى برجل فليُنظر: هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟

وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة كان أمره فرطاً.

ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع أى: أمره الذي يجب أن يلزمه ويقوم به، وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه، وفسر بالإسراف أى: قد أفرط وفسر بالهلاك وفسر بالخلاف للحق، وكلها أقوال متقاربة، والمقصود: أن الله سبحانه وتعالى نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات، فينبغى للرجل أن ينظر في شيخه وقدرته ومتبوعه، فإن وجده كذلك فليبعد منه، وإن وجده ممن غلب عليه ذكر الله تعالى واتباع السنة وأمره غير مفروط عليه بل هو حازم في أمره فليتمسك بغرضه، ولا فرق بين الحى والميت إلا بالذكر، فمثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحى والميت.

ومن المواقف:

عجزت النساء أن يلدن مثلك يا معاذ:

معاذ بن جبل رضي الله عنه

قال رسول الله ﷺ: "خذو القرآن من أربعة: من ابن مسعود وأبي

معاذ بن جبل وسالم أبي حذيفة".⁽³⁾

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: جمع القرآن على عهد رسول الله ﷺ أربع كلهم من الأنصار: أبي بن كعب وزيد ومعاذ بن جبل وأبو زيد وأحد عمومتى⁽⁴⁾.

وقال عمر بن الخطاب: عجزت النساء أن يلدن مثلك يا معاذ. هذا العالم العابد المجاهد ما بكى عند الموت إلا على مجالس الذكر، ففي مرض موته قال: اخنق خنقك فوعزتكم إنني أحبكم..... اللهم إنني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك.... اللهم إنك تعلم إنني ما كنت أحب البقاء في الدنيا لكرى الأنهار ولا غرس الأشجار، وإنما لمكابدة الساعات، وظمأ الهواجر ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر. وقال معاذ رضي الله عنه: ما عمل آدمي عمل أنجى له من عذاب الله، من ذكر الله قالوا: يا أبا عبد الرحمن، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا الجهاد

إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع لأن الله تعالى يقول في كتابه: { أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ } [العنكبوت: ٤٥].

يختم القرآن كله في كل ركعه!!!:

ذو النورين: عثمان بن عفان.

قال عبد الرحمن التيمي: لأغلبن الليلة على المقام قال: فلما صليت العنتمه تخلصت إلى المقام حتى قمت فيه، فبينما أنا قائم إذا رجل وضع يده بين كتفي فإذا هو بعثمان بن عفان فبدأ بأمر القرآن فقرأ حتى ختم القرآن فركع وسجد ثم أخذ نعليه فلا أدري أصلى قبل ذلك شيئا أم لا.

فكان رضي الله عنه يقرأ القرآن في ركعه ثم يوتر بها.

وعن ابن سيرين قال: قالت امرأة عثمان حين قتل: لقد قتلتموه وإنه ليحيى الليل كله بالقرآن في كل ركعه.

قال ابن كثير: وقد روى من غير وجه أنه صلى بالقرآن العظيم في ركعة واحدة عند الحجر الأسود أيام الحج، وقد كان هذا من دأبه رضي الله عنه ولهذا روي عن عمر أنه قال في قوله تعالى: { أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ } [الزمر: ٩]، هو عثمان بن عفان. وقال فيه حسان بن ثابت:

ضحوا بأشمط عنوان السجود :: يقطع الليل تسبيحا وقرآنا به

قال النووي: فمن الذين كانوا يختمون الختمة في اليوم والليله: عثمان ابن عفان رضي الله عنه وتميم الداري، وسعيد بن جبير ومجاهد والشافعي وغيرهم.

يسبح مائة ألف تسبيحه في اليوم:
أبو الدرداء رضي الله عنه.

عن أبي حليس: قيل لأبي الدرداء وكان لا يفترض من الذكر: كم تسبح في كل يوم؟ قال: مائة ألف إلا أن تخطئ الأصابع!!

يختم القرآن في سبع:

تميم الداري رضي الله عنه.

عن أبي المهلب: كان تميم الداري يتم القرآن في سبع.

وعن ابن سيرين: أن تميماً الداري كان يقول القرآن في كل ركعة.

يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة:

أبو هريرة رضي الله عنه.

عن عكرمة أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة

يقول: أسبح قدر ديتي!!!

يرفع صوته بالتكبير حتى مع الصبيان:

أبو مسلم الخولاني.

كان يرفع صوته بالتكبير حتى مع الصبيان ويقول: ” اذكروا الله حتى

يرى الجاهل أنك مجنون ”، وفي رواية: ” أنه مجنون ”.

يختم القرآن في رمضان كل ليلتين:

الأسود بن يزيد النخعي.

عن إبراهيم قال: كان الأسود النخعي يختم القرآن في رمضان كل ليلتين وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان كل ست ليال.

يقرأ القرآن كل ليلة ثلاث مرات:

الإمام سليم بن عتر.

قاضي مصر وواعظها وقاصها وعابدها، وكان يدعى الناسك لشدة تأله، وعن الحارث بن يزيد أن سليم بن عتر كان يقرأ القرآن كل ليلة ثلاث مرات.

يختم القرآن كل ليلتين:

سعيد بن جبير رضي الله عنه.

عن عبد الملك بن أبي سليمان عن سعيد بن جبير أنه كان يختم القرآن في كل ليلتين.

يقوم الليل بربع القرآن:

عروة بن الزبير.

عن ابن شوذب قال: كان عروه يقرأ القرآن كل يوم في المصحف نظراً، ويقوم به الليل فما تركه إلا ليلة قطعت رجله وكان وقع فيها الأكله فنشرت، وكان إذا كان أيام الرطب يثلم حائطه ثم يأذن للناس فيه فيدخلون فيأكلون ويحملون.

يختم القرآن كل جمعة:

عبد الله بن محيريز.

قال عمرو بن عبد الرحمن بن محيريز: كان جدى يختم في كل جمعة وربما فرشنا له فلم ينم عليه.

يقرئ الناس أربعين سنة:

أبو عبد الرحمن السلمى عبد الله بن حبيب مقرئ الكوفة.

عن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "خيركم الذي تعلم القرآن وعلمه".⁽¹⁾

قال أبو عبد الرحمن: فذلك أقعدنى هذا المقعد.

قال أبو إسحاق السبيعي: أن أبا عبد الرحمن كان يقرئ الناس في المسجد الأعظم أربعين سنة.

وقال رحمه الله: أنا أخذنا القرآن عن قوم أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يجاوزوهن إلى العشر الأخر حتى يعلموا ما فيهن، فكنا نتعلم القرآن والعمل به وأنه سيرث القرآن بعدنا قوم يشربونه شرب الماء لا يجاوز تراقيهم بل لا يجاوز هاهنا ووضع يده على حلقه.

يشتم من فيه رائحة المسك:

نافع بن عبد الرحمن.. المقرئ المdney.

قال مالك: نافع إمام الناس في القراءة.

وقال أحمد بن بن هلال المصرى: قال لى رجل ممن قرأ على نافع: أن نافعاً كان إذا تكلم يشتم من فيه رائحة المسك، فقلت له: يا أبا عبد الله، تتطيب كلما قعدت تقرئ؟ قال: ما أمس طيباً ولكنى رأيت النبى ﷺ وهو يتفل في في فمن ذلك الوقت أشم من في هذه الرائحة؟

جزى الله بالخيرات عنا آثمة :: لنا نقلوا القرآن عذبا وسلسلا

ما أظن الله خلق مثلك!!:

قتاده بن دعامة.

قال سفيان الثورى: هل كان في الدنيا مثل قتادة؟!

وقال سعيد بن المسيب لقتاده: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك.

قال سلام بن أبي مطيع كان قتاده يختم القرآن في سبع فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة.

يبيل عمامته من دموع عينه:
منصور بن زاذان.

شيخ واسط علما وعملا المتيسر له قراءة القرآن.
قال عنه ابن سعد: كان ثقة حجة سريع القراءة يريد أن يترسل فلا يستطيع، وكان يختتم في الضحى.

قال يزيد بن هارون: كان منصور بن زاذان يقرأ القرآن كله في صلاة الضحى وكان يختم القرآن في الأولى إلى العصر، ويختم في اليوم مرتين ويصلى الليل كله، وكان رحمه الله يبيل عمامته من دموع عينيه.

قال هشيم: كان منصور لو قيل له: إن ملك الموت على الباب ما كان عنده زيادة في العمل. وكان يصلى من طلوع الشمس إلى أن يصلى العصر ثم يسبح على المغرب.

- يذكر الله حتى تغيب الشمس في المسجد:
حسان بن عطية.

قال الأوزاعي: ما رأيت أحداً أكثر عملا في الخير من حسان بن عطية وقال الأوزاعي أيضا: كان حسان بن عطية إذا صلى العصر يذكر الله تعالى في المسجد حتى تغيب الشمس.

- نظر في المصحف حتى خشى أن يذهب بصره:
حمزة بن حبيب الزيات أحد القراء السبعة.

قال المذهبي: كان إماماً حجة قيما بكتاب الله عابدا خاشعا قانتا لله تخين الورع عديم النظير.

كان شعيب بن حرب يقول لأصحابه الحديث: ألا تسألني عن صاحب الدر؟ قراءة حمزة.

وقال يحيى بن معين: سمعت محمد بن فضيل يقول: ما أحسب أن الله

يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة.

وقال حمزه: نظرت في كتاب الله حتى خشيت أن يذهب بصرى.
وكان رحمه الله يقرأ القرآن حتى يتفرق الناس ثم ينهض فيصلى
أربع ركعات ثم يصلى ما بين الظهر والعصر، وما بين المغرب والعشاء،
وحدث بعض جيرانه أنه لا ينام الليل وأنهم يسمعون قراءته يرتل القرآن.
ما بين نحره إلى فؤاده مثل ورقة المصحف من نور القرآن.

أبو جعفر زيد بن القعقاع القارئ: أحد القراء العشرة

قال سلمان بن مسلم: شهدت أبا جعفر حين احتضر جاء أبو حازم
ومشيخه فأكبوا عليه يصرخون به فلم يجبههم.
وكان ختنه على بن أبي جعفر: ألا أريكم منه عجباً؟
قالوا: بلى، فكشف عن صدره فإذا دواره بيضاء مثل اللبن فقال
أبو حازم وأصحابه: هذا والله نور القرآن. قال سليمان: فقالت لى أم ولده
بعد ما مات: صار ذلك البياض غرة بين عينيه!!!
وعن نافع قال: لما غسل أبو جعفر القارئ نظروا ما بين نحره إلى
فؤاده مثل ورقه المصحف فما شك من حضره أنه نور القرآن رحمه الله.
بأبى وأمى ذلك السيد الذي خالط القرآن لحمه ودمه، وكان نورا في
صدره وبين عينيه بعد وفاته.
عن مالك بن أنس: كان جعفر القارئ إذا مر سائل وهو يصلى بالليل
دعاه فيستتر منه ثم يلقى إليه إزاره!!

يختم القرآن أربعة وعشرين ألف ختمة؟!

أبو بكر بن عياش شيخ الإسلام وبقيّة الأعلام.

قال الذهبي: قد روى من وجوه متعددة أن أبا بكر بن عياش مكث
نحواً من أربعين سنة يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة وهذه عبادة
يخضع لها.

قال يحيى الحمانى: لما حضرت أبا بكر الوفاة بكت أخته فقال لها: ما

بيكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية فقد ختم أخوك فيها عشرة ألف ختمة.

كان رحمه الله يقول: يا ملكي ادعو الله لي فإنكما أطوع الله مني.

قال الإمام النووي: هو الإمام المجمع على فضله واسمه وكنيته على الصحيح رويانا عن ابنه إبراهيم قال: قال لي أبي: إن أباك لم يأت فاحشه قط، وإنه ختم القرآن منذ ثلاثين سنة كل يوم مرة. ورويانا عنه أنه قال لابنه:

يا بني إياك أن تعصى الله في هذه الغرفة فإنني ختمت فيها اثنتي عشرة ألف ختمة ورويانا عنه أنه قال لابنته عند موته وقد بكّت: يا بنية لا تبكي، أتخافين أن عذبنى الله تعالى وقد ختمت في هذه الزاوية أربعة وعشرين ألف ختمة؟!

إذا قرأ القرآن لم تحس في المسجد حركة كأن ليس فيه أحد:
يحيى بن وثاب القارئ؟!

قال الأعمش: يحيى بن وثاب أقرأ من بال على ترب.

وقال الأعمش: كان يحيى من أحسن الناس قراءة وربما أستهيت تقبيل رأسه لحسن قراءته وكان وإذا قرأ لم تحس في المسجد حركة كأن ليس في المسجد أحد.

وقال الأعمش: كنت إذا رأيته قلت: هذا قد وقف للحساب.

يختم القرآن في اليوم واللييلة ثلاث مرات:
كرز بن وبره.

له الصيت البالغ في النسك والتعبد.

سأل ربه أن يقوى حتى يختم القرآن في اليوم واللييلة ثلاث مرات.

يقرأ القرآن في يوم ولييلة ويصوم الدهر:
ثابت البنائي.

قال السمعاني: هو من تابعى البصرة صحب أنس أربعين سنة وكان أعبد أهل البصرة.

قال شعبة: كان ثابت البنائي يقرأ القرآن في يوم ولييلة ويصوم الدهر.

يقرأ القرآن في ركعتين: أبو حنيفة النعمان.

قال الكروري: كان أبو حنيفة النعمان يختم القرآن في كل يوم وليلة مرة وفي رمضان كل يوم مرتين مرة في النهار ومرة في الليل.

وقال ابن المبارك: كان أبو حنيفة يجمع القرآن في ركعتين، وقال أيضاً: أربعة من الأئمة ختموا القرآن في ركعتين: عثمان بن عفان وتميم الداري وسعد بن جبير وأبو حنيفة.

وعن أسد بن عمر: كان أبو حنيفة عامة الليل يقرأ القرآن في ركعة وعن مسعر بن كدام قال: دخلت المسجد فرأيت رجلاً يصلي فاستحليت قراءته فقرأ سبعة فقلت يركع ثم قرأ الثلث ثم النصف فلم يزل يقرأ حتى ختمه كله في ركعة فنظرت فإذا أبو حنيفة.

يختم القرآن كل ليلة ويصوم الدهر: وكيع بن الجراح.

قال الكفوي: قال حيي بن أكرم: صحبته في الحضر والسفر وكان يصوم الدهر ويختم القرآن كل ليلة.

وعن محمد بن جرير قال: مكث وكيع بعبادان أربعين ليلة وختم أربعين مرة وتصدق بأربعين ألف درهم.

جزءوا الليل ثلاثة أجزاء يختمون فيها القرآن بينهم كل ليلة: الحسن بن صالح بن حي الثوري.

قال وكيع: كان الحسن وعلى ابنا صالح وأمهما قد جزءوا الليل ثلاثة أجزاء يختمون فيه القرآن في بيتهم كل الليلة، فكان كل واحد يقوم بثلاثة فماتت أمهما فكانا يختمانها، ثم مات على فكان الحسن يختم كل ليلة.

يختم القرآن كل ليلة ويدعو لألف إنسان:

يحيى بن معين:

أقام يحيى بن سعيد عشرين سنة يختم القرآن كل ليلة.
وقال عمرو بن على: كان يحيى بن سعيد القطان يختم القرآن كل يوم
وليلة يدعو لألف إنسان ثم يخرج بعد العصر يحدث الناس.
وقال على بن المدينى: كنا عند يحيى بن سعيد فقرأ رجل سورة
الدخان فصعق يحيى وغشى عليه.
قال أحمد بن حنبل: لو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى -
يعنى الصعق.

وقال يحيى بن معين: كان يحيى بن سعيد يجيء معه بمسباح فيدخل
يده في ثيابه فيسبح.

يختم القرآن في رمضان ستين ختمة:

إمام الدنيا وناصر السنة الشافعى.

قال حسين الكرابيسى: بت مع الشافعى ليلة فكان يصلي نحو ثلث الليل
فما رأيته يزيد على خمسين آية فإذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة
إلا سأل الله ولا بآية عذاب إلا تعوذ وكأنا له الرجاء والهيبة جمعا.
وقال الربيع بن سليمان: كان الشافعى يختم القرآن في شهر رمضان
ستين ختمة كل ذلك في صلاة.

قال الربيع: نمت في منزل الشافعى ليالٍ فلم يكن ينام إلا يسيرا
من الليل.

وقال الحميدى: كان الشافعى يختم القرآن كل يوم ختمة.

هم الرجال وعيب أن يقال لمن :: لم يتصف بمعانى وصفهم رجل

يصلّى في اليوم والليله ثلاثمائة ركعة: إمام أهل السنه: أحمد بن حنبل.

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كان أبى يصلّى في كل يوم وليله ثلاثمائة ركعة فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته فكان يصلّى في كل يوم و ليلة مائة وخمسين ركعة وكان قرب الثمانين.

أنت تدري أيها الحيران عنا :: كيف فوق الشمس أزمانا حللنا

يقول عبد الله بن أحمد بن حنبل: وكان يقرأ في كل يوم سبعا يختتم في كل سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سبع ليال سوى صلاة النهار، وكان ساعة يصلّى عشاء الأخرة ينام نومة خفيفة ثم يقوم إلى الصباح يصلّى ويدعو.

وقال هلال بن علاء: خرج الشافعي ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل إلى مكة فلما أن صاروا بمكة نزلوا بموضع، فأما الشافعي فإنه استلقى، ويحيى ابن معين أيضا استلقى، وأحمد بن حنبل قائم يصلّى فلما أصبحوا قال الشافعي: لقد علمت للمسلمين مائتي مسألة.

قيل ليحيى بن معين: أى شيء علمت؟ قال: نفيت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتي كذاب.

وقيل لأحمد بن حنبل: فأنت؟ قال: صليت ركعات ختمت فيها القرآن. وعن جعفر بن أبى هاشم قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ختمت القرآن في يوم فعددت موضع الصبر فإذا هو نيف وتسعون. يختم القرآن في كل يوم وفي رمضان ثلاث ختمات في اليوم. أبو عباس: أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء.

قال أبو الحسين محمد بن على صاحب الجنيذ بن محمد: صحبت أبا العباس بن عطاء عدة سنين متأدباً بأدبه، وكان له في كل يوم ختمة وفي كل شهر رمضان - في كل ويوم و ليلة ثلاث ختمات.

يصلى كل يوم خمس مئة ركعة:

بشر بن الحارث الحافى.

قال على بن المدينى: ما رأيت أخوف لله منه كان يصلى كل يوم خمس مئة ركعة.

وقال ابن المدينى: حفر بشر قبره وختم فيه القرآن وكان ورده ثلث القرآن.

يغشى عليه إذا سمع القرآن:

عبد الرحمن بن مهدى.

قال على بن المدينى: كان ورد عبد الرحمن كل ليلة نصف القرآن قال المذهبي: عبد الرحمن له دلالة عجيبة وكان يغشى عليه إذا سمع القرآن.

يسبح كل يوم مئة ألف تسبيحة:

عمر بن هانى العيسى الدارنى.

قال أبو داود: كان عمير بن هانى قدريا يسبح كل يوم مئة ألف تسبيحة

يختم القرآن أربع مرات في اليوم:

أبو قبيصة محمد بن عبد الرحمن الضبى.

قال إسماعيل الخطي: سألت أبا قبيصة وكان أدرس من رأيناه للقرآن عن أكثر ما قرأ في يوم وكان يوصف بسرعة القراءة فامتنع أن يخبرنى، فلم أزل به حتى قال: قرأت يوماً من أيام الصيف أربع ختم وبلغت في الخامسة حتى: {بَرَاءَةٌ} وأذنت العصر.

قال: وكان من أهل الصدق.

يختم القرآن اثنتى عشرة ألف ختمة:

الكتانى أبو بكر محمد بن على بن جعفر.

قال مذهبى: يقال: ختم الكتانى في الطواف اثنتى عشرة ألف ختمة وكان من الأولياء.

وكان رحمه الله يقول: من حكم المرید أن يكون نومه غلبة وأكلة فاقة وكلامه ضرورة.

صار القرآن كأنه بين عينيه:

أبو سهل القطان: أحمد بن محمد بن عبد الله.

قال أبو عبد الله بن بشر القطان: ما رأيت أحسن انتزاعا لما أراد كمن أتى القرآن من أبي سهل بن زاد وكان جارنا، وكان يديم صلاة الليل فلكثرة درسه للقرآن كأنه بين عينيه.

يسبح وهو بين يدي الحجام:

الإمام أحمد بن حرب.

قال زكريا بن دلويه: كان أحمد بن حرب إذا جلس بين يدي الحجام ليحف شاربه يسبح فيقول له الحجام: اسكت ساعة فيقول: اعمل أنت عملك وربما قطع من شفته وهو لا يعلم.

وقال محمد بن يحيى: مر أحمد بن حرب يصيبان يلعبون فقال أحدهم: أمسكوا، فإن هذا أحمد بن حرب الذي لا ينام الليل فقبض على لحيته وقال: الصبيان يهابونك وأنت تنام؟ فأحيا الليل بعد ذلك حتى مات.

وقال يحيى بن يحيى التميمي: إن لم يكن أحمد بن حرب من الأبدال ولا أدري من هم؟!!

وقال أحمد بن حرب رحمه الله: عبدت الله خمسين سنة فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركت ثلاثة أشياء: تركت رضا الناس حتى قدرت أتكلم بالحق، وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين، وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة.

ينشر وهو يذكر الله:

ولما مات كان يسمع من جسده قراءة القرآن.

الإمام القدوة الشهيد أبو بكر محمد بن أحمد بن سهل المعروف بابن النابلسي.

سجنه بنو عبيد - الفاطميون - وصلبوه على السنة وسمع الدارقطني يذكره ويبكى ويقول: كان يقول: وهو يسلمخ: { كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا } [الإسراء: ٥٨].

قال أبو الفرج بن الفرج: أقام جوهر - القائد - لأبى تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي وكان ينزل الأكواخ فقال له: بلغني أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم وجب أن يرمي في الروم سهمًا وفينا تسعة، قال: ما قلت هذا، بل قلت إذا كان معه عشرة أسهم وجب أن يرميكم بتسعة وأن يرمي العاشر فيكم أيضًا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتهم نور الألوهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديا فسلخه.

قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي: أخبرني الثقة أن أبا بكر سلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه وكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر فرحمه السلاخ فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه، وأخبرني الثقة أنه كان إمامًا في الحديث والفقه صائم الدهر كبير الصولة عند العامة والخاصة، ولما سلخ كان سمع من جسده قراءة القرآن.

يختم القرآن كل ليلة:

أبو بشر أحمد بن محمد بن حسنويه.

ذكر العلامة ابن الأثير في "اللباب في تهذيب الأنساب" وقال: سمع محمد ابن إسحاق يقول: كان أبو بشر - يختم القرآن كل ليلة - توفي سنة 390 هـ رحمه الله تعالى.

يموت ساجدًا لله:

جعفر بن الحسن الحنبلي.

قال الحافظ ابن رجب: كان من عباد الله الصالحين أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر وله المقامات المشهودة في ذلك كان مداوماً على الصيام والتهجد والقيام له ختمات كثيرة جداً كل ختمه منها ركعة توفي في الصلاة - ساجدًا - سنة 506 هـ رحمة الله تعالى.

كان من شدة اشتغاله بالله مثل مجنون أو واله:

أبو الحسن الباهلي.

قال عنه أبو إسحاق الإسفراييني: أنا في جنب شيخنا أبي الحسن الباهلي كقطرة في بحر.

وقال ابن الباقلاني: كان الباهلي من شدة اشتغاله بالله مثل مجنون أو واله.

يحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة:

الحافظ ابن عساكر.

قال ابن القاسم: كان أبي مواظباً على صلاة الجماعة وتلاوة القرآن يختم كل جمعة ويختم في رمضان كل يوم، وكان كثير النوافل والأذكار ويحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة.

نور يأتيه من السماء حتى يبصر فيتوضأ:

الإمام عبد الرحمن بن علي بن المسلم.

قال ابن الحاجب: كان فقيهاً عدلاً صالحاً يتلو كل يوم وليلة ختمة وقال أبو حامد ابن الصابوني في كتابه: أضر في الآخرة وأقعد، فاحتاج إلى وضوء في الليل وما عنده أحد فذكر أنه قال: بينا أنا أتفكر إذ بنور من السماء داخل البيت فبصرت بالماء فتوضأت، حدث بعض إخوانه بهذا وأوصاه ألا يخبر به إلا بعد موته.

كثير الأوراد والذكر:

ابن قدامة المقدسي.

قال المذهبي: كان قدوة صالحاً قانتاً لله ربانياً خاشعاً مخلصاً وعتيد النظر كبير القدر كثير الأوراد والذكر والمروءة والفتوة والصفات الحميدة قل أن ترى العون مثله يتلو كل ليلة سبعاً مرتلاً في الصلاة وفي النهار سبعين بين الصلاتين.

يقرأ ختمتين قبل أن يطلع الفجر:

أحمد بن رضوان مصنف كتاب الواضح في القراءات العشر.

قال أبو بكر الخطيب: كان أحمد بن رضوان أحد القراء المذكورين بإتقان الروايات، له في ذلك تصانيف توفى وهو شاب، وقد كان الناس يقرؤون عليه في حياة الحمامى لعلمه، حضرته ليلة في الجامع فقرأ ختمتين قبل أن يطلع الفجر.

عديم النظير كبير القدر:

شيخ الإسلام ابن تيمية.

قال عنه البزار: أما تعبد رضى الله عنه فإنه قل أن سمع بمثله؛ لأنه كان قد قطع جل وقته وزمانه فيه، حتى أنه لم يجعل لنفسه شاعلة تشغله عن الله تعالى ما راد له لا مواظبا على تلاوة القرآن العظيم، وكان قد عرفت عبادته لا كلمه أحمد بغير ضرورة بعد صلاة الفجر فلا يزال في الذكر يسمع نفسه وربما يسمع ذكره من إلى جانبه هكذا دأبه حتى ترتفع الشمس.

وقال شيخ الإسلام ابن القيم: حضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلى وقال: هذه غدوتي ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي أو كلاما قريبا من هذا.

وقال لى مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفس وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر. أو كلاماً هذا معناه.

وقال ابن القيم: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسّمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء؟!!

وقال: سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة.

وقال لى مرة: ما يصنع أعدائي بى؟ أنا جنتى وبستانى في صدرى إن رحمت فهى معى لا تفارقنى، إن حبسى خلوة وقتلى شهادة وإخراجى من بلدى سياحة.

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير ونحو هذا.

وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هو اه.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. ماشاء الله.

ولما دخل القلعة وصار داخل سورها نظر إليها وقال: { فَضْرَبَ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ } [الحديد: ١٣]. وما هذا إلا لتفرغه لتلاوة القرآن في السجن بعد أن أخذوا منه أقلامه وكتبه ودفاتره.

وختم القرآن مده إقامته بالقلعة ثمانين أو إحدى وثمانين ختمة انتهى في آخر ختمة إلى آخر: { أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ } [القمر: ١]، { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۖ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْدِرٍ ۝٥٥ } [القمر: ٥٤ - ٥٥]، ثم كمت بعد وفاته وهو مسبح، كان كل يوم يقرأ ثلاثة أجزاء - يختم في عشرة أيام^(١).

من كثرة ذكره يقال عنه مجنون: أبو مسلم الخولاني.

وكان أبو مسلم الخولاني كثير الذكر فرآه بعض الناس فأنكر حاله، فقال لأصحابه: أمجنون صاحبكم؟! فسمعه أبو مسلم فقال: لا يا أخى ولكن هذا دواء الجنون.

عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: "أكثرُوا ذِكْرَ اللَّهِ حَتَّى يَقُولُوا: مجنون-"^(٢).

وقد شرطت على قوم صحبتهم :: بأن قلبي لكم من دونهم غرض
ومن حديثي بكم قالوا به مرض : فقلت لا أذهب الله عنى ذلك

(١) بتصرف من كتاب تحفة العلماء بترتيب سير أعلام النبلاء: ص 228، 260 - وص 396 - 401 وبتصرف، صلاح الأمه: ج 3/ص 37 وما بعدها.
(2) أحمد.

:: المرض :: :

**يسبح وهو مصلوب:
ماهان العابد.**

أمر الحجاج بن يوسف الثقفي بصلب ماهان فرفع على خشبة وهو يسبح ويهال ويعد بيده حتى بلغ تسعاً وعشرين فبقى شهراً بعد موته ويده على ذلك العقد مضمومة.

لتحشرن عظامي بعدما بليت :: يوم الحساب وفيها حبكم علق

**يسبح وهو يغسل!!:
خالد بن معدان.**

وكان خالد بن معدان يسبح كل يوم أربعين ألف تسبيحه سوى ما يقرأ من القرآن فلما مات وضع على سريره ليغسل فجعل يشير بأصبعه يحركها بالتسبيح.

ظلت تسبح حتى اختلست من أيدي الرجال أمام القبر.

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: كانت عندنا امرأة بمكة تسبح كل يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة فماتت فلما بلغت القبر اختلست من أيدي الرجال.
في مرض الموت يقول في اليوم الله الله خمسة عشر ألف مرة:
ابن عساكر.

قال ولده إسماعيل: كان أبي في كل يوم وليلة من أيام مرضه يقول: الله الله، نحواً من خمسة عشر ألف مرة فما زال يقولها حتى طفي.

**يشتهي الجنة ويأمر بذكر الله:
الحافظ المقدسي.**

الإمام الحافظ عبد الغنى المقدسي العابد الأثرى على الحفاظ قال له ابنه: أبو موسى في مرض موته: ما تشتهي؟ فيقول: أشتهي الجنة أشتهي رحمة الله لايزيد على ذلك، أشتهي النظر إلى وجه الله سبحانه.

وجاء جماعه يعودونه فسلموا عليه فرد عليهم وجعلوا يتحدثون فقال: ما هذا؟ اذكروا الله، قالوا: لا إله إلا الله فلما قاموا جعل يذكر الله بشفتيه ويشير بعينه فقامت لأنول رجلاً كتاباً من جانب المسجد فرجعت وقد خرجت روحه.

أشد الناس مواظبه على الخير والذكر: حماد بن سلمة.

قال عفان: رأيت من هو أعبد من حماد بن سلمة ولكن أشد مواظبة على الخير وقراءة القرآن والعمل لله تعالى منه رحمة الله.
وقال موسى بن إسماعيل التبودكي: لو قلت لكم: إنى ما رأيت حماد بن سلمة ضاحكا لصدقت كان مشغولاً إما أن يحدث، أو يقرأ، أو يسبح، أو يصلى قد قسم النهار على ذلك.
قال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد.

يموت ممسكاً بالمسبحة وهو يسبح: أسد الشام: عبد الله الوينى.

حكى ابن كثير كيف كان موته فقول: انصرف من الصلاة فقال للشيخ داود المؤذن وكان يغسل الموتى: انظر كيف تكون غدا، ثم صعد الشيخ إلى زاويته فبات يذكر الله تعالى تلك اللية، ويتذكر أصحابه ومن أحسن إليه وهو بأدنى شيء يدعو لهم، فلما دخل وقت الصبح صلى بأصحابه ثم استند يذكر الله تعالى وفى يده سبحة فمات وهو كذلك جالس لم يسقط ولم تسقط السبحة من يده، فلما انتهى الخبر إلى الملك الأمجد صاحب بعلبك، ف جاء إليه فعانه كذلك، فقال: لو بنينا عليه بنيانا هكذا يشاهد الناس منه آية فقل له ليس هذا من السنة فنحى وكفن وصلى عليه ودفن تحت اللوزة التي كان يجلس تحتها يذكر الله تعالى رحمه الله.

فاقد الأحبال الصوتية عند موته يقرأ القرآن بصوت جهوري:

يحكى الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري فيقول:
حدثني أخى الشيخ محفوظ الشقيطى مدير عام العلاقات بمجمع الملك

فهد للمصحف الشريف عن شيخ القراء بالمجمع الشيخ عامر السيد عثمان - رحمه الله تعالى - أنه فقد أحباله الصوتيه في السنوات السبع الآخرة من حياته وكان يدرس تلاميذه القراءة، فلا يصحح لهم إلا بشهيق وإيماء ثم مرض مرض الوفاة وكان طريح السرير الأبيض بالمستشفى، ففوجئ آل المستشفى بالرجل مدة ثلاثة أيام ختم فيهن القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس ثم أسلم الروح إلى بارئها.

أنت تعمل، وأنا أعمل:

- كان حجام يأخذ من شارب معروف وكان معروف يسبح فقال الحجام لا يتهيأ أخذ الشارب وأنت تسبح فقال معروف: أنت تعمل وأنا لا أعمل.

حتى كاد أن يسقط:

قال أبو بكر بن أبي طالب دخلت مسجد معروف وكان في منزله فخرج إلينا ونحن جماعة فقال السلام عليكم ورحمة الله فرددنا عليه السلام فقال حياكم الله بالسلام ونعمنا وإياكم في الدنيا والأحران ثم أذن فلما أخذ في الأذان اضطرب وارتعد حين قال: أشهد أن لا إله إلا الله فقام شعر حاجبيه ولحيته حتى خفت أن لا يتم أذانه وانحنى حتى كاد أن يسقط.

تأخذ بيدك سبحة؟!:

ورؤى في يد الجنيد سبحة، فقليل له: أنت مع شرفك تأخذ بيدك سبحة؟! فقال: طريق به وصلت إلى ربي لا أفارقه ⁽¹⁾.

* * *

مواقف الغاضين
بصرهم

مواقف عربية

مواقف الغاضبين بصرهم

غض البصر: غضّ بصره يغضّه غضّا، وهو مأخوذ من مادّة (غ ض ض) التي تدلّ على معنيين:

أحدهما: الكفّ والنقص، والآخر: الطّراوة، وغضّ البصر من المعنى الأول، وكلّ شيء كففته فقد غضضته، ومنه قولهم تلحقه في ذلك غضاضة، أي أمر يغضّ له بصره.

والإغضاء: إدناء الجفون، وهذا مشتقّ من اللّيلة الغاضية: الشّديدة الظّلمة، ومثله الغضاضة فمعناها: الفتور في الطّرف، فيقال: غضّ وأغضّ وذلك إذا وانى بين جفنيه ولم يلاق (أي بينهما) ⁽¹⁾.

قال القرطبي: البصر: هو الباب الأكبر إلى القلب، وأمر طرق الحواسّ إليه، وبحسب ذلك كثر السّقوط من جهته، ووجب التّحذير منه، وغضّه واجب عن جميع المحرّمات. وكلّ ما يخشى الفتنة من أجله ⁽²⁾.

وقد قال المولى عز وجل: { قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ } ^(٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ إِخْوَانِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبِيعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَظْهَرْ أَوْ عَلَى عَوَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } ^(٣١) [النور: ٣٠ - ٣١].

وعن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه، أنّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اضمنوا لي ستّا من أنفسكم أضمن لكم الجنّة: اصدقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا اتّمتتم، واحفظوا فروجكم،

(1) مقاييس اللغة لابن فارس 4/248) والصّاح 3/1095) ولسان العرب 5/3265، 3266).

(2) تفسير القرطبي ج 2 ص 148 (المجلد السادس).

و غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكَفُّوا أَيْدِيَكُمْ-⁽¹⁾.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطَّرَقَاتِ-". فقالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بدّ، نتحدّث فيها. فقال: "فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ-". قالوا: وما حقّ الطَّرِيقِ يا رسول الله؟. قال: "غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَيْدِي، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ-"⁽²⁾.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنّه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة فأمرني أن أصرف بصري⁽³⁾. وقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه: حفظ البصر أشدّ من حفظ اللسان.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من نظرة إلّا وللشيطان فيها مطمع.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: إذا مرّت بك امرأة فغمّض عينيك حتّى تجاوزك.

وقال سعيد بن أبي الحسن: قلت للحسن: إنّ نساء العجم يكشفن صدورهنّ ورؤوسهنّ. قال: اصرف بصرك. يقول الله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} [النور: ٣٠].

وقال وكيع بن الجراح - رحمه الله تعالى: خرجنا مع سفيان الثوري في يوم عيد فقال: "إنّ أوّل ما نبدأ به في يومنا غَضُّ أَبْصَارِنَا.

وقال العلاء بن زياد العدوي - رحمه الله تعالى -: لا تتبع بصرك حسن ردف المرأة، فإنّ النّظر يجعل الشّهوة في القلب.

(1) أحمد (5/ 323) واللفظ له، الحاكم (4/ 358 - 359) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: مرسل وله شاهد. والخرائطي في مكارم الأخلاق (31). وذكره الألباني في الصحيحة (3/ 454) برقم (1470). وكذا في صحيح الجامع (1/ 339) رقم (1029).

(2) البخاري - الفتح 11 (6229) واللفظ له. ومسلم (2121).

(3) مسلم (2159).

وقال شجاع بن شاه - رحمه الله تعالى - : من عمّر ظاهره باتباع السنّة، وباطنه بدوام المراقبة، وغضّ بصره عن المحارم، وكفّت نفسه عن الشّهوات—، (وذكر خصلة سادسة) هي أكل الحلال. قال: لم تخطئ له فراسة.

وقال ابن دقيق العيد - رحمه الله تعالى - : "إنّ التقوى سبب لغضّ البصر، وتحصين الفرج.

وقال ابن كثير. رحمه الله تعالى :- عند تفسير قوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} [النور: ٣٠]، هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يغضّوا من أبصارهم عمّا حرّم عليهم فلا ينظروا إلّا إلى ما أباح لهم النظر إليه، وأن يغضّوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتّفق أن وقع البصر على محرّم من غير قصد فليصرف بصره عنه سريعا.

وقال الحافظ ابن حجر نظما في آداب الطّريق:

جمعت آداب من رام الجلوس	::	
على ال	:	طريق من قول خير الخلق
افش السّلام وأحسن في الكلام	::	إنسانا
وش	:	مّت عاطسا وسلاما ردّ إحسانا
في الحمل عاون ومظلوما أعن	::	لهفان اهد سبيلا واهد حيرانا
وأغث	:	وغضّ طرفا وأكثر ذكر مولانا
بالعرف مر، وانه عن نكر وكفّ	::	
أدى	:	

وقال الشّاعر:

وكنّت متى أرسلت طرفك رائدا	::	لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كلّه أنت قادر	::	عليه ولا عن بعضه أنت صابر

- كسبت لقلبي نظرة لتسرّه	:	عيني فكانت شقوة ووبالا
ما مرّ بي شيء أشدّ من الهوى	::	سبحان من خلق الهوى وتعالى

وقال آخر:

ألم تر أنّ العين للقلب رائد	::	فما تألف العينان فالقلب يألف

:

وقال أبو الطيّب المتنبي:

وأنا الذي اجتلب المنية طرفه :: فمن المطالب والقتيل القاتل
- قال الشاعر:

وَمَعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ ::
الشَّرِّ :: كَلَّ الْحَوَادِثُ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ
فَتَكَ السَّهَامُ بِلَا قَوْسٍ وَلَا وَتَرِ :: كَمْ نَظْرَةٌ فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا
فِي أَعْيُنِ الْعَيْنِ مُوقُوفٌ عَلَى :: الْمَرْءِ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يَقْلِبُهَا
الْخَطَرِ :: يَسِرُّ مَقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مَهْجَتَهُ
لَا مَرْحَبًا بِسُرُورٍ بَعْدَهُ الضَّرَرِ ::

قال بعض السلف: "من حفظ بصره أورثه الله نورا في بصيرته.

قال الشاعر:

وَأَغْضَ طَرْفِي مَا بَدَتْ لِي :: حَتَّى يُوَارِيَ جَارْتِي مَاوَاهَا
جَارْتِي

وقال ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : قد أمر الله في كتابه بغضّ البصر وهو نوعان: غَضُّ البصر عن العورة، وغَضُّه عن محلّ الشهوة.

فالأول منهما: كغضّ الرجل بصره عن عورة غيره، كما قال

النبي: "لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة - ويجب على الإنسان أن يستتر عورته.

وأما النوع الثاني: فهو غَضُّ البصر عن الزينة الباطنة من المرأة الأجنبية وهذا أشدّ من الأول.

من فوائد غَضِّ البصر:

- إنّ غَضَّ البصر عن العورة التي ينهى عن النظر إليها كالمرأة والأمرد الحسن له ثلاث فوائد:

(1) حلاوة الإيمان ولذّته والتي هي أطيب وأحلى ممّا تركه الله، فإنّ من ترك شيئا لله عوّضه الله خيرا منه.

- (2) نور القلب والفراسة، ولذلك ذكر الله عز وجل ، عقب آيات غضّ البصر التي في سورة النور قوله تعالى : {اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} [النور: ٣٥]، وذلك لأنّ الله عز وجل يجزي العبد على عمله بما هو من جنسه. فلمّا منع العبد نور بصره أن ينفذ إلى ما لا يحلّ، أطلق نور بصيرته وفتح عليه باب العلم والمعرفة.
- (3) قوّة القلب وثباته وشجاعته فيجعل الله له سلطان البصيرة مع سلطان الحجّة.

- يبدل الله صاحبه نورا يجد حلاوته في قلبه.
- فيه طاعة لله ورسوله يترتّب عليها محبة توصله إلى الجنة.
- من أهمّ الصفات التي يتحلّى بها المؤمن وتتولّد من الحياء.
- فيه راحة للنفس والبدن.
- يصون المحارم ويجتنب الوقوع في الزلل.
- يجعل المجتمع المتحلّي بهذه الصّفة مجتمعا آمنا متحابّا.
- يصون المجتمع من انتشار الزّنى.
- يضرّ بالشّيطان وأعوانه ويستجلب العقّة.

ومن مضار إطلاق البصر:

- إطلاق البصر بريد الزّنى ورسوله الأوّل.
- لوعة القلب وهياج الشّوق فيجرّ إلى الحرام.
- يفسد القلب والخلق.
- دليل قلّة الحياء وفقد الحشمة.
- من أسباب شيوع الفاحشة في المجتمعات فتسقط وتنهار.

ومن المواقف:

متى ذهبت عينك؟:

دخل الشعبي الحمام وفيه رجل حاسر، فغمض عينيه، فقال له الرجل: يا شيخ، متى ذهبت عينك؟ فقال: مذ أبدى الله عورتك⁽¹⁾.

متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة؟:

ودخل أبو حنيفة الحمام فرأى فيه قوماً لا مآزر لهم، فأغلق عينيه، وجعل يتهدى بيديه. فقال له أحدهم: متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة؟ قال: منذ انكشفت عورتكم⁽²⁾.

ما سبب الذنب؟:

سئل ذو النون ما سبب الذنب؟ قال اعقل ويحك ما تقول فإنها من مسائل الصديقين سبب الذنب النظرة ومن النظرة الخطرة فإن تداركت الخطرة بالرجوع الى الله ذهبت وإن لم تذكرها امتزجت بالوساوس فتتولد منها الشهوة وكل ذلك بعد باطن لم يظهر على الجوارح فإن تذكرت الشهوة وإلا تولد منها الطلب فإن تداركت الطلب وإلا تولد منه العقل.

حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط:

وقال أبو يزيد: لقد هممت أن أسأل الله تعالى أن يكفيني مؤنة الأكل ومؤنة النساء، ثم قلت: كيف يجوز لي أن أسأل هذا ولم يقوله رسول الله ﷺ إياه؟ فلم أسأله. ثم إن الله سبحانه وتعالى كفاني مؤنة النساء؛ حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط.

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 184/4.

(2) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، 1 / 193.

مواقف المواسين

مواقف عربية

مواقف المواسين

و المواساة مصدر قولهم: واسيته وهي لغة في آسيته، ويقال: أسوت الجرح إذا داويته، ولذلك يسمّى الطّبيب الآسي. وأسيت فلانا إذا عزّيته من هذا، أي قلت له: ليكن لك بفلان أسوة فقد أصيب بمثل ما أصبت به فرضي وسلّم، ومن هذا الباب آسيته بنفسه (وواسيته).

وقال الرّاعب: الأسو: إصلاح الجرح وأصله:

قال ابن مسكويه: المواساة: معاونّة الأصدقاء والمستحقّين ومشاركتهم في الأموال والأقوات.

وقال ابن حجر - رحمه الله تعالى -: المواساة: أن يجعل صاحب المال يده ويد صاحبه في ماله سواء.

وقال غيرهما: المواساة: المشاركة والمساهمة في المعاش والرّزق.

أنواع المواساة:

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى: المواساة للمؤمنين أنواع:

الأوّل: مواساة بالمال. الثّاني: مواساة بالجاه. الثّالث: مواساة بالبدن والخدمة. الرّابع: مواساة بالنّصيحة والإرشاد. الخامس: مواساة بالدّعاء والاستغفار لهم. السّادس: مواساة بالتّوجّع لهم.

قال: وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكّلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلّما قوي قويت، وكان رسول الله ﷺ أعظم النّاس مواساة لأصحابه بذلك، فلا أتباعه من المواساة بحسب اتّباعهم له، ودخلوا على بشر الحافي في يوم شديد البرد، وقد تجرّد وهو ينتفض، فقالوا: ما هذا يا أبا نصر؟

فقال: ذكرت الفقراء وبردهم، وليس لي ما أواسيهم، فأحببت أن أواسيهم في بردهم (1).

وهذا النوع الأخير الذي يعني المشاركة إنّما يرمي إلى جبر خاطر المحتاجين عندما يتعذر القيام بسدّ هذه الحاجة، وفي هذا ما يعينهم على الرضا الصّبر وتحمل المشاقّ.

من المواساة جبر خاطر المسلم وإدخال السرور على قلبه:

لما كانت المواساة لا تقتصر على مشاركة المسلم لأخيه في المال والجاه أو الخدمة والنّصيحة.. أو غير ذلك فإنّ من المواساة مشاركة المسلم في مشاعره خاصّة في أوقات حزنه، وعند تعرّضه لما يعكّر صفوه، وهنا فإنّ إدخال السرور عليه وتطبيب خاطره بالكلمة الطيّبة، أو المساعدة الممكنة بالمال أو الجاه،

أو المشاركة الوجدانيّة هو من أعظم المواساة وأجلّ أنواعها، وقد كان صلى الله عليه وسلم يواسي بالقليل والكثير، وقد علّمنا؟ أنّ من أقال مسلماً من عثرته أقال الله عثرته، وأنّ الله عز وجل لا يزال في حاجة العبد مادام العبد في حاجة أخيه.

إنّ حاجة المسلم تتنوّع وتختلف من موقف إلى آخر، فهناك من تكون حاجته إلى المال، وهناك من تكون حاجته إلى عمل أو وظيفة، وهناك من تكون حاجته إلى كلمة طيّبة، وهناك من تكون حاجته إلى دفع الظلم عنه، وهناك من تكون حاجته إلى مشاركة النّاس له في أتراحه أو أفراحه، وهناك من تكون حاجته في وضع الدّين عنه أو إرجائه، إلى غير ذلك من الحاجات وكلّ ذلك يدخل في إطار القاعدة العامّة للمواساة، وهي أن يكون المسلم في حاجة أخيه، وعلى المسلم أن يعرف أنّ فائدة هذه المواساة لا ترجع إلى صاحب الحاجة (المواسى) فقط، وإنّما تشمل أيضا المواسى لأنّ الله عز وجل يقف إلى جانبه ويكون في حاجته، هذا في الدّنيا، ويجازيه عليها أفضل جزاء يوم القيامة، وقد أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم: "أنّ من لقي أخاه بما يحبّ ليسرّه بذلك سرّه الله عز وجل يوم القيامة—".

لقد حفلت سير أعلام التّبلاء بنماذج مشرّفة من المواساة، ومن تأمل هذه الصّفحات المشرقة التي حفلت بها سير هؤلاء يتّضح أنّ مجالسة المساكين والتّحدّث معهم فيه جبر خاطرهم وإدخال السرور عليهم، وإذا

كان الإنسان واجدا فإنه كان يتكفل بنفقة هؤلاء وإعالتهم مع المحافظة على كرامتهم وتقديم المعونة لهم سرًا.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: كنت جالسا عند النبي ﷺ إذ أقبل أبو بكر أخذًا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أما صاحبكم فقد غامر -فسلم وقال: يا رسول الله إنني كان بيني وبين ابن الخطّاب شيء" فأسرعت إليه ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ، فأقبلت إليك، فقال: "يغفر الله لك يا أبا بكر" (ثلاثا) ثم إن عمر ندم فأتى منزل أبي بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر (أي تذهب نضارته من الغضب) حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم (مرتين) فقال النبي ﷺ: "إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟" - (مرتين) فما أؤذي بعدها (1).

وعن أنس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قوما أبذل من كثير، ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤنة، وأشركونا في المهنأ حتى خفنا أن يذهبوا بالأجر كلّ، فقال النبي ﷺ: "لا ما دعوتم الله لهم، وأنثيتم عليهم" - (2)

وعن عائشة رضي الله عنه قالت: كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء. قالت: فغرت يوما، فقلت: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشّدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها. قال: "ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذّبي الناس، وواستني بماله إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل - ولدها إذ حرمني أولاد النساء" - (3).

(1) البخاري - الفتحة 7 (3661).

(2) الترمذي (2487) وقال: حسن صحيح، واللفظ له، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية

(3/ 227) وقال: رواه أحمد على شرط الشيخين.

(3) أحمد (6/ 117 - 118) واللفظ له، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (3/ 126) وقال:

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يزال الله في حاجة العبد ما دام في حاجة أخيه".⁽¹⁾

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أقال مسلماً أقاله الله عشرته".⁽²⁾

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله ﷺ: "من كان معه فضل ظهر⁽³⁾ فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له - قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل".⁽⁴⁾

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وأخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع - وكان كثير المال - فقال سعد: قد علمت الأنصار أنني من أكثرها مالا، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها. فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك، فلم يرجع يومئذ حتى أفضل شيئا من سمن وأقط، فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم وعليه ضر من صفرة⁽⁵⁾، فقال له رسول الله ﷺ: ما سقت عليه وسلم: "مهيم؟".⁽⁶⁾ قال: تزوجت امرأة من الأنصار. قال: "ما سقت

إسناده لا بأس به، وذكره الحافظ في الإصابة (283 / 4) وعزاه لابن عبد البر، وهو في الاستيعاب (286 / 4، 287) حاشية على الإصابة.

(1) الطبراني في الكبير (5 / 118)، وذكره الدمي في المتجر الرابع (537) وقال: رواه الطبراني بإسناد جيد، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله ثقات (8 / 193). واللفظ فيه.

(2) أبو داود (3460) واللفظ له، أحمد (2 / 252) وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (13 / 168) حديث (7425)، والحاكم (2 / 45)، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال محقق جامع الأصول (1 / 440): إسناده صحيح.

(3) الظهر: يراد به ما يركب من الدواب وخصه اللغويون بالإبل. والفضل: ما زاد عن الحاجة. (4) مسلم (1728).

(5) معنى الحديث أنه وجد به لطخامن طيب له لون فسأل عنه فأخبره أنه تزوج وذلك من فعل العروس إذا دخل على زوجته.

(6) مهيم: أي ما شأنك وما حالك؟.

فيها؟- ”قال: وزن نواة من ذهب - أو نواة من ذهب - فقال: “أولم ولو بشاة-⁽¹⁾.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: “كان رجل يداين الناس، فكان يقول لفتاه: إذا أتيت معسرا فتجاوز عنه، لعل الله يتجاوز عنا، فلقي الله تعالى فتجاوز عنه-⁽²⁾.

وقال إبراهيم بن أدهم - رحمه الله تعالى -: المواساة من أخلاق المؤمنين.

- وقال أبو الأعرج رضي الله عنه لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم رضي الله عنه أربعين فقيها أدنى خصلة فينا التواصي بما في أيدينا، وما رأيت في مجلسه مماريين ولا متنازعين في حديث لا ينفعنا.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنّا نسّمّي جعفرا أبا المساكين، كان يذهب إلى بيته، فإذا لم يجد لنا شيئا، أخرج لنا عكة أثرها غسل، فنشّقّها ونلعقها.

- وقال الذهبي: قيل: كانت لأبي برزة الأسلمي جفنة من ثريد غدوة، وجفنة عشية للأرامل واليتامى والمساكين.

- وعن أبي حمزة الثمالي رضي الله عنه قال: إنّ عليّ بن الحسين كان يحمل الخبز بالليل على ظهره يتبع به المساكين في الظلمة، ويقول: إنّ الصدقة في سواد الليل تطفئ غضب الربّ.

- وعن عمرو بن ثابت رضي الله عنه قال: لمّا مات عليّ بن الحسين وجدوا بظهره أثرا ممّا كان ينقل الجرب بالليل إلى منازل الأرامل.

- وعن محمّد بن إسحاق رضي الله عنه قال: كان ناس من أهل المدينة يعيشون، لا يدرون من أين كان معاشهم، فلمّا مات عليّ بن الحسين، فقدوا ذلك الذي كانوا يؤتون بالليل.

(1) البخاري. الفتح 7 (3781).

(2) البخاري - الفتح 11 (6480) من حديث حذيفة، و(6481) من حديث أبي سعيد، ومسلم (1562) واللفظ له.

ومن جملة فوائد المواساة:

- تورث حبّ الله عز وجل ثمّ حبّ الخلق.
- دليل حبّ الخير للآخرين.
- تشيع روح الأخوة بين المسلمين.
- تقوي العلاقات بين المسلمين.
- تساعد على قضاء حاجات المحتاجين وسدّ عوز المعوزين.
- تدخل السرور على المسلم وترفع من معنوياته فيقبل على الحياة مسروراً.

- المواساة تجعل صاحبها من المسرورين يوم القيامة.
- المواساة من أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل.
- المواساة تدعو إلى الألفة وتؤكد معنى الإخاء وتنتشر المحبة.
- المواساة تدفع الغيظ وتذهب الغلّ وتميت الأحقاد.

ومن المواقف:

بحث في المواساة:

عن يعقوب بن شيبه، قال: أظّل عيد من الأعياد رجلاً يومئ إلى أنه من أهل عصره وعنده مائة دينار، لا يملك سواها. فكتب إليه رجل من إخوانه يقول له: قد أظّلنا هذا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، ويستدعي منه ما ينفقه.

فجعل المائة دينار في صرة، وختمها، وأنفذها إليه. فلم تلبث الصرة عند الرجل إلا يسيراً حتى وردت عليه رقعة أخ من إخوانه، وذكر إضافته في العيد، ويستدعي منه مثل ما استدعاه، فوجه بالصرة إليه بختمها.

وبقي الأول لا شيء عنده، فكتب إلى صديق له، وهو الثالث الذي صارت إليه الدنانير، يذكر حاله، ويستدعي منه ما ينفقه في العيد، فأنفذ إليه الصرة بخاتمها.

فلما عادت إليه صرته التي أنفذها بحالها، ركب إليه، ومعه الصرة، وقال له: ما شأن هذه الصرة التي أنفذتها إلي.

فقال له: إنه أظننا العيد، ولا شيء عندنا ننفقه على الصبيان، فكتبت إلى فلان أخينا، أستاذي منه، ما ننفقه، فأنفذ إليّ هذه الصرة، فلما وردت رقتك عليّ، أنفذتها إليك. فقال له: قم بنا إليه. فركبا جميعاً إلى الثاني، ومعهما الصرة، فتفاوضوا الحديث، ثم فتحوها، فاقتسموها أثلاثاً.

قال أبو الحسن: قال لي أبي: والثلاثة: يعقوب بن شيبه، وأبو حسان الزيايدي القاضي، وأنسيت أنا الثالث (1).

إيثار نادر:

ونقل عن الواقدي قال كان لي صديقان أحدهما هاشمي والآخر نبطي فكنا في الصداقة كنفس واحدة فالتفتي ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي أما نحن فنصبر على البؤس والشدة وأما صبياننا هؤلاء فقد نقطع قلبي عليهم رحمة لأنهم يرون صبيان جيراننا وقد تزينوا في عيدهم وهم فرحون ولا بأس بالاحتفال فيما نصرفه في كسوتهم قال فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة عليّ بشيء فوجه إليّ كيساً فيه ألف درهم فما استقر قراره حتى كتب إليّ صديقي الآخر يشكو إلى مثل ما شكوته إلى الهاشمي فوجهت إليه بالكيس على حاله وخرجت إلى المسجد وأنا مستح من امرأتي فلما دخلت عليها لم تعنفني لعلمها بالحال فبينما أنا كذلك إذ أقبل صديقي الهاشمي ومعه الكيس بخته فقال أصدقني عما فعلته فيما وجهت به إليك فاعلمته بالخبر فقال إنك وجهت به إليّ ولا أملك إلا ما بعثت به إليك وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه إليّ كيس بخته فاخرجنا للمرأة مائة درهم وتقاسمنا الباقي أثلاثاً ونما الخبر إلى المأمون فاحضرني وسألني عن الخبر فشرحته له فأمر لنا بسبعة آلاف دينار منها ألف للمرأة وألفان لكل واحد منا (2).

(1) التنوخي، نشوار المحاضرة، 335/1.

(2) تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حجة، طيب المذاق من ثمرات الأوراق، تحقيق: أبو عمار السخاوي، دار الفتحة - الشارقة - 1997م، 215/1.

المواساة من أخلاق المؤمنين:

حدث إبراهيم بن بشار، قال: أمسينا يعني مع إبراهيم بن أدهم ذات ليلة، وليس معنا شيء نفطر عليه ولا لنا حيلة، فرآني مغتما حزينا، فقال: يا إبراهيم بن بشار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعم والراحة في الدنيا والآخرة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا عن حج ولا عن صدقة ولا عن صلة رحم ولا عن موساة، وإنما يسأل ويحاسب عن هذا هؤلاء المساكين، أغنياء في الدنيا فقراء في الآخرة، أعزة في الدنيا أذلة يوم القيامة، لا تغتم ولا تحزن فرزق الله مضمون سيأتيك، نحن والله والملوك الأغنياء، نحن الذين قد تعجلوا الراحة في الدنيا، لا نبالي على أي حال أصبحنا وأمسينا، إذا أطعنا الله. ثم قام إلى صلاته وقمت إلى صلاتي، فما لبثنا إلا ساعة فإذا نحن برجل قد جاءنا بثمانية أرغفة وتمر كثير فوضعه بين أيدينا، وقال: كلوا يرحمكم الله. قال ابن بشار: فسلم، فقال: كل يا مغموم. فدخل سائل فقال: أطعمونا شيئا، فأخذ ثلاثة أرغفة مع تمر ورفعها إليه، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيقين، وقال: الموساة من أخلاق المؤمنين⁽¹⁾.

عيسى بن طلحة: يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق:

ثم إن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد ابن عبد الملك وقد قطعت رجله فقال عروة لبعض بنيها اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها ففعل فقال له عيسى إنا لله وإنا إليه راجعون يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك رأيك وعلمك فقال عروة ما عزاني أحد عن رجلي مثلك⁽²⁾

(1) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق،

الوليد بن عبد الملك: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه:

وقدم على الوليد بن عبد الملك رجل من عبس ضرير محطوم الوجه فسأله عن سبب ذلك فقال بت ليلة في بطن واد ولا أعلم في الأرض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقتنا سيل فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد إلا صبيا مولودا وبغيرا ضعيفا فند البعير والصبي معي فوضعتهم واتبعت البعير فما جاوزت ابني قليلا إلا ورأس الذئب في بطنه فتركته واتبعت البعير فرمحتني رمحة حطم بها وجهي وأذهب عيني فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر فقال الوليد بن عبد الملك اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه⁽¹⁾.

سعيد بن المسيب لم يزد على كلمة (لا):

ومن مواقف سعيد بن المسيب الشهيرة في ذلك قصه تزويج ابنته وقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان تقدم لخطبتها لابنه الوليد حين ولاه العهد ويذكر المؤرخون أنه أرسل موكبا كبيرا على رأسه مندوب خاص نزل المسجد ووقف على حلقة سعيد فأبلغه سلام أمير المؤمنين وأنه قدم يخطب إليه ابنته لابنه الوليد ولي العهد وانتظر الناس أن يستبشر سعيد بهذا التشريف الذي ناله ولكنه لم يزد على كلمة (لا) وكان لسعيد تلميذ متين الدين والخلق يدعى عبد الله بن أبي وداعة افتقده أياما فلما عاد إليه قال له سعيد: أين كنت فقال توفيت زوجتي فانشغلت بها قال سعيد فهلا أخبرتنا فشهدناها ثم أراد التلميذ أن يقوم فقال سعيد هل أحدثت امرأة غيرها قال يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ قال سعيد إن أنا فعلت تفعل؟ قال نعم فأمر بالشهود وكتابة العقد قال ابن أبي وداعة: فقامت وما أدري ما أصنع من الفرح وصرت إلى منزلي وجعلت أفكر ممن آخذ وأستدين؟ وصليت المغرب. وكنت صائما فقدمت عشائي لأفطر وكان خبزا وزيتا وإذا بالبواب يقرع فقلت من هذا فقال سعيد ففكرت في كل إنسان اسمه سعيد إلا سعيد بن المسيب فإنه لم ير منذ أربعين سنة إلا ما

بين بيته والمسجد فقامت وخرجت وإذا بسعيد بن المسيب وظننت أنه بدا له فقلت يا أبا محمد هلا أرسلت إلى فأتيك قال لا أنت أحق أن تزار قلت فما تأمرني قال رأيك رجلا عزا قد تزوجت فكرهت أن تبين الليلة وحدك وهذه امرأتك فإذا هي قائمة خلفه في طوله ثم دفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحياء فاستوثقت من الباب ثم صعدت إلى السطح وناديت الجيران فجاءوني وقالوا ما شأنك قلت زوجني سعيد بن المسيب ابنته وقد جاء بها على غفلة وها هي في الدار فنزلوا إليها وبلغ أمني فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام فأقامت ثلاثا ثم دخلت بها فإذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله تعالى وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ وأعرفهم بحق الزوج (1).

* * *

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 376/2.

مواقف الداعين الله عز
و حل

مواقف عربية

مواقف الداعين الله عز وجل

أعلم يا أخى أن الله عز وجل قد دعانا إلى دعائه وسؤاله والتضرع له فقال

جل شأنه: { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ } [غافر: ٦٠].

عن الألتجاء والعودة إلى الله - جلّت قدرته - أمر قد طلب من المسلم على الدوام في الرخاء والبلاء في اليسر والعسر.

فالأستعانة بالله فرار الى الله وتعلق القلب به وطلب العون منه أستعانه من عاجز فقير ضعيف بقوى قادر غنى، واستغاثة من ملهوف جائر برب رؤوف رحيم.

ودعاء الله توجه إلى مصرف الكون ومدير الأمر لزيل علة أرفع غمه أو كشف كربيه أو حقق أمنيّه ورغبة.

{ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ } [البقرة: ١٨٦].

فأية رقة وأية انعطاف وأية شفافيه وأى إناس فوق هذا، ألفاظ شفافه تنير، إنها تسكب في القلب المؤمن النداهه الحلوه والود والموانسة والرضا المطمئن والثقة واليقين يعيش منها المؤمن في جناب رضا وقربة نديه وملاذ أمين وقرار مكين، وهو يدعو سيد السادات الذي ليس له مثل ولا نظير.

سبحانه من لطيف لم تخف عليه مضمرات القلوب، فيصفح له عنها بنطق بيان ولم تستتر دونه مضمّنات الغيوب، فيعبر له عنها بحركة لسان لكنه أنطق الألسن بذكره لتستمر على وله العبوديه وتظهر به شواهد الربوبيه.

ولو لم يكن في الدعاء إلا رقة لكفى { فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الأنعام: ٤٣].

ولو لم يكن في فضله إلا هذه الآية لكفى: { قُلْ مَا يَعْْبُرُؤُكُمْ رَبِّي لَوْلَا

دَعَاؤُكُمْ} [الفرقان: ٧٧].

قال رسول الله ﷺ: "أفضل العبادة الدعاء- (1).

فالدعاء تذلل وخضوع وإخبات وانطراح على سيده الكريم، قال صلى الله عليه وسلم: "الدعاء هو العبادة- (2).

قال الخاطبي: معناه: أن معظم العبادة أو أفضل العبادة كقولهم: الناس بنو تميم، والمال الإبل وكقول النبي ﷺ: "الحج عرفه-.

وقال رسول الله ﷺ: "إن أبخل الناس من بخل بالسلام وأعجز الناس من عجز عن الدعاء- (3).

وقال رسول الله ﷺ: "ليس شيء أكرم على الله من الدعاء- (4).

وقال صلى الله عليه وسلم: "من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء- (5).

ولا بد من وجود عباد يدعون الله ويرفعون الأكف إليه تلك سنة الله في كونه وبين خلقه.

فعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن ربكم تبارك وتعالى حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يردهما صفراً - (6) وفي رواية: "صفراً خائبتين-.

يقول ابن القيم: والدعاء من أنفع الأدويه، وهو عدو البلاء يدافعه ويعالجه ومنع نزوله ويرفعه، أو يخففه إذا نزل وهو سلاح المؤمن.

كما روى الحاكم في صحيحه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الدعاء سلاح المؤمن- (7).

(1) الحاكم.

(1) البخاري وأحمد.

(2) ابن حبان.

(3) البخاري وأحمد.

(4) الترمذي والحاكم.

(5) الترمذي.

(6) الحاكم.

وله من البلاء ثلاثة مقامات:

أحدهما: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه.

الثاني: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء فيصاب به العبد ولكن قد يخففه وإن كان ضعيفا.

الثالث: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبة.

وقد روى الحاكم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: **“لا يغني حذر من قدر الدعاء ينفع مما نزل ومما لم نزل وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة—**

وفيهم أيضاً من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: **“الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء—**

وفيه أيضاً من حديث ثوبان عن النبي ﷺ قال: **“لا يرد القدر إلا بالدعاء ولا يزد في العمر إلا البر وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب يصيبه—**

وإذا أجمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب وصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة وهي: الثلث الأخير من الليل، وعند الأذان وبين الأذان والإقامة وأداء الصلوات المكتوبة وعند صعود الإمام يوم الجمعة المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم، وآخر ساعه بعد العصر، وصادف خشوعاً في القلب وانكساراً بين يدي الرب وذلاً له وتضرعاً ورقة واستقبال الداعي القبلة وكان على طعارة ورفع يديه إلى الله وبدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قدم بين

يدي حاجته التوبة والاستغفار، ثم دخل وعلى الله وألح عليه في المسألة وتملقه ودعاه رغبة ورهبة وتوسل بأسمائه وصفاته وتوحيده، وقدم بن يدي دعائه صدقه فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبداً ولا سما إن صادف الأدعية التي أخبر النبي ﷺ أنها مظنة الإجابة أو أنها متضمنة

لِلإِسْمِ الْأَعْظَمِ⁽¹⁾.

فمنها ما في السنن وفي صحيح ابن حبان من حديث عبد الله بن بريده عن أبيه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: "اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد- فقال: "لقد سأل الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب- وفي لفظ: "لقد سألت الله باسمه الأعظم-⁽²⁾.

آداب الدعاء:

وإتماماً للفائدة نسوق هنا مجموعه من الآداب التي يجب أن تحلى بها الداعي وهي التي وردت بها الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأقوال السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وهي في بعضها مستحبة والبعض الآخر من الواجبات.

أولاً: الجزم في الدعاء والثقة بالله في حصول الإجابة:

لا بد للعبد المؤمن مهما كان الأمر الذي يدعو فيه الله - جل شأنه - عظيمًا أو ثقیلاً صعباً ينبغي أن يكون في قلبه الثقة بالله عز وجل في وصول وحصول الإجابة.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني فإنه لا مستكره له-⁽³⁾. بل لابد أن نتأكد أن الدعاء إذا خلا من اليقين ولم تحل بالجزم ربما بعد عن الإجابة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه-⁽¹⁾.

(1) ابن القيم: الداء والدواء، ص9.

(1) الترمذی.

(2) البخاری.

(3) الترمذی.

قال سفيان بن عيينة: لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فإن الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله: { قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ } (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) [الحجر: ٣٦ - ٣٧].

ولذا قيل في قوله: "وأنتم موقنون بالإجابة" - أى: والحال أنكم موقنون بها أى كونوا عند الدعاء على حالة تستحقون بها الإجابة من إتيان المعروف واجتناب المنكر ورعاية شروط الدعاء: كحضور القلب، وترصد الأزمنة الشرفية، واغتنام الأحوال اللطيفة كالسجود إلى غير ذلك، حتى تكون الإجابة على قلوبكم أغلب من الرد.

أو أراد وأنتم معتقدون أن الله لا يخيبكم لسعه كرمه وكمال قدرته وإحاطة علمه لتحقيق صدقه الرجاء وخلوص الدعاء؛ لأن الداعي ما لم يكن رجاءه واثقا لم يكن دعاؤه صادقا.

"من قلب غافل" أى معرض عن الله أو عما سأل.

"لآه" من الله أى: لا عب بما سأل أو مشغول بغير الله تعالى وهذا عمدة آداب الدعاء ولذا خص بالذكر.

ثانياً: الإلحاح في الدعاء:

وأما الإلحاح في الدعاء فممدوح؛ لأنه لون من ألوان التذلل إلى المولى، ولون من الخضوع لعظمته، ولون من حسن الظن برحمته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع باثم أو قطعة رحم ما لم يستعجل —، قيل: يا رسول الله، ما استعجال؟ قال: "دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء".⁽²⁾

قال ابن مسعود: "كان رسول الله ﷺ إذا دعا، دعا ثلاثاً وإذا سأل، سأل ثلاثاً" ⁽³⁾.

(1) مسلم.

(2) مسلم.

وفى صحيح مسلم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ ما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك.

وهذا نبي الله يعقوب عليه السلام ما زال يدعو ويدعو فذهب بصره واشتد روعه، وألقى ولده في الجب ولا يدرى عنه شيئاً وأخرج الولد من الجب ودخل قصر العزيز، إلى أن شب وترعرع ثم راودته المرأة عن نفسها، فأبى وعصمه الله، ثم دخل السجن فلبث فيه بضع سنين ثم أخرج من السجن، وكان على خزائن الأرض ومع طول هذا الوقت كله ويعقوب يقول لبنيه: {يَبْنَئِ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ} [يوسف: ٨٧].

ثالثاً: خفض الصوت ولينه:

فإن خفض الصوت أعظم في الأدب والتعظيم، ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفه الأصوات والله المثل الأعلى.

ولأنه أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، فأن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد انكسر قلبه وذلت جوارحه، وهذه الحالة لا يتأتى معها رفع الصوت بالدعاء أصلاً.

ولأنه أبلغ في الإخلاص وأبلغ في جمعية القلب على الله في الدعاء، فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته فكلما خفض الصوت كان أبلغ في حمده وتجريد همته وقصده للمدعو سبحانه وتعالى.

ولأنه دمل على صاحبه من الله فيسأله مسألة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد وهذه من النكت السريعة البديعة جداً، ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا} [مريم: ٣].

ولأن ذلك أدعي إلى دوام الطلب والسؤال، وإخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشمشات والمضاعفات، وأحفظ لهذه النعمة العظيمة التي ما مثلها نعمة من عين حاسد وهذا باب عظيم أنفع وإنما يعرفه أهله وهذه

فائدة شريفة نافعة.

ولهذا قال تعالى: { ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ } [الأعراف: ٥٥].

ولهذا أمر الله بالدعاء وتعبد به ثم قرن عز وجل بالأمر صفات تحسن معه وهي: الخشوع والاستكانة والتضرع.

قال الحسن: لقد أدركت أقواماً ما كان على الأرض عمل يقدر على أن يكون سراً فيكون جهراً أبداً، ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء فلا يسمع لهم صوت إن هو إلا همس بينهم وبين ربهم.

قال تعالى: { ادْنَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا } [مريم: ٣].

قال ابن القيم في فوائد إخفاء الدعاء العديد الكثير فيقول:

أولها: أنه أعظم إيماناً لأن صاحبه يعلم أن الله يسمع دعاء الخفى.

ثانيها: أنه أعظم في الأدب والتعظيم؛ ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الصوت، وإنما تخفض عندهم الأصوات ويخفت عندهم الكلام بمقدار ما يسمعون، ومن رفع صوته لديهم مقتوه والله المثل الأعلى.

فإذا كان ربنا يسمع الدعاء الخفى فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت.

ثالثها: أنه - يعنى الإخفاء - أبلغ في التضرع والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده، فإن الخاشع الذليل الخاضع إنما يسأل مسأله مسكين ذليل قد أنكر قلبه وذلت جوارحه في الإخلاص.

رابعها: أنه أبلغ في الإخلاص.

خامسها: أنه أبلغ في جمعه القلب على الله في الدعاء فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته فكلما خفض صوته كان أبلغ في حمده وتجريد همته وقصده للمدعو سبحانه.

سادسها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال، فإن اللسان لا يمل والجوارح لا تتعجب، بخلاف ما إذا رفع الصوت فإنه يكل لسانه وتضعف بعض قواه.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصمًا ولا غائبًا إنكم تدعون سميعًا بصيرًا".⁽¹⁾

رابعاً: سؤال الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا:

قال تبارك وتعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} [الأعراف: ١٨٠].

وعن بريدة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد فقال: "لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعى به أجاب".⁽²⁾

وعن أنس رضي الله عنه أنه كان مع النبي ﷺ جالساً ورجل يصلى ثم دعا: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله الا انت المنان بديع السماوات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: "لقد دعا الله باسمه العظيم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى".⁽³⁾

خامساً: الدعاء بصالح الأعمال:

وقد ورد هذا وصح في حديث الثلاثة الذين دخلوا الغار فانطبقت عليهم صخرة وانحطت على فم الغار الذي كانوا بداخله، فتوسلوا إلى ربهم بأخلص أعمالهم وأصوبها فاستجاب ربهم لدعائهم.

سادساً: الصلاة على النبي ﷺ :

وهذا من الأمور التي غفل عنها الناس وهو من الأمور العظيمة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ - (4) وفى رواية: "كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ وآل محمد".⁽⁵⁾

(1) البخارى.

(2) أحمد.

(1) أحمد وابوداود.

(2) البيهقى.

(3) الطبرانى.

سابعاً: طيب المطعم، رفع اليدين، استقبال القبلة.
ثامناً: الإكثار من ذكر الله واستغفاره والتوبة إليه، تطهير النفس
وتركية القلب.

تاسعاً: تعظيم المسألة.

قال رسول الله ﷺ: "إذا تمنى أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه- (6).

وقال رسول الله ﷺ: "إذا سأل أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه- (7).

وقال المناوي: إذا تمنى أحدكم خيراً من خير الدارين فليكثر الأمانى
فإنما يسأل ربه الذي رباه وأنعم عليه وأحسن إليه، فيعظم الرغبة ويوسع
المسألة ويسأله حتى شسع النعل، فإن خزائن الجود سماء الليل والنهار ولا
يفنيها عطاء وإن جل وعظم فعطاؤه بين الكاف والنون وليس ذا بمناقض
لقوله سبحانه: { وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ } [النساء: ٣٢]،
فإن ذلك نهى تمنى ما لأخيه بغيا وحسداً وهذا تمنى على الله خيراً في دينه
ودنياه وطلب من خزائنه فهو نظير: { سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ } [النساء: ٣٢].

وقد ذم الله من دعا ربه فقط فقال تعالى: { وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا
ءَاٰتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآٰخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ } (٢٠١) أُولَٰئِكَ
لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) { [البقرة: ٢٠١ - ٢٠٢].

وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال
رسول الله ﷺ: "إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل
الله مابين الدرجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فأسألوه
الفردوس فإنه أوسط الجنة أو أعلى الجنة - أراه قال: وفوق عرش
الرحمن - ومنه تفجر أنهار الجنة- (1).

وكثيراً ما نجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم، ويكون قد اقترن
بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على الله، أو حسنة تقدمت منه جعل الله
سبحانه إجابة دعوته شكراً لحسنته أو صادف وقت إجابة ونحو ذلك

(4) الطبرانى.

(5) ابن حبان.

(1) البخارى.

فأجيبته دعوته، فيظن الظان أن السر في لفظ ذلك الدعاء فيأخذ مجرداً عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الذي ينبغي فانتفع به فظن غيره أن استعمال هذا الدواء بمجرد كاف في حصول المطلوب، كان غالطاً وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس.

ومن هذا أنه قد يتفق دعاءه باضطراب عند قبر، فيجابه، فيظن الجاهل أن السر للقبر ولم يعلم أن السر للاضطرار وصدق اللجوء إلى الله، فإذا حصل ذلك في بيت من بيوت الله كان أفضل وأحب إلى الله.

والأدعية والتعوذات بمثابة السلاح، والسلاح بضاربه لا يحده فقط فمتى كان السلاح سلاحاً تاماً لا آفة به، والساعد ساعداً قوياً والمانع مفقوداً حصلت النكاية في العدو، ومتى تخلف التأثير، فإذا كان الدعاء في نفسه غير صالح أو الداعي لم يجمع بين قلبه ولسانه في الدعاء أو كان ثم مانع الإجاه لم يحصل الأثر.

ولما كان الصحابة رضي الله عنه أعلم الأمة بالله ورسوله ﷺ وأفقههم في دينه كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وأدابه من غيرهم وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستنصر به على عدوه وكان أعظم جنده وكان يقول: إني لا أحمل هم الإجابة ولكن أحمل هم الدعاء فإن الإجابة معه. وأخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه فقال:

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه :: من جود كفيك ما دعوتني الطلب
الرب يغضب إن تركت سؤاله :: وابن آدم حين يسأل يغضب
:

فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة فإن الله سبحانه وتعالى يقول:
{أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: ٦٠]، {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ} [البقرة: ١٨٦].
وفى سنن ابن ماجه من حديث أبي هريره قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من لم يسأل الله يغضب عليه".⁽²⁾

وهذا يدل على أن رضاه في سؤاله وطاعته وإذا رضى الرب تبارك وتعالى فكل خير في رضاه كما أن كل بلاء ومعصية في غضبه.

وقد ذكر الإمام أحمد في كتاب الزهد أثراً: “أنا الله لا إله إلا أنا إذا رضيت باركت وليس لبركتي منتهى، وإذا غضبت لعنت، ولعنتى تبلغ السابع من الولد—.

وقد دل العقل والنقل والفطرة وتجاوب الأمم على اختلاف أجناسها ومللها أعظم الأسباب الجالبة لكل خير وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر فما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقمته بمثل طاعته والتقرب إليه والإحسان إلى خلقه.

ومن المواقف:

تعالوا نستنشق رياض السلف الصالح ونرى هذه الهمم السامقة ” أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة ”.

يسير بجيش المسلمين على صفحة الماء بسبب الدعاء:

قال سهم بن منجاب: غزونا مع العلاء الحضرمي دارين قال: فدعا بثلاث دعوات فاستجاب الله له فيهن كلهن قال: سرنا معه قال: فنزلنا منزلاً وطلبنا الوضوء فلم نقدر عليه فقال فصلى ركعتين ثم دعا الله فقال: ” اللهم يا عليم يا حليم يا على يا عظيم أنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثاً نشرب منه ونتوضأ من الأحداث، وإذا تركناه فلا تجعل لأحد يه نصيب غيرنا قال: فما جاوزنا غير بعيد فإذا نحن بنهر من ماء سماء يتدفق قال: فنزلنا فروينا وملأت إداوتى وتركتها وقلت لأنظرن هل استجيب له؟ قال: فسرنا ميلاً أو نحوه فقلت لأصحابي: إني نسيت إداوتى فذهبت إلى ذلك المكان فكأنما لم يكن فيه ماء قط فأخذت إداوتى فجئت بها فلما أتينا دارين وبيننا وبينهم البحر، فدعا الله أيضاً فقال: اللهم يا عليم يا حليم يا على يا عظيم إنا عبيدك وفي سبيلك نقاتل عدوك فاجعل لنا سبيلاً إلى عدوك ثم اقتحم بنا البحر فوالله ما ابتلت سروجنا حتى خرجنا إليهم، فلما رجعنا اشتكى البطن فمات فلم نجد مما نغسله به فكفناه في ثيابه فدفناه فلما سرنا غير بعيد إذا نحن بماء كثير فقال: بعضنا لبعض ارجعوا

لنستخرجه فنغسله فرجعنا وطلبنا قبره فخفى علينا قبره فلم نقدر عليه فقال، رجل من القوم: إني سمعته يدعو الله يقول: اللهم يا عليم يا حليم يا على يا عظيم أخف جثمانى ولا تطلع على عورتى أحداً فرجعنا وتركناه. **يدعو الله فيبعث له حماره:**

عن الشعبي أن قوما من المهاجرين خرجوا متطوعين في سبيل الله فنفق حمار رجل منهم فأرادوه أن ينطلق معهم فأبى، فانطلق أصحابه مرتجلين وتركوه فقام فتوضأ فصلّى ثم رفع يديه فقال: اللهم إني خرجت مجاهداً في سبيلك وابتغاء مرضاتك وأشهد أنك تحيي الموتى، وتبعث من في القبور اللهم فأحيى لى حمارى. ثم قام إلى الحمار فضربه فقام الحمار ينفض أذنيه فأسرجه وأجمه ثم ركه فأجراه حتى لحق بأصحابه فقالوا له: ما شأنك؟ قال: شأنى ان الله بعث لى حمارى؟!

قال الشعبي: أنا رأيت الحمار بيع أو يباع في مكان بالكوفة⁽¹⁾.

أقسم على الله فأبره! البراء بن عازب:

لقى البراء المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له: يا براء إن رسول الله ﷺ قال: "إنك لو أقسمت على الله لأبرك- فأقسم على ربك قال: أقسم عليك يارب لما منحتنا أكتافهم وألحقنى بنبيك فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً⁽²⁾.

يدعو الله بعز الاسلام والشهادة فيبينالهما معا!! النعمان بن مقرن:

في يوم نهاوند قال النعمان بن مقرن رضي الله عنه : " اللهم إني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذلل يذل به الكفار ثم اقبضنى إليك بعد ذلك على الشهادة. أمنوا رحمكم الله " قال جبير: فأمنا وبكىنا.

(1) مجابو الدعوة، ص 85.

(1) الحاكم.

وفى رواية معقل بن يسار: قال النعمان: إني أدعو الله عز وجل بدعائه فعزمت على كل امرئ منكم لما أمن عليها: اللهم أعط النعمان اليوم الشهادة في نصر المسلمين وافتح عليهم، ثم حمل فكان أول صريع⁽³⁾.

من جدع أنفك وأذنك؟! عبد الله بن جحش:

قال سعد بن أبي وقاص: أن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال يوم أحد: ألا تدعوا الله؟ فخلوا في ناحية فدعا سعد فقال: يا رب إذا بقيت العدو فلقني رجلاً شديداً بأسه شديداً حرده أقاتله ويقاتلني ثم ارزقني الظفر عليه حتى أقاتله وأخذ سلبه. فأمن عبد الله بن جحش ثم قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً حرده شديداً بأسه أقاتله فيك ويقاتلني ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني فإذا لقيتك غدا قلت: من جدع أنفك وأذنك؟ فأقول: فيك وفي رسولك صلى الله عليه وسلم فتقول: صدقت. قل سعد: يا بني كانت دعوة عبد الله بن جحش خيراً من دعوتي لقد رأيته آخر النهار وإن أنفه وأذنه لمعلقتان في خيط!!⁽⁴⁾.

ياله من دعاء!!:

أخرج البخاري عن أسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، واجعل موتى في بلد رسول الله ﷺ. قالت حفصة: سمعت عمر رضي الله عنه يقول: اللهم قتلا في سبيلك و وفاة ببلد نبيك ﷺ. قالت: فقلت: وأنى يكون هذا؟ قال: يأتي به الله إذا شاء⁽⁵⁾.

أغرب من الأساطير، أبو معاوية الأسود:

كان أبو معاوية - رحمه الله - من كبار أولياء الله، صحب سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم وغيرهما،

قيل: إنه ذهب بصره فكان إذا أراد التلاوة في المصحف أبصر بأذن الله

(2) مجابو الدعوه، ص 62.

(3) الطبراني.

(1) البخاري.

قال أحمد بن فضل العكي: غزا أبو معاوية الأسود فحضر المسلمون حصنا فيه علج لا يرمى بحجر ولا نشاب إلا أصاب، فشكو إلى أبي معاوية فقراً: { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى } [الأنفال: ١٧]، فقال استروني منه، فلما وقف قال: أين تردون بأذن الله؟ قالوا المذكور. فقال: أي رب، قد سمعت ما سألوني فأعطني ذلك. بسم الله. ثم رمى المذاكير فوقه!!!⁽¹⁾.

يدعو ربه أن يحشر في حواصل الطيور! عتية الغلام:

قال رياح القيس: بات عندي عتبه الغلام فسمعته يقول في سجوده: ” اللهم احشر عتبه في حواصل الطير، وبطون السباع فاستجاب الله دعاءه ولقى ربه شهيداً وأكلت الطيور لحمه ”⁽²⁾.

دعاء الله بصالح الأعمال:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال: “بينما ثلاثة رهط يتماشون أخذهم المطر فأووا إلى غار في جبل فبينما هم فيه إذا نحطت صخره فأطبقت عليهم الغار فقال بعضهم لبعض: انظروا أفضل أعمال فعلتموها فأسألوه بها لعله يفرج عنكم. فقال أحدهم: اللهم إنه كان لى والدان كبيران وكانت لى امرأة وأولاد صغار فكنت أرعى عليهم فإذا أرحت غنمى بدأت بأبوي فسقيتهما فلم أت حتى نام أبواى فطلبت الأثناء ثم حلبت ثم قمت بحلابى عند رأس أبواى والصبية يتضاورن عند رجلى أكره أن أبدأ بهم قبل أبوى وأكره أن أوقظهما من نومهما فلم أزل كذلك قائما حتى أضاء الفجر، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فأفرج عنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله لهم فرجة فرأوا منها السماء. وقال آخر: اللهم إنه كانت لى ابنة عم فأحببتها حباً كانت أعز الناس إلى فسألتها نفسها فقالت: لا، حتى تأتين بمائة دينار فسعيت حتى جمعت مائة دينار فأتيتها بها فلما كنت بين رجلها قالت: اتق الله ولا تفتح الخاتم إلا بحقه فقامت عنها. اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء

(2) سير أعلام النبلاء، ج 9، ص 78.

(3) صفة الصفوة، ج 4، ص 200.

وجهك فافرج عنا فرجة ففرج الله عنهم فرجه. وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجيراً بفرق ذرة فلما قضى عرضته عليه فأبى أن يأخذه ورغب عنه فلم ازل أعتل فيه حتى جمعت منه بقرأ ورعاءها فجاءني فقال: اتق الله وأعطني حقى ولا تظلمنى فقلت له: اذهب إلى تلك البقرة ورعاتها فخذها فذهب فاستاقها، اللهم إن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما بقى منها ففرج عنهم فخرجوا يتماشون-⁽³⁾. سمعت لأهل السماء ضجة فسألت الله يوليني قتله:

عن أنس رضي الله عنه قال: كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار يكنى أبا معلق، وكان تاجراً يتجر بمال له ولغيره يضرب في الأفاق وكان ناسكا ورعا، فخرج مرة فلقية لص مقتع في السلاح فقال له: ضع ما معك فإنى قاتلك قال: ما تريد فخرج مرة فلقية لص مقتع في السلاح فقال له: ضع ما معك فإنى قاتلك قال: ما تريد من دمي؟ شأنك والمال قال: أما المال فلى ولست أريد إلا دمك قال: أما إذا أبييت فذرني أصلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود يا ذا العرش المجيد يا فعال لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، وملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثنى، يا مغيث أغثنى ثلاث مرات قال: دعا بها ثلاث مرات فإذا بفارس قد أقبل بيده حربه واصعها بين أذنى فرسه فلما أبصر به اللص أقبل نحوه فطعنه فقتله ثم أقبل إليه فقال: قم، قال: من نت بأبى وأمى؟ فقد أغاثنى الله بك اليوم، قال: أنا ملك من السماء الرابعة دعوت بدعائك الأول فسمعت لأبواب السماء قعقة، ثم دعوت بدعائك الثانى فسمعت لأهل السماء ضجة ثم دعوت بدعائك الثالث فقبل لى: دعاء مكروب فسألت الله تعالى أن يوليني قتله.

قال أنس: فاعلم أنه توضأ وصلى أربع ركعات ودعا بها الدعاء أستجيب له مكروبا أو غير مكروب⁽¹⁾.

(1) البخارى ومسلم.

(1) مجابو الدعوة، ص 63.

دعا امرأة عثمان على قتلته:

عن شداد الأعمى قال: كنت أطوف بالبيت فإذا رجل أعمى يطوف بالبيت يقول: اللهم اغفر لي وما أراك تفعل قال: فقلت: أما تتقى الله؟ قال: إن لي شأنا أليت أنا وصاحب لي لئن قتل عثمان لنلطمن حر وجهه، فدخلنا عليه وإذا رأسه في حجر امرأته ابنة الفرافصة فقال بلها صاحبي: أكشفني عن وجهه قال: لم؟ قال: ألطم وجهه قال: أما تذكر ما قال فيه رسول الله ﷺ؟ قال فيه كذا وقال فيه كذا قال: فاستحا صاحبي فرجع فقلت لها: أكشفني عن وجهه، قال: فذهبت تدعو على فلطمت وجهه فقالت: مالك! ببس الله يدك، وأعمى بصرك، ولا غفر لك ذنبك قال: فوالله ما خرجت من الباب حتى يبست يدي وعمى بصرى وما أرى الله يغفر لي ذنبي⁽²⁾.

أصابتنى دعوته سعد:

عن جابر بن سمرة قال: شكا أهل الكوفة سعداً إلى عمر رضي الله عنه حتى قالوا: إنه لا يحسن يصلى فقال سعد: أما أنا فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ لا أحزم عنها أركد في الأوليين وأحذف الآخرين قال عمر: ذلك الظن بك يا أبا إسحاق، ثم بعث رجلاً يسألون عنه في مجالس الكوفة فكانوا لا يأتون مجلساً إلا أثنوا خيراً، وقالوا معروفاً حتى أتوا مسجداً من مساجدهم فقال رجل يقال به أبوسعدة: فقال اللهم إذا سألتمونا فإنه كان لا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً فاعم بصره وأطل فقره وعرضه للفتن. قال عبد الملك: فأنا رأيته يتعرض للإمءاء في السكك فإذا قيل له: كيف أنت يا أبا سعدة قال: كبير فقير مفتون أصابتنى دعوة سعد⁽³⁾.

(2) مجابو الدعوة، ص 67.

(3) مجابو الدعوة، ص 69، 70.

ألا دعوتكم: ألا دعوتكم لنا معكم؟!

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اخرجوا بنا إلى أرض قومنا قال: فخرجنا، فكنت أنا وأبى بن طعب في مؤخر الناس فهاجت سحابة فقال أبي: اللهم اصرف عنا أذاها فلحقناهم وقد ابتلت رحالهم فقال عمر: أما أصابنا؟ قلت: إن أبا المنذر قد دعا الله أن يصرف عنا أذاها فقال عمر: أدعوتكم لنا معكم⁽⁵⁾!.

دعا أنجع من الأطباء!!:

عن عمر بن ثابت البصري قال: دخلت في أذن رجل من أهل البصرة حصة فعالجها الأطباء فلم يقدرُوا عليها حتى وصلت صماخه فأسهرت ليلة ونعصته عيش نهاره، فأتى رجلاً من أصحاب الحسن فشكا ذلك إليه فقال: ويحك إن كان شيء ينفعك الله به فدعوة العلاء بن الحضرمي التي دعا بها في البحر في المفازة قال: وما هي يرحمك الله قال: يا على يا عظيم يا حليم يا عليم قال: دعا بها فوالله ما برحنا حتى خرجت من أذنه ولها طنين صكت الحائط وبرأ⁽¹⁾.

أتاك الغوث أبا حفص:

قال خوات بن جبير: أصاب الناس قحط شديد على عهد عمر فخرج عمر بالناس فصلّى بهم ركعتين وخالف بين طرفي رداءه، فجعل اليمين على اليسار واليسار على اليمين ثم بسط يده فقال: اللهم إنا نستغفرك ونستسقيك، فما برح مكانه حتى مطروا، فبيناهم كذلك إذا أعراب قد قدموا فأتوا فقالوا: يا أمير المؤمنين: بينما نحن في بوادينا في يوم كذا في ساعه كذا إذ أظلنا غمام فسمعنا به صوتاً: أتاك الغوث أبا حفص أتاك الغوث أبا حفص⁽²⁾.

(1) سير أعلام النبلاء، ج 1، ص 298.

(2) مجابو الدعوة، ص 78.

(3) مجابو الدعوة، ص 79.

والله لقد ولدته أمه وهي ميتة!!:

قال زيد بن أسلم: بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعرض للناس إذ مر به رجل معه ابن له على عاتقه فقال عمر: ما رأيت غراباً بغراب أشبه من هذا بهذا فقال الرجل: أما والله يا أمير المؤمنين لقد ولدته أمه وهي ميتة قال: ويحك كيف ذاك؟ قال: خرجت في بعث كذا وكذا وتركتها حاملاً وقلت: أستودع الله ما في بطنك، فلما قدمت من سرى أخبرت أنها قد ماتت فينا أنا ذات ليلة قاعد في البقيع مع بنى عم لى إذ نظرت فإذا ضوء شبه السراج في المقابر فقال لبنى عمى: ما هذا؟ قالوا: لا ندري غير أنا نرى هذا الضوء كل ليلة عند قبر فلانة فأخذت معي فأساً ثم انطلقت نحو القبر فإذا القبر مفتوح وإذا هذا في حجر أمه فدنوت فننادى مناد: أيها المستودع ربه خذ وديعتك أما لو استودعته أمه لوجدته، فأخذت الصبى وانضم القبر.

جعلك الله حماراً⁽³⁾:

يحكى عن أهل البصرة: مررنا ببعض المياه التي بيننا وبين البصرة فسمعنا نهيق حمار فقلنا: ما هذا النهيق؟ قالوا: هذا رجل كان عندنا فكانت أمه تكلمه بالشيء فيقول: انهى نهيقك فكانت أمه تقول: جعلك الله حماراً فلما مات نسمع هذا النهيق عند قبره كل ليلة⁽⁴⁾.

أطلعت الله فيما أمرنى ونهانى فسألته فأعطانى:

حدث محمد بن سويد: أن أهل المدينة قحطوا وكان فيها رجل صالح لازم لمسجد النبى ﷺ فبينما هم في دعائهم إذا أنا برجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتن أو جز فهما ثم بسط يديه إلى الله فقال: يارب أقسمت عليك إلا أمطرت علينا الساعة فلم يرد يده ولم يقطع دعاءه، حتى تغشت السماء بالغيم وأمطروا حتى صاح أهل المدينة مخافة الغرق فقال: يارب، إن كنت تعلم أنهم قد أكتوا فارع عنهم، وتبع الرجل صاحب المطر حتى عرف موضعه ثم بكر عليه فنادى: يا أهل البيت فخرج الرجل فقال: قد

(1) مجابو الدعوة، ص83، 84.

(2) مجابو الدعوة، ص 84.

أتتكَ في حاجة قال: وما هي؟ قال: تخصني بدعوة قال: سبحان الله! أنت أنت وتألني أن أخصك بدعوة؟! قال: ما الذي بلغك ما رأيت؟ قال: أو رأيتني؟ قلت: نعم، قل: اطلعت الله فيما أمرني ونهاني فسألته فأعطاني (1).

خذ هذه فأدها عن أمانتك وأقصر في الخطبه فإنك لن تراني:

استودع محمد بن المنكدر وديعة فاحتاج إليها فأنفقها فجاء صاحبها يطلبها فقام فتوضأ وصلى ثم دعا فقال: ياساد الهواء بالسماء ويا كابس الأرض على الماء ويا واحداً قبل كل أحد كان، ويا واحداً بعد كل أحد يكون أد عنى امانتى فسمع قارئ يقول: خذ هذه فأدها عن أمانتك وأقصر في الخطبة فإنك لن تراني (2).

إن كنت كاذبا فسود الله وجهك:

قال علي بن زيد بن جدعان: كنت جالسا إلى سعيد بن المسيب فقال: يا أبا الحسن: مر قائدك يذهب بك فتتظر إلى وجه هذا الرجل وإلى جسده فانطلق قال: فإذا وجهه وجه زنجى وجسده أبيض فقال سعيد: إنى أتيت على هذا وهو يسب طلحة والزبير وعليهما رحمة الله عليهم فنهيته فأبى فقلت: كنت كاذبا فسود الله وجهك فخرجت في وجهه قرحه فاسود وجهه (3).

قد مسخت يداه يدى خنزير!:

قال سويد بن سعيد: خرجت أنا وعمى إلى مكران فكان معنا رجل يسب أبا بكر وعمر رضي الله عنه فنهيناه فلم ينته فقلنا له: اعتزلنا فاعتزلنا فلما دنا خروجنا هرب منا فقلنا: لو حبنا حتى نرجع إلى الكوفة، فلقينا غلام له فقلنا له: قل لمولايك يعود إلينا فقال: إن مولاي قد حدث به أمر عظيم لى وأخرج ذراعه فإذا هما ذراعا خنزير قال: فصحبنا حتى انتهينا إلى قرية من قرى الواد كثيرة الخنازير، فلما رآها صاح صيحة ووثب فمسخ خنزير وخفي علينا فجننا بعلامه ومتاعه إلى الكوفة (4).

(3) مجابو الدعوة، ص 97.

(2) مجابو الدعوة، ص 98.

(3) الذهبي، سير أعلام النبلاء، 4 / 242.

(4) مجابو الدعوة، ص 100.

ارتحلوا فوالله لا أقتل قوما سقاهم الله من السماء وأنا أنظر؟!:

قال السري بن يحيى: بلغنا أن مكا من موك الأعاجم أقبل في جيش فلقى عصابة من المسلمين فلما رأوه اعتصموا ببربوة فصعدوا فوقها فقال ذلك الملك: ما أجد لهؤلاء شيئاً أشد عليهم من أن نحيط بهم ثم نتركهم مكانهم حتى يموتوا من العطش فأحاطوا بهم فأصابهم حر شديد وعطش فاستسقوا الله فأقبلت سحابة فجعل الرجل يحمل تره يتلقى به الماء حتى يمتلئ ثم يشرب حتى يروى فقال ذلك الملك: ارتحلوا فوالله لا أقتل قوماً سقاهم الله من السماء وأنا أنظر (1).

اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك:

قال بقية بن مخلد: كنا في البحر فهبت الرياح وهاجت الأمواج فبكى الناس وضجوا فقيل لابن معيوف: هذا إبراهيم بن أدهم لو سألته أن يدعو الله وإذا هو نائم في ناحية السفينة ملفوف راسه في كساء فدنا منه فقال: يا أبا إسحاق أما ترى ما الناس فيه؟ فقال: اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوك قال: فهدأت السفينة (2).

صنعت مثل الذي صنعت فرد الله على بصرى:

قال عبد العزيز بن رواد: أضاف ابن عمر رجلاً أعمى فأكرمه ابن عمر وأنامه في منزله الذي ينام فيه، فلما كان في جوف الليل قام ابن عمر فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم صلى ركعتين، ثم دعا بدعاء فهمه الأعمى، فلما رجع ابن عمر إلى مضجعه قام الأعمى إلى فض وضوء ابن عمر فتوضأ فأسبغ الوضوء، ثم صلى ركعتين، ثم دعا بذلك الدعاء فرد الله عليه بصره فشهد الصبح مع ابن عمر بصيراً فلما فرغ التفت إلى ابن عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن! دعاء سمعتك البارحة تدعو به فهمته فقامت فصنعت مثل الذي صنعت فرد الله على بصرى قال: ذلك دعاء علمناه رسول الله ﷺ وأمرنا أن لا نعلمه أحداً يدعو به في أمر الدنيا قال: قل: اللهم رب الأرواح الفانية، والأجساد الفانية أسألك بطاعة الأرواح الراجعة إلى أجسادها وبطاعة الأجساد الملتزمة بعروقها وبكلماتك النافذة فيهم وأخذك الحق منهم والخلائق

(1) مجابو الدعوة، ص 108.

(2) حلية الأولياء، 5/8.

بين يديك ينتظرون فصل قضائك ويرجون رحمتك ويخافون عقبك أن تجعل النور في بصرى واليقين في قلبى وذكرك بالليل والنهار على لسانى وعملاً صالحاً فارزقني⁽¹⁾.

فحللته من وثاقه ومضيئنا:

قال مالك بن دينار رضي الله عنه خرجت إلى الحج فرأيت طيراً في منقاره رغيف فتبعته فجاء إلى شيخ موثق وصار يلقيه لقمة لقمة ثم طار وجاء بماء في فمه فسكبه في فم الشيخ فقلت له: من أنت؟ قال: من الحجاج أخذني اللصوص وربطوني هاهنا فصرت على الجوع خمسة أيام ثم قلت يا من يجيب دعوة المضطر إذا دعاه، فأنا مضطر فأرحمني فأرسل الله لي هذا الغراب قال مالك فحللته من وثاقه ومضيئنا⁽²⁾.

يا قسورة:

قيل لإبراهيم بن أدهم: هذا السبع قد ظهر لنا قال: "أرنيه، فلما رآه، قال: يا قسورة، إن كنت أمرت فينا بشيء فامض لما أمرت به، وإلا فعودك على بدنك فولى السبع ذاهباً قال: أحسبه قال: يصوت بذنبه قال: فتعجبت كيف فهم السبع كلام إبراهيم بن أدهم فأقبل علينا إبراهيم، فقال: قولوا: اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واكفنا بركنك الذي لا يرام، وارحمنا بقدرتك علينا، ولا نهلك وأنت رجاؤنا- قال خلف: فما زلت أقولها منذ سمعتها، فما عرض لي لص ولا غيره⁽³⁾.

في فم كل واحدة منهن دينار واحد:

حدث صالح بن سليمان، أو غيره قال: "احتاج إبراهيم بن أدهم إلى دينار، وكان على شاطئ البحر، فدعا الله عز وجل، فتشرعت السمك في فم كل واحدة منهن دينار واحد، فأخذ ديناراً واحداً⁽⁴⁾.

(1) مجابو الدعوة، ص 124.

(2) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، 260/2.

(3) ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة - 1 / 140.

(4) ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة - 1 / 142.

قد أريت قدرتك، فأذقنا برد عفوك ورحمتك:

ذكر سعيد بن صدقة أبو مهلهل قال: جاء إبراهيم بن أدهم إلى قوم قد ركبوا سفينة في البحر، فقال له صاحب السفينة: ” هات دينارين، قال: ليس معي ولكن أعطيك من يدي، قال: فعجب منه، وقال: إنما نحن في بحر، فكيف تعطيني؟ قال: ثم أدخله فساروا حتى انتهوا إلى جزيرة في البحر، فقال صاحب السفينة: والله لأنظرن من أين تعطيني؟ هل اختبأ ها هنا شيئاً؟ قال: فقال له: يا صاحب الدينارين أعط حقّي، قال: نعم، فخرج إبراهيم فمضى واتبعه الرجل وهو لا يدري، فانتهى إلى الجزيرة فركع فلما أراد أن ينصرف قال: يا رب، إن هذا قد طلب مني حقه الذي له علي، فأعطه عني، قال وهو ساجد، قال: فرفع رأسه فإذا ما حوله دنائير، وإذا الرجل، فقال: جئت، خذ حقك ولا تزدد، ولا تذكر هذا، قال: ومضوا فأصابتهم عجاجة وظلمة وأحسوا بالموت، فقال الملاح: أين صاحب الدينارين؟ أخرجوه، قال: فجاءوا إليه، فقالوا: ما ترى ما نحن فيه، ادع الله معنا؟ قال: فرفع يديه وأرخى عينيه، وقال: يا رب، يا رب، قد أريت قدرتك، فأذقنا برد عفوك ورحمتك، قال: فسكنت العجاجة وساروا ” (1).

هذا أجره عملك في يومين وإن زدت زدناك:

كان في زمان مالك بن دينار أخوان محدثان يعبدان النار فقال الأصغر للأكبر قد عبدناها مدة طويلة فننظر إن أحرقتنا تركناها وإلا فلازمناها فوضع كل منها يده فيها فأحرقته فذهبا إلى مالك بن دينار ليعلمهما الإسلام فغلبت الشقاوة على الأكبر فقال لا أعبد غيرها فلما أسلم الصغير ذهب إلى مكان خراب يعبد ربه فلما أصبح قالت له امرأته اذهب إلى السوق واطلب عملاً نأكل منه فذهب إلى مكان وصلى فيه إلى الليل ثم رجع قالت امرأته هل عملت قال عملت شيئاً عند الملك وقال أعطيك كلاً فباتوا جوعاً فلما كان في اليوم الثاني خرج للعبادة وقال يا رب أكرمتني بالإسلام فأسألك بحق هذا الدين وهذا اليوم يوم الجمعة أن ترفع عن قلبي هم نفقة عياله فلما رجع ليلاً وجد عياله في فرح وعندهم طعام كثير فسألهم

(1) ابن أبي الدنيا، الأولياء، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، 1413، 1 / 35.

عن ذلك فقالت جاءنا وقت الظهر رجل معه طبق فيه ألف دينار وقال قولي لزوجك هذا أجرة عملك في يومين وإن زدت زدناك فذهبت بدينار إلى الصيرفي وكان نصرانيا فعرف أن الدينار من هدايا الآخرة فأسلم وأعطاني ألف درهم لما أخبرته بأمرك وأمر الرجل الذي جاءنا بالطبق ففسد زوجها شكرا لله⁽¹⁾.

فما ذهبت عيناى من الدنيا حتى رأيتُ كلَّ رجل منهم قد أعطي ما سأل:

وقال الشعبي: رأيتُ عجبا، كنّا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان، فقال القوم: ليقم كلُّ رجلٍ منكم فليأخذ بالركن اليماني وليسأل الله حاجته فإنه يُعطى، قم، يا عبد الله بن الزبير! فإنك أول مولود ولد في الهجرة. فقام فأخذ بالركن اليماني فقال: اللهم إنك عظيمٌ تُرجى لكلِّ عظيم، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ﷺ ألا تميتني حتى توليني الحجاز ويُسلم عليّ بالخلافة! وجاء فجلس، وقالوا: قم، يامصعب! فقام حتى إذا أخذ بالركن اليماني فقال: اللهم إنك ربُّ كلِّ شيء، وإليك يصير كلُّ شيء، أسألك بقدرتك على كلِّ شيء ألا تميتني حتى توليني العراقيين وتزوجني سكينه بنت الحسين! وجاء فجلس، وقالوا: قم، يا عبد الملك! فقام فأخذ بالركن وقال: اللهم ربَّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم ربَّ الأرض ذات النبت بعد القفر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك، وأسألك بحقك على جميع خلقك، وأسألك بحق الطائفين حول بيتك ألا تميتني حتى توليني شرق الأرض وغربها، ولا يئز عني أحدٌ ألا أتيتُ برأسه! ثمَّ جاء فجلس، ثمَّ قالوا: قم، يا عبد الله بن عمر! فقام حتى أخذ بالركن ثمَّ قال: اللهم إنك رحمان رحيم، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك إلا تميتني حتى تُوجب لي الجنة! - قال الشعبي: فما ذهبت عيناى من الدنيا حتى رأيتُ كلَّ رجل منهم

(1) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - 2001 / 2002، 27/1، 69، 2 / 260، 280.

قد أعطي ماسأل. ويُشر عبد الله بن عمر بالجنة (1).

ألست صاحبي بالأمس؟:

- وعن عبد الله بن المبارك المجمع على دينه وعلمه وورعه، أنه قال: خرجت إلى الجهاد ومعى فرس فيبينما أنا في بعض الطريق إذ صرع الفرس، فمر بي رجل حسن الوجه طيب الرائحة، فقال: أتحب أن تركب فرسك. قلت: نعم. فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى إلى مؤخره، وقال: أقسمت عليك أيتها العلة بعزة عزة الله وبعظمة عظمة الله وبجلال جلال الله وبقدرة قدرة الله وبسلطان سلطان الله وبلا إله إلا الله وبما جرى به القلم من عند الله وبلا حول ولا قوة إلا بالله إلا انصرفت. قال: فانتفض الفرس وقام، فأخذ الرجل بركابي وقال: اركب فركبت ولحقت بأصحابي، فلما كان من غداة غد وظهرنا على العدو فإذا هو بين أيدينا، فقلت: ألست صاحبي بالأمس؟ قال: بلى. فقلت: سألتك بالله من أنت؟ فوثب قائماً فاهتزت الأرض تحته خضراء، فإذا هو الخضر عليه السلام. قال ابن المبارك رضي الله تعالى عنه: فما قلت هذه الكلمات على عليل إلا شفي بإذن الله تعالى (2).

اصبروا، فإنما هي الليلة:

قال الفضيل بن عياض، قال إبراهيم التيمي: لما حبست الحبسة المشهورة، أدخلت السجن، فأنزلت على أناس في قيد واحد، ومكان ضيق، لا يجد الرجل إلا موضع مجلسه، وفيه يأكلون، وفيه يتغوطون، وفيه يصلون.

قال: فجيء برجل من أهل البحرين، فأدخل علينا، فلم نجد مكاناً، فجعلوا يتبرمون به، فقال: اصبروا، فإنما هي الليلة. فلما دخل الليل، قام يصلي، فقال: يا رب، مننت علي بدينك، وعلمتني كتابك، ثم سلطت علي شر خلقك، يا رب، الليلة، الليلة، لا أصبح فيه.

(1) المرزباني، نور القبس، 92/1.

(2) كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، 298/2.

فما أصبحنا حتى ضربت أبواب السجن: أين البحراني، أين البحراني؟ فقال كل منا: ما دعي الساعة، إلا ليقتل، فخلي سبيله.

فجاء، فقام على باب السجن، فسلم علينا، وقال: أطيعوا الله لا يضيعكم⁽¹⁾.

وإني قد استحييت من الله:

قيل إنه في آخر سنة حج قال: قد وافيت هذا الموضع سبعين مرة وأقول كل مرة: اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان، وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك، فرجع فتوفي في العام القابل⁽²⁾.

اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك، فأرحنا منه كيف شئت:

عن عبد الواحد بن زيد: كنا عند مالك بن دينار ومعنا محمد بن واسع، وحبیب أبو محمد فجاء رجل، فكلّم مالكا، فأغلظ له في قسمة قسمها، قال: وضعتها في غير حقها، وتتبع بها أهل مجلسك، ومن يغشاك لتكثر غاشيتك، وتصرف وجوه الناس إليك، قال: فبكى مالك، وقال: والله ما أردت هذا، قال: بلى، والله لقد أردته فجعل مالك يبكي والرجل يغلظ له، فلما أكثر ذلك عليهم رفع حبیب يديه إلى السماء، ثم قال: اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك، فأرحنا منه كيف شئت، قال: فسقط والله الرجل على وجهه ميتا، فحمل إلى أهله على سرير، وكان يقول: إن أبا محمد مستجاب الدعوة⁽³⁾.

اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء:

روى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في المنام ف قيل له ما فعل الله بك قال غفر لي وألبسي نعلين من ذهب وقال يا أحمد ادعني بالدعوات التي كنت تدعوني بها في الدنيا فقلت اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء ولا تسألني عن شيء فقال يا أحمد قم فادخل

(1) القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة، 42/1.

(2) ابن خلكان وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، 393/2.

(3) يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي " 654 - 742"، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، 1400 - 1980، 392/5.

الجنة⁽¹⁾.

إن كنت تعلم إنني على صواب فلا تهتك ستري:

قال بعضهم رأيت النبي ﷺ في المنام فسألته عن أحمد فقال أسأل عنه موسى فسألته فقال هو من الصديقين وقال بعضهم رأيت زبيدة في المنام وكنتها أم العزيز وشعرها أبيض فسألته عن ذلك فقالت لما جردوا الإمام أحمد للضرب زفرت جهنم زفرة فلم يبق أحد في القبور إلا أبيض شعره ولما ضربه الجلاد أول ضربة بالسوط شق خاصرته فقال اللهم اعم بصره ثم رآه بعد ذلك وهو أعمى فسأله عن ذلك فقال حتى تخرج الروح قبل أن تقول القرآن مخلوق فقال الإمام أحمد اللهم إن كان صادقا فرد عليه بصره فرد الله بصره وفي السوط الأول قال بسم الله وفي الثاني قال لا حول ولا قوة إلا بالله وفي الثالث قال القرآن كلام الله غير مخلوق وفي الرابع لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ثم انقطعت حاشية سراويله فقال اللهم إنني أسألك باسمك الذي ملأت به العرش ان كنت تعلم إنني على صواب فلا تهتك ستري فرفعت سراويله.

وما يدريك أنه يحبك؟!:

عن مالك بن دينار قال احتبس علينا المطر بالبصرة فخرجنا يوما بعد يوم نستسقي فلم نر أثرا لإجابة فخرجت أنا وعطاء السلمي وثابت البناني ومحمد بن واسع وحبيب الفارسي وصالح المري وآخرين حتى صرنا إلى المصلى بالبصرة فاستسقينا فلم نر أثرا لإجابة وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت في المصلى فلما اظلم الليل إذا بأسود دقيق الساقين عظيم البطن عليه مئزران من صوف فجاء إلى ماء فتمسح ثم صلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه إلى السماء فقال سيدي إلى كم ترد عبادك فيما لا ينقصك أنفد ما عندك أقسمت عليك بحبك لي إلا ما سقيتنا غيثك الساعة الساعة.

(1) عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، 107/1.

فما أتم الكلام حتى تغيمت السماء وأخذتنا كأفواه القرب فما خرجنا حتى خضنا الماء فتعجبنا من الأسود فتعرضت له فقلت أما تستحي مما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لي وما يدريك أنه يحبك قال تنح عن همتي يا من اشتغل عنه بنفسه أين كنت أنا حين خصني بتوحيده ومعرفته أتراه بدائي بذلك إلا لمحبه لي ثم بادر يسعى فقلت ارفق بنا قال أنا مملوك على فرض من طاعة مالكي الصغير فدخل دار نحاس فلما أصبحنا أتيت النحاس فقلت له عندك غلام تبيعنيه للخدمة قال نعم عندي مائة غلام فجعل يخرج إلى واحد بعد واحد وأنا أقول غير هذا الى أن قال ما بقي عندي أحد فلما خرجنا اذا الأسود قائم في حجرة خربة فقلت بعني هذا قال هذا غلام مشوم لا همة له إلا بالبكاء فقلت ولذلك اريده فدعاه وقال لي خذه بما شئت بعد ان تبرئني من عيوبه فاشتريته بعشرين ديناراً فلما خرجنا قال يا مولاي لماذا اشتريتني قلت لنخدمك نحن قال ولم ذاك قلت أليس انت صاحبنا البارحة في المصلى قال وقد اطلعت على ذلك فجعل يمشي حتى دخل مسجدا فصلى ركعتين ثم قال إلهي وسيدي سر كان بيني وبينك أظهرته للمخلوقين أقسمت عليك إلا قبضت روعي الساعة فإذا هو ميت⁽¹⁾.

بحق ما جرى البارحة أن ترحم عبادك وبلادك:

قال رباح القيسي: سمعت مالك بن دينار، يقول: أصاب الناس بالبصرة قحط شديد، فخرجنا نستسقي فإذا أنا بسعدون في بعض الخرابات فقلت له بالذي خلقك استسق لنا، فرفع رأسه إلى السماء وقال ” يا فاطر الأشباح والأرواح ومنشئ السحاب والرياح وفالق الأصباح بحق ما جرى البارحة أن ترحم عبادك وبلادك ولا تهلك بلادك بذنوب عبادك ” قال فما استتم كلامه حتى أرخت السماء غرابيلها وجادت بوابلها فخرج يخوض الماء وهو يقول:

(1) ابن الجوزي، صفة الصفوة، 17/4.

قل لندياي أبعدني وتولي
وصلني وأملكي وداد سواني
إن تكوني أسرت بالذنب قوما
ان تريني فأنني لا أراك
انني مغرم بحب سواك
فاذهبي أنت لست من أسراك (1)

يا أيها الراقد كم ترقد!:

قال مالك بن دينار كنت حاجاً فغلبتني عينايا فرقدت عند الكعبة فوقف
سعدون على رأسي، فقال:

يا أيها الراقد كم ترقد
وخذ من الليل وساعاته
قم يا حبيبي قد دنا الموعد
فازد إذا ما سجد السجد (2)

لئن لم ترك العين.. فقد أبصرك القلب:

قال مالك بن دينار: مررت ببعض سكك البصرة، فإذا الصبيان يرمون
رجلاً بالحجارة ويقولون: هو يزعم إنه يرى ربه على الدوام. قال فزجرت
عنه الصبيان، وقلت له: ما الذي يزعم هؤلاء؟ قال وما يزعمون؟ قلت
يزعمون أنك تزعم ترى ربك على الدوام، فبكى، وقال والله! ما فقدته لما
أطعته. ثم أنشأ يقول:

على بعدك لا يصبر
ولا يقوى علي هجرك
لئن لم ترك العين
من عاداته
من تيممه
فقد أبصرك القلب (3)

(1) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، 1 / 20.

(2) النيسابوري، عقلاء المجانين، 1 / 22.

(3) النيسابوري، عقلاء المجانين، 1 / 52.

أخبرت أهل النار بحبي إياك:

وقال ذو النون: ” تسمعوا يوماً على أبي سليمان، فسمعوه يقول:
يا رب!، أن طالبتني بسريرتي طالبت بتوحيديك!، وإن طالبت بذنوبي
طالبت بكرمك!، وإن جعلتني من أهل النار أخبرت أهل النار بحبي إياك
.”

قد وضعنا في هذه ما أصابها:

وقال: ” كنت في ليلة باردة في المحراب، فأتلفني البرد، فخبأت إحدى
يدي من البرد، وبقيت الأخرى ممدودة، فغلبت عيناها فنمت، فهتف بي
هاتف: يا أبا سليمان!، قد وضعنا في هذه ما أصابها، ولو كانت الأخرى
لوضعنا فيها. فأليت على نفسي أن لا أدعوا إلا ويدي خارجتان، حراً
أو برداً ”.

إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم:

وعن محمد بن منصور الطوسي، قال: قعدت مرة إلى معروف، فقلعه
قال: واغوثاه يا الله، عشرة آلاف مرة، وتلا: { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ
فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ } [الأنفال: ٩].

يا أبت كنت الساعة بالأنبار:

قال خليل الصياد غاب ابني محمد فجزعت أمه عليه جزعا شديدا فأتيت
معروفا فقلت أبا محفوظ قال ما تشاء قلت ابني محمد غاب وجزعت أمه
عليه جزعا شديدا فادع الله أن يرده عليها فقال اللهم إن السماء سماؤك
والأرض أرضك وما بينهما لك فأت به قال خليل فأتيت باب الشام فإذا
ابني محمد قائم منبهر قلت محمد قال يا أبت كنت الساعة بالأنبار.

إيش الخبر:

قال أبو محمد الضرير جار مردوية الصائغ أرسل الى مردوية فأتيته
فقال إن ابني قد غاب عنا منذ أيام وقد ضيقوا على النساء لما يبكين فاغد
بنا الى معروف قال فغدوت أنا وهو الى معروف فسلم عليه وهو في
المسجد فقال معروف ما الذي جاء بك يا أبا بكر قال إن ابني قد غاب عنا
منذ أيام وقد ضيقوا على النساء لما يبكين قال فقال معروف يا عالما بكل
شيء ويا من لا يخفى عليه شيء ويا من علمه محيط بكل شيء أوضح لنا

أمر ذا الغلام ثلاث مرار قال ثم انصرفنا من عنده قال فلما أن أصبحت قبل صلاة الفجر إذا رسول مردوية قد جاءني يدعوني فقلت إيش الخبر فقال قد جاء الغلام فجئت فاذا الغلام قاعد بين يدي مردويه فقال لي اسمع العجب قال فقال الغلام كنت أمشي بالكوفة فأتاني نفسان فأخذا بيدي فأخرجاني من الكوفة وقالوا امض إلى بيتكم فلم أقعد ولم أكل ولم أشرب ومررت ببئر تسع أو قال تسعين ثم رأيتهما فلم يتحركا حتى أتيتكم فأطعموني فإني ما أكلت شيئاً حتى جئتكم (1).

* * *

أحوال المتورعين عن الحرام

أحوال المتورعين
عن الحرام

مواقف عربية

أحوال المتورعين عن الحرام

أكل الحرام وشربه ولبسه والتغذي به موجبٌ لسخط الله في الدنيا والآخرة، تحقق به البركات، وتخرب به عامر الديار، وتتفرق بسببه البيوتات، ورد عنه ﷺ من حديث ابن عباس رضي الله عنه: "إن العبد ليَقْذَفَ اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل الله منه عملاً أربعين يوماً، وأيما عبد نبت لحمه من سحت فالنار أولى به -فالله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً: {وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} [النور: ٢٦] (1).

ولقد ذكر النبي ﷺ: "الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء: يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب له؟!" (2).

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه بسند رجاله رجال الصحيح سوى رجلين لكنهما وثقا، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يؤتى يوم القيامة بأناس معهم الحسنات كأمثال جبال تهامة، حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباءً منثوراً، ثم يقذف بهم في النار، فقليل: يا رسول الله! كيف ذلك؟ قال: كانوا يصلون ويصومون، ويزكون ويحجون، غير أنهم إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه، فأحبط الله أعمالهم -وفي صحيح البخاري رحمه الله، من حديث خولة الأنصارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "إن رجلاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة—.

وقيل لـ سفيان رحمه الله: لو دعوت الله؟ فقال: إن ترك الذنوب هو الدعاء. ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: بالورع عما حرم الله يقبل الدعاء والتسبيح.

(1) أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (291/10) قال الهيثمي: فيه من لم أعرفهم. وأخرجه أيضاً: الطبراني في الأوسط (310/6، رقم 6495).
(2) رواه مسلم.

ومن المواقف:

ثمرة الأكل من الحلال:

قال الشبلي رحمه الله تعالى: ” عزمت أن لا آكل إلا حلالاً وأنا أطوف بالبراري، فرأيت شجرة فمددت يدي إليها فنادتني الشجرة: تأدب يا شبلي مع الله تعالى فإني لرجل يهودي، فتركته وانصرفت ”.

فكيف حال من مد يده إلى حرام:

وعن الفضيل العسقلاتي رضي الله عنه انه اشتهى سمكاً منذ مدة سنين وعاهد نفسه أنه لا يأكله إلا حلالاً، فمد يده ليأكل منه، وإذا بشوكة قد أصابت يده، فقال: ” إذا كان هذا حال من مد يده إلى حلال، فكيف حال من مد يده إلى حرام ”. فحلف أن لا يأكله بقية عمره.

يا أويس، هذا رزق من عند الله تعالى:

وحكي أن أويس القرني رضي الله عنه مكث ثلاثة أيام لا يأكل شيئاً، ثم مشى فرأى ديناراً في الأرض، فرفعه إليه وقال: هم وغم، ثم ألقاه من يده؟ فبينما هو كذلك، إذا بشاة في فمها رغيف ساخن، فقال في نفسه: لعل هذه الشاة أخذته من راعيها، فأنطقها الله تعالى وقالت: ” يا أويس، هذا رزق من عند الله تعالى، أتاني به جبريل عليه السلام، وأمرني بدفعه لك ”.

أطعنا له فأطعنا:

وكان بعض الصالحين رضي الله عنه إذا جاء أوان الفواكه ذهب إلى السوق فيشتري منها ويذهب بها إلى الكتاتيب، فمن أشار إليه أطعمه من تلك الفواكه، ويقول للمعلم: ” هل عندك فقير أو يتيم؟ فيقول هذا وهذا، فيعطيه من تلك الفواكه، فلما مات الرجل رئي في المنام وهو في بستان عظيم كثير الفواكه، وهو يأكل منها ما أحب، فقيل له: ما هذا؟ فقال: أطعنا له فأطعنا ”.

إذا سألني ربي، من أين لك هذا؟:

وقال أبو بكر رضي الله عنه: دخلت على أبي مسلم في يوم عيد، فرأيت عليه قميصاً مرقعاً، وبين يديه خروف وهو يأكل منه، فقلت: يا أبا مسلم، فقال: لا تنظر إلى الخروف ولكن انظر إذا سألني ربي، من أين لك

هذا؟ فأني جواب أقوله وما اعتذاري.

أنفقوا دنياهم في بطونهم:

وعن أبي موسى بن إبراهيم رضي الله عنه ، أنه قال : رأيت فتح الموصلي يوم عيد، وقد رأى الناس بالثياب والعمائم، فقال : لثوب يبلى، وجسد يأكله الدود غداً، هؤلاء أنفقوا دنياهم في بطونهم وعلى ظهورهم، ويأتون ربهم مغلسين.

فرجع من انطاكية إلى الشام ماشياً:

- وذكر غيره أن عبد الله بن المبارك استعار قلماً من الشام، فعرض له سفر فسافر إلى انطاكية، وكان قد نسي القلم معه فتذكره هناك فرجع من انطاكية إلى الشام ماشياً حتى رد القلم إلى صاحبه وعاد⁽¹⁾.

أكلت فرسي حراماً:

- كان عبد الله بن المبارك في غزوة فنزل عند نهر ونصب رمحه وربط فرسه وتوضأ وشرع يصلي فلما سلم وجد فرسه أنها انفلتت وأكلت من الزرع.

فقال: أكلت فرسي حراماً فلا ينبغي لي أن أغزو عليها فتركها لصاحب الزرع واشترى غيرها وغزا عليها⁽²⁾.

ليس كل خلاف يُستراح له:

- وعندما ناظره أهل الكوفة في النبيذ وجعلوا يستدلون على حله بأقوال وشرب بعض أهل الكوفة له، قال: ”دعوا عند الاختلاف الاحتجاج بالرجال“، أو كما قال؛ والله در الأول حين قال: ليس كل خلاف يُستراح له إلا خلافاً له حظ من النظر.

طاعته موقوفة منذ سنة لأنه أخذ تمرتين:

اشترى إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه تمرا من رجل بمكة فرأى تمرتين بين يديه فأخذهما ظاناً أنهما من التمر الذي اشتراه ثم توجه إلى بيت المقدس فرأى في منامه ملكين يقول أحدهما للآخر من هذا قال

(1) كمال الدين الدميري، حياة الحيوان الكبرى، 158/1.

(2) عبد العزيز بن محمد بن سلمان، إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد، 1/1.

إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان غير أن طاعته موقوفة منذ سنة لأنه أخذ تمرتين من مكة فلما طلع الفجر توجه إلى مكة فوجد أن البائع قد مات فسأل ولده أن يجعله في حل ففعل ثم رجع إلى بيت المقدس فرأى الملكين في منامه فقال أحدهما لصاحبه هذا إبراهيم بن أدهم قد قبل الله طاعته الموقوفة منذ سنة فبكى إبراهيم من الفرح وكان بعد ذلك لا يأكل في كل سبعة أيام إلا أكلة من الحلال⁽¹⁾.

مخافة أن يشتري من الشاة المسروقة:

ويقولون: إن الإمام أبو حنيفة رحمه الله - سرقت شاة في زمانه، فأتى قصاباً أو رجلاً راعياً وقال: كم عمر الشاة - أقصى شيء تعيشه الشاة - قال له: خمس سنوات، فامتنع من أكل لحوم الشياه لمدة خمس سنوات مخافة أن يشتري من نفس الشاة المسروقة.

أفتحله لنا أم تحرمه علينا؟:

وروي أن أخت بشر بن الحارث قصدت أحمد بن حنبل فقالت: إنا قوم نغزل الليل ومعاشنا منها، وربما تمر بنا مشاعل بني طاهر ولالة بغداد ونحن على السطح فنغزل في ضوءها الطاقة والطاقتين، أفتحله لنا أم تحرمه علينا؟ فقال لها: من أنت؟ قالت: أخت بشر، قال آه يا آل بشر لا عدمتكم، لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم⁽²⁾.

من غير بيت بشر:

وروي أن امرأة جاءت إلى أحمد بن حنبل تسأله فقالت إني امرأة أغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبين غزل الليل من غزل النهار فهل على ذلك شيء فقال يجب أن تبيني فلما انصرفت قال أحمد لابنه اذهب فانظر أين تدخل فرجع، فقال دخلت دار بشر فقال قد عجبت أن تكون هذه السائلة من غير بيت بشر⁽³⁾.

(1) الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، 295/2.

(2) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 50/1.

(3) الألبشهي، المستطرف في كل فن مستظرف، 316/1، 216/2.

البعد عن الغيبة والنميمة

مواقف عربية

البعد عن الغيبة والنميمة

الغيبة لغة: هي الاسم من الاغتيال وهو مأخوذ من مادة (غ ي ب)
التي تدلّ على السّتر، يقول ابن فارس:

”الغين والياء والباء ” أصل صحيح يدلّ على تسرّ السّيء عن العيون
ثمّ يقاس من ذلك الغيب: ما غاب ممّا لا يعلمه إلّا الله. ويقال: غابت الشّمس
تغيب غيبة وغيوبا وغيبا. وغاب الرّجل عن بلده، وأغابت المرأة فهي
مغيبة، إذا غاب بعلمها... والغيبة: الواقعة في النّاس من هذا، لأنّها لا تقال
إلّا في غيبة، وتغيّب مثل غاب، ويتعدّى بالتّضعيف فيقال غيّبته، وهو
التّوّاري في المغيب، واغتابه اغتيايا إذا ذكره بما يكره من العيوب،
والاسم الغيبة، فإن كان باطلا فهو الغيبة في بهت.

واصطلاحا: قال الجرجاني: الغيبة: ذكر مسؤل الإنسان في غيبته وهي
فيه.

وقال المناوي: الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد
اغتبته...، قال: ومن أحسن تعاريفها “ذكر العيب بظهر الغيب—.

وقال الكفوي: أن يتكلّم خلف إنسان مستور بكلام هو فيه.

وقال التّهانوي: الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرت
نقصانا في بدنه أو في لبسه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في
دينه، أو في دنياه، أو في ولده، أو في ثوبه، أو في داره، أو في دابّته.

قال: ولا تقتصر الغيبة على القول، بل تجري أيضا في الفعل كالحركة
والإشارة والكناية، لما ورد عن عائشة رضي الله عنه أنّها أشارت بيدها
إلى امرأة أنّها قصيرة فقال ﷺ: “اغتبّتها والتّصديق بالغيبة غيبة.

قال ابن حجر: هي ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدن
الشّخص أو دينه أو دنياه، أو نفسه أو خلقه أو ماله. وقال الرّاغب: هي أن
يذكر الإنسان عيب غيره من غير محوج إلى ذكر ذلك.

وقال ابن الأثير: الغيبة أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه.

وقال ابن التّين: الغيبة ذكر المرء ما يكرهه بظهر الغيب.

أسباب الغيبة وبواعثها:

قال الغزالي - رحمه الله -: للغيبة أسباب وبواعث، وفيما يلي خلاصتها:

- 1 - شفاء المغتاب غيظه بذكر مساوئ من يغتابه.
- 2 - مجاملة الأقران والرِّفاق ومشاركتهم فيما يخوضون فيه من الغيبة.
- 3 - ظنّ المغتاب في غيره ظنًّا سيئًا مدعاة إلى الغيبة.
- 4 - أن يبرئ المغتاب نفسه من شيء وينسبه إلى غيره أو يذكر غيره بأنه مشارك له.
- 5 - رفع النفس وتزكيتها بتتقيص الغير.
- 6 - حسد من يثني عليه الناس ويذكرونه بخير.
- 7 - الاستهزاء والسخرية وتحقير الآخرين.

الفرق بين الغيبة والبهتان والشتم:

قال الجرجاني: الغيبة ذكر مساوئ الإنسان التي فيه في غيبة. والبهتان ذكر مساوئ للإنسان، وهي ليست فيه. والشتم: ذكر المساوئ في مواجهة المقول فيه. وإلى هذا ذهب كلٌّ من المناوي والكفوي.

حكم الغيبة:

عدّ الإمام ابن حجر الغيبة من الكبائر وقال: الذي دلّت عليه الدلائل الكثيرة الصّحيحة الظّاهرة أنّها كبيرة: لكنّها تختلف عظمًا وضدّه بحسب اختلاف مفسدتها. وقد جعلها من أوتي جوامع الكلم عديلة غصب المال، وقتل النفس بقوله ﷺ: “كلّ المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه -والغصب والقتل كبيرتان إجماعاً، فكذا تلمّ العرض (1).

علاج الغيبة:

إن الغيبة مرض خطير، وداء فتاك، ومعول هدام، وسلوك يفرق بين الأحاب، وبهتان يغطي على محاسن الآخرين، وبذرة تنبت شرورا بين المجتمع المسلم، وتقلب موازين العدالة والإنصاف إلى الكذب والجور، وعلاج هذا المرض لا يكون إلا بالعلم والعمل، فإذا عرف المغتاب أنه تعرّض لسخط الله يوم القيامة بإحباط عمله وإعطاء حسناته من يغتابه أو يحمل عنه أوزاره، وأنه يتعرّض لهجوم من يغتابه في الدنيا، وقد يسلمه الله عليه، إذا علم هذا وعمل بمقتضاه من خير فقد وفق للعلاج.

هل تحل الغيبة في بعض الأحيان؟:

قال النووي - رحمه الله:

اعلم أنّ الغيبة تباح لغرض صحيح شرعي لا يمكن الوصول إليه إلاّ بها، وهو ستة أسباب:

الأوّل: المتظلم، فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه من ظالمه، فيقول: ظلمني فلان بكذا.

الثاني: الاستعانة على تغيير المنكر، وردّ العاصي إلى الصواب، فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلان يعمل كذا، فازجره عنه ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حراما.

الثالث: الاستفتاء، فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي، أو زوجي، أو فلان بكذا، فهل له ذلك؟

وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي، ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكنّ الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج، كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك، فالتعيين جائز.

الرابع: تحذير المسلمين من الشرّ ونصيحتهم.

وذلك من وجوه:

منها: جرح المجروحين من الرّواة والشّهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجب للحاجة.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان، أو مشاركته، أو إيداعه، أو معاملته، أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور ألاّ يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنّيّة النّصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقّها يتردّد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم، وخاف أن يتضرّر المتفقّه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النّصيحة، وهذا ممّا يغلط فيه. وقد يحمل المتكلّم بذلك الحسد، ويلبس الشّيطان عليه ذلك، ويخيّل إليه أنّه نصيحة فليفتن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولاية لا يقوم بها على وجهها: إمّا بأن لا يكون صالحاً لها، وإمّا بأن يكون فاسقاً، أو مغفلاً، ونحو ذلك فيجب ذكر ذلك لمن عليه ولاية عامّة ليزيله، ويؤلّي من يصلح، أو يعلم ذلك منه، ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغترّ به، وأن يسعى في أن يحثّه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: أن يكون مجاهراً بفسقه أو بدعته كالمجاهر بشرب الخمر، ومصادرة النّاس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلماً، وتولّي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به، ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلّا أن يكون لجوازه سبب آخر ممّا ذكرناه.

السادس: التعريف، فإذا كان الإنسان معروفاً بلقب؛ كالأعمش والأعرج والأصمّ، والأعمى؛ والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك؛ ويحرم إطلاقه على جهة النقص؛ ولو أمكن تعريفه بغير ذلك كان أولى. فهذه ستّة أسباب ذكرها العلماء وأكثرها مجمع عليه؛ ودلائلها من الأحاديث الصّحيحة مشهورة⁽¹⁾.

(1) انظر رياض الصالحين (450 - 451)، والزواجر لابن حجر الهيتمي (383 - 384).

وقد قال المولي عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَحْسَسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ} [الحجرات: ١٢].
وقال عز وجل: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا} [النساء: ١٤٨].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أتدرون ما الغيبة؟-قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "ذكرك أخاك بما يكره-قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: "إن كان فيه ما تقول، فقد اغتبتة. وإن لم يكن فيه فقد بهته- (1)(2).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنّا مع النَّبِيِّ ﷺ فارتفعت ريح منتنة فقال رسول الله ﷺ: "أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتَابون المؤمنين- (3).

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته- (4).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: مرَّ النَّبِيُّ ﷺ بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير. أما أحدهما فيعذب في البول وأما الآخر فيعذب في الغيبة- (5).

(1) بهته: أي قلت فيه البهتان وهو الباطل.

(2) مسلم (2589).

(3) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 515) واللفظ له، وقال: رواه أحمد وابن أبي الدنيا ورواه أحمد ثقات، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (10/ 484): سنده صحيح.

(4) أبو داود 4 (4880) واللفظ له وقال الحافظ العراقي في الإحياء (3/ 104): سنده جيد.

(5) أحمد في المسند (5/ 35 - 36)، وابن ماجه (1/ 349) واللفظ له وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (1/ 485): أخرجه أحمد والطبراني بإسناد صحيح.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله ﷺ رجلا فقالوا: لا يأكل حتى يطعم⁽¹⁾ ولا يرحل حتى يرحل له، قال النبي ﷺ: "اغتبتموه — فقالوا: يا رسول الله إنما حدثنا بما فيه. قال: "حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه"⁽²⁾⁽³⁾.

وعن عائشة رضي الله عنه قالت: قلت للنبي ﷺ حسبك من صفية كذا وكذا - تعني قصيرة - فقال: "لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته— قالت: وحكيت له إنسانا، فقال: "ما أحب أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا"⁽⁴⁾.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم"⁽⁵⁾.

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة"⁽⁶⁾.

قال عمر رضي الله عنه: عليكم بذكر الله تعالى؛ فإنه شفاء. وإياكم وذكر الناس فإنه داء.

عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه مرّ على بغل ميّت فقال لبعض أصحابه: لأن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم.

(1) أي أنه ضعيف إلى درجة احتياجه إلى مساعد يطعمه، وخادم يوكله، وساق يسقيه، ولا يسافر إلا إذا حمله آخر أو ركب على دابة.

(2) أي كافيك بتعداد أوصاف ثابتة فيه، ولكن يكره ذكرها ويجب سترها، ففيه الترهيب عن ذكر أخيك بما يكره مطلقا.

(3) قال المنذري في الترغيب والترهيب (3/ 506): رواه الأصبهاني بإسناد حسن.

(4) أبو داود (4875) واللفظ له، والترمذي (2502 - 2503) وقال: حديث صحيح.

(5) أخرجه أحمد في المسند (3/ 224)، وأبو داود (4878) واللفظ له وقال مراجع رياض الصالحين (578): إسناده صحيح.

(6) الترمذي (1931) واللفظ له وقال: هذا حديث حسن، وقال مراجع رياض الصالحين (579) حديث حسن.

وعنه أيضا: في قوله عز وجل: {وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ} [الحجرات: ١١]. قال: لا يطعن بعضكم على بعض.

وقال الحسن - رحمه الله -: "ذكر الغير ثلاثة: الغيبة، والبهتان، والإفك، وكلّ في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه، والبهتان أن تقول ما ليس فيه، والإفك أن تقول ما بلغك.

قال الحسن البصري - رحمه الله -: والله للغيبة أسرع في دين الرجل من الأكلة في الجسد.

وقال أيضا - رحمه الله -: يا بن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصّة نفسك. وأحبّ العباد إلى الله من كان هكذا.

وروي عن الحسن رضي الله عنه : أنّ رجلا قال له: إنّ فلانا قد اغتابك فبعث إليه رطباً على طبق وقال: "قد بلغني أنّك أهديت إليّ من حسناتك فأردت أن أكافئك عليها فاعذرنني فإنّي لا أقدر أن أكافئك على النّمام.

وعن ابن سيرين؛ قال: "إنّه ذكر الغيبة فقال: ألم تر إلى جيفة خضراء منتنة.

عن الشّعبي - رحمه الله - أنّ العباس بن عبد المطلب قال لابنه عبد الله: يا بنيّ، أرى أمير المؤمنين يدينك، فاحفظ منّي خصالاً ثلاثاً: لا تغتب من له سرّ، ولا يسمع منك كذبا، ولا تغتابنّ عنده أحدا.

وعن مجاهد في قوله تعالى: وَيُلْ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٌ قال: "الذي يأكل لحوم النّاس، واللّمة: الطّعان.

عن عبد الله بن المبارك رحمه الله - قال: قال بعضهم في تفسير العزلة: هو أن تكون مع القوم، فإن خاضوا في ذكر الله فخض معهم وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت.

وقال بشار بن برد:

خير إخوانك المشارك في المرّ :: وأين الشريك في المرّ أينا

الذي إن شهدت سرّك في الحيّ : وإن غبت كان أدنا وعينا
مثل سرّ الياقوت إن مسّه نا :: ر جلّاه البلاء فازداد زينا
أنت في معشر إذا غبت عنهم : بذلوا كلّ ما يزينك شيئا
وإذا مارأوك قالوا جميعا :: أنت من أكرم البرايا علينا
:
:
:
:
:
:

وقال النووي - رحمه الله - : "اعلم أنّه ينبغي لمن سمع غيبة مسلم أن يردّها ويزجر قائلها، فإن لم ينزجر بالكلام زجره بيده، فإن لم يستطع باليد ولا باللسان، فارق ذلك المجلس، فإن سمع غيبة شيخه أو غيره ممّن له عليه حقّ، أو كان من أهل الفضل والصّلاح، كان الاعتناء بما ذكرناه أكثر.

وقال الغزالي - رحمه الله - : كان الصّحابة رضي الله عنه يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين.

قال بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصّوم ولا في الصّلاة، ولكن في الكفّ عن أعراض النّاس.

من مضار الغيبة:

- صاحب الغيبة يعذّب في النّار بأكل النّتن القذر.
- ينال عقاب الله في قبره.
- تذهب أنوار إيمانه وآثار إسلامه.
- لا يغفر له حتّى يعفو عنه المغتاب.
- الغيبة معول هدام وشرّ مستطير.
- تؤذي وتضرّ وتجلب الخصام والنّفور.
- مرض اجتماعيّ يقطع أواصر المحبّة بين المسلمين.
- دليل على خسة المغتاب ودناءة نفسه.

ومن المواقف:

سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك!!:
- وجلس رجل في مجلس عبد الله بن المبارك فاغتاب أحد المسلمين، فقال له عبد الله بن المبارك: يا أخى هل غزوت الروم؟! قال: لا. قال: هل غزوت فارس؟! قال: لا. فقال عبد الله بن المبارك: سلم منك الروم وسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك!!

أنا مع النبي ﷺ وأصحابه بينهم:

- وحدث الحسن بن عيسى بن ماسرحس، قال سمعت عبد الله بن المبارك، وقد قيل له يا أبا عبد الرحمن إنك تكثر القعود في البيت وحدك، فقال ليس أنا وحدي، أنا مع النبي ﷺ وأصحابه بينهم - يعني النظر في الكتب⁽¹⁾.

رضا الناس غاية لا تدرك:

وحدث يونس بن عبد الأعلى الصدفي قال: قال لي الشافعي رضي الله عنه: يا أبا موسى، رضا الناس غاية لا تدرك، ما أقوله لك إلا نصحا، ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك فالزمه، ودع الناس وما هم فيه.

ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا:

وقال بكر بن منير سمعت أبا عبد الله البخاري يقول أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا قلت صدق رحمه الله ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس وإنصافه فيمن يضعفه فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر ونحو هذا. وقل أن يقول فلان كذاب أو كان يضع الحديث حتى إنه قال إذا قلت فلان في حديثه نظر فهو متهم واه وهذا معنى قوله لا يحاسبني الله أني اغتبت أحدا وهذا هو والله غاية الورع.

(1) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 368/4.

طالما لفظها الكرام:

اغتاب رجل رجلاً عند قتيبة بن مسلم فقال له قتيبة أمسك أيها الرجل فوالله لقد تلمظت بمضغة طالما لفظها الكرام⁽¹⁾.

كلام ... بالقرآن!:

- قال عبد الله بن المبارك خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض الطريق إذ أنا بسواد فتميزت ذاك فإذا هي عجوز عليها درع من صوف وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت: {سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ} [يس: ٥٨]، قال فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت: {وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} [الرعد: ٣٣]، فعلمت أنها ضالة عن الطريق فقلت لها أين تريدان قالت: {سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا} [الإسراء: ١]، فعلمت أنها قد قضت حجبها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها أنت منذ كم في هذا الموضع قالت: {ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا} [مريم: ١٠]، فقلت ما أرى معك طعاماً تأكلين قال: {هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي} [الشعراء: ٧٩]، فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت: {فَلَمْ يَجِدْ مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا} [النساء: ٤٣]، فقلت لها أن معي طعاماً فهل لك في الأكل قال: {ثُمَّ ارْجِعُوا إِلَى الْآلِ} [البقرة: ١٨٧]، فقلت ليس هذا شهر رمضان قالت: {وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ١٥٨]، فقلت قد أبيع لنا الإفطار في السفر قالت: {وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٨٤]، فقلت لم لا تكلميني كما أكلمك قالت: {مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} [ق: ١٨]، فقلت فمن أي الناس أنت قالت: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦]، فقلت قد أخطأت فاجعليني في حل قالت: {قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ} [يوسف: ٩٢]، فقلت فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة قالت: {وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ} [البقرة: ١٩٧]، قال

فأنخت ناقتي قالت: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} [النور: ٣٠]، فغضضت بصري عنها وقلت لها اركبي فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت: {وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ} [الشورى: ٣٠]، فقلت لها أبصري حتى أعلقها قالت: {فَفَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ} [الأنبياء: ٧٩]، فعلقت الناقة وقلت لها اركبي فلما ركبت قالت: {سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ} (١٣) وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ} (١٤) [الزخرف: ١٣ - ١٤]، قال فأخذت بزمام الناقة وجعلت أسرع وأصبح فقالت: {وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْغِضْ مِنْ صَوْتِكَ} [لقمان: ١٩]، فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر فقالت: {فَاقْرَأْ وَآمِنْ مِنَ الْقُرْءَانِ} [المزمل: ٢٠]، فقلت لها لقد أوتيت خيراً كثيراً قالت: {وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ} [البقرة: ٢٦٩]، فلما مشيت بها قليلاً قلت ألك زوج قالت: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدِّلَكُمْ قَسَوْكُمْ} [المائدة: ١٠١]، فسكت ولم أظلمها حتى أدركت بها القافلة فقلت لها هذه القافلة فمن لك فيها فقالت: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف: ٤٦]، فعلمت أن لها أولاداً فقلت وما شأنهم في الحج قالت: {وَعَلَّمْتِ وَبِالتَّجْمِ هُمْ يَسْتَدُونَ} (١٦) [النحل: ١٦]، فعلمت أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [النساء: ١٢٥]، {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]، {يَنحِي حُذَّالِكُتَبَ يَقْوَةٍ} [مريم: ١٢]، فناديت لي إبراهيم يبا موسى يا يحيى فإذا أنا بشبان كأنهم الأقمار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت: {فَاكْبَعُوا أَحَدَكُمْ بِوَرْقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ} [الكهف: ١٩]، فمضى أحدهم فاشتري طعاماً فقدموه بين يدي وقالت: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} (٢٤) [الحاقة: ٢٤]، فقلت الآن طعامكم علي حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة لم نتكلم إلا بالقرآن مخافة أن نزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت: {ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الحديد: ٢١] (١).

(1) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، 171/1.

أصدق ما يكون الرجل عند الموت:

وقال أحمد بن حفص: دخلت على أبي الحسن يعني إسماعيل والد أبي عبد الله البخاري عند موته فقال لا أعلم من مالي درهما من حرام ولا درهما من شبهة قال أحمد فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك ثم قال أبو عبد الله أصدق ما يكون الرجل عند الموت.

وكان الحسين بن محمد السمرقندي يقول كان محمد بن إسماعيل مخصوصا بثلاث خصال مع ما كان فيه من الخصال المحمودة كان قليل الكلام وكان لا يطمع فيما عند الناس وكان لا يشتغل بأمور الناس كل شغله كان في العلم.

اذكر القطن إذا وضع على عينيك:

وقيل: اغتاب رجل عند معروف، فقال: اذكر القطن إذا وضع على عينيك.

وكلامك يعرض على الله فلا تحترز:

قال: وسمعت حاتماً يقول: إن صاحب خبر يجلس إليك ليكتب كلامك لا تحترزت منه، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز.

اغتبت رجلاً في هذا الموضع:

- مر داود الطائي رحمه الله تعالى يوماً بموضع فوق مغشياً عليه فحمل إلى منزله فلما أفاق سئل عن ذلك فقال ذكرت أني اغتبت رجلاً في هذا الموضع فذكرت مطالبته لي بين يدي الله تعالى⁽¹⁾.

رمي اللسان لا يخطئ:

وقال سفيان الثوري لأن أرمى عدوي بسهمي خير له من أن أرميه بلساني لأن رمي اللسان لا يخطئ ورمى السهم يصيب ويخطئ قال الشاعر

ورب كلام قد جرى من مباح... فساق إليه سهم حتف معجل⁽²⁾.

* * *

(1) الصفوري، زهرة المجالس ومنتخب النفائس، 1 / 77، 167.

(2) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، 95/1.

تذكر الموت

مواقف عربية

تذكر الموت

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: أتيت النَّبِيَّ ﷺ عاشر عشرة، فقام رجل من الأنصار، فقال: يا نبيَّ الله، من أكيس ⁽¹⁾ النَّاس وأحزم النَّاس؟ قال: “أكثرهم ذكرا للموت، وأكثرهم استعدادا للموت، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة- ⁽²⁾”.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: “استحيوا من الله حقَّ الحياء —. فقلنا: يا نبيَّ الله، إنَّا لنستحيي. قال: “ليس ذلك، ولكن من استحيا من الله حقَّ الحياء فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، ومن فعل ذلك فقد استحيا من الله حقَّ الحياء- ⁽³⁾”.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: “استكثروا ذكر هادم اللذات فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسَّعة ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه- ⁽⁴⁾”.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ: “أن رجلا كان قبلكم رَغَسه ⁽⁵⁾ الله مالا، فقال لبنيه لما حضر: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب. قال فاتني لم أعمل خيرا قط، فإذا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني ثم

(1) أكيس الناس: أظرف وأفطن.

(2) المنذري في الترغيب (238 /4) وقال: رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في الصغير بإسناد حسن. ورواه ابن ماجه مختصرا بإسناد جيد، والبيهقي في الزهد، وذكره الهيثمي (309 /10).

(3) الترمذي (2458) وقال المباركفوري في التحفة (155 /7): أخرجه أحمد والحاكم والبيهقي. وقال المناوي: قال: الحاكم في المستدرک (323 /4): واللفظ له هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقال مخرج جامع الأصول (616 /3) بعد أن ذكر كلام الحاكم: وهو كما قال.

(4) ذكره الهيثمي 10 (309) وقال: رواه الترمذي - ينظر في جامع الأصول - وغيره باختصار رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وكذلك من حديث ابن عمر وحديث أنس وغيره وعند المنذري (236/4) وقال مخرج جامع الأصول (616 /3) بعد أن ذكر كلام الحاكم: وهو كما قال.

(5) رَغَسه: أي أكثر له وبارك له فيه.

ذروني في يوم عاصف. ففعلوا . فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟
قال: مخافتك. فتلقاه برحمته- (1).

وعن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "أكثرُوا من ذكر هادم
اللذات، الموت- (2)(3).

وعن بريدة. رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: "قد كنت نهيتكم
عن زيارة القبور، فقد أذن لمحمد في زيارة قبر أمه، فزوروها، فإنها
تذكر الآخرة- (4).

وفي رواية مسلم وأبي داود والنسائي: قال قال رسول الله ﷺ: "نهيتكم
عن زيارة القبور، فزوروها، ونهيتكم عن لحوم الأضاحي فوق ثلاث،
فأمسكوا ما بدا لكم، ونهيتكم عن النبيذ (5). إلا في سقاء، فاشربوا في
الأسقية كلها، ولا تشربوا مسكرا- (6).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: أخذ رسول الله صلى الله
عليه وسلم بمنكبي فقال: "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل —
وكان ابن عمر يقول: إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا

(1) البخاري - الفتح 6 (3478). مسلم (2757).

(2) هادم اللذات: هادم أي قاطع فمعناه مزيل الشيء من أصله. قال السهيلي: الرواية
بالمعجمة (الموت) أزجر عن المعصية وأدعى إلى الطاعة فإكثار ذكره سنة مؤكدة،
وقال الحفني: هادم أي مفرق ومشتت اللذات، وبالمهمله مزيل الشيء من أصله كهدم
الجدار. يأمر ض أن يتذكر المسلمون الموت دائما، فكل نفس ذاتقة ليقل الطمع والشره
على جمع الدنيا ولتؤدى الحقوق كاملة تامة، وليكثر الإنسان من الأعمال الصالحة
ادخارا لثواب الله، وليقصر الأمل في اتساع الثروة وتشديد القصور، وغيرها من الأشياء
التي تجلب الغفلة عن الله تعالى.

(3) رواه الترمذي (2307) وقال: حديث حسن غريب، والنسائي (4/4)، وابن ماجه
(4258). قال محقق جامع الأصول " (11/14): وهو حديث حسن لشواهد كثيرة.

(4) هذه رواية الترمذي (1066).

(5) وكنت نهيتكم عن النبيذ: يعني إلقاء التمر ونحوه في ماء الظروف، إلا في سقاء، أي إلا
في قربة، إنما استثناهما لأن السقاء يبرد الماء، فلا يشتد ما يقع فيه اشتداد ما في
الظروف.

(6) مسلم (977).

تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك⁽¹⁾.

وعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولمّا يلحد بعد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطير، وبيده عود ينكت⁽²⁾ به في الأرض، فرفع رأسه فقال: "استعينوا بالله من عذاب القبر مرتين، أو ثلاثاً". زاد في رواية: وقال: "إنّ الميت ليسمع خفق نعالهم إذا ولّوا مدبرين حين يقال له: يا هذا، من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟". وفي رواية: "ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربّي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان له: وما يدريك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فلمنت به وصدقت".

زاد في رواية: "فذاك قوله: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ} [إبراهيم: ٢٧]، ثم اتفقا: فينادي مناد من السماء: أن قد صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها، ويفتح له في قبره مدّ بصره، وإنّ الكافر... فذكر موته — قال: "وتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه⁽³⁾، لا أدري، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب، فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرّها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتّى تختلف فيه أضلاعه-وزاد في رواية: "ثم يقبض له أعمى أبكم⁽⁴⁾، معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا، فيضربه بها ضربة يسمعها من

(1) البخاري - الفتح 11 (6416).

(2) ينكت: نكت في الأرض بيده وبقضيب: إذا أثر فيها بذلك.

(3) هاه هاه: من عادة المشدوه الحائر إذا خاطب أن يقول: هاه هاه، كأنه يستفهم عما يسأل عنه.

(4) أبكم: الأبكم: الذي خلق أخرس.

بين المشرق والمغرب، إلا الثقلين، فيصير ترابا، ثم تعاد فيه الروح-(1).

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير - رحمه الله - قال: القبر منزل بين الدنيا والآخره، فمن نزل به زاد ارتحل به إلى الآخرة، إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

- عن أبي معاوية قال: ما لقيني مالك ابن مغول إلا قال لي: لا تغرّك الحياة واحذر القبر أن للقبر شأنا.

- روى أبو نعيم الحافظ بإسناده؛ أن عمر بن عبد العزيز شيع مرة جنازة من أهله، ثم أقبل على أصحابه ووعظهم، فذكر الدنيا فذمها وذكر أهلها، وتنعمهم فيها، وما صاروا إليه بعدها من القبور، فكان من كلامه أنه قال: "إذا مررت بهم فنادهم إن كنت مناديا، وادعهم إن كنت داعيا، ومر بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم، سل غنيهم: ما بقي من غناه؟ وسل فقيرهم: ما بقي من فقره؟ واسألهم عن الألسن التي كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التي كانوا للذات بها ينظرون، وسلمهم عن الجلود الرقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان تحت الأكفان، وأكلت اللحیان (2) وعفرت الوجوه، ومحيت المحاسن وكسرت الفقار، وبانت الأعضاء، ومزقت الأشلأ، وأين حجابهم وقبابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم وجمعهم وكنوزهم (وكانهم) ما وطئوا فراشا، ولا وضعوا هنا متكأ ولا غرسوا شجرا ولا أنزلوهم من اللحد قرارا، أليسوا في منازل الخلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليسوا في مدلهمة ظلماء، قد حيل بينهم وبين العمل وفارقوا الأحبة، وكم من ناعم وناعمة أضحوا ووجوههم بالية، وأجسادهم من أعناقهم بائنة، وأوصالهم ممزقة، وقد سالت الحديق على الوجنات، وامتألت الأفواه دما وصديدا، ودبت دواب الأرض في أجسادهم، ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا إلا يسيرا حتى عادت العظام رميما، فقد فارقوا الحقائق وصاروا بعد السعة إلى المضائق، قد تزوجت

(1) أبو داود برقم (3212)، (4753)، (4754) وقال محقق جامع الأصول " (11/179): إسناده حسن. وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (3/902) صحيح. وأصله عند البخاري ومسلم.

(2) اللحیان - بالفتح -: حائط الفم وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان من داخل الفم.

نساءؤهم، وترددت في الطّرق أبناؤهم، وتوزّعت القرايات ديارهم وقراهم
فمنهم والله الموسّع له في قبره الغضّ الناظر فيه المتنعم بلذّاته، يا ساكن
القبر غدا ما راض وترد عليه الحوض وتلقى أصحابك. قال: فقال سلمان:
أما إني لا أبكي جزعا من الموت ولا حرصا على الدّنيا ولكنّ رسول الله
ﷺ عهد إلينا عهدا حيّا وميتّا.

قال: لتكن بلغة أحدكم من الدّنيا مثل زاد الرّاكب وحولي هذه الأساودة
(1). قال: فإنّما حوله إجانة (2) وجفنة (3) ومطهرة فقال له سعد:
يا أبا عبد الله، اعهد إلينا بعهد نأخذ به بعدك. قال: فقال: يا سعد، اذكر الله
عند همّك إذا هممت وعند يدك إذا قسمت وعند حكمك إذا حكمك (4).
وعن خالد بن أحمد بن أسد قال:

أخذت بيدي عليّ بن جبلة يوما فأتينا أبا العتاهية فوجدناه في الحرم
فانتظرناه فلم يلبث أن جاء فدخل عليه إبراهيم بن مقاتل بن سهل وكان
جميلا فتأمّله أبو العتاهية وقال متمثّلا:

يا حسان الوجوه سوف تموتو :: ن وتبلى الوجوه تحت التّراب
فأقبل عليّ بن جبلة فقال: اكتب:

يا مربّي شبابيه للتّراب	::	سوف يمضي البلى بغضّ
يا ذوي الوجوه الحسان	::	الشّباب
المصونا	::	ت وأجسامها الغضاض الرّطاب
أكثرها من نعيمها أو أقلّوا	::	سوف تهدونها لعفر التّراب
قد نعتك الأيام نعيّا صحيحا	::	بفراق الإخوان والأصحاب
	::	
	:	

(1) جاء في لسان العرب: الأساودة: جمع قلة لسواد وهو الشخص. وصرّح أبو عبيد بأنّه
شخص كلّ شيء من متاع وغيره.
(2) الإجانة بالتشديد: إناء يغسل فيه الثياب والجمع أجاجين.
(3) الجفنة: قصعة الطعام.
(4) الحاكم في المستدرک (317/4) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه
الذهبي.

فقال أبو العتاهية: قل يا حامد، قلت: معك ومع أبي الحسن، قال: نعم، فقلت:

يا مقيمين رحّلوا للذهاب	::	لشفيّر القبور وخطّوا الركاب
نعموا الأوجه الحسان فما	:	صونكموها إلا بعفر التراب
والبسوا ناعم الثياب ففى ال	::	حفرة تعرون من جميع الثياب
قد ترون الشّباب كيف يمو	:	تون إذا استنضروا بماء الشّباب
	::	
	:	

وعن الحسن؛ قال: يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهنّ قطّ: يوم تبيت مع أهل القبور ولم تبت ليلة قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة ويوم يأتيك البشير من الله تعالى، إمّا بالجنة أو النار، ويوم تعطى كتابك بيمينك وإمّا بشمالك.

وقال بشر بن الحارث: نعم المنزل القبر لمن أطاع الله.

قال الأوزاعي - رحمه الله -: ما أكثر عبد ذكر الموت إلّا كفاه اليسير.

قال ابن رجب - رحمه الله -: والله المسئول أن يجعلنا ممّن يبادر الفوت، ويراقب الموت ويتأهب للرحلة قبل الممات، وينتفع بما سمع من العظات بمنّه وكرمه.

وقال عديّ بن الرّعاء:

ليس من مات فاستراح بميت	::	إنّما الميت ميّت الأحياء
إنّما الميت من يعيش شقيّاً	:	كاسفاً باله قليل الرّجاء
فأناس يمصّصون ثمّاداً	::	وأناس حلّوقهم في الماء
(1)	:	(2)
	::	
	:	

(1) الثّمد: الماء القليل.

(2) لسان العرب (91 / 2).

ولمّا انصرف النَّاس من جنازة داود الطَّائِي - رحمه الله -، أنشد ابن السَّمَّاك - رحمه الله -:

انصرف النَّاس إلى دورهم	::	وغودر الميِّت في رمسه
مرتَهَن النَّفس بأعماله	:	لا يرتجي الإطلاق من حبسه
لنفسه صالح أعماله	::	وما سواها فعلى نفسه
	:	

وقال الشاعر:

قف بالمقابر وانظر إن وقفت	::	لله درك ماذا تستر الحفر؟
بها	:	وفيهم لك يا مغترّ معتبر
ففيهم لك يا مغرور موعظة	::	
	:	

أنشد أبو جعفر القرشي:

تناجيك أجداث وهنّ سكوت	::	وساكنها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغه	:	لم تجمع الدنيا وأنت تموت؟
	:	

وعن الفضل بن مهلهل أخي الفضل وكان من العابدين قال: "كان جليس لنا حسن التّخشّع والعبادة يقال له: مجيب، وكان من أجمل الرّجال فصلّى حتّى انقطع عن القيام، وصام حتّى اسودّ، ثمّ مرض فمات، وكان محمّد بن النّضر الحارثي له صديقاً ومات محمّد قبله قال: فرأيت محمّداً في منامي بعد موت مجيب فقلت: ما فعل أخوك مجيب قال لحق بعمله قلت: فكيف وجهه ذاك الحسن؟

قال: أبلاه والله التّراب. قال: وقلت: كيف وأنت تقول لحق بعمله؟ قال: يا أخي علمت أنّ الأجساد في القبور تبلى وأنّ الأعمال في الآخرة تحيا. قلت: يبلون حتّى لا يبقى منهم شيء ثمّ يجيئون يوم القيامة، إي والله يا أخي يبلون حتّى يصيروا رفاتاً ثمّ يحيون عند الصّيحة، وأنشد بعضهم:

ما حال من سكن الثرى ما حاله؟	::	أمسى وقد رثت هناك حباله
أمسى ولا روح الحياة تصيبه	:	أبداً ولا لطف الحبيب يناله
أمسى وقد درست محاسن	::	وتفرقت في قبره أوصاله

وجهه :
 واستبدلت منه المجالس غيره ::
 ما زالت الأيام تلعب بالفتى :
 :
 :
 :
 :
 :
 :
 :

عن عمر بن ذر أنه كان يقول في مواعظه: لو علم أهل العافية ما تضمنته القبور من الأجساد البالية لجدوا واجتهدوا في أيامهم الخالية خوفا من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار.

وقال النضر بن المنذر لإخوانه: زوروا الآخرة بقلوبكم، وشاهدوا الموقف بتوهمكم، وتوسدوا القبور بقلوبكم، واعلموا أن ذلك كائن لا محالة، فاختر لنفسه (امرؤ) ما أحب من المنافع والضّرر.

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن أنه مرّ به شاب، وعليه بردة له حسنة فقال: ابن آدم معجب بشبابه، معجب بجماله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك لا قيت عملك، ويحك داو قلبك، فإن مراد الله إلى عباده صلاح قلوبهم.

شهد الحسن جنازة فاجتمع عليه الناس، فقال: اعملوا لمثل هذا اليوم - رحمكم الله - فإنما هم إخوانكم يقدمونكم، وأنتم بالآخر، أيها المخلف بعد أخيه إنك الميت غدا، والباقي بعدك الميت في أثرك أولا بأول حتى توافوا جميعا قد عمكم الموت واستويتم جميعا في كربه وغصصه، ثم تخلّيتم إلى القبور، ثم تنتشرون جميعا، ثم تعرضون على ربكم عز وجل.

عن الحسن قال: أودنوا بالرحيل، وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون.

وقال رجل لبعض السلف: أوصني قال: عسكر الموتى ينتظرونك.

قال أبو العتاهية:

(1) رويدك يا ذا القصر في شرفاته
ولا بدّ من بيت انقطاع ووحشة
فإنك عنه سوف تسحى
وتزعج وإن عرك البيت الأنيق المبهج

قال ابن أبي الدنيا: أنشدني الحسين بن عبد الرحمن:

لبيك لأهوال القيامة من بكى
كفى حزنا يوما ترى فيه مكرما
ولا تنسينّ القبر يوما ولا البلى
كرامته أن يرقدوا جسمه الثرى

قال أحمد بن أبي الحواري: سمعت مضر بن عبيس يقول: رحم الله
قوما زاروا إخوانهم بقلوبهم في قبورهم وهم قيام في ديارهم، يشيرون إلى
زيارتهم بالفكر في أحوالهم.

وقال ابن أبي الدنيا، حدّثنا محمد السبّغي قال: انتفض غنّام بن عليّ
يوما وهو مع أصحابه فقال له بعضهم: ما الذي أصابك؟ قال: ذكرت
اللحد.

عن مغيث الأسود الزاهد؛ قال: زوروا القبور كلّ يوم تفكّركم.
حدّث محمد بن خلف قال: سمعت أبي قال: رجعنا من ميّت مع ابن
السّمّاك فأنشأ ابن السّمّاك يقول:

تمرّ أقاربي جنبات قبري
ذوو الأموال يفتسمون مالي
كأنّ أقاربي لا يعرفوني
ولا يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا
فيا لله ما أسرع ما نسوني

(1) تسحى: من سحوت الطّين عن وجه الأرض .. إذا جرفته، والفعل الماضي: سحا
مضارعه مضموم العين، أو مفتوحها أو مكسورها: يسحو، يسحاه ويسحيه ومعناه:
جرفته يجرفه وما في معناه: لسان العرب.

عن عقبة البزار قال: رأى أعرابي جنازة فأقبل يقول: هنيئاً يا صاحبها. فقلت: علام تهنئه؟ قال: كيف لا أهنئ من يذهب به إلى حبس جواد كريم، نزله عظيم، عفوهِ جسيم؟ قال: كأني لم أسمع القول إلا تلك الساعة.

وقال بعضهم:

ولقد وقفت كما وقف
حصل لنفسك من
زل
ت وقد نظرت فما اعتبرت
قبل الحصول كما حصلت

وأوصى بعض الوزراء أن يكتب (على سبيل الموعظة):

أيها المغرور في الدن
وبأهل وبمال
كم عليها قد سحبتنا
تحسب الأقدار تجري
إذ طواك الموت طياً
يا بعزّ تقتنيه
وبقصر تبنتيه
ذيل سلطان بتيه
بخلود ترتجيه
فاعتبر ما نحن فيه

وأنشدوا:

خليلي ما أفضي وما أنا قائل
وقد وضع الرحمن بالحشر عدله
وجيء بحزم النار خاضعة له
فياليت شعري ذلك اليوم هل أنا
فإن أك مجزياً فعدل وحجة
إذا جئت عن نفسي بنفسي
أجادل؟
وسيق جميع الناس واليوم باسل
وثلث عروش عندها وتجادل
ل الغفر أم أجزى بما أنا فاعل
وإن يك غفران ففضل ونائل

وقال بعضهم:

تزوّد قرينا من فعالك إنّما
وإن كنت مشغولا بشيء فلا تكن
فلن يصحب الإنسان من بعد
موته
ألا إنّما الإنسان ضيف لأهله

قرين الفتى في القبر ما كان
يفعل
بغير الذي يرضى به الله تشغل
إلى قبره إلا الذي كان يعمل
يقيم قليلا عندهم ثم يرحل

وقال بعضهم:

يا غافل القلب عن ذكر المنيات
فأذكر محلّك من قبل الحلول به
إنّ الحمام له وقف (1) إلى أمد (2)
لا تطمئنّ إلى الدنيا وزينتها

عما قليل ستثوي بين أموات
وتب إلى الله من لهو ولذات
فأذكر مصائب أيام وساعات
قد حان للموت يا ذا اللب أن
يأتي (3)

و كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات:

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته
لم تغن عن هرمرز يوما خزانته
ولا سليمان إذ تجري الرياح له
أين الملوك التي كانت لعزتها
حوض هنالك مورود بلا كذب

يبقى الإله ويودي المال والولد
والخلد قد حاولت عاد فما
خلدوا
والإنس والجن فيما بينها ترد
من كل أوب إليها وافد يفد؟
لا بد من ورده يوما كما وردوا

و ذكر الموت يورث استشعار الانزعاج عن هذه الدار الفانية والتوجه

(1) الوقف: الحبس.

(2) الأمد: الأجل: أي إن الحمام - وهو الموت - محبوس إلى أجل يأتي فيه.

(3) أهوال القبور، ص 145.

في كل لحظة إلى الدار الآخرة الباقية ثم إن الإنسان لا ينفك عن حالتي ضيق وسعة ونعمة ومحنة فإن كان في حال ضيق ومحنة فذكر الموت يسهل عليه بعض ما هو فيه فإنه لا يدوم والموت أصعب منه أو في حال نعمة وسعة فذكر الموت يمنعه من الاغترار بها والسكون إليها لقطعه عنها ولقد أحسن من قال:

اذكر الموت هادم اللذات و تجهز لمصرع سوف يأتي
وقال غيره:

واذكر الموت تجد راحة في إذكار الموت تقصير الآمل
وأجمعت الأمة على أن الموت ليس له سن معلوم ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم وذلك ليكون المرء على أهبة من ذلك مستعدا لذلك وكان بعض الصالحين ينادي بليل على سور المدينة: الرحيل الرحيل فلما توفي فقد صوته أمير المدينة فسأل عنه فقيل: إنه قد مات فقال:

ما زال يلهج بالرحيل وذكره حتى أناخ ببابه الجمال
فأصابه متيقظا متشمرا ذا أهبة لم تلهه الآمال

وكان يزيد الرقاشي يقول لنفسه: ويحك يا يزيد من ذا يترضى عنك ربك الموت؟ ثم يقول: أيها الناس ألا تبكون وتنوحون على أنفسكم باقي حياتكم؟ من الموت طالبه والقبر بيته والتراب فراشه والدود أنيسه وهو مع هذا ينتظر الفزع الأكبر يكون حاله؟ ثم يبكي حتى يسقط مغشيا عليه وقال التيمي: شينان قطعا عني لذة الدنيا: ذكر الموت وذكر الموقف بين يدي الله تعالى وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يجمع العلماء فيتذكرون الموت والقيامة والآخرة فيكون حتى كأن بين أيديهم جنازة وقال أبو نعيم: كان الثوري إذا ذكر الموت لا ينتفع به أياما فإن سئل عن شيء قال: لا أدري لا أدري وقال أسباط: ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل فأتنى عليه فقال عليه السلام: " كيف ذكره للموت؟ فلم يذكر ذلك عنه فقال: ما هو كما تقولون ".

وقال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة وقناعة القلب ونشاط العبادة ومن نسي الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة وترك الرضى بالكفاف والتكاسل في العبادة فتفكر يا مغرور في الموت وسكرته وصعوبة كأسه ومرارته فيما للموت من وعد ما أصدقه ومن حاكم ما أعدله كفى بالموت مقرحا للقلوب ومبكيا للعيون ومفرقا للجماعات وهادما للذات وقاطعا للأمنيات فهل تفكرت يا ابن آدم في يوم مصرعك وانتقالك من موضعك وإذا نقلت من سعة إلى ضيق وخائك الصاحب والرفيق وهجرك الأخ والصديق وأخذت من فراشك وغطائك إلى عرر وغطوك من بعد لين لحافك بتراب ومدر فيا جامع المال والمجاهد في البنيان ليس لك والله من مال إلا الأكفان بل هي والله للخراب والذهاب وجسمك للتراب والمآب فأين الذي جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟ كلا بل تركته إلى من لا يحمذك وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك ولقد أحسن

من قال في تفسير قوله تعالى: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ} [القصص: ٧٧]، أي: اطلب فيما أعطاك الله من الدنيا الدار الآخرة وهي الجنة فإن حق المؤمن أن يصرف الدنيا فيما ينفعه في الآخرة لا في الطين والماء والتجبر والبغي فكأنهم قالوا: لا تنس أنك تترك جميع مالك إلا نصيبك الذي هو الكفن ونحو هذا قول الشاعر:

نصيبك مما تجمع الدهر كله: رداءان تلوى فيهما وحنوط

وقال آخر:

هي القناعة لا تبغي بها بدلا فيها النعيم وفيها راحة البدن
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها هل راح منها بغير القطن
والكفن؟

فصل: وقوله عليه الصلاة والسلام: " الكيس من دان نفسه " دان حاسب وقيل: ذل قال أبو عبيد: دان نفسه: أي أذلها واستعبد لها يقال: دننته أدنيه إذ ذلته فيذل نفسه في عبادة الله سبحانه وتعالى عملا يعده لما بعد الموت ولقاء الله تعالى وكذلك يحاسب نفسه على ما فرط من عمره ويستعد

لعاقبة أمره بصالح عمله والتوصل من سالف زلّه وذكر الله تعالى وطاعته في جميع أحواله فهذا هو الزاد ليوم المعاد والعاجز ضد الكيس والكيس: العاقل والعاجز: المقصر في الأمور فهو مع تقصيره في طاعة ربه واتباع شهوات نفسه متمن على الله أن يغفر له وهذا هو الاغترار فإن الله تعالى أمره ونهاه وقال الحسن البصري: " إن قوما آلهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل " وتلا قوله تعالى: { وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخُسْرَيْنِ } [فصلت: ٢٣]، وقال سعيد بن جبير: " الغرة بالله أن يتمادي الرجل بالمعصية ويتمنى على الله المغفرة ".

من فوائد (تذكر الموت):

- إن تذكر الموت بصورة دائمة يجعل المسلم يعطي كل لحظة حقها من الواجب، ويبتعد عن المخالفات الشرعية.
- ويجعل المؤمن يعمل في حياته ما يدوم له أجره بعد موته.
- بما أن الموت حتم على كل حيّ وتبدأ بعده مرحلة السؤال والحساب فلا بد من التذكر والتدبر قبل فوات الأوان.
- كثير من الناس وعلى مرّ التاريخ يسعفهم الله بالحظّ ويمدّ لهم الأسباب فتتوفّر لهم الحماية الصحيّة والسعادة الدنيويّة فيستبعدون ذكر الموت من حسابهم فيبطشون ويتجبرّون ثمّ تقع الطامة عليهم فلا يجدون عدلا ولا صرفا وهؤلاء لا ينبغي أن يعتزّ بما هم فيه.
- أحزم الناس وأملكهم لشأنه أكثرهم ذكرا واستعدادا للموت.
- تذكر الموت يدفع المرء إلى الحياء من الله فلا يقارف المعصية.
- إن من أشدّ الحياء من الله عز وجل تذكر الموت والعمل لما بعده.
- موت المسلم وغسله وتكفينه والصلاة عليه وحمله إلى المقابر ودفنه كلّها مظاهر تذكير وإنذار لكلّ أحد بأنّ هذا مصيره ولا يأخذ معه إلّا ما قدّم من خير أو شرّ.

ومن المواقف:

ذكر ثم تموت:

عن مسلم بن الحجاج من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ جاء ملك الموت إلى موسى عليه السلام فقال له أجب ربك فطم موسى عين ملك الموت ففأها فرجع الملك إلى الله عز وجل فقال إنك أرسلتني إلى عبد لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال فرد الله عليه عينه وقال ارجع إلى عبدي فقل له الحياة تريد فإن كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعرة فإنك تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالآن من قريب رب أدنني من الأرض المقدسة رمية حجر قال رسول الله ﷺ فوالله لو أني عنده لأريتكم قبره إلى جنب الطريق عند الكتيب الأحمر.

إليه فيا ليت ما كان:

وروى أن عيسى عليه السلام مر برأس ميت فضربه برجله وقال تكلم بإذن الله تعالى فتكلم وقال يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بينا أنا جالس على سرير ملكي علي تاجي وحولي حشمي وخدمي وجندي إذ تبدى لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله وخرجت نفسي إليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت ما كان من ذلك الأنس وحشة.

فأنت إذن والله ملك الموت:

ويروى عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال كان داود عليه السلام رجلا غيورا وكان إذا خرج غلق الأبواب فغلق ذات يوم أبوابه وخرج فأشرفت امرأته فإذا برجل في الدار فقالت من ادخل هذا دارنا لئن جاء داود فرآه ليلقين منه عنقا فجاء داود فرآه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهاب الملوك ولا يمنعني الحجاب قال فأنت إذن والله ملك الموت ثم قبض روحه (1).

لكان حسبه:

ويروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان إبراهيم عليه السلام غيورا وكان له بيت يتعبد فيه فإذا خرج أغلقه فخرج ذات يوم بعدما أغلق

(1) العاقبة في ذكر الموت، ص 139.

بابه فإذا هو برجل في جوف البيت فقال له من أدخلك دارنا قال ادخلنيها ربها فقال أنا ربها قال ادخلنيها من هو أملك لها منك فقال له إبراهيم من أنت من الملائكة قال ملك الموت فقال له هل تستطيع أن تريني الصورة التي تقبض فيها روح المؤمن قال نعم فأعرض عني فأعرض عنه فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك لكان حسبه ثم قبض روحه⁽¹⁾.

هذه الحاجة أهم حوائجي:

قال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد الخروج إلى أرض له فلبس أحسن ثيابه وركب إفره دوابه وخرج في خاصته وجنوده ورجاله فنفخ الشيطان فيه نفخة ملأه كبرا وعجبا فكان يمشي ولا يلتفت إلى أحد من الناس كبرا وإعجابا بنفسه فتصدى له رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام ولا التفت إليه فأخذ بلجام دابته فقال له ويلك لقد تعاطيت أمرا عظيما كف يدك عن اللجام فقال له أنا ملك الموت فتغير لون الملك ودهش واضطرب لسانه وقال سألتك إلا ما تركتني حتى أرجع إلى أهلي وأودعهم وأقضي حاجتي منهم فقال لا والله لا رأيت أهلك أبدا وقبض روحه فخر كخشبة ملقاة.

ثم لقي آخر في مثل حاله إلا أنه كان متواضعا فتعرض له فسلم عليه فرد عليه السلام فقال له إن لي إليك حاجة وأريد أن أذكرها لك في أذنك فقال هات فأعطاه أذنه قال أنا ملك الموت فقال له مرحبا بمن طالت غيبته علي فوالله ما كان غائب أحب إلي من أن ألقاه منك فقال له ملك الموت اقض حاجتك التي خرجت إليها قال لا هذه الحاجة أهم حوائجي ومالي حاجة أهم علي ولا أحب إلي من لقاء الله عز وجل قال فاختر على أي حالة تريد أن أقبض روحك قال وتقدر على ذلك قال بذلك أمرت قال فدعني حتى أتوضأ وأصلي وتقبل روحي وأنا ساجد قال نعم فتوضأ وصلى ثم قبض روحه في سجوده.

هيهات انقطعت المهلة:

(1) العاقبة في ذكر الموت، ص 139.

وقال بكر بن عبد الله جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أصناف أموالني التي جمعت فأتي بشيء كثير فلما رآه بكى تحسرا فقال له ملك الموت ما يبكيك فوالله ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبدنك فقال له أمهلني حتى أفرقه قال هيهات انقطعت المهلة فهلا كان هذا قبل حضور أجلك ثم قبض روحه⁽¹⁾.

لعنك الله من مال:

ويروى أن رجلا جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفا من أصناف المال إلا اتخذه ثم ابتنى قصرا وجعل عليه حجابا وحراسا ثم جمع أهله وعياله وصنع لهم طعاما وقعد على سريره ووضع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون ثم قال يا نفسي تنعمي سنين فقد جمعت لك ما يكفيك فما فرغ من كلامه حتى أقبل ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب فقرع الباب بشدة عظيمة فوثب إليه الغلمان فقالوا له ويلك ما شأنك ومن أنت فقال ادعوا إلي مولاكم قالوا إلى مثلك يخرج مولانا قال نعم فأخبروا مولاهم فقال هلا فعلتم به وفعلتم فقرع الباب قرعة أشد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أني ملك الموت فلما سمعوه ألقى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الذل والخشوع فقال قولوا له يدخل وقولوا له قولنا لينا فدخل فقال له اصنع بمالك ما أنت صانع فإني لست بخارج عنك حتى أخرج بنفسك فأمر بماله فجمع فلما رآه قال لعنك الله من مال فأنت شغلتنني عن عبادة ربي ومنعتني عن النظر لنفسي فأنطق الله عز وجل المال فقال لم تسبني وبني جلست مجالس الملوك وبني نكحت المتنعمات وبني فعلت وفعلت وكنت تنفقني في سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أنفقني في سبيل الخير وطريق البر لنفعتك اليوم ثم قبض ملك الموت روحه فسقط ميتا.

فإلى أين أذهب؟:

وقال يزيد الرقاشي بينما جبار من جبابة بني إسرائيل في منزلة قد خلا ببعض أهله إذ رأى شخصا قد دخل عليه من باب بيته فوثب عليه مغضبا فقال له ويلك من أنت ومن أدخلك داري وما حملك على الهجوم

(1) العاقبة في ذكر الموت، ص 140.

علي في بيتي فقال له أما الذي أدخلني الدار فربها أنا الذي لا يمنعني الحجاب ولا استأذن على الملوك ولا أخاف صولة السلاطين فأسقط في يد الجبار وأرعد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستخدنيا متذللا فقال له فأنت إذن ملك الموت قال أنا هو قال فهل أنت ممهاني حتى أحدث عهدا قال هيهات انقطعت مدتك وانقضت أنفاسك ونفدت ساعاتك فليس إلى إمهالك سبيل قال فإلى أين أذهب؟ قال إلى عملك الصالح الذي قدمت وإلى بيتك الحسن الذي مهدت قال فإني لم أقدم عملا صالحا ولا مهدت بيتا حسنا قال فإلى لظى نزاعه للشوى ثم قبض روح فسقط بين أهله فمن صارخة تصرخ وباكية تبكي.

قال يزيد ولو يعلمون سوء المنقلب لكان العويل أعظم والبكاء أكثر⁽¹⁾.

أترضى حالك هذه للموت؟:

- وقال عبد الله بن المبارك، قال عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية لرجل من إخوانه كان يجالسه: أترضى حالك هذه للموت؟ قال: لا، قال: فهل أنت مجمع على الانتقال إلى حال ترضاها للموت؟ قال: ما سخت نفسي بذلك بعد، قال: ويحك، فهل بعد الموت دار فيها معتمل؟ قال: لا، قال: فهل تأمن أن يأتيك الموت على حالك هذه؟ قال: لا، فقال: ما رأيت مثل هذه الحال رضي بها عاقل، فاتق الله يا أخي واعمل قبل أن تندم⁽²⁾.

قد مات قوم وهم في الناس أحياء:

قال ابو بكر الخياط رأيت كأني دخلت المقابر فإذا اهل القبور جلوس على قبورهم بين ايديهم الريحان وإذا أنا بمعروف أبي محفوظ قائما فيما بينهم يذهب ويجيء فقلت أبا محفوظ ما صنع بك ربك أو ليس قدمت قال بلى ثم أنشأ يقول:

موت التقى حياة لا نفاذ لها :: قد مات قوم وهم في الناس
أحياء :

(1) العاقبة في ذكر الموت، ص 142.

(2) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، 38/5.

أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت اليها عريانا:

- قيل لمعروف الكرخي في علته أوص فقال إذا مت فتصدقوا

بقميصي هذا فاني أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت اليها عريانا.

فعظم الله أجرك على موت قلبك:

- توفيت أم قاضي بلخ، فقال له حاتم الأصم: إن كانت وفاتها عظة لك

فعظم الله أجرك على موت أمك، وإن لم تتعظ بها فعظم الله أجرك على موت قلبك.

هل رد الله عليك حكماً؟:

وقال له: أيها القاضي، منذ كم تحكم بين عباد الله؟ قال: منذ ثلاثين

سنة، قال: هل رد الله عليك حكماً؟ قال: لا، قال: فإن الله لم يرد أحكامك في ثلاثين سنة وترد حكماً واحداً حكمه عليك.

فعظم الله أجرك على موت قلبك:

- توفيت أم قاضي بلخ، فقال له حاتم الأصم: إن كانت وفاتها عظة

لك فعظم الله أجرك على موت أمك، وإن لم تتعظ بها فعظم الله أجرك على موت قلبك.

أيمنما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة:

- عن مجاهد في قوله تعالى: ” أيمنما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم

في بروج مشيدة ” الآية قال كان فيمن كان قبلكم امرأة وكان لها أجير

فولدت جارية وقالت لأجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا

فقال له الرجل ما ولدت هذه المرأة قال جارية فقال اما أن هذه الجارية لا

تموت حتى تبغي بمائة ويتزوجها أجيرها ويكون موتها بالعنكبوت قال

فقال الأجير في نفسه فأنا أريد هذه بعد أن تفجر بمائة لاقتلنها فاخذ شفرة

فدخل فشق بطن الصبية وخرج على وجهه وركب البحر وخط بطن

الصبية فعولجت وبرأت وشبت فكانت تبغي فانت ساحلا من سواحل البحر

فاقامت عليه تبغي ولبث الرجل ما شاء الله ثم قدم ذلك الساحل ومعه مال

كثير فقال لامرأة من أهل ساحل البحر ابغيني امرأة من أجمل الناس في

القرية أتزوجها فقالت ها هنا امرأة من أجمل الناس وانها تبغي قال انتني

بها فأنتها فقالت قد قدم رجل له مال كثير وقال لي كذا وكذا فقلت كذا وكذا

فقالت إني قد تركت البغاء ولكن إن أراد تزوجته قال فتزوجها فوقعت منه
موقعا فبينما هو يوم عندها إذ أخبرها بأمره فقالت أنا تلك الجارية وأرته
الشق في بطنها وقد كنت أبغي فما أدري بمائة أو أقل أو أكثر قال فلفه قال
لي يكون موتها بالعنكبوت قال فبنى لها برجاً في الصحراء وشيده فبينما
هما يوما في ذلك البرج إذا عنكبوت في السقف فقال هذا عنكبوت فقالت:
هذا يقتلني لا يقتله أحد غيري فحركته فسقط فوضعت إبهام رجلها عليه
فشدخته وساخ سمه بين ظفرها واللحم فاسودت رجلها فماتت فنزلت هذه
الآية: { أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ } [النساء: ٧٨] ⁽¹⁾.

* * *

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، غير مكفٍّ ولا مكفورٍ ولا مودَّعٍ ولا مستغني عنه ربُّنا، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يوفِّقنا لأداء حقه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله، وأن يجعل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي جميع أقوالنا وأفعالنا خالصاً لوجهه الكريم، ونصيحة لعباده. فيا أيها القارئ له، لك غنُّه وعلى مؤلفه غُرْمُه، لك ثمرُته وعليه تبعُته، فما وجدت فيهِ من صوابٍ وحقٍ فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال وقد ذمَّ الله تعالى من يردَّ الحقَّ إذا جاء به من يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه فهذا خُلُقُ الأمة الغضبية أي: اليهود. فقد قال ابن القيم رحمه الله: ”أقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً، وردَّ الباطل على من قاله وإن كان حبيباً.

وقرر أنه لا يردُّ كل قول من أخطأ جملة، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل، فقال: ”فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، ففسدت العلوم والصناعات.”

وقال أيضاً: ”.. فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق، ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسر عليه من الأسباب ” (1).

فإذا مر بك - يا أخي - ما لا يعجبك فلا تصعِّر خدك، ولا تعرض بوجهك، ولا تسلَّ لسانك، ولا تجلب بخيلك ورَجْلَكَ، وخذ من الكتاب ما يعجبك واتهم الفهم.

فَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحاً :: وَآفَتْهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

ولا يصدنك عن الحكمة قائلها؛ فقد يقول الحكمة غير الحكيم، وتكون الرمية من غير الرامي، وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه.

(1) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص378.

اعْمَلْ بِعِلْمِي وَغَضِّ الطَّرْفَ عَنْ
زَلِّي :: يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ
تَقْصِيرِي :

وما وجد القارئ فيه من خطأ فإن قائله لم يألُ جهد الإصابة، ويأبى الله
إلا أن يتفرد بالكمال، كما قيل:

وَالنَّقْصُ فِي أَصْلِ الطَّبِيعَةِ كَامِنٌ :: فَبَنُوا الطَّبِيعَةَ نَقْصُهُمْ لَا يُجَحِّدُ

وكيف يُعَصِّمُ من الخطأ من خُلِقَ ظلوماً جهولاً، ولكن من عُذَّتْ
غلطاته أقربُ إلى الصوابِ ممن عُذَّتْ إصاباته، وعلى المتكلم في هذا
الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق، وغايته النصيحة لله،
ولكتابه، ولرسوله، ولإخوانه المسلمين، وإن جعلَ الحقَ تبعاً للهوى: فَسَدَ
القلبُ والعملُ والحالُ والطريقُ... والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم
وبارك على خاتم المرسلين محمدٍ وعلى آله أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

الفهرس

3	المقدمة
7	مواقف الصابرين
12	فاحتسب ابنك
12	قبلت رأس عرج
13	عروة بن الزبير: اللهم إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت
14	كانك لم تدع إلي ضير مسك
14	أكثرُوا سؤال العافية
14	فأنت الراكب وأنا المشي
15	المال مال الله
15	فإنظر ماذا يفعل بالمرضى عنهم!
15	فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها!
18	مواقف المتواضعين
22	ومن فوائد التواضع جملة
22	كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام
23	فوضعني الله حيث يرفع الناس
23	هذا والله الملك الهنيء
23	أتدري من هذه وحبك!
23	إن كان إلا شيطاناً أذهب الله بك
24	ميل المأمون إلى التواضع
24	أما تعرفني!
24	ولما شئت صرت مرأباً
24	ثم صاروا يراؤون بما لا يقولون ولا يفعلون
25	احتج إلي!
25	ما وجدت أحداً فيما بيني وبينك تسأله غيري!
25	وإن زماناً أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء
25	أخسبت المقت من الله
25	عطاء بن رباح: قد خبث زمان يزار فيه مثلي
26	ثيابي تضعني عندك أو ترفعني!
26	إنما مالك حمار!
26	يقولون: مالك زاهد أي زهد عند مالك وله جبة وكساء!
26	أولك نطفة مذرة وأخرك جيفة قدرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة
27	هكذا تخلس العبد بين يدي أربابها
27	كذا تجالس الملوك
29	مواقف الزاهدين
34	ومن فوائد الزهد جملة
34	خذها، وأطعم الحلو صبيانك
35	أوصني!
35	ليس حبيبك معك!
35	لا ذاق داود تمراً ما دام في الدنيا
35	فكان في اعتزالي أكثر العافية
36	لقد هان الخلق على داود
36	وهي تريد الجنة غداً
36	كان لنا عند الله مذخوراً
37	أقل من إتياني
37	وأنا أسنحي من الله
37	أدعه حتى أشنهي
37	تلك ضالته لا توجد
37	كنت أخاصم نفسي
38	إن في قلوبهما عتق رقبانا من الرق
38	فما أبقيت لأخوتي
38	إنما يفعل هذا بالصبيان

39	رأيت خبرها كثيراً:
39	هذا إن قبلك:
39	ولكن أحب أن أعيش في عز القناعة:
39	أردت أن تخدمني؟:
39	إنما طلقت نفسي من هذه الشهوات:
40	ما شعرت بذلك!:
40	لعل تركه أن يكون أنجى:
41	ما يوفقك هنا؟:
41	ليس أحد أحق بمجلسي من يوسف:
42	أنت نموت في الحديد:
42	هذا لساني:
43	لعل الله يخلصني بدعائهم:
43	اللهم إنك تعلم أنني قد أحببت داعيك فمنعوني:
43	من رأي ذاك ورأي هذا لا يغتر بالدنيا:
43	أجعل للصلح موضعاً:
44	فأجاب بثمانية عشر جواباً:
44	سألتك عن الرب الذي تعبده:
44	هو ذاك:
45	أموات جاؤوا إلى جنازة حي:
45	فكيف لا أخلق لحيتي أنا على موجود:
45	لهم تحت الثياب قبور:
46	فقلت له يا سيدي ونعد في الموتى فقال:
46	إنني بريء مما تعبدون هذه الأفعمة:
46	من أسعد أصحابك بصحبتك؟:
47	ما أعزك أحد إلا أذله الله!:
47	فأيش كانت بضاعتك؟:
47	أماجنون أنت؟!:
48	ووجهك أن رأيت شفاء داني:
48	سيكون لي عداً مع هذا الشيخ شان!:
48	فأخرجه من البيت:
49	أي صبر أشد على الصابرين:
49	بم يبعد المرء من ربه ويخدل عن أمره؟:
49	فلاناً يعيب الباذنجان:
49	وضيعت العمر وليس له بدل:
49	وإنما أرسلت المريض إلى الطبيب:
50	أنك لتحب الدنيا:
50	ما تقول فينا أهل البيت:
50	أخرج ما في الجيب حتى نعطيك من الغيب:
50	ألا قلت له مع من هجرهم فيه:
51	فانظر ما همومك يا هشام:
51	وأخرجوا الدنيا من قلوبكم:
51	إن التكلي لا تحتاج إلى نائحة:
51	لولا البول ماخرجت من المسجد:
52	أفر بدني من شاهرقي إلى شاهق:
52	لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيوف:
52	أما نحن فقد استوفينا أجورنا:
53	لو أمكنني أن أطلق نفسي لفعلت:
53	صبر مالي وماله واحداً:
53	ما إياك عني:
54	ليس إياك أردت:
54	وقال هلك أصحاب الأثقال:
54	قاتلاً مملوكاً لأبيك:
54	مالي فيها حاجة:
54	من عرف نفسه اشتغل بنفسه عن غيره:

55	اهربوا من الناس كهربكم من السبع الضاري:
55	هكذا كلاب بلخ:
55	مات وكفن في الملائين:
56	مخافة أن أكون كأجير السوء:
57	حب ربك سبحانه وأشتق إليه:
57	ألا إن الله عز وجل شفيعهم في كل من حج:
58	قد علمت ما كان مني يا أمل المؤمنين:
58	وأطلب دواءك ممن ابتلاك:
58	أطلبوا لأنفسكم مثل ما وجدت أنا:
59	قد كان لي قلب فقده:
60	كم تقول: عزلتي أنسي:
60	ورؤية الشهوات:
60	ما استوحشت لبعدهم:
60	كيف رايت هؤلاء يا أبا عبد الله؟:
61	ما أسرع الناس إلى البدع:
61	فتبسم ثم مات:
62	أغرب من بين يدي فلا أراك:
62	لبادرتكم إليه:
62	هذا والله الكسب الحلال:
62	سواء علي أكلت من رطبكم أو لم أكل:
63	هذا كان جليسك، أفلا نصحتك؟:
63	كيف طرحت الدرهم في الطين؟:
63	ما أحرمتك ما تريد إلا لكرامتك علي:
63	إن نفسي لتنازعني إلى شيء منذ أربعين سنة:
64	ما الذي أنصب العباد وأضناهم؟:
64	العلم نور لصاحبه:
64	فاعدوني واتهم نفسك:
64	أعقل فإن هذا من صفوة النوح:
65	وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء:
65	يا من دعاه المذنبون فوجدوه قريبا:
65	أصبحت من الدنيا على فناء:
66	كالهارب من السبع:
66	صوت حزين كئيب موجه القلب:
67	يا ذا النون غص بصرك من مواقع النظر:
68	وأشغل هوك بحور عين:
68	وتضبيعي قلبا لا اقتني مثله أبدا:
68	هو النون والمريض:
69	لأن البكاء راحة للقلب:
69	يا راقدا والجليل يحفظه:
70	والمحبيب لا يدري ما حاله!:
70	أليس كنت تبغضهم؟:
71	أو أسبهم بنفسي في مقاساة البرد:
71	لو ألهمنا أنفسنا هذا ما خرجت السمكة!:
71	ذهب عنك اسم الحافي:
72	دخلت دار بشر:
72	فلا ما جمعت أكلت، ولا ما أملت نالت:
72	الموتى داخل السور أكثر منهم خارج السور:
72	أنت تعلم أني لو أعلم أن هذا هاهنا لم أتكلم:
73	الحمد لله الذي أرضى بشرا بما صنعنا:
73	المحدثون كثير:
73	فابشر يا أبا نصر:
73	أشتهي أن أمرض بلا عواد:
74	ضاق على الماء فكيف أتكلم في النبذ:
74	وأنت قلت ولم تعمل:

74	تغتم لي حبة وميتة:
75	ما أفنح بمثلي:
75	إذا كان يطعم هذا من بعصيه فكيف من يطيعه:
75	بنبغي أن أستحي من الله:
75	اللهم أنك تعلم أنني أخاف أن أسكت:
76	تفكرت في بشر النصراني وبشر اليهودي:
76	إليك عني تاكلين قوتي:
76	هكذا ندفع الدنيا:
76	أنين المريض هل هو شكوى:
77	من ههنا أنيت:
77	فخشيت على نفسي شيطانية:
78	إن كنت حراً فاصنع ما شئت:
78	بنس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان!:
78	لا يواخذك الله على هذا:
78	من أين تأكل؟:
78	فهو ماء يشرب الحافي:
79	فالتفتة التي بلغت بها إلي هذا من أين؟:
79	منذ ثلاثين سنة أنا في الاستغفار:
79	أعرف طريقاً مختصراً إلى الجنة:
79	أشتهي أن أموت ببلد غير بغداد:
79	حتى عفا عليه التراب:
80	قد خلوا ابنك:
80	أنا تائب من الملح:
80	يا معشر الشباب جدوا:
81	هذه أغلال:
81	لو سمعت منك هذه الكلمة من قبل لما صحبتك:
81	فإذا اسمي في الحاشية:
81	ترانا اليوم ناكل بأدياننا:
82	اللهم اشغل من شغلتي عنك بك:
82	رجل يتكلم في موارد القلوب:
82	فأردت أن يكون معه الأكثر:
82	اللهم علمنا أدب العبادة:
82	إن الجوع أورثهم الحكم وإن السبع أورثهم التخم:
83	ملحك مدفوف:
83	عند ذلك تصل إلي محبة المحبوب:
84	وإذا اردتم انكشفت:
84	يا معلم! ما فعل الله بك؟:
84	هو الذي يلقي ربه وليس فيه إله غيره:
85	فارتحلت وما صحبتني حديث غير هذا:
85	يا أبا سليمان قم إلى الحائط:
85	فيمادا تغسل قلبك:
85	يا بني، اتق الله وخفه وارجه:
86	لو عادت أدميا لكرهت لقاءه:
86	بما كسبت يداك:
86	فإن لم تكن قهراً فكن شمساً:
87	معروف في أهل الأرض معروف في أهل السماء:
87	ولكني رجوت دعاءه:
87	إن حفظهم رجعوا ولم يذهبوا:
87	إن الملك دائم لا يفتر:
87	ما أحصينا مذ قلتها عام أول:
88	فهات المصحف، وخذي الملحفة!:
88	ولم يضركم شيء:
88	يا هذا! لو ردتنا لزدناك!:
88	وددت لو أني تزوجت!:

88	أو ليس قد مت؟!:
90	مواقف العافين عن الناس:
96	ومن فوائد العفو عن الناس:
96	فاجعله آخر ذنوبه:
96	أقول لا تثريب عليكم اليوم:
97	خلوا سبيله:
97	سياسة المنصور في العفو عن المسيء:
97	وقد وهب أمير المؤمنين مسيئهم لمحسنهم:
98	ثان علي فإن الثاني نصف العفو!:
98	فيك موضع للصنيعة:
98	إن عفوك لا يكون غدرًا!:
99	أذهب فانت حر:
99	فكان عذره له أحسن من إحيائه إياه:
101	والامر قريب والموعود الصراط والحكم الله:
101	لست بأرحم لك ممن أوجب عليك الحد:
101	ولأن تتدم علي العفو خير من أن تتدم علي العقوبة:
102	إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك!:
102	فأعطه ما يحب من العفو:
102	ويحك! بأي وجه تلقاني؟:
102	لم حلفت عنه؟:
102	والله ماكان شيء من هذا:
103	وما ينفك أن تعذب أخوك المسلم بسببك:
104	فالحق بسعهم ويخرجهم:
104	كثر بكأوك اللبلة فما السبب؟:
104	رجل صالح ابتلي فينا فما نعمل؟!:
105	لا يزيد علي قوله اللهم أغفر للمعتصم:
105	كيف تمشين؟:
106	فما كنا عند الحسن إلا مثل الفراريح:
106	جاء ليسرقنا فسرقتنا:
107	إن مع خطئك صواباً كثيراً:
107	إن مثلك إذا عفا لم يعدد وإذا صفح لم يثرب:
108	ونحمد الذي عافانا مما ابتلاك به والسلام:
108	ما ضرب الله عبداً بعقوبة أعظم من فسوة القلب:
110	مواقف الخائفين من الله:
111	الخوف من الله تعالى:
113	أجر النعمان عندك من النار:
119	فأنت في الأمانة فاعلمي:
119	إن لي ربا كثير المعروف:
119	أفصص بعدك حرام:
119	إن أحبكما إلي أحسنكما ظناً بي:
120	الباب الذي بينك وبين الله تعالى:
120	لخفت أن أكون أنا هو:
120	من خاف الموت خشي القوت:
121	يا كعب، خوفاً:
121	كلما أشتهيت اشتريت:
121	أدفن كما يصنع بالعبد الأبق:
121	ولم لا أبكي؟:
121	لكني سمعت قوله: {يعرف المجرمون بسيماهم}:
122	فتفكر في تطاير الصحف إلى طلوع الفجر ونسي حاجته:
122	يا رب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شبيهة مالك على النار:
122	مالك غداً هكذا يصير:
122	سبب موت مالك بن دينار:
123	فأني أوصيك بتقوى من لا تحل معصيته:
123	الرم التقوى قلبك:

123	فاحتشمت أن أذكره سبحانه وتعالى:
124	ليس هناك منزل ثالث:
124	يتنغي لنا إذا ذكرنا الجنة أن نخزي:
124	إذا زلزلت الأرض زلزالها:
124	أخرج حلاوة ذكرى من قلبه:
125	فأي الدارين دار مالك؟:
125	هذا رجل مشغول بنفسه:
125	هذا والله الكريم هذا والله الكريم:
125	كم تحدث الناس بالرخص؟!:
126	هذا عذر الخطابين الأشرار:
126	أتدري ما مثل ابن عمك؟!:
126	يا مالك إن الركوة قد سرقت!:
127	هكذا أمر الآخرة:
127	إني كنت في وسط الدار:
127	لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن:
128	لو كانت الدنيا ذهب يفتني:
128	لقد حالت النار بيننا وبينك:
129	فما زال يقول ذلك حتى أكرهني:
129	أتيتك من شقة بعيدة مؤملة لمعروفك فأنلني معروفا من معروفك:
129	تذهب عينك:
129	إن ذكر جهنم لا يدعني أن أنام:
130	لقيت والله أهواً ولا وز لا زل عظاماً شداداً:
130	يا أيها الناس الرحيل الرحيل:
130	اليوم أنتقم لها منك!:
131	وليس لي شيء أن أتقرب به سوى نفسي فتقبلها مني:
131	ولكن قل علي رقيب:
134	مواقف المتأخين في الله:
152	محاسن كرم الصحبة:
153	أغثنى أغاثك الله!:
157	فكيف لا أصبر على آذى الشمس ساعة؟:
157	وما أعلم لها سبباً إلا تلك الكلمة:
157	فما حالي من بين ولدك؟:
158	ما أحسن ما فعلت!:
160	تشبهوا ما أحببت:
160	إنك ضيق الخلق:
160	فباع حماره وأسرى شهوتي:
160	قد أبررت يمينك:
161	أعز الأشياء في آخر الزمان:
161	فلم تنفقل إليه!:
161	أحمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك:
162	إلا رأيت أنه خير منك:
162	ما جاء بك؟:
162	والله لشقاء أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ بك أشد من شقائك بنا!:
163	أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه:
164	إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا:
164	ثم حدثهم بعد ذلك بكل ما أرادوا إلى أن رحلوا:
164	المعرفة تنفع عند الكلب العفور:
165	يا غلام أظن السلطان سيحتاج إليك:
165	إنا لكم مثل جبل أبي قبيس:
165	أما والله لو كنت غنياً لجالسني:
165	أنت منهم ومعهم والمرء مع من أحب:
165	أعجبني صدقك:
166	إذا كتبهم فاكتب تحتهم إبراهيم محب المحبين:
166	لا تقل ذلك:

- 166 أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك:
 166 هذا الحديث بكفيتني:
 167 أهون من اعتذار إلي صديق يشوبه الكذب:
 167 حتي انتفع به كما انتفعت:
 169 مواقف المخلصين لله:
 172 حقيقة الإخلاص:
 174 الفرق بين الإخلاص والصدق:
 180 من صور الإخلاص ومظاهره:
 180 من فوائد (الإخلاص):
 181 الذي فعلت له لا يخفى عليه:
 181 وقوم طلبوا الدنيا:
 181 ادلك على النجاة وتكافئني بالهلاك:
 182 أراك مرأبة منذ ثلاثين:
 182 ما هم بمجاورين:
 183 لو علم الملوك و أبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا:
 183 ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟!
 183 نشكو إليك ما يفعل بنا:
 183 والله إنني أخاف أن أكون بها شقياً:
 184 الشهرة اليوم في القصر:
 184 اللهم أنسه ذكري:
 184 رأيت بهماشي صاحب بدعة:
 184 فاعلم أنه ضال مضل:
 184 إن كان كل العباد يخفون خفك فلا خير في العبادة:
 185 هذا اسم ما عرفني به أحد إلا أنت:
 185 تخافون وفيكم إبراهيم بن أدهم:
 185 عسى أن يعلموا أي عمل وقع لوجه الله تعالى:
 186 يا حاتم، ما خاب سعيك:
 186 إذا كان في موضع الأدب:
 186 ولم لا أبكي؟
 187 يا نفس كم تبكين؟
 187 فمن دعائي أكلت:
 187 سل عما يعنك عافاك الله:
 187 رأس الزهد:
 187 فاشكو ربي:
 188 مواقف المتصدقين:
 193 من فوائد (الصدقة):
 194 لقمة بلقمة:
 194 ما أنا بمسكين، ولا فقير، وإنما أرسلني إليك ربك عز وجل:
 196 أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه:
 196 يؤدي زكاة ماله في السنة مرتين:
 196 أيكم إبراهيم بن أدهم؟
 196 كيف رأيت صنع الله؟!
 197 لأبشرك يا علي، بها تبشر أمي من بعدي:
 197 ما عند الله خير وأبقى:
 197 إذا قدمت إلي فقير شيئاً فقدم إليه مثل هذا:
 198 وأما من جهة الإخلاص فالكل:
 198 فلم لا تطلب منه؟
 198 خمساً في خمس:
 199 بلا دراهم:
 199 من خليلك؟
 200 أنفق هذه الصرة في الأمر الذي ذكرت:
 200 أنا عبد مديبر أكل ما يطعمني وأنزل حيث ينزلني:
 200 خالك ضيف:
 201 ترج فيه ثلاث خصال:

201	قصّة معروف الكرخي مع مجوسي:
203	اللهم أدمّ حاله هذه فائدة صلاح الفقراء:
205	مواقف الشاكرين
210	ومن فوائد الشكر عامة:
211	أخشي إن يكون حظك من الله لسانك:
211	شكر الله:
211	فرده الله عليك وزادك خمسين ديناراً:
213	مواقف المتوكلين على الله
217	بين التوكل والاتكال:
217	بين التوكل والتفويض:
218	بين التوكل والثقة بالله عز وجل:
227	من فوائد (التوكل):
228	ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح:
228	لم أعنك رحمك الله:
228	أبش قلت؟
229	هكذا كلاب بلخ:
229	التجربة شك:
230	فانتبهت وأنا أسمع الصراخ:
232	أحوال الراضين والقانعين
235	أنواع الرضا:
244	من فوائد الرضا:
244	فما عوضك؟
245	لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من العيش واللذة لحسدونا:
245	لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم والسرور لجالدونا بالسيف:
246	وهو عن الله راض والله عنه راض:
247	حقيقة الدنيا:
253	انطلقوا حتى أرىكم الدنيا:
253	أي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل خيراً فلا يصيبه:
254	ماذا تفعل الدنيا بأهلها؟
254	من خدمك فاتعبه ومن خدمني فاخدمه:
254	ما حملك على الخروج من الدنيا؟
255	ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟
255	ذهبوا وبقيت أعمالهم:
255	إني لا أحب الظلم:
255	وقد أتاك رسول يقطع أثرك من الدنيا:
255	الحمد لله الذي أراحني من الدنيا وأهلها:
256	والله دخلها الحزن، وذهب بأهلها الزمان:
256	بم رفعناها بعد، فما لقينا منها؟
256	أو ما تعلم أني قد طلقت الدنيا ثلاثاً؟
257	ولم تؤو الضالة ولم تجبر الكسير؟ ولم ترعها حق رعايتها:
257	لأن مادحهم مفرط ودامهم مفرط:
257	فعلى الدنيا العفاء:
257	على القلب ثلاثة أعطية:
258	أحسن بالحرّ المريد أن يتذلّل للعبيد:
258	فلم أعرف قبر الأسود من قبره:
258	أبسر بسر:
258	لم حبيت القلوب عن الله عز وجل؟
259	ما لك حيلة؟
259	أخرجوه فقد استقتل:
259	أرى أناساً يادّني الدين قد قنعوا:
260	فسارع إلى أمر الله:
260	لما كنت تضربني كنت أسأل الله لك الجنة:
260	يا أخي أما علمت أن الموت أمامك:

262	مواقف المتهادين
275	الأحوال التي ترد فيها الهدية:
279	كما أنت إذا:
279	فنبروز لنا إذا كل يوم:
279	وما تصنع بعناني؟
279	هديتي تقصر عن همتي.. وهمتي تعلو على مالي:
280	فمن أي هذين لا أجزع:
280	لو قبلت هديتك ليلاً قبلتها نهاراً:
280	من هذا؟
281	ظالم ولي المظالم:
281	والظرف يوجب أخذه مع ظرفه:
281	كل يهدي على قدر وسعه:
281	نفسك والله أحب إلي:
282	حين احتفل أهدى بصل:
282	والأقمتها:
282	أرخ بديكه:
282	حسبك قداك أبوك ووريت زناده فيك:
282	إن جهد المقل غير قليل:
283	سألتك الجلوس لنا فأبيت علينا، فلما جاءك المال والجائزة جلست!:
283	إن لم تكن من الصالحين فإننا نحب الصالحين:
283	ما سألت من يملكها فكيف أسأل من لا يملكها؟:
284	إن شئت رددت الجرة وكتبت لك:
284	لحملة القتا إليه أحياناً:
286	مواقف التائبين
288	والتوبة في الاصطلاح:
289	التوبة النصوح:
289	معاني التوبة وأنواعها:
290	شروط التوبة:
300	قد أداني هذا المتخلف من كثرة ما يتوب:
300	توبة كعب بن مالك رضي الله عنه:
303	ليس لذا خلقت، ولا بدا أمرت:
304	وأي دين لو كان له رجال:
304	كم شهوة قد ذهبت لدنّها وبقيت تبعثها:
305	فرجعت إلي بلدي فجعلت أسير سير الضعفاء:
306	أمجنون أنت؟
306	قلوب الملوك بيدي:
306	قد عاهدناك من أرا فوجدناك كذوباً:
307	ما سبب توبتك؟
307	وكان يفتي ويعاشر الفتيان:
307	فما حقيقتها؟
309	مواقف حسن الخاتمة
314	بشائر تدل على حسن الخاتمة:
315	الوسائل التي جعلها الله سبباً في حسن الخاتمة:
317	من قصص السلف في حسن الخاتمة:
319	أوتروا لي قوسي:
320	لا حني أموت:
320	كيف أصبحت؟
320	هذه نعم الله:
321	أرفق بنفسك!:
321	اعذرنني! فإني كنت في وردي:
322	آثار المعاصي والذنوب
326	أضرار المعاصي:
340	من مضار المعاصي:
342	اللهم إنا ظلمنا أنفسنا فاعف عنا:

342	ونحن ندعوهم منذ دهر فلا يستجيب لنا:
343	اضرب رأساً طالما عصى الله:
343	ومنه يكون الفرح، والمرح والضحك:
343	لو أن للذنوب رباً ما جلس إلي منكم أحد:
343	ولعنتي تبلغ السابع من الولد:
343	فلا تطفئه بالمعصية:
343	اتق الله واجتنب المعاصي:
344	فقطعه ومات:
346	مواقف المتجهدين
354	أيها السبع أطلب رزقك في مكان آخر!!:
355	إن لاستحي من الله أن أخاف شيئاً سواه!!:
355	فانني حزبي البارحة!!:
356	ألا يقوم نصلي:
356	صلوا ما دمتم سايابا!!:
356	من أثر دموع الشيخ في سجوده:
356	يرجع الدم إلى مكانه من قيام الليل!!:
356	حتى يعلموا أنهم خلفوا بعدهم رجالاً!!:
357	ثم يقوم يصلي إلى الفجر:
357	ما شيعت من القرآن والصلاة:
357	وما نفعلنا إلا ركعات كنا نركعها في الأسفار:
358	أتنام وأنا أربي لك في الخدود منذ خمسمائة عام!؟:
358	ولا أحب أن أفسد عليك نومك:
358	ولم لا أبكي!؟:
358	فاني أحب أن أريزق وقتاً من الليل:
358	يا رب أرني رفيقي في الجنة:
361	مواقف الامرون بالمعروف والنهي عن المنكر
364	بيان معنى المعروف والمنكر شرعاً:
366	عظم شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
369	مسألة:
370	فائدة:
370	رايت رب العزة في المنام:
371	إن كان ذاك مما ينفعكم فافعلوا:
372	الصلاة والسلام على الحبيب محمد ﷺ
376	فضائل الصلاة على رسول الله ﷺ:
376	- صلاة بصلوات:
377	- رفع للدرجات وحط للسُّيئات:
378	- كفاية الهموم ومغفرة الذنوب:
378	- سبب لنيل شفاعته ﷺ:
379	- سبب لعرض اسم المصلي على رسول الله ﷺ:
380	- طهارة من لغو المجلس:
380	- سبب في إجابة الدعاء:
381	- انتفاء الوصف بالبخل والجفاء:
382	- دليل إلى الجنة:
382	الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة عليه ﷺ:
386	هذه مشبة الخدام في دار السلام:
389	مواقف المبطلين
394	حكمة الله عز وجل في الابتلاء:
398	الإمام البويطي: قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم!:
399	الإمام نعيم بن حماد: إني مخاصم:
399	الإمام الخراعي: إني لأحتسب خطاي إلى هذا الكافر:
400	محنة الإمام أحمد بن حنبل مع الخلفاء:
411	محنة البخاري:
412	محنته مع أمير بخارى:

- لعل الله يخلصني بدعائهم: 413
 اللهم إني قد أحبت داعيك فمعونتي: 413
 أحوال المجاهدين في سبيل الله: 415
 من فوائد الجهاد في سبيل الله: 425
 تجز دوابيتها للجهاد: 425
 تعليق: 426
 لو قيل لي شيء من هذا: 426
 أنت الذي يقول إني أحفظ سبعين ألف حديث: 426
 فوجدتها في سر أدق الطاغية تقتل الترك: 427
 وجميع ملكي لك الفداء: 427
 كيف ترى نفسك يا حاتم في هذا اليوم؟: 428
 أحب إلي من مئة ألف سيف شهير وساب طرير: 428
 فإن فاجئنا العدو كان بنا حراك: 429
 فتح عمورية على يد المعتصم سنة 223 هـ: 429
 إذ جاءه سهم فذبجه فألقاه عني: 434
 يصارح الحجاج برأيه في أخيه: 435
 أحوال الذاكرين الله عز وجل: 437
 وسبحوه بكرة وأصيلاً: 442
 عجزت النساء أن يلدن مثلك يا معاذ: 455
 يختم القرآن كله في كل ركعة!!: 456
 يسبح مائة ألف تسبيحه في اليوم: 457
 يختم القرآن في سبع: 457
 يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة: 457
 يرفع صوته بالتكبير حتى مع الصبيان: 457
 يختم القرآن في رمضان كل ليلتين: 458
 يقرأ القرآن كل ليلة ثلاث مرات: 458
 يختم القرآن كل ليلتين: 458
 يقوم الليل بربع القرآن: 458
 يختم القرآن كل جمعة: 458
 يقرأ الناس أربعين سنة: 459
 يسبح من فيه راحة المسك: 459
 ما أظن الله خلق مثلك!!: 459
 يبيل عمامته من دموع عينه: 460
 - يذكر الله حتى تغيب الشمس في المسجد: 460
 - نظر في المصحف حتى خشي أن يذهب بصره: 460
 أبو جعفر زيد بن القعقاع القاري: 461
 يختم القرآن أربعة وعشرين ألف ختمه!!: 461
 إذا قرأ القرآن لم تحس في المسجد حركة كان ليس فيه أحد: 462
 يختم القرآن في اليوم والليل ثلاث مرات: 462
 يقرأ القرآن في يوم والليل ويصوم الدهر: 462
 يقرأ القرآن في ركعتين: 463
 يختم القرآن كل ليلة ويصوم الدهر: 463
 جزءوا الليل ثلاثة أجزاء يختمون فيها القرآن بينهم كل ليلة: 463
 يختم القرآن كل ليلة ويدعو لألف إنسان: 464
 يختم القرآن في رمضان ستين ختمه: 464
 يصلي في اليوم والليل ثلاثمائة ركعة: 465
 يصلي كل يوم خمس مئة ركعة: 466
 يغشى عليه إذا سمع القرآن: 466
 يسبح كل يوم مائة ألف تسبيحة: 466
 يختم القرآن أربع مرات في اليوم: 466
 يختم القرآن اثني عشر ألف ختمه: 466
 صار القرآن كأنه بين عينيه: 467
 يسبح وهو بين يدي الحجام: 467
 ينسر وهو يذكر الله: 467

468	يختم القرآن كل ليلة:
468	يموت ساجدا لله:
469	كان من شدة اشتغاله بالله مثل مجنون أو واه:
469	بحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة:
469	نور يأتيه من السماء حتى يبصر فيتوضأ:
469	كثير الأوراد والذكر:
469	يقرا ختمين قبل أن يطلع الفجر:
470	عديم النظير كبير القدر:
471	من كثرة ذكره يقال عنه مجنون:
472	يسبح وهو مصلوب:
472	يسبح وهو يغسل!!:
472	في مرض الموت يقول في اليوم الله الله خمسة عشر ألف مرة:
472	يسبهي الجنة ويأمر بذكر الله:
473	أشد الناس مواظبه على الخير والذكر:
473	يموت ممسكا بالمسيحه وهو يسبح:
474	أنت تعمل، وأنا أعمل:
474	حتى كاد أن يسقط:
474	تأخذ بيدك سبحة!:
475	مواقف الغاضبين بصرهم
482	متى ذهبت عينك؟:
482	متى ذهب بصرك يا أبا حنيفة؟:
482	ما سبب الذنب؟:
482	حتى لا أبالي استقبلتني امرأة أو حائط:
483	مواقف المواسين
485	أنواع المواساة:
490	ومن جملة فوائد المواساة:
490	بحث في المواساة:
491	إيثار نادر:
492	المواساة من أخلاق المؤمنين:
492	عيسى بن طلحة: يا أبا عبد الله ما أعددتك للصراع ولا للسباق:
492	الوليد بن عبد الملك: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه:
493	سعيد بن المسيب لم يزد على كلمة (لا):
493	مواقف الداعين الله عز وجل
496	آداب الدعاء:
501	يسير بجيش المسلمين على صفحة الماء بسبب الدعاء:
508	يدعو الله فيبعث له حماره:
509	أقسم على الله فأبره! البراء بن عازب:
509	يدعوا الله بعز الإسلام والشهادة فينبالهما معا!! النعمان بن مقرن:
509	من جدع أنفك وأذنك؟! عبد الله بن جحش:
510	باله من دعاء!!:
510	أغرب من الأساطير، أبو معاوية الأسود:
511	يدعوه ربه أن يحشر في حواصل الطيور! عتيبة الغلام:
511	دعاء الله بصالح الأعمال:
512	سمعت لأهل السماء ضجة فسالت الله يوليني قتله:
513	دعا امرأة عثمان على قتلته:
513	أصابتنني دعوة سعد:
513	ألا دعونكم: ألا دعونكم لنا معكم!:
514	دعا أنجع من الأطباء!!:
514	أتاك الغوث أبا حفص:
514	والله لقد ولدته أمه وهي ميتة!!:
515	أطلعت الله فيما أمرني ونهاني فساكنه فأعطاني:
515	خذ هذه فادها عن أمانتك وأقصر في الخطبه فإنك لن تراني:
516	إن كنت كاذبا سود الله وجهك:

- 516 قد مسخت بداه يدي خنزير؟! :
 517 ار تحلوا فوالله لا اقبل قوما سفاهم الله من السماء وأنا أنظر؟! :
 517 اللهم قد أريتنا قدرتك فأرنا عفوكم :
 517 صنعت مثل الذي صنعت فرد الله على بصري :
 518 فحللته من وثاقه ومضيئا :
 518 يا قسورة :
 518 في قم كل واحدة منهن دينار واحد :
 518 قد أريت قدرتك، فادقنا برد عفوكم ورحمتكم :
 519 هذا أجرة عملك في يومين وإن ربيت زدناك :
 519 فما ذهبت عيناى من الدنيا حتى رأيت كل رجل منهم قد أعطي ماسأل :
 520 ألت صاحبى بالأمس؟ :
 521 اصبروا، فإنما هي الليلة :
 521 وإني قد استحييت من الله :
 522 اللهم إن هذا قد شغلنا عن ذكرك، فأرحنا منه كيف شئت :
 522 اللهم يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء :
 522 إن كنت تعلم إني على صواب فلا تهتك سري :
 523 وما يدريك أنه بحبك؟! :
 523 بحق ما جرى البازحة أن ترحم عبادك وبلادك :
 524 يا أيها الرافد كم ترفدا :
 525 لئن لم ترك العين.. فقد أبصرك القلب :
 525 أخبرت أهل النار بحبي إليك :
 526 قد وضعنا في هذه ما أصابها :
 526 إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم :
 526 يا أبت كنت الساعة بالأنبار :
 526 أيش الخبر :
 528 أحوال المنور عين عن الحرام :
 531 ثمرة الأكل من الحلال :
 531 فكيف حال من مديده إلى حرام :
 531 يا أويس، هذا رزق من عند الله تعالى :
 531 أطعمنا له فاطعمنا :
 531 إذا سألني ربي، من أين لك هذا؟ :
 532 أنفقوا دنياهم في بطونهم :
 532 فرجع من انطاكية إلى الشام ماسيا :
 532 أكلت فرسي حرأما :
 532 ليس كل خلاف يستراح له :
 532 طاعته موقوفة منذ سنة لأنه أخذ تمرنين :
 533 مخافة أن يشتري من الشاة المسروقة :
 533 أفتحله لنا أم تحرمة علينا؟ :
 533 من غير بيت بشر :
 534 البعد عن الغيبة والنميمة :
 537 أسباب الغيبة وبواعثها :
 537 الفرق بين الغيبة والبهتان والشتم :
 537 حكم الغيبة :
 538 علاج الغيبة :
 538 هل تحل الغيبة في بعض الأحيان؟ :
 543 من مضار الغيبة :
 544 يسلم منك الروم ويسلم منك فارس، ولم يسلم منك أخوك!! :
 544 أنا مع النبي ﷺ وأصحابه بينهم :
 544 رضا الناس غايه لا تدرك :
 544 ولا يحاسبني أني اغتبت أحدا :
 545 طالما لفظها الكرام :
 545 كلام... بالقرآن! :
 547 اصدق ما يكون الرجل عند الموت :
 547 اذكر القطن إذا وضع على عينيك :

547	وكلامك يعرض على الله فلا تحترز:
547	أعنت رجلا في هذا الموضع:
547	رمي اللسان لا يخطئ:
549	تذكر الموت
563	من فوائد (تذكر الموت):
564	ذكر تم موت:
564	اليه فيا ليت ما كان:
564	فأنت إذن والله ملك الموت:
564	لكان حسبه:
565	هذه الحاجة أهم جوانحي:
565	هيات انقطعت المهلة:
566	لعنك الله من مال:
566	فالى أين أذهب؟
567	أترضى حالك هذه للموت؟
567	قد مات قوم وهم في الناس أحياء:
568	أحب أن أخرج من الدنيا عريانا كما دخلت اليها عريانا:
568	فعظم الله أجرك على موت قلبك:
568	هل رد الله عليك حكما؟
568	فعظم الله أجرك على موت قلبك:
568	أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة:
570	الخاتمة
572	الفهرس

* * *

